الـــدُّرُ الثَّمِين

فِي تَرْجَمَة فَقِيه الأمَّة

العَلاَّمة ابنِ عثيمِين

رحمه الله تعالى

ترجمة شاملة لحياة الشيخ من النشأة إلى الوفاة

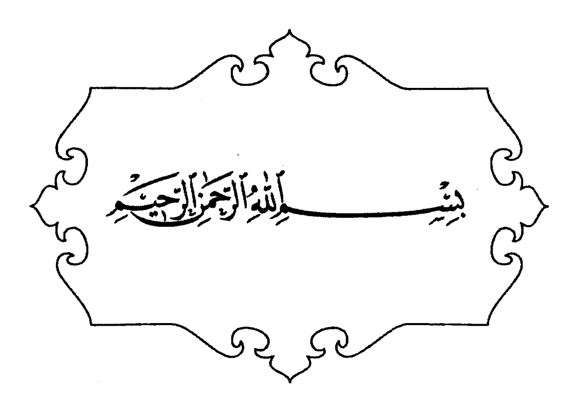
جمع وإعداد

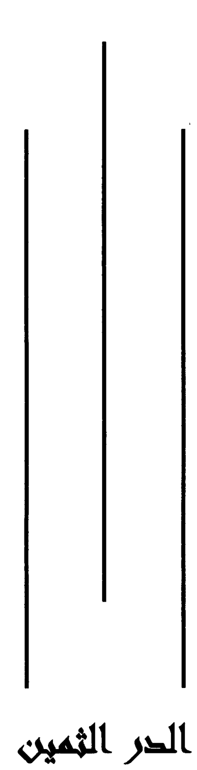
تلميذه

عصام بن عبدالمنعم المري

دار البصيرة

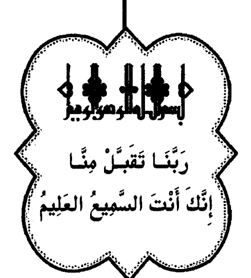
الإسكندرية


بسم الله الرحمن الرحيم



الدر الثمين





رقم الايداع : ٢٠٠٣/٣٣١٥

دار البصيرة
جمهورية مصر العربية
الإسكندرية - ٢٤ ش كانوب - كامب شيزار - ت : ٥٩٠١٥٨٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فهو المهتد ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلّى الله عليه وسلّم تسليماً مزيداً.

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُم الَّذي خَلَقَكُمْ منْ نَفْسٍ وَاحدَة وَخَلَقَ منْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ منْهُمَا رِجَالاً كَثيراً وَنسَاءً وَاتَّقُوا الله الَّذي تَسَاءَلُونَ به وَالأَرْحَامِ إنَّ الله كَانَ عَلَيْكُمْ رَقيباً ﴾ [النساء : ١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذينَ ءامَنُوا اتَّقُوا الله حَقَّ تُقَاته وَلاَ تَمُوتُنَّ إلاَّ وَأَنْتُم مُسْلمُونَ ﴾ [آل عمران : ١٠٢].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذينَ ءامَنُوا اتَّقُوا الله وَقُولُوا قَوْلاً سَديداً. يُصْلحْ لَكُمْ أعْمَالَكُمْ وَيَغْفرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطعِ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظيمًا﴾ [الأحزاب :٧٠، ٧١].

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

وبــعد :

لعلّ من أصعب الأمور كتابة المقدمات للأمور العظام والأحداث الجسام، فإن هول الحدث وفظاعته وعظمه وتصوّره وعظم الخسارة التي تخسرها الأمة كافٍ في انعقاد اللسان واضطراب البنان.

أقول هذا وأنا أحاول كتابة مدخلٍ لترجمة شيخي وأستاذي الجليل العلامة المحقّق المدقّق بقية السلف الصالحين وحامي حمى الدين والذّاب عن شريعة سيد المرسلين ومفيد الطالبين ومفتي الحائرين الإمام العلامة أبي عبد الله محمد بن صالح بن عثيمين والذي رُزِئت الأمة بوفاته يوم الأربعاء الخامس عشر من شوال لسنة إحدى وعشرين وأربعمائة وألف من الهجرة، قبيل غروب شمس ذلك اليوم، ومع غروبها غربت شمس الفقه التي طالما أنارت الدنيا بنورها، وأزاحت عن الكثير غياهب ظلمائها، وأزاحت عن العميان غشاوة أبصارها.

فقد كان ابن عثيمين رحمه الله للناس كالنسيم في رقّته، وكالمزن في عذوبته، وكالبلسم للعليل في إزالة سقمه، وكالعافية للبدن.

كم هدى الله به من ضالٍّ ! وكم علّم به من جاهل ! وكم حفظ به من أعراض ! وكم حقن به من دماء !.

عُمرت المجالس بفتاويه، وذخرت المكتبات بتآليفه، وشنفت الأذان بدروسه، وابتهجت الأبصار بطلعته، وسعدت القلوب بابتسامته.

فرحمة الله عليك من إمام هدى، وهادي أمة.

هذا وقد كنت ترجمت للعديد من مشايخي الذين تتلمذت عليهم وتلقيت العلم عنهم، وكان شيخي ابن عثيمين رحمه الله من أولهم، ولكنني أخّرت الترجمة

له نظراً لطولها، ولأنني كنت أودُّ أن تكون ترجمة وافية أذكر فيها كل ما عرفته عن الشيخ طوال فترة ملازمتي له، ويحتاج ذلك إلى ترتيب وتصنيف وجهدٍ يعلمه من يكتب التراجم.

ثم قدّر الله عز وجل ومرض الشيخ بالداء العضال، فزرته في المستشفى التخصصي في الرياض في آواخر شعبان قبل انتقاله إلى مكة المكرمة، فرأيته على سرير المرض، وقد أثّر فيه تأثيراً عظيماً يراه القاصي والداني، فرأيت أنّ الأمر لا يحتمل التأخير، فبدأت والشيخ ما زال حيّاً أكتب كلّ ما عنّ لي وأنا أتقطّع من الحزن والأسى.

ثم جاء الخبر المفجع والمصاب الأفجع والأمر الذي كتبه الله جل وعلا على كلّ نفس، وقيل : مات الشيخ، وتذكرت قول الإمام البخاري رحمه الله تعالى لما علم بموت الإمام الدرامي رحمه الله تعالى، فقال :

إن عشْتَ تَفجَع بالأحبَّة كُلّهم

وَبَقَاءُ نفسكَ لاَ أبَالكَ أفْجعُ (طبقات السبكي ٢/١٥)

وقد تردّدت كثيراً في إكمال الترجمة وعانيت فيها أشدّ المعاناة حرصاً مني على أن تكون ترجمة شاملة لدقائق حياة المترجم.

وقد كانت هنـــاك نقاط شبه مجهولة لم يقف عليها إلاّ القليل من الناس، وهي حلقات تكاد تكون مفقودة يحتاج إليها المترجِم لربط الأحداث بعضـــها ببعض، فبدأت أتلمّسها ويسّر الله لي الكثير منها كما ستراه في هـــذا الكتاب الذي بين يديك.

وكانت هناك العديد من المعوقات التي كادت أن توقف هذا العمل إلاّ أن تذكري لمكانة الشيخ وعظم حقّه عليَّ يوم أحسن استقبالي في عنيزة عام ١٤٠٣هـ، وأحسن ضيافتي وأحسن تعليمي، وكان يخصّني بعطفه ومعونته، ولم يكن يبخل عليّ بوقته وصحبته في ذهابه وإيابه في الفترة التي قضيتها عنده.

كل ذلك جعلني أمشي قُدُماً في إكمال الترجمة، لعلّي بذلك أن أكون وفيته شيئاً يسيراً من حقّه عليّ. رحمه الله وغفر له.

وقد جمعت في هـــذه الترجمة بين التأريخ القصصي، والتأصيل العلمي، والأسلوب التربوي.

فليس القصد منها مجرد سرد حدث أو ذكر قصة، فقد قام بهذا بعض الناس، ولكنّني رتبت هذه الترجمة ترتيباً زمنياً من النّشأة حتى الوفاة وما بعدها.

وقد أطلْت في بعض المباحث كعقيدته وفقهه نظراً لأهميّتها وتميُّزِ الشيخ فيها.

وقد استفدت من كل ما كُتب عن الشيخ مما وقفت عليه وعزوته لأهله في مواضعه؛ إلاّ أن بعض الكتابات كان فيها من الغلوّ والإطراء الشيء الكبير، وخاصة في الشعر، فأعرضت عن ذلك، وانتخبت منه ما وافق الشرع مما لا غلوّ فيه.

فقد عاش الشيخ يدعو إلى التوحيد الخالص، ويذبّ عن جناب التوحيد طيلة حياته حتى أيامه الأخيرة في دروسه في المسجد الحرام. رحمه الله تعالى وغفر له.

هذا وإنني ختاماً أشكر كلّ من أفادني في هذا البحث، وخاصة شيخي العلامة عبد الرحمن بن ناصر البراك، والذي لم يبخل عليَّ بما يحضره عن دراسة الشيخ في المعهد العلمي في الرياض. فجزاه الله خيراً.

كما أشكر ابني عبد الرحمن الذي يدرس بالمعهد العلمي والذي كَتَبَ هذه الترجمة كاملة على جهاز الحاسب الآلي، وعانى في ذلك طوال أحد عشر شهراً هي المدة التي قضيتها في كتابتها.

فأسأل الله تعالى أن يجزيه خير الجزاء ويلحقه بركب العلماء العاملين.

وختاماً أسأل الله جل وعلا أن يجعل هذا العمل متقبّلاً في السماء وفي الأرض، وأن لا يجعل لأحدٍ من خلقه فيه شيئاً، وأن يثقّل به ميزان حسناتي يوم العرض عليه، وأن يجمعنا بشيخنا ابن عثيمين مع نبينا ﷺ وآله وصحبه في الفردوس الأعلى في جنّات النعيم، والحمد لله ربّ العالمين.

كتبه

عصام بن عبد المنعم المري

الرياض- ١٤ من رمضان ١٤٢٢هـ

صندوق بريد : ٤١٧٢٤

الرمز البريدي : ١١٥٣١



صورة من مراسلة الشيخ رحمه الله للمؤلف بخطّه، وفيها يظهر تواضعه حيث إنه يباشر أعماله بنفسه رحمه الله تعالى.

١

بسم الله الرحمن الرحيم من عنيزة في ١١/٤/١٤٠٣هـ

من محمد الصالح العثيمين إلى الأخ المكرم : عصام بن عبد المنعم المر حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كتابكم وصل وما تضمنه من الأسئلة فإليكم ما تيسر من جوابها :

ج١- يشترط لحل الذبيحة أهلية الذابح بأن يكون مسلماً أو كتابياً . وأهل الكتاب الموجودون الآن إن ارتدوا عن دينهم وأنكروه لم تحل ذبيحتهم لخروجهم عن الوصف المبيح لذبائحهم

ج٢- لا يجوز إسبال البنطلون ولا غيره من الثياب والنهي عام لمن صنعه خيلاء أو غير ذلك لكن تختلف العقوبة فيمن صنعه خيلاء ومن لم يصنعه خيلاء ، فالأول : لا يكلمه الله يوم القيامة ولا ينظر إليه ولا يزكيه وله عذاب أليم والثاني : يعذب بالنار على ما نزل من الكعبين ويدل لذلك حديث أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : أزرة المؤمن إلى نصف الساق ولا حرج عليه فيما بينه وبين الكعبين وما كان أسفل من ذلك فهو في النار ومن جر إزاره بطراً لم ينظر الله إليه رواه مالك وغيره .

ج٣- لا يثبت دخول شهر رمضان وذي الحجة إلا بشهادة مسلم موثوق به ولا يشترط أن يراه كل واحد بنفسه بل متى ثبت دخوله وجب على الناس العمل بمقتضاه

ج٤- إذا كان السائل واثقاً بفتوى العالم لم يلزمه طلب الدليل منه لأن الله تعالى يقول (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) والأمر بسؤالهم يقتضي قبول ما أجابوا به وهكذا كان عمل الصحابة فيما نعلم . أما إذا كان غير واثق من جوابه فليسأل عن الدليل ليطمئن بالجواب .

ج٥- لا يجوز بدء الكافر بالسلام ولا يحيا بتحية أخرى لكن إن بدأ هو بذلك رد عليه بالمثل إلا بالسلام فيقال : وعليكم فقط .

ج٦- الأصل في العبادات المنع فلا يتقرب العبد إلى الله إلا بما شرع الله ولذلك أنكر الله تعالى على من اتبعوا ما ابتدعوا فقال : (أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) وحذر النبي صلى الله عليه وسلم من البدع وقال : كل بدعة ضلالة . وقال : من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد .

وأما ما سوى العبادات من الأعيان والأعمال والمنافع فالأصل فيه الحل لقوله

(هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا) وقوله (هو الذي جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور). وعلى هذا فلا يحرم من الأعيان والأعمال غير التعبدية والمنافع إلا ما دل الشرع على تحريمه.

ج٧- يجب على المسلم إعفاء لحيته كما أمر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يكره على حلقها فيقال احلقها وإلا فعلنا بك وفعلنا بك أما مجرد الإيذاء لمن أعفاها فالواجب الصبر على هذه البلوى والعياذ بالله قال الله تعالى (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين).

ج٨- الصواب من أقوال أهل العلم أن لمس المرأة لا ينقض الوضوء سواء كانت حية أم ميتة لكن لمن كان لشهوة فالأفضل الوضوء ولا يجب أيضا لعدم الدليل على وجوب الوضوء منه والأصل بقاء الطهارة وبراءة الذمة.

ج٩- إذا ارتكب المسلم عملا من أعمال الشرك عن جهل فإنه يعذر به عند الله تعالى ولكن إذا نصحه شخص وقرن له النصيحة بدليلها فقد قامت عليه الحجة فلا يكون له عند الله تعالى عذر واعتقاده أن هذا شخص متشدد لا يبرر له البقاء على عمل الشرك لأن الواجب عليه إذا كان في شك مما قال أن يبحث عن صحته.

ج١٠- إذا كان أئمة هذا المسجد الوحيد في القرية فساقا ولم يصلوا إلى حد الكفر فصلوا معهم لأن صلاة الفاسق مقبولة صحيحة فالائتمام به صحيح. وأما إن وصلوا بأعمالهم إلى حد الكفر فلا تصلوا خلفهم واختطوا لكم مسجدا تصلون فيه إن أمكن وإلا فصلوا جماعة في بيوتكم أو فرادى إن لم تتمكنوا من الجماعة.

ج١١- شحم الخنزير محرم لا أعلم فيه خلافا ودليله قوله تعالى (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) وقوله (قل لا أجد فيما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا أو لحم خنزير فإنه رجس) وتعليله بالرجس يدل على تحريم جميع أجزائه.

والله يحفظكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمد العثيمين

صورة من إجابات الشيخ لعدد من الأسئلة التي وجّهها إليه المؤلّف في عام ١٤٠٣ هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته

ج١- لا بأس أن يتخصص في أمراض النساء إذا وثق من نفسه لاسيما إذا لم يوجد نساء يتخصصن به . وفي حال العلاج ينظر من العورة كل ما تدعو الحاجة إليه .

ج٢- تقليد المذاهب للضرورة جائز والضرورة أن لا يتمكن المرء من معرفة الحكم بنفسه من كتاب الله تعالى أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) ولم يأمر الله تعالى بسؤالهم إلا للأخذ بقولهم . وأما إن كان المرء يمكنه معرفة الحكم من الكتاب والسنة فإنه لا يقلد دينه الرجال .

ج٣- الجهاد في سبيل الله تعالى واجب ماض إلى يوم القيامة ولكنه يسقط عند العجز عنه كغيره من الواجبات لقوله تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) .

ج٤- طلبكم العلم عندنا ممكن إن شاء الله تحضرون إلى عنيزة وإذا كان لديكم شهادة تزكية فيمكن أن تنزلوا مع الإخوان في شقة عند الجامع . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمد العثيمين ١٤٠٣/٦/٨هـ

صورة بخط الشيخ رحمه الله فيها إجابة على عدد من الأسئلة التي وجهها إليه المؤلف ، ويظهر في الدائرة موافقة الشيخ على طلب المؤلف الرحلة إليه والتتلمذ على يديه ، كتبها الشيخ خلف الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

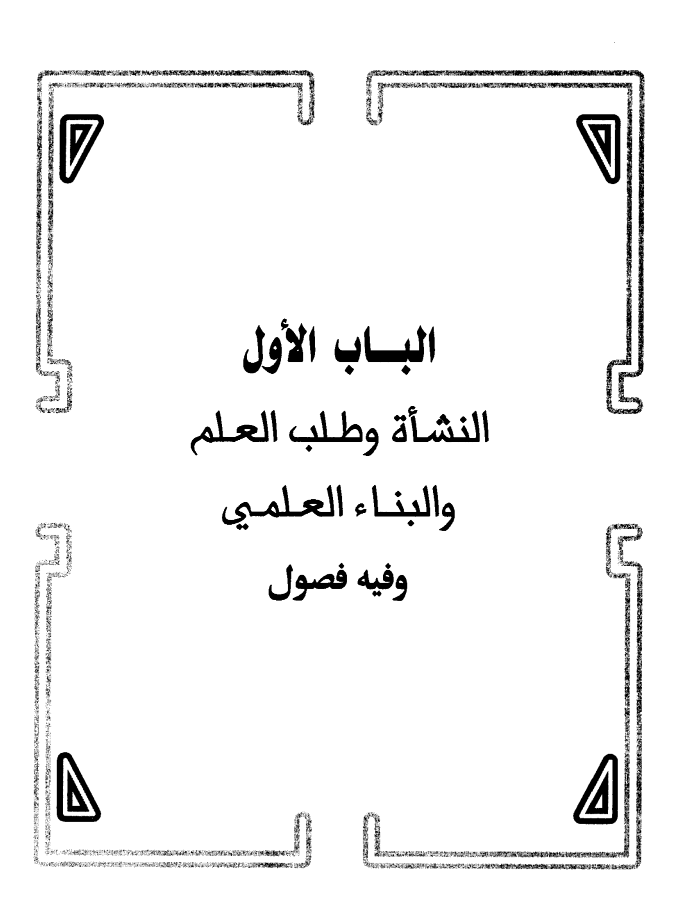
المقدم (الحسام بن عبد المنعم) معروف لدي وأرجو له التوفيق والسداد وأن تسهلوا مهمته . كتبه محمد الصالح العثيمين في ١٤١٤/٥/١١هـ

محمد العثيمين

صورة من تعريف الشيخ رحمه الله للمؤلف ، ودعائه له ،

كتبها بجوار الكعبة المشرفة في مكة المكرمة .





البـــاب الأول

النشأة وطـلب العـلم

والبنـاء العـلمـي

وفيه فصول



الفصل الأول

اسمه ونسبه وكنيته وأسرته

أولاً : اسمه ونسبه :

هو الشيخ العالم العلامة المدقق المحقق الحبر البحر المفسر الفقيه الأصولي المتمكن الزاهد الورع الإمام :

«محمد بن صالح بن محمد بن سليمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن عبدالله بن عبد الرحمن بن أحمد بن مقبل؛ من آل مُقْبل من آل ريس من الوهبة من قبيلة بني تميم. جده عثمان اشتهر بعثيمين فصارت الأسرة تنسب لهذا الجد، وهو الجد الرابع».[1]

وقد تَطَرَّق الشيخ عبد الله البسام لنسب آل عثيمين أثناء كلامه على نسب الشيخ السعدي شيخ المترجم فقال : «أما نسبه من قبل والدته (يعني السعدي رحمه الله)، فأخواله آل عثيمين المقيمين في عنيزة، وأجدادهم ثلاثة : عبد الله وسليمان ومحمد أبناء عبد الرحمن بن عثمان، الملقب (عثيمين)، فوالدة الشيخ المترجم (يعني السعدي) هي فاطمة بنت عبد الله بن عبد الرحمن بن عثمان، ولم يعقب عبد الله سوى والدته (يعني السعدي). وأما سليمان ومحمد فذُرِّيَّتُهُما في عنيزة، وقد قدِم هؤلاء الإخوة الثلاثة من أشيقر إلى عنيزة، والموجود الآن في عنيزة هم أحفادهم، عدا عبد الله فليس له عقب إلا من ابنته، ونسبة الموجودين إلى القدامى، ومنهم الشيخ

(١) ذكر هذا النسب شيخنا محدث المدينة النبوية العلامة عبد المحسن بن حمد العباد في محاضرة له بعنوان : «الشيخ محمد بن عثيمين وشيء من سيرته ودعوته».

محمد بن صالح بن محمد بن سليمان إمام وخطيب جامع عنيزة (يعني شيخنا المترجم ابن عثيمين). فسليمان جد أبيه».(١)

وقال في موضع آخر :

«وآل عثيمين هم من آل مقبل، من آل زاخر، - البطن الثاني من الوهبة - نسبة إلى (محمد بن علوي بن وهيب) ومحمد هذا هو الجد الجامع لبطون الوهبة جميعاً، وآل عثيمين كانوا في بلدة أشيقر، الموطن الأول لجميع الوهبة، ونزحوا منها إلى شقراء، فجاء جد آل عثيمين الموجودين في عنيزة من شقراء إلى عنيزة، وسكنها».(٢)

وبسياق هذا النسب يظهر مدى القرابة بين الشيخ ابن عثيمين وشيخه السعدي، مما كان له الأثر البالغ في المزيد من التقارب بين الشيخ وتلميذه، كما سيظهر بعد ذلك. إن شاء الله تعالى.

وقال الشيخ علي بن عبد العزيز الشبل :

«لكن الشيخان : ابن سعدي وتلميذه ابن عثيمين من جذمين كبيرين مختلفين من هذه القبيلة (يعني : بني تميم)، فابن سعدي ينحدر من جذم بني سعد، وابن عثيمين ينحدر من جذم بني حنظلة.

وفيهم البيتان المشهوران :

يعـدُّ النـّاسبُـون إلى تَميـمِ بُطُـون المجْد أَرْبَعـةً كِبَـارا

يعـدونَ الرّبـاب وآلَ عمروٍ وسَعـداً ثمّ حنظَـلَة الخيَـارا».(٣)

---

(١) علماء نجد (٣/٢١٩) ط دار العاصمة ١٣٩٨هـ.

(٢) علماء نجد (٢/٤٢٢) بواسطة فقه ابن سعدي (١/١٩) ولم أقف على نصه.

(٣) الدعوة، ١٧٧٩، وأشار إلى أن آل عثيمين قدموا عنيزة في هجرة الوهب من بني حنظلة في القرن الحادي عشر تقديراً.

كنيته :

يكنى بأبي عبد الله، أكبر أولاده.

تاريخ ولادته :

ولد ليلة الجمعة في السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك - فكان قدومه مباركاً على الأمة جمعاء - لسنة سبع وأربعين وثلاثمائة وألف من الهجرة.[١] (٢٧ / ٩ / ١٣٤٧هـ).

مكان الولادة :

مدينة عنيزة، إحدى مدن القصيم في عالية نجد وسط الجزيرة العربية، والتي عمرت بالعديد من العلماء، والقضاة، والمصلحين، عبر سنوات عديدة، فكان المترجم رحمه الله تعالى من آخر هذه النخبة المباركة.

أسرته :

الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى متزوج من زوجة واحدة، وهي : كريمة محمد إبراهيم منصور التركي، وله منها ثمانية أولاد.

خمسة من الذكور، وهم :

عبد الله، وعبد الرحمن، وإبراهيم، وعبد العزيز، وعبد الرحيم.

---

(١) لقاء مع الشيخ في مجلة اليمامة، العدد ٩٥٣، سنة ١٤٠٧هـ. وتحديد الليلة ذكره إبراهيم ابن حمد الجطيلي، انظر الجزيرة، العدد ١٠٣٣٥.

وثلاث من الإناث.

وذكر شيخنا عبد المحسن العباد أنه سمع الشيخ يقول : إنه سمّى أبناءه بعبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم، حسب الترتيب المذكور في البسملة.(١)

أشقاؤه :

الدكتور عبد الله : رئيس قسم التاريخ في جامعة الملك سعود بالرياض، والأمين العام لجائزة الملك فيصل، وعضو مجلس الشورى.

الأستاذ عبد الرحمن : مدير عام الإدارة المالية والإدارية بمدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية.(٢)

وله شقيقة واحدة، وهي زوجة ابن عمّ الشيخ محمد السليمان العثيمين.(٣)

أحفاده :

للشيخ واحد وعشرون حفيداً من أبنائه وبناته.(٤)

---

(١) محاضرة الشيخ العباد (سبقت).

(٢)، (٣) المسائية، العدد ٥٧١٦.

(٤) المسائية، العدد ٥٧١٦.

الفصل الثاني
أحوال البلاد والنشأة وطلبه للعلم

المرحلة الأولى

الحالة الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية التي صاحبت نشاته.

نشأ الشيخ رحمه الله تعالى في بداية استقرار الأوضاع في الجزيرة، واستتباب الأمن فيها، حيث صدر المرسوم الملكي الذي يتضمن اسم المملكة العربية السعودية، واسم مليكها.

وذلك بعد خضوع البلاد للملك عبد العزيز رحمه الله تعالى، وكان ذلك عام ١٣٥١هـ[١] وعمر المترجم يقارب الخمس سنوات.

ثم أخذت أوضاع البلاد الاقتصادية في النمو التدريجي، وذلك بعد اكتشاف البترول عام ١٣٥٧هـ وبداية الانتعاش الاقتصادي الذي كان له الأثر الكبير على الأوضاع الاجتماعية والتعليمية.

وكان عمر الشيخ وقتئذٍ حوالي عشر سنوات، وفي هذا الوقت كان الشيخ قد بدأ في طلب العلم فعلاً، حيث قال عن نفسه :

«بدأت في تلقي العلم من السنة التاسعة من عمري تقريباً».[٢]

---

(١) انظر : جوانب من تاريخ المسلمين للدكتور عبد الله الصالح العثيمين.

(٢) مجلة الدعوة، العدد ١٧٧٦.

من هذا يتبين أن الأوضاع العامة كانت مطمئنة ومبشرة بمستقبل أفضل يسوده الأمن والاستقرار وتيسر سبل العيش، مما يُيَسّر لطالب العلم المضي قدماً، بعيداً عن المنَغِّصات وقلاقل الفتن، التي كثيراً ما أزاحت الأفذاذ من طلاب العلم عن مسيرهم.

وقد قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى : (عجبت من أقوام أكلت الدنيا أكبادهم، وقد وعت قلوبهم القرآن). نسأل الله تعالى السلامة والعافية.

ومع أن الشيخ رحمه الله تعالى عاش في بداية الطفرة - كما يطلق عليها - إلاّ أنه نشأ في أسرة متوسطة الحال، فقد كان والده يعمل في التجارة بين الرياض وعنيزة، ثم استقر في عنيزة وعمل قبل وفاته بدار الأيتام بعنيزة، كما حَدَّثَتْ بذلك شقيقة الشيخ رحمه الله تعالى.

وقد سُئل الشيخ رحمه الله تعالى : هل اشتغلت بالتجارة إلى جانب طلبك للعلم؟ فقال : لا، لأن الوالد رحمه الله كان في الرياض، وكان ميسور الحال.[1]

فلم تتيسّر له سبل الرفاهية في الطلب، حيث يصف الشيخ المكان الذي يقرأ فيه بأنه (غرفة من طين، تطل على زريبة بقر).[2] فلله درّه، ورحمة الله عليه.

فليس هناك : مباني شاهقة، ومكاتب فارهة، وكراسي دائرة، ومكتبة عامرة، وسيارة فاخرة، والتي يظن العديد من طلاب العلم أنها كلها من لوازم الطلب، بل من ضرورياته، فليت طلاب العلم يعتبرون.

وكان من توفيق الله جل وعلا أن نشأ الشيخ في أسرة معروفة بالدين والاستقامة، فآل عثيمين هم أخوال الشيخ السعدي رحمه الله تعالى - كما سبق بيانه - وجد

(١) مجلة اليمامة، العدد ٩٥٣.

(٢) مجلة الأسرة، العدد ٩٢.

الشيخ محمد – لأمه – هو الشيخ عبد الرحمن ابن سليمان آل دامغ الإمام والمدرس في مسجد الخريزة[1] بعنيزة، والذي كان الأستاذ الأول للمترجم، وقد بدأ في قراءة القرآن عليه حتى أتمّه نظراً، كما قال عن نفسه.

ولاشك أنه صَاحَبَ هذه البداية المبكرة في الطلب (تسع سنوات) – بعد توفيق الله تعالى – عدة أمور كانت عاملاً مهمّاً في إنجازه المرحلة الأولى.

ومن تلك الأمور : ذكاؤه، وفطنته، وهي أمارة بادية للناظر في وجه الشيخ لأول وهلة، وكذا حفظه وقوة ذاكرته، وهذه يعرفها جيداً من خالطه وصاحبه، وكذا صبره على عناء الطلب وتكرار الحفظ، ومكابدة الليالي في ذلك، وعمارة النهار بالمراجعة والتكرار.

وبعد هذه المرحلة أو صَاحَبَها بدأ الشيخ في تعلم مبادئ الكتابة في «الكتاتيب» كما يقول رفيقه العلامة الشيخ عبد الله البسام.[2]

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى :

«ثم تعلّمت في مدرسة أخرى الكتابة، وشيئاً من الحساب والأدب، ثم انتقلت إلى مدرسة ثالثة لحفظ القرآن عن ظهر قلب، وتم ذلك والحمد لله».[3]

وقد جاء ما يفيد أن الشيخ حفظ القرآن في وقت يسير جداً على شيخ آخر غير جده ؛ حيث قال الشيخ إبراهيم بن حمد الجطيلي، وهو ممن عاصر الشيخ أكثر من خمس وأربعين سنة، ودرس عليه أكثر من عشرين سنة، قال عن الشيخ : «إنه حفظ

---

(١) جريدة الرياض، العدد ١١٨٩٦.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٣) برنامج (في موكب الدعوة) بإذاعة القرآن الكريم بالرياض.

القرآن في ستة أشهر عند المعلم الكفيف علي بن عبد الله الشحيتان».[1]، وبهذا النقل يتبين أنه لم يحفظ القرآن على جده، بل قرأه عليه نظراً، ثم حفظه على غيره كما سبق.

وقد كان لحفظه القرآن الكريم في هذه السن المبكرة أثر بالغ في رسوخه في صدره، وقوة استحضاره له، زادت مع مرور السنين والأعوام، والذي سمع الشيخ وحضر دروسه ومناقشاته واستدلالاته يرى هذا جليّاً واضحاً. فالشيخ سريع الاستحضار للأدلة من القرآن الكريم، فمتى أراد الاستدلال أسعفته الذاكرة، وقوة الحافظة، ويظهر هذا أيضاً في تلاوته في الصلاة سواء الصلوات المفروضة أو صلاة التراويح، فالشيخ الإمام يرتّل القرآن في سهولة ويسر، لا يتعتع ولا يتردد بل يقرأ في تدبّر وتأمل، ويتوقف عند مواطن العبر في الآيات الكريمات، ولو أن بعض التسجيلات قاموا بجمع تلاوات الشيخ المتناثرة في العديد من الأشرطة، لكان عملاً مفيداً يؤخذ منه الكثير من الفقه.

ويبدو أن الشيخ في هذه الفترة كان لديه نهم في الاطلاع والمطالعة والقراءة، لكن نظراً لعدم توفر الكثير من الكتب لديه فإنه كان يستفيد من مكتبات الشيوخ، والقضاة.

من ذلك : ما رواه الشيخ أحمد القاضي قال :

(كان من أخص خصائصه التي عُرف بها واشتهر؛ حرصه على العلم، وقد حدّثني بعض ذوي الشيخ عبد الله بن محمد المانع رحمه الله، الذي كان قاضياً في عنيزة حتى سنة ١٣٦٠هـ حدّثني بعض ذويه أنّ الشيخ في صباه كان يأتي إلى منـــزلهم في الصباح الباكر، وعلى رأسه قفّة يحمل فيها كتبه وأوراقه، فيطرق

---

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٥. وهذا الموضع لم يحرره الكثير ممن تكلم على الشيخ. والله أعلم.

الباب، ويسلّم ويستأذن فيصعد إلى المكتبة، فيبقى فيها إلى قريب الظهر، ثم بعد ذلك ينـــزل ويسلّم وينصرف، وكان ذلك بعدُ و لم يبلغ الحُلم[1].

المرحلة الثانية

بداية الطلب على الشيوخ

[وعمر الشيخ حوالي ١٧ عاماً][2]

بعد مرحلة التأسيس السابقة في حفظ القرآن وأوليات العلوم، بدأت مرحلة التتلمذ على الشيوخ بطريقة تدريجية ناجحة، ويبدو أنها كانت من وضع الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - فالطالب قبل أن يبدأ بالسماع منه فإنه يمر بعدد من طلاب الشيخ القدامى الذين خصصهم لتدريس صغار الطلبة، فإذا قضوا في الطلب مدة معقولة، وتلقوا على أيديهم من مبادئ العلوم الشرعية ما يؤهلهم للدراسة على علامة القصيم فإنهم عندئذ يرشحون للقراءة على السعدي رحمه الله تعالى، وهذا ما حدث مع المترجم.

فقد عيّن الشيخ السعدي شيخين من كبار طلابه لتدريس صغار الطلاب.

هـــما :

الشيخ محمد بن عبد العزيز المطوّع رحمه الله تعالى.

والشيخ علي بن حمد الصالحي رحمه الله تعالى.

---

(١) المجلّة الإسلامية، إذاعة القرآن الكريم.

(٢) مجلة اليمامة، العدد ٩٥٣.

ترجمة الشيخين

١- الشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع.

ولد في عنيزة عام ١٣١٧هـ وقد تتلمذ على علمائها، وكان شغوفاً بكتب ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله تعالى.

وقد تتلمذ على الشيخ السعدي، ولازمه ملازمة تامة. فقرأ عليه في التوحيد، والحديث، والتفسير، والفقه، والنحو. وبرع في ذلك وأجاد، مما جعل الشيخ السعدي رحمه الله تعالى يكلفه بالجلوس لصغار الطلبة لتعليمهم مبادئ العلوم الشرعية، وقد أدى ما أُسند إليه بنجاح، ووُفّق في ذلك.

وقد تولى قضاء المجمعة، ثم عنيزة، ثم الخرج، حتى أصيب بمرض ضغط الدم، وسافر إلى لندن للعلاج، وتوفي بها، ودُفِن فيها سنة ١٣٨٣هـ رحمه الله تعالى وغفر له.[١]

وكان تدريس الشيخ المطوع بالجامع الكبير بعنيزة من عام١٣٦٠هـ إلى عام ١٣٦٤هـ.[٢] أي أن عمر ابن عثيمين في هذه الفترة يقارب في أولها ثلاثة عشر عاماً، وفي نهايتها يقارب سبعة عشر عاماً، وقد تتلمذ على يد شيخه المطوع خلال هذه الفترة، وأنهى دراسته عليه وعمره حوالي سبعة عشر عاماً، هذا على القول بأن تدريس المطوع في الجامع[٣] توقف في السنة المذكورة، وإلاّ فقد سئل الشيخ ابن عثيمين عن عمره وهو يدرس على الشيخ المطوع؟ فقال: ما بين ١٧ إلى ٢٠ سنة.[٤]

---

(١) انظر فقه ابن سعدي (٦٤/١).

(٢)، (٣) الدعوة، ١٧٧٨.

(٤) اليمامة العدد ٩٥٣ سنة ١٤٠٧هـ.

وقال الشيخ ابن عثيمين «كنت من نصيب الذين يقرؤون على الشيخ المطوع».[1]

الكتب التي درسها عليه :

وقد قرأ ابن عثيمين رحمه الله تعالى على الشيخ المطوع الكتب التالية :

١- (مختصر العقيدة الواسطية) اختصار الشيخ السعدي.

٢- (منهاج السالكين في الفقه)[2] وهو كتاب لطيف جمع فيه الشيخ السعدي مسائل الفقه بطريقة مبسطة جدًّا ولطيفة، مشتملاً على الفوائد المنتقاه من بطون كتب الفقه، يصلح للمبتدئين.

٣- (الأجرومية)[3] في النحو للعلامة ابن آجروم.

٤- (الألفية)[4] في النحو للعلامة ابن مالك، وهو من الكتب المتقدمة.

وقت الدرس :

وكانت دروس الشيخ المطوع بعد صلاة العشاء الآخرة وفي الصباح من طلوع الشمس حتى يحين ابتداء تدريس الشيخ السعدي.[5]

والشيخ المطوع هو الذي طلب منه بعد وفاة شيخه السعدي مع أمير عنيزة أن يكون خلفاً للشيخ في الجامع والمكتبة، فوافق عن ذلك.[6]

---

(١) برنامج (في موكب الدعوة) إذاعة القرآن الكريم بالرياض.

(٢)، (٣)، (٤) الحكمة، العدد الثاني، ص ٢٢، ولم يذكر الشيخ في الحوار معه في (في موكب الدعوة) الألفية.

(٥) شريط ابن عثيمين (علم وعمل)، «مؤسسة الاستقامة» ضمنه عدد من تلاميذ الشيخ وأقرانه.

(٦) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

٢- الشيخ علي بن حمد الصالحي.

قال عنه صاحب (فقه ابن سعدي) :

«له نشاط واسع في نشر رسائل شيخه، وهو صاحب مطبعة النور، وكل إليه الشيخ رحمه الله تدريس صغار الطلبة، قدم الكثير من رسائل شيخه، وأبرزها إلى الوجود، فانتفع بها خلائق كثيرون».[١]

توفي رحمه الله تعالى في أواخر عام ١٤١٤ هـ[٢]، ويقال ١٤١٥ هـ[٣].

والشيخ الصالحي هو الذي أشار على ابن عثيمين بالالتحاق بالمعهد العلمي بالرياض، بعد استئذان الشيخ من ابن سعدي كما أخبر الشيخ بذلك عن نفسه[٤].

وللشيخ الصالحي كتاب نافع جمع فيه تفسير ابن القيم رحمه الله تعالى من كتبه، سماه : السراج المنير.[٥]

- **الشيخ عبد الرحمن بن عودان :**

يشير الترتيب الزمني الذي ذكره الشيخ في طلبه للعلم، أن الشيخ ابن عثيمين في هذه الحقبة الزمنية قرأ على أحد مشايخ عنيزة الفضلاء، وأحد قضاتها المشهورين، ألا وهو الشيخ عبد الرحمن بن علي بن عودان، وهذه نبذة مختصرة عن حياته :

---

(١) فقه ابن سعدي (٦٢/١).

(٢) عندما ذكره الأخ وليد الحسين في مجلة الحكمة ذكر أنه كان على قيد الحياة، وقد صدرت المجلة بتاريخ ١٤١٤/٩/١هـ فيظهر أن وفاته بعد هذا التاريخ، حيث ذكر غير واحد أن وفاته في ١٤١٤هـ، فتعين أن تكون بعد هذا التاريخ والله أعلم.

(٣) انظر شريط ابن عثيمين (علم وعمل) تسجيلات مؤسسة التقوى بعنيزة.

(٤) عكاظ، حديث الذكريات، العدد ١٢٥٥٦.

(٥) الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز ص ٦٣٣، للشيخ عبد الرحمن بن يوسف الرحمة.

ولد في شقراء عام ١٣١٥هـ، وتلقى علومه الأولية، وحفظ القرآن الكريم في بلدته، ثم انتقل إلى الرياض لطلب العلم على علمائها، وعين قاضياً لبلدة العسيلة حتى عام ١٣٥٤هـ (١٩٣٥م)، ثم انتقل إلى شقراء ليعمل قاضياً لها وللقرى المجاورة، ولجميع مناطق الوشم، ثم تولى في الفترة من عام ١٣٦٠هـ (١٩٤١م) إلى عام ١٣٦٩هـ (١٩٤٩م) قضاء عنيزة، ومنها انتقل إلى الرياض حيث عمل مدرساً بالمعهد العلمي، وإماماً لجامعها الكبير، ثم عُيِّن قاضياً بمحكمة الرياض، وتوفّي رحمه الله بشقراء عام ١٣٧٤هـ).[١]

والشيخ ابن عودان هو الذي عَيَّن الشيخ السعدي إماماً وخطيباً للجامع الكبير بعنيزة في رمضان، عام ١٣٦١هـ وهي حسنة من حسنات الشيخ ابن عودان حفظها له أهل عنيزة لما حصل لهم من خير عظيم.[٢] وقد قرأ عليه المترجم في عِلْمَيْ : الفرائض، والفقه، كما أخبر بذلك عن نفسه.[٣] وكانت جلسات الشيخ العودان رحمه الله تعالى بعد صلاة الظهر، وبعد صلاة الفجر.[٤]

قال الشيخ ابن عثيمين: «ثم تتلمذت على يد شيخي وأستاذي الشيخ السعدي».[٥]

وهي المرحلة القادمة، وهي دخول شيخنا المترجم إلى المدرسة السعدية أو الجامعة السعدية، كما أطلق عليها بعضهم، وهي مرحلة التأسيس والبناء العلمي للشيخ ابن عثيمين. فإلى هذه المرحلة.

---

(١) معجم الأدباء والكتّاب، ص ٢٥٧، ط : ١، ١٤١٠هـ.

(٢) فقه ابن سعدي (١/٢٤).

(٣) عكاظ، حديث الذكريات، العدد ١٢٥٥٦.

(٤) الإمام ابن عثيمين علم وعمل - مؤسسة الاستقامة - عنيزة.

(٥) عكاظ، العدد ١٢٥٥٦.

المرحلة الثالثة

التتلمذ على علاّمة القصيم
الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تعالى
(١٣٠٧هـ - ١٣٧٦هـ)

بعدما انتهى شَيْخُنا من الدراسة على الشيخ المطوع، كان عمره حوالي ثمانيةَ عَشَر عاماً.

وقد صار شابّاً يافعاً، واعياً، مُدْرِكاً، نبيهاً، ذكيّاً، قد سار في درب العلم بالتدرج الذي وضعه له شيخه السعدي، وقد حصّل مبادئ العلوم، وفي مقدمة ذلك حفظُه كتاب الله عز وجل.

فاستحق عندئذ أنْ يتربّع بين يدي علامة القصيم الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، والذي يربطه بتلميذه المترجم علاقة نسب، سبق بيانها في أول الكتاب، ممّا كان له الأثر الكبير في قوة العلاقة بينهما، وعناية الشيخ به مع ما رزقه الله تعالى من ذكاء وفطنة فاق بهما أقرانه من طلاب ابن سعدي.

وقد ابتدأ شيخنا في الدراسة على علامة القصيم عام ١٣٦٥ه تقريباً، ولازم شيخه حتى عام ١٣٧٦ه، أي ما يقارب «أحد عشر عاماً».[١]

وقد حاول التلميذ النجيب جاهداً أن يستفيد من شيخه في أي وقت يتيح له ذلك، حتى في أثناء سير السعدي في الطريق.

---

(١) الحكمة، العدد الثاني ص ٢١.

قال الشيخ محمد صالح المنجد :

«حدّثني ولد الشيخ عبد الرحمن - يعني السعدي - أنّ الشيخ محمد بن عثيمين كان يمشي مع أبيه إلى مكان الدعوة التي يدعى إليها الشيخ عبد الرحمن السعدي فيسأله طيلةَ الطريق حتى يصل إلى بيت المدعو؛ ثم يعود الشيخ محمد، ويدخل مع الشيخ عبد الرحمن - أحياناً -..».[1]

وقد تأثّر شيخنا المترجم بشيخه السعدي تأثراً كبيراً، ظهر ذلك في علمه، وأخلاقه، ودعوته، وتدريسه، ومؤلفاته، ومنهجه مع الآخرين. وذلك بشهادة المترجم نفسه حيث قال يصف شيخه :

«إن الرجل قل أن يوجد مثله في عصره، في عبادته، وعلمه، وأخلاقه. حيث كان يعامل كلاًّ من الكبير والصغير بحسب ما يليق بحاله.

ويتفقد الفقراء فيوصل إليهم ما يسد حاجتهم بنفسه، وكان صبوراً على ما يلم به من أذى الناس، وكان يحب العذر ممن حصلت منه هفوة، حيث يوجهها توجيهاً يحصل به عذر من هفا...».[2]

لذلك فإنني لن أتعرّض هنا لترجمة ابن سعدي، لأن ذلك سيأخذ قسطاً كبيراً من الكتاب، وأيضاً فقد كُتبت في الشيخ كتابات موسعة، ودراسات مستفيضة.[3]

---

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

(٢) فقه ابن سعدي (١/ ٧٦).

(٣) انظر على سبيل المثال : (الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة) للشيخ عبد الرزاق العباد، و(حياة الشيخ عبد الرحمن بن سعدي في سطور) لأحمد القرعاوي، (صفحات من حياة علامة القصيم) للطيار، ومجلة الجامعة الإسلامية السنة ١١ العدد ٤ ص ٢٠٧، و(علماء نجد) للبسام، المجلد الثالث، و(روضة الناظرين) للقاضي ١/٢٢٢.

ولكنني سأقتصر على بعض مواطن التأثير في ابن عثيمين، والتي أشار الشيخ إليها، أما تطبيقها في حياة الشيخ العلمية، والعملية، فهذا سيأتي تفصيلاً في الكلام على حياة الشيخ نفسه. رحم الله الجميع.

١- سلفية ابن سعدي :

قال عنه الشيخ محمد حامد الفقي الداعية والعالم السلفي المصري المشهور:

«... لقد عرفت الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي أكثر من عشرين سنة، فعرفت فيه العالم السلفي المدقِّق المحقِّق، الذي يبحث عن الدليل الصادق، وينقب عن البرهان الوثيق، فيمشي وراءه، لا يلوي على شيء..».[(١)]

وقال : «.. عرفت فيه العالم السلفي الذي فهم الإسلام الفهم الصادق، وعرف فيه دعوته القوية الصادقة إلى الأخذ بكل أسباب الحياة العزيزة، القوية الكريمة النقية..».[(٢)]

والناظر في كتب الشيخ في العقيدة يرى ذلك جليّاً.

ومن أبرز تلك المؤلفات :

١- الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية.

٢- توضيح الكافية الشافية.

٣- التوضيح والبيان لشجرة الإيمان.

٤- الدرة البهية شرح القصيدة التائية في حل المشكلة القدرية.

٥- القول السديد في مقاصد التوحيد.

٦- الأدلة القواطع والبراهين في إبطال أصول الملحدين.

---

(١)، (٢) فقه ابن سعدي (٧٦/١).

٢- تواضع ابن سعدي، وسمو أخلاقه، ولين جانبه :

لقد أثّر ابن سعدي كثيراً في تلميذه النجيب ابن عثيمين بحسن خلقه وتواضعه، وبذلـــه نفسه للناس، ممّا جعل ابن عثيمين يبين مدى تأثره بشيخه حيث يقول :

«وكذلك أيضاً تأثّرت به من ناحية الأخلاق الفاضلة، وكان رحمه الله على قدر في العلم والعبادة، بما يمازح الصغير، ويضحك إلى الكبير، وهو ما شاء الله من أحسن مَنْ رأيتُ أخلاقاً».(١)

وقال الشيخ محمد صالح المنجد :

«سمعت عن رؤيا له (أي لابن عثيمين) في شيخه (أي : السعدي) فسألته عنها في أحد مواسم الحج.

فقلت : ذُكر أنكم رأيتم شيخكم عبد الرحمن السعدي في المنام، فسألتَه: ما أكثر ما نفعك عند الله ؟ فقال : حسن الخلق.

فهل هذه الرؤيا صحيحة ؟ فقال : «نعم، غير أني لا أذكر الآن، هل قال لي تقوى الله، أو حسن الخلق». ثم عقب الشيخ المنجد قائلاً : لكن الرواية التي سمعتها جزماً من بعض طلاب الشيخ أنه قال له : أكثر ما نفعه عند الله حسن الخلق.(٢)

وقال عنه تلميذه الشيخ عبد الله البسام واصفاً شيخه السعدي :

«له أخلاق أرقُّ من النسيم.

وأعذب من السلسبيل.

---

(١) حوار مع الشيخ في مجلة اليمامة، العدد ٩٥٣.

(٢) سمعت هذا من الشيخ المنجد في محاضرة ألقاها في مسجد الحرس الوطني بالرياض، بعنوان ١٠٠ فائدة من العلامة ابن عثيمين.

لا يعاتب على الهفوة.

ولا يؤاخذ بالجفوة.

يتودد ويتحبب إلى البعيد والقريب.

يقـــابــل بالبشـــاشـــة.

ويجيء بالطـــلاقة.

ويعاشر بالحسنى.

ويجالـــس بالمنادمة.

ويجاذب أطراف أحاديث الأنس والوُدِّ.

ويعطف على الفقير والصغير.

ويبذل طاقاته ووسعه.

ويساعد بماله، وجاهه، وعلمه، ورأيه، ومشورته، ونصحه، بلسان صادقٍ، وقلب خالصٍ، وسرٍّ مكتومٍ...».[1]

وقال عنه تلميذه القاضي:

«وكان رحمه الله تعالى ذا دعابة.

يتحبّب إلى الخَلْقِ بحسن خُلُقِه.

مرحاً للجليس.

لا يُرى الغضب في وجهه.

---

(١) علماء نجد (٤٢٩/١)، بواسطة فقه ابن سعدي (٣٥/١).

طَلْقَ الوجه.

كريم المحيا..

يتكلم مع كل فرد بما يناسب حاله.

ويدفع للفقراء من الطلبة الأموال ليتجردوا عن الانشغال في وسائل المعيشة.

وكان متواضعاً يسلم على الصغير والكبير، ويجيب الدعوة، ويزور المرضى، ويشيع الجنائز..».[1]

٣- طريقة تدريس ابن سعدي :

أمّا من ناحية تأثر الشيخ ابن عثيمين بابن سعدي في التعليم والدرس، فيقول شيخنا ابن عثيمين رحمه الله تعالى :

«إنني تأثرت به كثيراً في طريقة التدريس، وعرض العلم، وتقريبه للطلبة بالأمثلة والمعاني».[2]

ويذكر عنه أيضاً الشيخ عبد الله الطيار أنه قال له ذات مرة في أحد اللقاءات الخاصة : «كان شيخنا العلامة ابن سعدي - رحمه الله تعالى - يدَرِّبنَا على الإلقاء والمناقشة، وفهم المسائل بدقّة، وذلك بوضع مناقشة بيننا.

يجعل طالباً يتبنّى قولاً لأهل العلم، وآخر يتبنى القول الآخر، ثم يناقش كلٌّ منهما صاحبه بحضور بقية الطلاب ليتبين القول الراجح من عدمه، مع الاستفادة

(١) روضة الناظرين (١/ ٢٢٤) بواسطة فقه ابن سعدي.

(٢) صفحات من حياة الفقيد العالم الزاهد، للدكتور عبد الله الطيار (المجلة العربية، عدد ٤٨ سنة ١٤٢١هـ).

وقدرة بعض الطلاب على إيراد الاعتراضات والمناقشة، وحصر الأدلة، وذلك تحت توجيه شيخنا وقد استفدت من ذلك كثيراً».[١]

وقد قام أحد طلبة ابن عثيمين بسؤاله عن طريقة الشيخ السعدي في الدرس، فأجابه قائلاً : «انظر ما أقوم به أنا في الدرس، فهو ما كان يصنعه السعدي رحمه الله تعالى».[٢]

وقال الشيخ أيضاً يصف منهج شيخه :

«المنهج الذي كان الشيخ عبد الرحمن رحمه الله تعالى يسلكه ليس له نظير في وقته، إذ كان عادة الناس فيما سبق، أن الطالب يقرأ الكتاب، ثم يعلّق عليه الشيخ بما شاء الله.

أمّا شيخنا فإنه كان يشرح الكتاب شرحاً وافياً، ويربط المسائل بعضها ببعض حتى يفهم منه الطلاب كثيراً، وكان يلقي أحياناً على الطلبة ألغازاً يشحذ بها أذهانهم.

وأحياناً يلقي على الطلبة أسئلة مكتوبة بيده، ويعطيهم إياها، ويمهلهم يومين أوثلاثاً حسب ما يرى في الجواب عن هذا السؤال، وكان طريقته قبل أن ألتحق به أحسن بكثير، لأن الناس كانوا كثيرين عنده، وعندهم نشاط، واطلعت على كتاب مخطوط، جعل رحمه الله تعالى طلبته قسمين في المسائل الخلافية، فمثلاً إذا كانت مسألة خلافية يكون فيها رأي لشيخ الإسلام ابن تيمية، والمشهور من المذهب الحنبلي، قسمهم قسمين.

---

(١) المصدر السابق ص ١٤.

(٢) شريط الإمام ابن عثيمين – بعد الوفاة – (تسجيلات صدى التقوى بالرياض).

وقال لقسم انتصروا للمذهب واذكروا ما تستطيعون من الأدلة والتعليلات، وقال للآخرين انتصروا لشيخ الإسلام ابن تيمية واذكروا ما يقوي قوله من الأدلة والتعليلات، وكان هذا الكتاب جيداً والطلاب يكتبونه، وكل واحد يكتب ما عنده، لأنهما كأنهما يتناظران.

ومسلكه مع تلاميذه : مسلك الأب المربي لهم بمقاله وفعاله رحمه الله، وكان كثيراً ما يلقي في نفس الدرس شيئاً يروح عن النفس، وربما تبسم.

وكان رحمه الله في منهجه مع عامة الناس مضرب المثل في التواضع، والخلق، والسرية التامة فيما يخرجه من الصدقات للفقراء، وكان الناس في ذلك الوقت أشد حاجة من اليوم، فكان يذهب إلى الرجل ذي العائلة الكبيرة في وقت يقل فيه المشي في الأسواق، ويدق عليه الباب ويعطيه ما عنده، وربما لا يدري من هو».[1]

هذا ما ذكره ابن عثيمين عن شيخه.

يوضح ذلك ما كتبه السعدي رحمه الله تعالى عن الطريقة التي ينبغي أن يسلكها المعلم مع طلابه، فيقول رحمه الله تعالى :

«وينبغي سلوك الطريق النافع عند البحث تعلّماً وتعليماً، فإذا شرع المعلم في مسألة وضّحها وأوصلها إلى أفهام المتعلمين بكل ما يقدر عليه من :

التعبير، وضرب الأمثال، والتصوير والتحرير، ثم لا ينتقل عنها إلى غيرها قبل تفهيمها للمتعلمين.

---

(١) برنامج (في موكب الدعوة) إذاعة القرآن الكريم في الرياض.

ويقول أيضاً :

وينبغي تعاهد محفوظات المتعلمين ومعلوماتهم :

بالإعادة، والامتحان، والحث على المذاكرة، والمراجعة، وتكرار الدرس.

فإن التعليم بمنـزلة الغرس للأشجار. والدرس والمذاكرة والإعادة بمنـزلة السقي لها، وإزالة الأشياء الضارة عنها لتنمو، وتزداد على الدوام.(1)

وقد استفاد شيخنا ابن عثيمين من هذه التوجيهات العظيمة فكان يتعاهد محفوظاته مع زملائه من الطلاب النابغين الملازمين لحلقات السعدي والذين برزوا بَعْدَ ذلك ونفع الله بهم ومن هؤلاء فضيلة الشيخ القاضي، والعلامة عبد الله البسام صاحب المصنفات المشهورة حيث يحدثنا عن تلك الفترة الزمنية في الدراسة وطلب العلم والمذاكرة مع ابن عثيمين.

ويحدد طريقته مع الشيخ في مراجعة القرآن وحفظ المتون فيقول : «كُنّا نقرأ في الكتاتيب في مدينة عنيزة، ثم شرعنا بالقراءة على شيخنا العلامة عبد الرحمن بن سعدي، تزاملت أنا والفقيد نحو عشر سنوات قرأنا فيها الكثير من العلوم الشرعية والعربية على يد شيخنا السعدي، وكان لي مع الفقيد زمالة خاصة، فكنت أنا وإياه نحفظ المتون العلمية من الحديث كـ «**بلوغ المرام**» و«**عمدة الأحكام**».

ومن كتب الفقه «**مختصر المقنع**».

ومن كتب اللغة «**ألفية ابن مالك في النحو**» و«**القطر** يعني - قطر الندى - لابن هشام» حيث كنا نتدارس المتون في الفترات التي لا يكون فيها درس شيخنا ابن سعدي - رحمه الله تعالى - في العصر والساعات الأولى من الليل..

---

(1) الفتاوى السعدية ص ٦٥٢، ط : المؤسسة السعيدية بالرياض.

وكل منا يحفظ القرآن ونتدارسه، يقرأ هو حزباً، وأنا بعده حزباً، واستمررنا على ذلك نحو عشر سنوات.. حتى التحقت أنا بدار التوحيد بالطائف، والتحق هو بالمعهد العلمي بالرياض».[١]

ولذا فقد كان شيخنا المترجم يوصي بالحفظ جدّاً، ويقول :

(قرأنا كثيراً فلم يبق معنا إلاّ ما حفظنا).[٢]

فلله درها من نصيحة تذكرنا بقول الرحبي رحمه الله تعالى :

وَالثُّلثــانِ وهُمــَا التَّمـــامُ فاحْفَــظ فكُلُّ حافــظٍ إمَامُ

وقال الشيخ القاضي عن ابن سعدي :

«ولقد أكّب على المطالعة في كتب الفقه والحديث طيلة حياته، خصوصاً على كتب الشيخين – ابن تيمية وابن القيم – فقد كانت له صبوحاً وغبوقاً».[٣]

ومن أراد أن يرى كيف استفاد السعدي من كتب الشيخين، فليقرأ الكتاب الفذ المسمّى «طريق الوصول إلى العلم المأمول» الذي جمع فيه السعدي من كتب ابن تيمية (٨٢٧) قاعدة وأصلاً، لخصها من (٣٩) كتاباً غير الفتاوى المتفرقة.

وجمع فيه أيضاً من كتب ابن القيم حوالي (١٨٩) قاعدة وفائدة، من حوالي عشرين كتاباً.

وقد بدا هذا التأثر جليّاً في منهج ابن عثيمين العلمي، حيث كان كثير التعريجات على ترجيحات الشيخين، والتعويل عليها، خاصة إذا لم يجد دليلاً واضحاً

---

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) ١٠٠ فائدة من العلامة ابن عثيمين، محاضرة للمنجد (سبقت).

(٣) روضة الناظرين ١/٢٢١ بواسطة فقه ابن سعدي (٩٣/١).

في المسألة، فإنه لا يكاد يعدو قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، كما قال بعض المقربين منه من أهل العلم.[(١)]

٤- عموم دعوته :

قال ابن عثيمين عن شيخه : «أذكر أنه كانت ترد عليه رسائل من دول الخليج والهند وغير ذلك، رغم أن وسائل الإعلام ليست كما هي الآن».[(٢)] وقد ظهر ذلك جليّاً في حياة ابن عثيمين، فقد كان الشيخ يحرِّر الرسائل بنفسه،مجيباً على أسئلة المستفتين من مشارق الأرض ومغاربها.

وقد سبق ذكر صورة من كتابات الشيخ بخطّه وإجاباته على الأسئلة.

٥- براعته في التفسير وقواعده، والفقه وأصوله :

قال عنه تلميذه ابن عثيمين :

«شيخنا عبد الرحمن بن سعدي – رحمه الله تعالى – كانت حياته حياة علم وعمل.

وكان رحمه الله بارزاً في علم التفسير وعلم الفقه، وحكم وأسرار الشريعة، متأثِّراً فيه بشيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم».[(٣)]

والناظر في كتب ابن سعدي في التفسير سواء «**تيسير الكريم الرحمن**» أو مختصره، يرى براعة الشيخ في استنباط الحكم والأحكام، وبعده عن الإسرائيليات واقتصاره على ما دلّ عليه الدّليل، ولو بالإيماء والإشارة، ويفوق ذلك كله عنايته

---

(١) شريط الإمام ابن عثيمين (تسجيلات صدى التقوى بالرياض).

(٢) علماؤنا، ص ٨.

(٣) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

بأمر العقيدة على مذهب أهل السنة والجماعة، وهذه في الحقيقة غاية الفوائد من هذا الكتاب العظيم، خاصة للطالب المبتدئ المبتغي للهدى، والذي يخشى عليه من اغتراره بالمذاهب المضلة، والتي حشيت بها عدد من التفاسير التي بأيدي الناس.

أما في الفقه فيمتاز أسلوب الشيخ السعدي بالبساطة والقرب، وسهولة الفهم، مع اعتصامه بالدليل.

ومن أوضح ما يدل على ذلك من كتبه :

«كتابُ الاختيارات الفقهية، ومنهاج السالكين وكتاب إرشاد أولي الأبصار والألباب، لنيل الفقه بأحسن الطرق وأيسر الأسباب..».

أمّا في القواعد ففي التفسير يأتي كتابه «**القواعد الحسان**» في مقدمة كتب القواعد، وهو اسم على مسماه، فهي قواعد حسان بديعة جليلة القدر، عظيمة النفع، كما قال عنها مؤلفها.

ضمنها سبعين قاعدة في التفسير.

وفي قواعد الفقه وأصوله :

تأتي منظومته المشهورة في القواعد الفقهية، والتي يقول فيها :

وهَـــذِهِ قَوَاعِـــدٌ نَظَّمْتُـــــهَا مِنْ كُتُبِ أَهْلِ العِلْمِ قَدْ حَصَّلْتُهَا
جزَاهُـــمْ المَـــولَى عَظِيمَ الأَجْرِ والعَفْـــوَ مَعْ غُفْـــرَانِهِ والبِـــرِّ

وقد وضع عليها الشيخ تعليقاً لطيفاً يبين معانيها وييسر فهمها.

وقد كتبها وعمره حوالي أربعة وعشرين عاماً، عام ١٣٣١ هـ، أي قبل ولادة شيخنا ابن عثيمين بستة عشر عاماً، والظاهر أنها من أقدم ما كتب، وبساطتها تدل على ذلك.

ولعله اختصر بعدها قواعد ابن رجب والذي أسماه «**تحفة أهل الطلب بتجريد قواعد ابن رجب**»[(١)]، ثم تأتي بعد ذلك رسالته في أصول الفقه والتي قال في أولها:

«أما بعد : فهذه رسالة لطيفة في أصول الفقه، سهلة الألفاظ واضحة المعاني، معينة على تأمل الأحكام لكل متأمل معاني...».[(٢)]

وللشيخ في القواعد والأصول كتاب حاز قصب السبق، وسارت به الركبان، وعكف طلاب العلم على دراسته في حلق العلم، ألا وهو كتاب «**القواعد والأصول الجامعة، والفروق والتقاسيم البديعة النافعة**» ذكر في القسم الأول عدداً من جوامع الأحكام، وأصولها وقواعدها، وجمع في القسم الثاني الفروق بين المسائل المشتبهة، والأحكام المتقاربة، والتقاسيم الصحيحة، وهو من أنفع العلم للمبتدئ والمنتهي، وقد يسر الله لنا قراءته على عدد من مشايخنا غفر الله لهم.

وبعد فهذه نبذة يسيرة عن تميز ابن سعدي في هذين الأمرين اللَّذَيْن امتدحه بهما تلميذه ابن عثيمين.

فكيف تأثر التلميذ بشيخه فيهما، في الأسلوب والمنهج، والقواعد والأصول.. إلخ.

وهل نستطيع أن نقول إن التلميذ فاق شيخه فيهما ؟ لعل الجواب عن هذا يتضح عند دراسة هذين الجانبين عند شيخنا - إن شاء الله تعالى - رحم الله الشيخين وغفر لهما.

---

(١) أشار إلى ذلك الدكتور خالد المشيقح،وذكر أنه كتبه في سنة ١٣٣٦ هـ، البيان العدد١٦٠.

(٢) نقلاً عن فقه ابن سعدي (١/١٣٨) وقد استفدت كثيراً من هذا الكتاب، فجزى الله مؤلفه خير الجزاء.

٦- عناية السعدي بطلابه وتفقد أحوالهم :

وفي فترة تلمذة ابن عثيمين على العلامة ابن سعدي، كان ابن سعدي رحمه الله تعالى يشمل تلاميذه بالعناية، والرعاية، والمتابعة، ويسأل عنهم إذا غابوا، ويهتم جداً لحضورهم، وهذا منه الغاية في نصح الخلق، وخاصة طلابه. غفر الله له.

وإليك هاتين الحادثتين لتعلم مدى حرص الشيخ على تلميذه النجيب ابن عثيمين. رحم الله الجميع.

قال الشيخ علي الشبل :

«**الأولى** : لما اشتغل الناس في عنيزة بفلاحة الوادي - وادي الرمة - وغرس النخيل فيه، وتوجهوا لذلك توجهاً عاماً، كان منهم والد ابن عثيمين وأعمامه، واستصحبوا معهم أبناءهم، ومنهم الشيخ محمد، حيث اشتغل شيخنا محمد ابن عثيمين في الزراعة في الوادي مع أهله نحواً من ثلاث سنين، فافتقده شيخه ابن سعدي وسأل عنه والده، كما سأله هو عن سبب تخلفه عن الدروس، فلما أعلمه الخبر، طلب الشيخ ابن سعدي ملحّاً على ابن خاله صالح بن سليمان ابن عثيمين إرجاع ابنه محمدّاً إلى عنيزة لمواصلة الدراسة، وحضور حلقات العلم المعقودة من ابن سعدي في الجامع الكبير.

الثانية : وكانت بعد تلك، حيث رحل العم صالح بن عثيمين، وإخوانه سليمان إلى الرياض للبحث عن سبل العيش بالتجارة، واستصحبوا معهم أبناءهم، وأكبرهم شيخنا محمد بن عثيمين، فافتقده الشيخ ابن سعدي، فطلب من والد الشيخ محمد بن عثيمين إبقاء ابنه محمداً في عنيزة لطلب العلم.

وقال له فيما قال :

«نريداً محمداً يبقى عندنا في عنيزة ليواصل الدراسة والطلب» فاستجاب أبوه لهذا مرة ثانية لما رأى من رغبة ابن عمه الشيخ السعدي الملحة، واستعداد ابنه - الشيخ محمد - العلمي، وتوجهه نحو الطلب».[(١)]

وهذا يستفاد منه فائدة عظيمة وهي أهمية تتبع المعلم والشيخ الداعية لطلابه ومدعوِّيه وسؤاله عنهم، وتفقده أحوالهم، وقد كان هذا من ابن سعدي تطبيقاً لسنة النبي ﷺ وهديه مع أصحابه.

كما في حديث المرأة التي كانت تقمُّ المسجد، وسؤاله عنها، وذهابه ﷺ للصلاة على قبرها.[(٢)]

وكما في حديث سهل بن سعد في الصحيح[(٣)] في قصة غزوة خيبر لما سأل عن علي رضي الله عنه حين افتقده فدعاه ليعطيه الراية.. الحديث.

ولهذا نظائر كثيرة.

لهذا ينبغي لأهل العلم العناية بهذا الباب لما له من الأثر العظيم على الطلاب.

وقد عني شيخنا المترجم ابن عثيمين بهذا عناية عظيمة.

وسأذكر مما ذكر عنه صوراً عديدة :

منها ما حصل معي عندما كنت أحياناً لا أصلي التراويح في الجامع مع الشيخ، بل كنت أؤخرها إلى منتصف الليل أو آخره، فعندما افتقدني الشيخ دعاني، وسألني

---

(١) مجلة الدعوة، ١٧٧٩.

(٢) أخرجه البخاري حديث ٤٥٨، ومسلم حديث ٩٥٦.

(٣) أخرجه البخاري حديث ٤٢١٠، ومسلم حديث ٢٤٠٦.

عن سبب تخلفي عن الصلاة معه، فأخبرته بما رأيت، واستدللت على ذلك بأن عمر رضي الله عنه عندما جمع الناس، قال : (والذي ينام عنها خير) يعني إلى آخر الليل.

فرضي الشيخ وترك العتاب عليَّ - رحمه الله و غفر له -.

وكذلك الحادثة التي حصلت للأخ وليد الحسين عندما جاء مهاجراً إلى عنيزة لطلب العلم، و لم يكن عنده ما يتعايش منه، فاضطر إلى الانتقال إلى الدمام للعمل هناك، فافتقده الشيخ واتصل به طالباً منه الرجوع فوراً إلى عنيزة، وقام رحمه الله بشؤونه وكفايته.[1]

وغير ذلك كثير، كما سنذكر ذلك فيما بعد. إن شاء الله تعالى.

الكتب والفنون التي دَرَسَها ابن عثيمين
على ابن سعدي رحمه الله تعالى:

قال الشيخ ابن عثيمين عن نفسه :

«ثم تتلمذت على يد شيخي وأستاذي الشيخ السعدي فقرأت عليه في :

التفسير، والفقه وأصوله، والفرائض، ومصطلح الحديث، والتوحيد، وشيئاً من النحو والصرف».[2]

فهذه ستة فنون تقريباً ذكرها الشيخ إجمالاً، و لم يذكر الكتب التي قرأها على شيخه، ولكن أشار الشيخ في موضع آخر إلى بعض ما قرأه، فقال :

«ثم لما كبرنا بدأنا في القراءة على شيخنا عبد الرحمن بن ناصر السعدي في :

---

(١) مجلة الحكمة، العدد الثاني، ص ٤٧.

(٢) عكاظ حديث الذكريات، ١٢٥٥٦.

قطر الندى وبل الصدى لابن هشام، وفي زاد المستقنع في اختصار المقنع، وفي العقيدة الواسطية، وفي المنتقى في الحديث، وكتب أخرى».[١]

ولما كان الشيخ يقرأ على السعدي كتاب العقيدة الواسطية، قال رحمه الله تعالى:

«ومما شجعني على التأليف : أنه في حياة شيخنا عبد الرحمن بن سعدي - رحمه الله تعالى - كنا نقرأ عليه في العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، وكنت كطالب أكتب عليه شرحاً للآيات والأحاديث، ولكلام الشيخ ابن تيمية، وأظنني كتبت أربعة دفاتر، ولكني ما كملتها، إلا أنني إذا كتبت شيئاً عرضته على الشيخ عبد الرحمن رحمه الله، وكان يشجعني على ذلك كثيراً».[٢]

زمن حلقات التدريس :

كانت دروس السعدي تبدأ بعد طلوع الشمس بساعة، وتستمر ساعتين، ثم يذهب إلى بيته للغداء في الضحى، ثم يرجع للتدريس للكبار في المنتهى أو المنتقى.

وله درس قبل صلاة العصر في الحديث، ودرس بين العشاءين في النحو، وربما في تفسير القرآن الكريم، يتراوح ما بين النحو والتفسير.[٣]

مدة الدراسة :

أمّا عن مدّة الدراسة فكانت طيلة الأسبوع، ما عدا يومي الثلاثاء والجمعة.[٤]

---

(١) برنامج (في موكب الدعوة) لإذاعة القرآن الكريم بالرياض.

(٢) مجلة الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٣) ذكره أحد تلاميذ السعدي القدامى. راجع شريط ابن عثيمين علم وعمل من تسجيلات مؤسسة الاستقامة بعنيزة.

(٤) ذكر هذا الأستاذ علي بن عبد الله السلطان، في ضمن كلامه عن الشيخ ابن عثيمين، انظر البيان، العدد ١٦٠.

وسيأتي في تفصيل دروس شيخنا ابن عثيمين أن هناك فوارق في الأيام والمواعيد عن شيخه السعدي، ولا شك أن ذلك مما اقتضته حاجة الطلاب المقيمين عند الشيخ، أو المتردِّدين عليه. رحمه الله تعالى وغفر له.

وبَعْدَ سبع سنوات من هذه الرحلة العلمية المباركة، والملازمة التامة للشيخ السعدي، وثني الركب في حلقته وملاحقته في جلوسه وسيره في الجامع وخارجه، مع ما وهبه الله تعالى للمترجم - أعني شيخنا ابن عثيمين من الذكاء والفطنة والجد والاجتهاد.

بعد هذه المدة تأهل ابن عثيمين لأن يجلس، ليقوم بالتدريس سنة ١٣٧١هـ في حلقات المبتدئين في حياة شيخه وتحت إشرافه.

وقد سبق بيان أن هذا المنهج هو الذي سلكه السعدي مع طلابه، فبعد أن كان التلميذ ابن عثيمين يَدْرُس في حلقات المبتدئين على الشيخ المطوع أصبح الآن مدرساً في حلقات المبتدئين، تحت توجيه شيخه السعدي. رحمهما الله تعالى.

ولكن ذلك لم يَدُم طويلاً؛ فقد فتحت في تلك السنة المعاهد العلمية بالرياض، وأصبحت فكرة الالتحاق بالمعهد تراود الطالب المجتهد ابن عثيمين، ويستشير فيها من حوله، ومنهم الشيخ الصالحي، فيشير عليه باستحسان الفكرة، أي الالتحاق بالمعهد العلمي بالرياض، وذلك بعد استئذان علامة القصيم وشيخها السعدي.

وهنا تبدأ مرحلة جديدة وهامة في حياة الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى، وهي تردده بين الرياض وعنيزة، وجمعه بين مدرسة الحديث والفقه.

المرحلة الرابعة

ابن عثيمين في المعهد العلمي بالرياض
وبين يدي علمائه ومشايخه

لا شك أن هذه مرحلة انتقالية هامة جدًّا في حياة الشيخ، فتحت له آفاقاً جديدة في العلم والمعرفة.

ففي سنة ١٣٧٢هـ وبعد افتتاح المعهد العلمي بسنة، التحق الشيخ بالمعهد. وكان المعهد يعمل في ذلك الوقت بما يسمى (نظام القفز) والذي يقول الشيخ عنه :

«دخلت المعهد العلمي من السنة الثانية، والتحقت به بمشورة من الشيخ علي الصالحي، وبعد أن استأذنت من الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى، وكان المعهد العلمي في ذلك الوقت، ينقسم إلى قسمين : خاص وعام، فكنت في القسم الخاص، وكان في ذلك الوقت من شاء أن يقفز، بمعنى أنه يدرس في السنة المستقبلة له في أثناء الإجازة، ثم يختبرها في أول العام الثاني، فإذا نجح انتقل إلى السنة التي بعدها، وبهذا اختصرت الزمن».[١]

وبهذا يتبين أن الشيخ دخل المعهد العلمي وعمره حوالي خمسة وعشرين عاماً.

وقد بلغ فيها من النضوج العقلي والجسمي مبلغاً، أما نضوجه العلمي فواضح من مراحل التلمذة السابقة على علماء عنيزة، وبالأخص العلامة ابن سعدي رحمه الله تعالى.

---

(١) اليمامة، العدد ٩٥٣، لقاء صحفي مع الشيخ رحمه الله تعالى.

وبهذا فقد كان ابن عثيمين متأهلاً للاستفادة من مشايخ المعهد؛ ويتضلع من علومهم، ويحسن الاستفادة منهم، ولا يضيع فرصة تسنح له؛ ليروي ظمأه من مناهل العلوم.

وقد كان المعهد في ذاك الوقت، ومع بداية افتتاحه يضم نخبة من أهل العلم، قلّما تجتمع في مكان واحدٍ في وقت واحد.

منهم العلامة المفسِّر الشيخ محمد الأمين الشنقيطي.

ومنهم الإمام المحدث عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

ومنهم أستاذ الجيل العلامة الفقيه عبد الرزاق عفيفي. وغيرهم..

وعلى رأس هؤلاء صاحب فكرة إنشاء المعاهد العلمية، والذي أشار على الملك بها، وأسندت إليه رئاستها عالم عصره وعلامة مصره، الإمام المحقق المدقِّق الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب. رحم الله الجميع وغفر لهم. وأسكنهم الفردوس الأعلى.

في ذلك الجو العلمي المبارك بدأ الطالب المجتهد النجيب ابن عثيمين يخطو خطواته الأولى في المعهد ويقعد في مقاعد الدراسة،وكان متميزاً بين أترابه.

يقول الشيخ عبد العزيز الداوود (عضو في دار الإفتاء) :

«إن الشيخ لما قدم الرياض كان مميزاً بالعلم والفهم، وكان يشير إليه الطلاب بالتميز».[1]

وسنعرض في الصفحات القادمة لتراجم مختصرة لمشايخه في المعهد العلمي، مع نبذ من مواقفه معهم. رحم الله الجميع.

(١) جريدة الرياض، العدد ١١٨٩٠.

فصل

ابن عثيمين بين يدي العالم المفسر الأصولي البارع محمد الأمين الشنقيطي في المعهد العلمي (١٣٢٥هـ - ١٣٩٣هـ)

ترجمة موجزة للشنقيطي رحمه الله تعالى :

هو العالم العلامة الفقيه المفسِّر المحقِّق البارع الأصولي :

محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر بن محمد بن أحمد بن نوح بن محمد بن سيدي أحمد بن المختار من أولاد الطالب أوبك.. يرجع نسبه إلى قبيلة حمير.

ولد بشنقيط عام ١٣٢٥ﻫ وتوفي والده وهو ما يزال صغيراً يقرأ جزء عم، وترك له ثروة، فسكن عند أخواله، وحفظ القرآن على يد خاله، ولم يجاوز العاشرة من عمره، فنشأ نشأة صالحة حتى شبَّ وطلب العلم على عدد من المشايخ.

منهم : الشيخ أحمد بن أفرم بن محمد المختار، والشيخ أحمد بن عمر، والشيخ محمد بن صالح، والشيخ محمد النعمة بن زيدان، والشيخ أحمد ابن فال بن آده، والشيخ أحمد بن مود. وغيرهم..

وبعد انتهائه من الدراسة جلس في داره للتدريس والقضاء، وصار إليه المرجع في القضاء في بلاده، وفي عام ١٣٦٧ﻫ بعد فراغه من الحج، اختير للتدريس في المسجد النبوي، وفي عام ١٣٧١ﻫ طلبه الشيخ محمد بن إبراهيم للتدريس في المعهد العلمي بالرياض والكليات هناك، فانتقل إليها.

وفيها سمع منه شيخنا ابن عثيمين رحمه الله تعالى صاحب هذه الترجمة، ثم انتقل في سنة ١٣٨١هـ إلى المدينة النبوية للتدريس في الجامعة الإسلامية، واستمرّ بها طيلة حياته.

وقد عيّن عضواً في هيئة كبار العلماء، والمجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي.

وله مؤلفات، من أبرزها وأشهرها :

كتابه العظيم في تفسير القرآن بالقرآن، ومنها شرحه على مراقي السعود، وكتاب منع جواز المجاز في كلام الله تعالى المنـــزل للتعبد والإعجاز، ومذكرة في أصول الفقه، ورسالة في دفع إيهام الاضطراب في آي الكتاب، وأدب البحث والمناظرة، وغيرها..

توفي رحمه الله تعالى بمكة المكرمة في يوم الخميس السابع عشر من ذي الحجة لعام ١٣٩٣هـ.

وصلى عليه الإمام العلامة عبد العزيز بن باز بالمسجد الحرام، ودفن بمقابر المعلاة بمكة المكرمة. غفر الله له وأسكنه الفردوس الأعلى.[1]

وقد حدّد شيخنا ابن عثيمين أبرز الأمور التي استفادها من شيخه محمد الأمين الشنقيطي في قصة طريفة حدثت بين مقاعد الدراسة في المعهد. فاستمع إليه وهو يقول:

«كنّا طلاباً في المعهد العلمي في الرياض، وكنا جالسين في الفصل، فإذا بشيخ يدخل علينا، إذا رأيته قلت :

هذا بدوي من الأعراب، ليس عنده بضاعة من علم، رث الثياب، ليس عليه آثار الهيبة، لا يهتم بمظهره، فسقط من أعيننا.

---

(١) انظر في ترجمته إتحاف النبلاء لراشد الزهراني، وعلماؤنا، لفهد البراك وفهد البدراني.

فتذكرت الشيخ عبد الرحمن السعدي، وقلت في نفسي : أترك الشيخ عبد الرحمن السعدي، وأجلس أمام هذا البدوي ؟.

فلمّا ابتدأ الشنقيطي درسه، انهالت علينا الدرر من الفوائد العلمية، من بحر علمه الزاخر، فعلمنا أننا أمام جهبذ من العلماء وفحل من فحولها.

فاستفدنا من علمه، وخلقه، وزهده، وورعه».[1]

فقد حدد ابن عثيمين هنا بعض الجوانب التي تأثر بها من الشنقيطي وهي :

(١) العلم. **(٢) الخلق.**

(٣) الزهد. **(٤) الورع.**

وقد بلغ الشنقيطي رحمه الله تعالى مبلغاً عظيماً في هذه الأمور.

وسأذكر نماذج مختصرة لها ليظهَر كيف تأثر شيخنا بها :

علمه :

قال تلميذه فضيلة الشيخ عطية سالم رحمه الله تعالى :

«كان اهتمامه بالعلم، وبالعلم وحده، وكل العلوم عنده آلة ووسيلة، وعلم الكتاب وحده غاية».

وقال الشنقيطي رحمه الله تعالى عن نفسه : «لا توجد آية في القرآن إلا درستها على حدة».

وقال أيضاً : «كل آية قال فيها الأقدمون شيئاً فهو عندي».[2]

(١) مجلة الحكمة، العدد الثاني ص ٢٢.

(٢) اتحاف النبلاء بسير العلماء ١/١٣٦-١٤٧، لراشد الزهراني.

ويقول الشيخ العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني - رحمه الله تعالى - (من حيث جمعه لكثير من العلوم مارأيت مثله).[1]

خلقه :

قال الشيخ عطية سالم رحمه الله تعالى :

«لو أن للفضائل والمكرمات والشيم وصفات الكمال في الرجال عنوان يجمعها لكان هو أحق بها».

وقال أيضاً :

«وإذا كان علماء الأخلاق يعنون لأصول الأخلاق والفضائل بالمروءة، فإن المروءة كانت شعاره ودثاره، وكانت هي التي تحكمه في جميع تصرفاته، سواء في نفسه أو مع إخوانه وطلابه، أو مع غيرهم ممن عرفهم أو لم يعرفهم».[2]

زهده وورعه :

قال فضيلة الشيخ بكر أبو زيد حفظه الله تعالى :

«وقد كان شيخنا - هو محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله تعالى متقلّلاً من الدنيا، وقد شاهدته لا يعرف فئات العملة الورقية».[3]

وأهدى له الأمير عبد الله بن عبد الرحمن آل سعود شقيق الملك عبد العزيز بيتاً في الطائف، فردّه، و لم يقبله، فسئل عن ذلك ؟

---

(١) اتحاف النبلاء بسير العلماء ١/١٣٦-١٤٧، لراشد الزهراني.

(٢)، (٣) المصدر السابق ١/١٤١.

فقال : «الذي بناه يحتاجه لنفسه، أمّا أنا فلم أبنه ولا أحتاجه، وعندي بيتي في المدينة يكفيني».[(1)]

وكان يقول : «الريال الواحد والألف سواء، المهم أن يكون صرفها سليماً».

وكان يقول : «الذي يفرحنا أنه لو كانت الدنيا ميتة لأباح الله منها سد الحاجة».[(2)]

وبعد فهذه قطرة من بحر زاخر بالدرر والجواهر، التقط منه التلميذ النجيب ابن عثيمين أطيب الخلال، وتشبّع بأحسن الخصال، كما سترى هذا في ترجمة الشيخ. رحمة الله على الجميع.

---

(١)، (٢) المصدر السابق ١/١٣٩.

فصل

ابن عثيمين مع شيخه الثاني العلامة المحدث الفقيه الورع أبي عبد الله، عبد العزيز بن عبد الله بن باز (١٣٣٠هـ - ١٤٢١هـ)

هذه نبذة مختصرة عن شيخنا العلامة الإمام الحبر البحر عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن باز، ولد بمدينة الرياض في اليوم الثاني عشر من شهر ذي الحجة لعام ١٣٣٠هـ، وآل باز يقال هم من تهامة، أو من اليمن، وقد توقف الشيخ في أصل هذه النسبة، و لم يجزم بشيء.

وقد كان مبصراً في أول حياته، وأصابه المرض في عينيه عام ١٣٤٦هـ فضعف بصره، إلى أن كف في مستهل محرم عام ١٣٥٠هـ.

وتلقى الشيخ العلوم الشرعية على عدد من علماء الرياض.

منهم :

الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ، والشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ قاضي الرياض، والشيخ سعد بن عتيق، والشيخ حمد بن فارس، والشيخ سعد بن وقاص البخاري قرأ عليه القرآن والتجويد، والشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وهو يعتبرأكثر شيوخه تأثراً به وملازمة له، وما ذكره إلاّ وأثنى عليه خيراً. رحمة الله على الجميع.

وقد جاهد واجتهد في طلب العلم حتى استحق أن يقلد عدة مناصب، منها أنه عمل في الخرج قاضياً، في عام ١٣٥٧هـ، إلى نهاية عام ١٣٧١هـ.

ثم انتقل للتدريس في المعهد العلمي بالرياض عام ١٣٧٢هـ لمدة سنة واحدة، انتقل بعدها عام ١٣٧٣هـ للتدريس في كلية الشريعة، وأمضى بها سبع سنوات أي حتى عام ١٣٨٠هـ، انتقل بعدها نائباً لرئيس الجامعة الإسلامية عام ١٣٨١هـ وحتى عام ١٣٩٠هـ ثم عمل رئيساً للجامعة حتى عام ١٣٩٥هـ ثم انتقل إلى رئاسة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في ١٤/ ١٠/ ١٣٩٥هـ.

ثم عين مفتياً عاماً للمملكة عام ١٤١٤هـ ورئيساً لهيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء حتى وفاته رحمه الله تعالى.

وقد تقلد رحمه الله تعالى عدة مناصب، منها : رئاسة المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، ورئاسة المجلس الأعلى العالمي للمساجد، ورئاسة المجمع الفقهي الإسلامي بمكة المكرمة، وعضوية المجلس الأعلى للجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وعضوية الهيئة العليا للدعوة الإسلامية. وغيرها..

وأمّا جهود الشيخ في الدعوة إلى الله تعالى تعليماً، وتدريساً، وإفتاءً، وتأليفاً، ونصحاً، فهذا شيء كثير يرجع إليه في مظانه، وقد وفقنا الله تعالى، وجثونا على الركب في حلق العلم التي كان الشيخ يعقدها في الرياض في الجامع الكبير، ومسجد سارة بالبديعة، والمسجد الحرام بمكة المكرمة، دراسةً في الصحيحين وكتب السنن الأربعة، ومروراً بتفسير ابن كثير وزاد المعاد، وتأصيلاً للتوحيد في كتبه مثل كتاب التوحيد لابن خزيمة وكتاب التوحيد وشرحه فتح المجيد لإمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحفيده المجدد الثاني، وغيرها.. مما يطول ذكرها.

وكان الشيخ في تدريسه آية من آيات الله في صبره، وجلده، وأدبه، ونصحه، ووعظه، فرحمة الله عليه من إمام سنة وهادي أمة.

أمّا مؤلفاته فهي كثيرة :

أعظمها حاشيته على فتح البــاري، وأكثرها انتشاراً كتــاب التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة، والفوائد الجلية في المباحث الفرضية، وغيرها الكثير..

وله مشاركة رائدة في برنامج نور على الدرب الذي انتفع به المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها.

وله برنامج حديثي جيد، هو شرحه لكتاب المنتقى لأبي البركات ابن تيمية رحمه الله تعالى، ولكنه لم يكمله رحمه الله تعالى.

أمّا دعوته في الجامع والمحافل وعقب الصلوات، فحدث ولا حرج، فقد كان مهتمّاً بالدعوة إلى العقيدة الصافية الخالية من البدع والخرافات، محذراً من الإحداث في الدين ناصحاً للولاة وللرعية ولعموم الأمة، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، كل ذلك وغيره جعله مرشحاً لنيل جائزة مؤسسة الملك فيصل الخيرية لعام ١٤٠٢هـ لخدمة الإسلام لجهوده في هذا المجال.

وقد كان شكره لله تعالى على هذه الجائزة أن منحها بدوره لدار الحديث الخيرية بمكة المكرمة لحاجتها للعون ولحاجة طلابها المغتربين والمتفرغين للعلم.

وقد زاده هذا في أعين الناس إكباراً واحتراماً.

فاستحق لكل هذا بأن يوصف بأنه أحد المجددين، واستحق أن يتقلد وسام الإمامة.

وأن يقال عنه إنه أمة في رجل رحمه الله تعالى وغفر له، وقد قيل في رثائه الكثير.

ومما قيل في وصفه : ما قاله الزهراني :

يَا دُرّة العَصْرِ يَا بحرَ العُلومِ فمَا ... رأتْ لكَ العَيْنُ منْ ندٍّ وأمثالِ
حقّاً فقدْ عرفَ التّاريخُ كوكَبَةً ... مضيئَة منْ صَنَـاديد وأبْطَـالِ
مثل ابن حنْبَل أوْمثل ابنِ تيمية ... أَوِ البخَـاريِّ في إسْنَاده العَالي
لكنّنا يَا حَبيبَ القَلْبِ نُبْصِرُهُمْ ... كَأنّما مُثلوا في شَخْصِكَ الغَالي

(إمام العصر ٢٢٢).

وقد توفّي رحمه الله تعالى في يوم الخميس ٢٧ من محرم لعام ١٤٢٠هـ، وصلّى عليه بالمسجد الحرام ما يقارب مليوني نسمة عقب صلاة الجمعة ودفن بمقابر العدل بمكة المكرمة. غفر الله له.

بيان كيف تأثر ابن عثيمين بشيخه ابن باز :

قال ابن عثيمين واصفاً شيخه الثاني :

«أمّا شيخنا عبد العزيز – رحمه الله تعالى – فإنني قرأت عليه يسيراً، لكنني استفدت منه في الحديث فائدة عظيمة».[1]

وقد كان الشيخ ابن باز مكلفاً في المعهد العلمي بتدريس العقيدة والحديث والفقه.[2]

ويبين ما قرأه عليه في موضع آخر حيث قال :

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.
(٢) الإنجاز في ترجمة الإمام ابن باز ص ٢٠١.

«ثم قرأت على شيخي الثاني سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، فابتدأت قراءة صحيح البخاري، ثم بعضاً من رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية».[١]

ثم يبين نواحي تأثره بالشيخ العلامة الإمام ابن باز، فيقول :

«كان تأثري بالشيخ عبد العزيز – رحمه الله – :

لعنايته بالحديث، وأخلاقه الفاضلة، وبسط نفسه للناس».[٢]

ويذكر في موطن آخر أمراً تأثر به هو في غاية الأهمية فيقول :

«إنني انتفعت بقراءتي عليه من حيث التوجيه والانتقال من العكوف على الكتب الفقهية، وتمحيص الأقوال وتلخيصها، انتقلت من هذه المرحلة إلى مرحلة الحديث، ولست من الذين يصح أن ينسبوا إلى علم الحديث، ولكني اتجهت إلى علم الحديث».[٣]

وبين الشيخ أنه تأثر بمنهج شيخه ابن باز، فقال :

«كما أن لشيخنا الثاني عبد العزيز رحمه الله تعالى منهجاً ننتفع به حتى الآن».[٤]

فهذه خمسة أمور تندرج في أربعة، ملخصها :

(١) في الخلق.

(٢) في المنهج.

(٣) في المعاملة.

(٤) في الاعتناء بالكتاب والسنة، دراسة، واستدلالاً، وعملاً.

---

(١)، (٢) عكاظ، العدد ١٢٥٥٦.

(٣) الدعوة، العدد ١٧٧٦، وجاء فيها نسبة هذا للسعدي،ولا يصح لمعارضته للمصادر الأخرى، وهو غريب.

(٤) برنامج (في موكب الدعوة) إذاعة القرآن الكريم بالرياض.

والناظر المتأمل في سيرة ابن باز رحمه الله تعالى يجدها طافحة بهذه الأمور وعلى الرغم من أن الشيخ كتبت في سيرته مؤلفات، إلاّ أنها لا تروي الغليل ولا تشفي الغليل لعدم تركيزها على نواحي التميز العلمية والعملية تأصيلاً وتقعيداً ثم تمثيلاً واستشهاداً، وسأذكر هنا لمحات سريعة لهذه الأمور التي خصها ابن عثيمين بالذكر سيراً على المنهج السابق والله المستعان فقد أثمرت هذه التلمذة والتي لم تمتد أكثر من سنة داخل المعهد العلمي، وإن كانت استمرت بعد ذلك عن طريقة السؤال والزيارة، والمشورة، وغير ذلك..

أثمرت محبة متبادلة بين الشيخ وتلميذه النجيب، استمرت حتى الممات، وكانت هذه المحبة بادية للعيان يبصرها القريب والبعيد.

ومن ذلك ما قاله الشيخ المنجد : «كان الشيخ محمد يعني ابن عثيمين – رحمه الله تعالى – يحب شيخه عبد العزيز بن باز جدّاً، وقد اتصلت به مرة في مرض الشيخ عبد العزيز وحادثته في هذا، فقال عبارة : لا أرانا الله يومَ فقده...

ولما مات الشيخ عبد العزيز اتصلت صباح اليوم التالي بالشيخ محمد، فقلت له : بلغك الخبَر ؟ فقال نعم، نِعْمَ الرجل.. ».

وقال أيضاً: «خلوت بالشيخ محمد مرة بعد وفاة الشيخ عبد العزيز أحادثه في موضوع الفتوى بعد الشيخ ابن باز، قال لي بمرارة: بعد الشيخ ابن باز؛ ما عاد لنا راس».[1]

قلت : ولقد رأيت يوم الجمعة الموافق ١٤٢١/١/٢٨هـ اليوم الذي دفن فيه ابن باز بمكة، رأيت شيخنا ابن عثيمين قبل صلاة الجمعة يتطوع بالصلاة النافلة،

---

(١) محاضرة للشيخ المنجد بعنوان (١٠٠فائدة من العلامة ابن عثيمين) بالرياض.

والشيخ ابن باز مسجًّى في عباءته بينه وبين الكعبة، وهو يتلو آيات الكتاب، وتهمل عيناه بالدمع حزناً على شيخه، وحزناً على ما أصاب الأمة من فقده. غفر الله لهما وأسكنهما الفردوس الأعلى.

أمّا ثناء الشيخ على تلميذه ومحبته له، فهي كذلك بلغت مبلغاً عظيما :

من ذلك : ما ذكره الشيخ المنجد : «كنت في مجلس الشيخ عبد العزيز في الطائف، فكان الناس يأتون ويسلمون على الشيخ عبد العزيز، وهو جالس على كرسيه، فلمّا أخبر بقدوم الشيخ محمد بن عثيمين قام إليه، ولم أره قام لأحد غيره. فاعتنقه، ورأيت وجه الشيخ عبد العزيز يتهلل بالبشر والسرور للقاء الشيخ ابن عثيمين».[(١)]

وكان الشيخ ابن باز يقرظ له بعض كتبه كما في تقديمه لـ (عقيدة أهل السنة والجماعة) حيث يقول رحمه الله تعالى :

«**أما بعد**.. فقد اطلعت على العقيدة القيمة الموجزة التي جمعها أخونا العلامة فضيلة الشيخ / محمد بن صالح العثيمين، وسمعتها كلها، فألفيتها مشتملة على بيان عقيدة أهل السنة والجماعة... ».

فانظر إلى هذا الوصف من الشيخ لتلميذه، ما أروعه ! وما أصدقه ! أعني قوله (العلامة) وإن كان شيخنا المترجم لا يحب ذلك، ويكرهه، ويزجر من يصفه به. غفر الله له.

بعض أوصاف الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى :

بذله نفسه للناس ومساعدته للمحاويج :

---

(١) محاضرة (١٠٠فائدة من العلامة ابن عثيمين) للمنجد، ألقاها بالرياض.

يقول مدير مكتبه الدكتور عبد الله الحكمي :

«هو أبو المساكين؛ سعى في رفع معاناتهم، وفك كربتهم، وقضاء ديونهم، وعلاج مريضهم، رحمهم وألان لهم الجانب، فامتلأت دواوين مكتبه بطلباتهم، يخصص لها الوقت الطويل، يدرسها ويبذل الجهد في نفعهم ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

فكم من مدين كان سبباً في قضاء دينه، وكم من فقير رفع عنه ألم الحاجة، وكم من مسكين فرج كربته، بسط لهم مائدته، وأوسع لهم في مجلسه، حتى قال إفريقي فقير رث الثياب، جاء يسأل عنه في موسم الحج الأخير، يسأل : أين الشيخ ؟ فقيل له : لم يستطع الحج، ماذا تريد ؟ فقال : أنا لا أريد منكم شيئاً ولكنني مسكين، والشيخ أبو المساكين».[1]

وقال الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد :

«وتتجلّى عبقرية هذا الإمام في الحياة التي عاشها في منـــزله بين المساكين والغرباء، والتي لم تعهد لأحد مثله في هذا العصر، يستقبلهم، ويحتفي بهم، ويدنيهم، ويتفهم مشكلاتهم ثم يسعى في حلها، مهما كان نوعها، ثم يلتف كل من حضر حول مائدة الشيخ ليلتقي على هذه المائدة المستديرة، الغني والفقير، والوجيه والوضيع، والكبير والصغير».[2]

ويقول الدكتور محمد بن سعد الشويعر مستشار سماحته رحمه الله تعالى : «إن الشيخ عبد العزيز بن باز أسكنه الله فسيح جناته، قد عرفه الناس منذ توليه القضاء عام ١٣٥٧هـ، في الدلم بالخرج، وحتى مساء الليلة التي توفي فيها، حيث

---

(١) إمام العصر ص ١٩٠.

(٢) المدينة، العدد ١٣١٩١.

لم يقعده المرض عن الاحتجاب عن الناس والسعي في مصالحهم : إجابة وإفتاءً، ومساعدة وتشفعاً.

وقد عُرف رحمه الله بذلك الخلق لم يتزحزح عنه، ولم يتبدل ساعة من نهار، مواعيد جلوسه ثابتة، ومجلسه مفتوح في المكتب والبيت، ومائدته ممدودة، وهواتفه لا تسكت ليلاً ولا نهاراً، بالإجابات والتفاعل مع الناس في قضاياهم، وتبسيط الأمور أمامهم، لأنه يطبق حديث رسول الله ﷺ : «**يسروا ولا تعسّروا**».

وسجاياه الحميدة العديدة مستمرة ودائمة....

ولذا فإن الشيخ عبد العزيز أبٌ رحيم، وعَطوف على اليتامى والمساكين، وعلى الأرامل والفقراء، وعلى المحتاجين، ومن لا تصل كلمتهم إلى المسؤولين، فيوصلها بشفاعته، ودعوات للمشفوع تجعل قلبه يرق».[1]

أما عنايته بالسنة دراسة ودعوة فيكفي أن تطلع على جدول محاضرات الشيخ بمدينة الرياض، ليتضح لك مدى اهتمامه بها :

١- في جامع الإمام تركي بن عبد الله بـ (الديرة) :

دروس الفجر ليوم :

الأحد : تفسير ابن كثير، صحيح البخاري، نخبة الفكر، موطأ مالك بشرح الزرقاني، مسند الإمام أحمد، الروض المربع.

الاثنين : صحيح البخاري، نيل الأوطار، فتح المجيد، مسند الإمام أحمد، سنن أبي داود..

---

(١) إمام العصر ص ٣٢١.

الأربعاء : تفسير ابن كثير، صحيح البخاري، سنن ابن ماجه، الروض المربع.

الخميس : صحيح البخاري، صحيح مسلم، كتاب السنة للبغوي، مسند الإمام أحمد، سنن ابن ماجه، الدرر السنية، تفسير ابن كثير، فتح المجيد، إغاثة اللهفان.

٢- في جامع الأميرة سارة بـ (البديعة) :

بعد المغرب :

الأحد والأربعاء : تفسير ابن كثير، صحيح البخاري، زاد المعاد، سنن النسائي، صحيح مسلم.

٣- في جامع اليحيى :

يوم **السبت والاثنين والثلاثاء والجمعة** بين الأذان والإقامة : شرح بلوغ المرام.

وإليك قصة طريفة في اختبار الشيخ للحاسب الآلي في أحد برامج الحديث الشريف:

يقول الشيخ فهد البكران :

«قدم مندوب أحد المؤسسات الالكترونية، وبرفقتهم جهاز حاسب آلي شخصي، وقد تم تخزين كتب الحديث داخل هذا الجهاز، وأرادوا من سماحته الإطلاع عليه والاستئناس برأيه قبل نزوله للأسواق، فقال سماحته : فلنختبر جهازكم، واختار رحمه الله أحد الأحاديث كعينة عشوائية لاختبار قدرة هذا الجهاز العجيب، فقام المسؤول عن تشغيل الجهاز بإدخال مفردات هذا الحديث للبحث عنه وتخريجه، إلاّ أن الجهاز لم يستطع الوصول إلى المطلوب، وإن كان قد وصل إلى بعض الأحاديث التي تعطي نفس المعنى، فقال سماحته : «إذن ابحثوا عن راوي الحديث» فتم إدخال البيانات المعطاة باسم الراوي للبحث عن الحديث، ولكن لا نتيجة.

فقال الشيخ : إن ابن حجر لم يخطئ [يعني في تخريجه للحديث في بلوغ المرام] فعليكم البحث مرة أخرى، وبعد بحث ومحاولات استغرقت أكثر من ١٥دقيقة، بعدها توصل الإخوة مشغلو الجهاز إلى الحديث المطلوب وبالراوي نفسه، حيث تبين أن خطأ في إدخال بيانات الراوي وتصحيفاً تعرض له اسمه، جعل من الصعوبة الوصول إلى المطلوب».[1]

أما حسن خلقه وعشرته :

فيروي أحد تلاميذه وهو الشيخ عبد الله العتيبي واصفاً أحد دروس الشيخ، فيقول : «إن الشيخ سئل عن حكم سجود التلاوة، فقال : سنة مؤكدة، وسأل آخر عن السؤال نفسه فقال : سنة مؤكدة، - بل سأله ثالث - ولعله لم يسمع الإجابة كالذي قبله - فأعاد الشيخ الإجابة بطيب نفسٍ، و لم يكبت السائلين».[2]

ويقول أحد تلاميذه وهو الشيخ عمر أحمد بافضل : «لقد شغلني مرة أمرٌ وأقلقني، وعند خروج الشيخ من المسجد بعد الدّرس، وكعادة طلبة العلم والسائلين ينكبون عليه حتى يركب السيارة، بل حتى وهو في السيارة، وعند تأهب السيارة للإنطلاق اقتربت منه، قلت له : لديّ استفسار، هل أذهب معك إلى البيت ؟ وهل أجد فرصة ؟ فقال : نعم، الآن، وأوقف السيارة وأدخلني جنبه، وأعطاني جواب استفساري فوراً، والسيارة واقفة، ثم خرجت مسروراً مقدراً له الأريحية، ورحابة الصدر..».[3]

قلت : وقد حصل معي مثل هذا الموقف مع الشيخ في مكة، في حدود سنة ١٤٠٦هـ عندما كنت جاراً للشيخ في سكنه بالعزيزية، حين صليت معه العصر

---

(١) مجلة الدعوة، العدد (١٦٩٣).

(٢)، (٣) الدعوة، العدد ١٦٣٨ (ابن باز في عيون طلابه).

ورغبت في سؤاله، وكان قد ركب سيارته، وكادت أن تتحرك، فركبت مع الشيخ بجواره، وسألته سؤالي، وأجابني بلطف، ثم نزلت، فسررت جداً لهذا الخلق الرفيع الذي لم أره لغيره.

رحم الله الشيخ ورفع درجته.

أما منهج الشيخ :

فإنه رحمه الله تعالى لا يحيد عما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة، ولا يدعهما لقول أحد من الناس.

يروي أحد تلاميذه وهو الشيخ عبد الله العتيبي قائلاً :

قيل للشيخ حديث (إن أبي وأباك في النار) أخرجه مسلم.

قيل له في شرحه من بعض الطلاب: إن الرسول ﷺ إنما قال ذلك لتطييب نفسه، لا غير، فالتفت الشيخ مغضباً وقال : يطيب نفسه بعذاب أبيه.

ولما قرر شيخنا في التفسير جواز نكاح الكتابيات بشرطه، قال بعض الطلاب : يا شيخ بعض الصحابة كان ينهى عن ذلك.

فالتفت الشيخ إليه وقد احمر وجهه وقال : هل قول الصحابي يضاد به الكتاب والسنة ؟ !.[1]

وأخيراً ونتيجة لهذا التأثر الكبير في التلميذ النجيب، فقد أورث ذلك ثقة متبادلة، مما كان يجعل الشيخ ابن باز يكلف تلميذه بإعداد الأبحاث.

---

(١) مجلة الدعوة، العدد ١٦٣٨.

واستمع إلى الشيخ محمد الصالح المنصور (أحد قرناء ابن عثيمين) وهو يقول : «كان الشيخ محمد بن عثيمين قد قدم للدراسة في الرياض بعد تتلمذه على يد الشيخ السعدي، لهذا كان متميزاً على غيره من الذين لم يكن لهم قبل الدراسة في المعهد العلمي تجربة في الطلب على العلماء في المساجد لذلك كان الشيخ عبد العزيز بن باز يعول عليه كثيراً في البحوث، ويرجع إليه».[1]

(١) جريدة الوطن، العدد ١٠٦، نقله عنه تلميذه الشيخ / دبيان بن محمد الدبيان.

فصل

ابن عثيمين بين يدي
عدد من مشايخ وعلماء المعهد العلمي
[غير ما ذكر]

١- فضيلة الشيخ العلامة المحقق الأصولي : أبي أحمد عبد الرزاق بن عفيفي بن عطية بن عبد البر بن شرف الدين النوبي.

والنوبي أسرة من الأسر العريقة في محافظة المنوفية في مصر.

ولد في شهر رجب من عام ١٣٢٣هـ في شنشور إحدى قرى محافظة المنوفية في مصر.(١)

حفظ القرآن الكريم في الكتاتيب قبل دخوله الأزهر، وأتم الدراسة الثانوية، ثم درس في القسم العالي، ومنح العالمية سنة ١٣٥١هـ، ثم منح شهادة التخصص في الفقه وأصوله من الأزهر بالقاهرة.

عين مدرساً بالمعاهد العلمية التابعة للأزهر فدرس بها سنوات، وتولى رئاسة جماعة أنصار السنة المحمدية بالإسكندرية، ثم اختير في فترة لاحقة رئيساً عاماً لجماعة أنصار السنة المحمدية.

ثم انتقل إلى المملكة العربية السعودية، للعمل بالمعارف سنة ١٣٦٨هـ، ثم عمل مدرساً بدار التوحيد بالطائف، ثم نقل منها بعد سنتين إلى معهد عنيزة العلمي في شهر

---

(١) كتاب (من أعلامنا) لعبد العزيز العسكر (٢/٣٧).

محرم عام ١٣٧٠هـ، ثم نقل إلى الرياض في آخر شهر شوال، عام ١٣٧٠هـ للتدريس بالمعاهد العلمية التابعة لسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ثم نقل للتدريس بكلية الشريعة، وقد أنشئت سنة ١٣٧٣هـ، ثم عُيِّن مديراً للمعهد العالي للقضاء عام ١٣٨٥هـ، ثم نقل إلى الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد عام ١٣٩١هـ، وعين بها نائباً لرئيس اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، مع كونه عضواً في مجلس هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية.

وقد رزقه الله مواهب من قوة الحافظة وفقه النفس، وكرّس جهوده لطلب العلم خارج أروقة الأزهر، وعني بعلوم اللغة والتفسير والأصول والعقائد والسنة والفقه، حتى إذا تحدث في علم من هذه العلوم ظن السامع أنه تخصصه الذي شغل فيه كامل وقته.

وانتفع بعلمه خَلْقٌ كثيرون.

وكان يشرف على رسائل بعض الدارسين في الدراسات العليا، ويشترك مع لجان لمَناقَشة بعض الرسائل، ويلقي بعض الدروس في المسجد لطلبة العلم حسبما يتيسر، ويلقي المحاضرات، ويشارك في أعمال التوعية في موسم الحج.(١)

أما بالنسبة للتأليف فقد كان الشيخ لا يحبذ التأليف، بل يرى الاكتفاء بكتابات الأولين، إلا فيما يستجد من أمور الناس، ومع ذلك فله إشراف على عدد من الرسائل الجامعية وله بعض المؤلفات، منها :

١- مذكرة التوحيد.

٢- تعليقه على كتاب الإحكام من أصول الأحكام.

---

(١) انظر مقدمة (فتاوى اللجنة الدائمة)، التراجم، (١/٣-٤).

٣- تعليقه على الجزء المقرر في التفسير من الجلالين لطلاب المعاهد العلمية.

٤- شرحه للعقيدة الواسطية مع الشيخ محمد خليل هراس.

٥- تعليقه على كتاب الاعتقاد للبيهقي، بتكليف من سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى.

٦- تعليقه على المستصفى للغزالي.

وغيرها من التعاليق..

وقد أصيب رحمه الله تعالى بعدة أمراض كان من آخرها ما أصيب به في يوم الثلاثاء الموافق ١٤١٥/٣/١٦هـ من ألم شديد في الكبد، وضعف في الكلى، ووجود سوائل في الرئتين، وهبوط في ضربات القلب.

ودخل المستشفى العسكري بالرياض وظل به حتى وافاه الأجل يوم الخميس ١٤١٥/٣/٢٥هـ، ثم صلي على جنازته عقب صلاة الجمعة ١٤١٥/٣/٢٦هـ في الجامع الكبير بالرياض.

وقد صلى عليه خلق كثير، ودفن في مقبرة العود بالرياض، وأمَّ الناس في الصلاة عليه تلميذه وزميله الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ. وقد قيل فيه عدة مراثي. رحمه الله تعالى وغفر له.

علاقة ابن عثيمين بالشيخ عبد الرزاق عفيفي :

لم أجد في كثير من المصادر التي ترجمت للشيخ، والتي وقفت عليها إشارة لتلمذة ابن عثيمين على العفيفي إلا مصدراً واحداً أشار لهذه التلمذة. وهو الشيخ عبد العزيز العسكر في كتابه (من أعلامنا) حيث قال في موضعين من كتابه :

«قدم الشيخ الطائف - أي العفيفي - عام ١٣٦٨هـ بلباسه الأزهري، ومعه والده الذي قام ببره وخدمته حتى وفاته، وبقي عبد الرزاق في دار التوحيد سنتين، ثم فتح المعهد العلمي في الرياض عام ١٣٧٠هـ (كذا) فنقل إليه، ودرس فيه، ثم نقل للتدريس في معهد عنيزة العلمي.

وفي عنيزة تتلمذ عليه تلاميذ الشيخ عبد الرحمن بن سعدي، ومنهم :

الشيخ محمد بن عثيمين، والشيخ علي المحمد الزامل، حمد المحمد البسام، والشيخ عبد الله النعيم، وغيرهم..

وصار له محبة ومودة كبيرة لدى المواطنين في عنيزة، لما رأوا فيه من الصلاح والاستقامة، وحسن العقيدة، وسعة العلم.

ثم عاد إلى الرياض فدرّس في المعهد العلمي، وفي كليتي الشريعة، واللغة العربية، وصار له عدد كبير من التلاميذ من هذا التدريس».[1]

وقال في موضع آخر تحت عنوان (تلاميذه) أي العفيفي :

«كان لعمل شيخنا في التعليم فترة طويلة من حياته، أثر في كثرة طلابه وتلاميذه، ثم إن بعضاً منهم حافظوا على صلتهم به، وأخذ العلم والفقه عنه إلى أن توفي - رحمه الله تعالى -.

ومن أشهر تلاميذه :

أصحاب الفضيلة : راشد بن خنين، ومحمد بن عثيمين، وعبد العزيز آل الشيخ، ومحمد بن جبير، وعبد الله البسام، وصالح الفوزان، وعبد الله بن

(١) من أعلامنا (٣٩/٢).

منيع، وصالح السدلان، وعبد الله بن جبرين، وعبد الله بن غديان، وعبد الله التركي.....».[١]

يتبين من هذا النقل أن المترجم - أي شيخنا ابن عثيمين - معدود من تلاميذ شيخنا عبد الرزاق العفيفي، أما في عنيزة فقد جزم به المؤلف، ومن المستبعد أن يكون الشيخ عفيفي في عنيزة، ويُدَرِّس فيها من المحرم لعام ١٣٧٠هـ إلى شوال من العام نفسه، وهو معروف بسعة علمه، وتبحره، ودعوته لمذهب السلف.

من المستبعد أن يسمع به شيخنا ابن عثيمين ولا يستفيد منه، ولا يرغب في التتلمذ عليه، وقد علم حرص شيخنا على الطلب والجد في التعلم.

أما في الرياض فإن الفترة التي درس فيها ابن عثيمين في المعهد العلمي، أي من عام ١٣٧٢هـ إلى ١٣٧٣هـ نهايته.

كان الشيخ العفيفي موجوداً في المعهد العلمي، ويدرس فيه مع كبار علماء ومشايخ المعهد.

ويؤكد ذلك ما قاله الشيخ علي الرومي:

«كان الشيخ - أي العفيفي - أول من باشر في المعهد العلمي بالرياض منذ أول يوم لافتتاحه في عام ١٣٧١هـ.

وله اطلاع واسع يرحمه الله في الفقه والحديث والتفسير والتاريخ.. وبرغم كبر سنه فقد بقي في وعيه وذكائه وعلمه».[٢]

---

(١) من أعلامنا (٢/٤١).

(٢) مجلة التوحيد المصرية، العدد الخامس، للسنة الثالثة والعشرين.

ثم وجدت أحد تلاميذ الشيخ ابن عثيمين القدامى وهو الشيخ محمد العثمان القاضي، عدّ في شيوخ ابن عثيمين فضيلةَ الشيخ عبد الرزاق العفيفي، وهذه فائدة عزيزة، والحمد لله على توفيقه.(١)

٢- فضيلة الشيخ المحدث عبد الرحمن الإفريقي رحمه الله تعالى.

المتوفى سنة ١٣٧٧هـ.

من الذين تزامن وجودهم في المعهد العلمي في فترة دراسة شيخنا ابن عثيمين فيه، فضيلة الشيخ المحدث الإفريقي كما أخبرني بذلك مشافهة شيخنا العلامة عبد الرحمن بن ناصر البراك حفظه الله تعالى، حيث كان يدرس مادة الحديث بالمعهد، فيغلب على الظن عدُّه في شيوخه والله تعالى أعلم.

وقد قال شيخنا محدث الحجاز الشيخ عبد المحسن العباد عن تلك الفترة :

«وأنا درست على الشيخ عبد الرحمن الإفريقي في الرياض في عام ١٣٧٢هـ وعام ١٣٧٣هـ في الحديث والمصطلح، وكان مدرساً ناصحاً، وعالماً كبيراً وموجهاً، ومرشداً وقدوة في الخير رحمه الله تعالى».(٢)

ومن المشايخ الذين تتلمذ عليهم المترجم وكانوا يدرسون في المعهد في تلك الفترة، كما أخبرني بذلك شيخنا البراك حفظه الله تعالى.

٣- الشيخ محمد السرحان المصري الأزهري.

وكان يدرس علم البلاغة.

---

(١) جريدة الرياض، العدد ١١٨٩٦.

(٢) رسالة الشيخ عمر بن محمد فلاته - رحمه الله - وكيف عرفته؟ للشيخ العباد حفظه الله تعالى. وانظر : (علماء ومفكرون عرفتهم) للمجذوب (١/٦٣-٧٦).

٤- الشيخ عبد اللطيف السرحان المصري الأزهري.

وكان يدرس علم النحو.[١]

٥- الشيخ عبد السلام السرحان الأزهري.

وكان يدرِّس علم الأدب.

٦- الشيخ محمد المختار الشنقيطي

شارح سنن النسائي، – وليس هو محمد الأمين صاحب أضواء البيان –، نزيل المدينة.

وقد أخبرني الشيخ ابن عثيمين نفسه أنه كان يدرس لهم في مادة التاريخ بالمعهد العلمي.

فهؤلاء أربعة عشر شيخاً للمترجم مابين عنيزة والرياض، تتلمذ على بعضهم زمناً طويلاً وعلى آخرين أياماً يسيرة.

ولكن بقي سؤال : هل سمع ابن عثيمين من شيخ الجزيرة في وقته ؟ وعلامة عصره الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ؟ وقد كانت دروسه لا تكاد تتوقف في مسجد عمه العلامة عبد الله بن عبد اللطيف بحي دخنة بالرياض، واستمر فيها قرابة نصف قرن، من عام ١٣٣٩هـ إلى ١٣٨٠هـ إلى أن حبسه المرض.

فهل تتلمذ شيخنا عليه ؟ وسمع منه ؟ ولازم حلقاته في فترة وجوده في المعهد العلمي بالرياض إلى أن تخرج ؟.

مع كثرة بحثي وتنقيبي عن هذه الجزئية من حياة شيخنا، وبحثي في ترجمة الشيخ محمد بن إبراهيم، لم أجد ما يشير إلى تلمذة شيخنا عليه، وقد ذكَر مؤلفا كتاب

---

(١) وانظر الإنجاز في ترجمة الإمام ابن باز ص ٢٠١.

حياة الشيخ محمد بن إبراهيم وآثاره، وهما الشيخان : صالح الأطرم، وعبد الله بن موسى العمار.

أقول : ذكرا (٣٠٣) تلميذاً من تلاميذ الشيخ ابن إبراهيم، ومنهم من يقارب شيخنا المترجم في السن أو يصغره، ولم أجدهما ذكرا شيئاً عن تلمذة شيخنا ابن عثيمين لابن إبراهيم. رحم الله الجميع.

وهذا العدد هو أكبر عدد وقفت عليه حتى الآن.

ومع علمنا بحرص المترجم على الطلب ومكانة الشيخ ابن إبراهيم رحمه الله تعالى، فلعلنا نتلمس في ذلك بعض الأجوبة عن هذا السؤال. منها :

١- أن عدم الذكر لا يدل على العدم.

٢- قد يكون من ذكروا تلاميذ ابن إبراهيم اهتموا بمن لازموه ملازمة طويلة، ومعروف أن تلاميذ الشيخ أكثر بكثير جداً من العدد المذكور.

٣- قد يكون المترجم في فترة دراسته في المعهد مشغولاً بتحصيل دروس المعهد ومذاكرتها في خارج أوقات الدراسة - أعني الفترة المسائية خاصة - والعديد من الكتب التي تدرس في حلقة الشيخ نقلت للمعهد كمناهج ثابتة ؛ حيث كان الشيخ ابن إبراهيم هو المشرف عليها، والمتابع لسير المناهج فيها.

هذا ما بدا لي في الإجابة عن هذا السؤال.

والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

ثم بعد كتابة ما سبق وقفت على نص يقوي ترجيح تلمذته على العلامة ابن إبراهيم رحمه الله تعالى.

حيث يقول أحد أقرانه وهو الشيخ محمد الصالح المنصور رحمه الله تعالى - وهو من علماء بريدة - فيما نقله الشيخ دبيان محمد الدبيان :

«لقد كان الشيخ محمد بن عثيمين هو الوحيد الذي يصلي تحية المسجد في وقت النهي، في مسجد ابن إبراهيم بحضوره، وأثناء إلقاء الدرس، خلافاً لابن إبراهيم الذي كان يذهب إلى عدم جواز صلاة ذوات الأسباب في أوقات النهي، وقد اشتهر عن الشيخ ابن عثيمين أنه كان يفتي بالطلاق الثلاث على مذهب ابن تيمية في حياة ابن إبراهيم، وقد كان ابن إبراهيم يفتي بهذه المسألة على المشهور في المذهب الحنبلي وأخذاً بالمعمول به منذ قيام الدولة السعودية الأولى، وقد تضمنت فتاوى ابن إبراهيم ورسائله إنكاره على الشيخين ابن عثيمين وابن باز ؛ لقولهما بهذا القول، وهما من تلاميذه...».[(١)]

وهذا الكلام من الشيخ المنصور رحمه الله تعالى لا يشترط أن يعني به فترة الدراسة بالمعهد العلمي بل الظاهر خلافه، لأن ابن عثيمين رحمه الله تعالى لم يكن ليتكوّن له رأي يخالف به المفتي الأكبر وهو في سنٍّ مبكرة؛ سواء في مسألة صلاة ذوات الأسباب في وقت النهي، أو في الطلاق الثلاث.

---

(١) جريدة الوطن، العدد ١٠٦.

قلت : والشيخ محمد المنصور، هو محمد بن صالح بن منصور المنصور من قبيلة شمر، من مواليد بريدة سنة ١٣٥٠هـ وقد كف بصره بسبب الجدري، وهو في السنة الثامنة من عمره، ولم يكن ذلك عائقاً له عن طلب العلم، وقد رحل للرياض في سن السادسة عشرة، وطلب العلم على الشيخ ابن إبراهيم لمدة سبع سنوات، وأكمل دراسته الجامعية، وتخرج من كلية الشريعة، وهو صاحب عبادة وعلم، وله دروس في مسجده في : العقيدة والحديث والفقه واللغة والفرائض.

توفي رحمه الله تعالى في يوم السبت ١٤٢٠/١٢/٢٦هـ بمدينة بريدة. (انظر مجلة شباب، العدد ١٥).

ولكن الذي يهمنا من كلامه الصريح قوله (وهما من تلاميذه)، فهذا يقوي جانب التلمذة. والله تعالى أعلم.

وبعد.. فقد ظل شيخنا المترجم في جنبات هذا المعهد المبارك الذي خرّج كبار العلماء لمدة سنتين، عاملاً بنظام القفز الذي بيناه في أول هذا الفصل.

ومما نذكره هنا عن حياة الشيخ في المعهد ما أخبرني به شيخنا العلامة عبد الرحمن بن ناصر البراك أن ابن عثيمين رحمه الله تعالى كان يجلس مع الطلاب الأكفّاء [غير المبصرين] ليساعدهم في استذكار دروسهم ويقرأ لهم ما يحتاجونه.

فلله دره من طالب علم كان في عون إخوانه فكان الله في عونه، ورفع قدره. نسأل الله تعالى أن يتغمده برحمته.

واستمر الشيخ في الرياض حتى نهاية عام ١٣٧٣هـ بعد أن انتهى من دراسة السنة الثالثة في المعهد العلمي.

وفي هذه السنة افتتح المعهد العلمي بعنيزة وكانت بداية الدراسة فيه في شهر ربيع الثاني عام ١٣٧٣هـ[1]، وكان المشرف عليه هو شيخه، أعني الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي والذي رفض أن يتقاضى أجراً على عمله هذا.

واحتاج المعهد في عنيزة إلى معلمين، فاضطر الشيخ أن يرجع إلى مسقط رأسه، لينتفع به أبناء بلده، وتعيَّن مدرساً في المعهد سنة ١٣٧٤هـ، وأخذ السنة الرابعة من المعهد بالانتساب، ثم انتسب لكلية الشريعة حتى أتمها.

كل ذلك وهو يدرس في معهد عنيزة العلمي.

---

(١) فقه ابن سعدي (١/٢٥).

وهذه المسألة لم يحررها الكثير ممن كتب في ترجمة الشيخ.

واستمع إلى الشيخ نفسه وهو يروي مسيرته في المعهد والكلية، مؤرخة بالسنين في اللقاء الذي نشر في مجلة الدعوة العدد ١٧٧٦.

قال رحمه الله تعالى :

«أتممنا دراسة المعهد لأننا بدأنا من السنة الثانية، وفي ذلك الوقت كان نظام القفز معمولاً به، أي أن الطالب يدرس في الفترة الصيفية دروس السنة المستقبلة، ثم يمتحن فيها في الدور الثاني، ويرتقي للسنة الثالثة.

فأنا قفزت، يعني: قرأت ثانية، وتخرجت منها طبيعياً، ثم قفزت وأدركت الثالثة، ثم أخذت الرابعة في سنة ٧٤هـ بالانتساب؛ لأن المعـــهد العلمي كان قد فتح، وكان يحتاج لمدرسين، فرجعت في العام ٧٤هـ إلى عنيزة، وبدأت التدريس في معهد عنيزة من عام ١٣٧٤هـ، وأخذت السنة الرابعة بعد ذلك بالانتساب، وبقيت منتسباً حتى أتممت – ولله الحمد – كلية الشريعة..» أ هـ.

ولكن مع هذا فقد بقي إشكال آخر: هل انتظم الشيخ في الدراسة في كلية الشريعة؟ وهل ترك عمله في المعهد للدراسة في الكلية ؟ ثم رجع إلى المعهد مرة أخرى ؟.

قال الشيخ رحمه الله تعالى في أول حديث صحفي معه بمجلة اليمامة العدد ٩٥٣ لسنة ١٤٠٧هـ :

«بعد أن تخرجت التحقت بكلية الشريعة، ودرست فيها أول سنة، ثم فتح المعهد العلمي في عنيزة، وبعد مضي سنة من افتتاحه صرت أدرس في المعهد، ومنتسباً في الكلية..».

وعلّق مجرى الحوار وهو فهد راشد العبد الكريم بعد انتهاء الحوار بعنوان كتب تحته : لقطات : «خلال السنة الدراسية الأولى التي قضاها منتظماً بكلية الشريعة بالرياض درس على سماحة الشيخ ابن باز في أول صحيح البخاري..» أ هـ بحروفه.

فيظهر من هذا النقل أن الشيخ رحمه الله تعالى درس في كلية الشريعة منتظماً لمدة سنة، ثم أتم باقي السنوات بالانتساب.

ومن النقل السابق يظهر أنه درسها انتساباً لحاجة المعهد في عنيزة إلى معلمين.

فهذا موضع يحتاج إلى تحرير، وسؤال لقرناء الشيخ في الدراسة، وبالطبع فقد كان الشيخ يتردد على الكلية بين الحين والآخر بصفته منتسباً.

يقول الشيخ عبد العزيز المسند : «فالرجل - رحمه الله تعالى - أعرفه عن كثب، لأنه عندما كان منتسباً للكلية كنت مديراً لها، وكان يأتي لماماً إلى الرياض ليأخذ بعض الدروس، ويقابل بعض الأساتذة بالكليات، فقد كان لديه استعداد جيد، ونشر العلم، فهذا من حسن حظه».[1] أ هـ

وعلى كل فقد أتم الشيخ كلية الشريعة عام ١٣٧٧هـ، وتخرج في دفعتها الثانية وعمره حوالي ثلاثين عاماً، وإذا ثبت أن الشيخ درس منتظماً في كلية الشريعة فإنه سيكون قد استفاد وتأثر بكبار العلماء الذين انتدبوا للتدريس في هذه الكلية، والتي افتتحت سنة ١٣٧٣هـ.

ومنهم مشايخه الكبار الذين درس عليهم في المعهد وغيرهم..

وستختلف عدة مشايخه ويضاف إليهم آخرون. والله تعالى أعلم بالصواب.

---

(١) مجلة الدعوة، العدد ١٧٧٦.

وبرجوع الشيخ إلى عنيزة العامرة بحلق العلم لشيخه العلامة السعدي رحمه الله تعالى، استمر الشيخ في ملازمة شيخه.

وبهذا أصبح الشيخ متعلماً معلماً، وآخذاً معطياً، وطالباً ومطلوباً.

وهذه صفة العلماء الربانيين.

فصل

ابن عثيمين في المعهد العلمي
في عنيزة معلماً
(صور ومواقف)

هذا الفصل قدمته هنا لمناسبته الزمنية للمراحل السابقة، مع أن حقه يؤخر في الباب الثاني الخاص بعطاء الشيخ وبثه للعلم وصفاته وأخلاقه.

فمنذ سنوات قليلة كان ابن عثيمين طالباً يتربع على مقاعد الدراسة في معهد الرياض العلمي، والآن وبعد أن تأهل وفاق أقرانه اختير ليبذل ما عنده من العلم والفقه مما وعاه صدره عن أهل العلم الكبار طوال رحلته المباركة.

وليتشرف طلاب المعهد في عنيزة للجلوس في مقاعد الدراسة بين يديه، وليشاركهم في أنشطتهم المتنوعة، بل وليشارك إدارة المعهد في وضع المناهج التي تناسب هذه المرحلة.

ومما وضعه الشيخ من المناهج للمعهد العلمي - بعد ذلك - مقرر أصول الفقه؛ حيث ألف كتابه : (الأصول من علم الأصول)، قال الشيخ في مقدمته : «أما بعد.. فهذه رسالة مختصرة في أصول الفقه، كتبناها وفق المنهج المقرر للسنة الخامسة الثانوية في المعاهد العلمية..».

وكذلك كتب مقرر المصطلح في كتابه : (مصطلح الحديث) حيث قال في آخر المقدمة : «وقد وضعنا فيه كتاباً وسطاً يشتمل على المهم من هذا الفن حسب

المنهج المقرر للسنتين الأولى والثانية من القسم الثانوي في المعاهد العلمية. وسميناه (مصطلح الحديث).

وقال في آخر الكتاب مؤرخاً له :«وإلى هنا انتهى القسم الثاني من كتاب (مصطلح الحديث) ويحتوي على مقرر السنة الثانية الثانوية في المعاهد العلمية، وبه تم الكتاب على يد مؤلفه : محمد صالح العثيمين في يوم الخميس الموافق للسادس عشر من شهر ربيع الثاني سنة ١٣٩٦هـ، ست وتسعين وثلاثمائة وألف.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه والتابعين لهم بإحسان مدى الأوقات.. آمين.» أ هـ.

ومن المواد التي درَّسها الشيخ في المعهد كتاب (زاد المستقنع).

يقول تلميذه الشيخ دبيان بن محمد الدبيان : «قد درس الشيخ زاد المستقنع فترة طويلة جداً في المعهد العلمي في عنيزة، والذي كان يبتدأ تدريسه للطلاب من السنة الأولى متوسط، وينتهي بالسنة الثانية ثانوي، وكثيراً ما يبلغ الطلاب هذه المرحلة ويتجاوزونها قبل استكمال النصاب، ولكن الشيخ ابن عثيمين كان ينهى تدريس الزاد للطلاب في سنة واحدة».[1]

وسنستعرض لشيء من المواقف اليسيرة لشيخنا في المعهد بين طلابه في الأسطر التالية لعلها تكون تسلية للمعلمين الذين ينيرون السبيل لغيرهم،

ولا أقول يحترقون لينيروا لغيرهم في عصر لا يوقر فيه المعلم ولا يؤبه له، بل يؤاخذ بالسيئة، ولا يجازى بالحسنة. وإلى الله المشتكى.

---

(١) جريدة الوطن، العدد ١٠٦.

قال الشيخ عبد الرحمن بن علي النهابي إمام وخطيب جامع الصالحية بعنيزة، واصفاً شيخه ابن عثيمين :

«كنت طالباً في المرحلة الثانوية في المعهد العلمي في عنيزة، فكان مثالاً للأب الحنون، والمعلم المتفهم غير المنون، والتربوي الواعي، تجري من جنباته ينابيع العلم، فكان مثالاً للسلف الصالح والعالم الرباني.

يتبسط مع المتعلم، ولا يرهقه حتى يتألم، كان مربياً تتمثل فيه الصفات التربوية بكامل معانيها.

أتذكــر :

أننا اتفقنا مع طلاب الفصل في الثانية ثانوي، أن نخرج برحلة برية ليوم كامل، فطلبنا الشيخ أن يخرج معنا، فوافق مبدياً تمام استعداده للخروج ورعاية هذه الرحلة.

فكان في هذه الرحلة العجيب والعجاب، والأدب والآداب.

وانظر إلى هذه الرحلة، والرعاية التربوية، والتوجيهات الأبوية.

وانظر إلى هذا التقسيم والتنظيم الذي تم في هذه الرحلة، والفائدة الجمة التي خرج بها الطلاب من خلال هذه النــزهة، ولعلي أتذكر أن فضيلته بعد التوجيهات، والتعليم، والترتيب.

ابتدأنا بالسباق على الأقدام، فكان والدنا الشيخ هو الأول مع أحد الطلاب، فكانت النتيجة أن سبق الشيخ الطالب لقوة جريه.

ثم تتابع السباق.

ثم انتقل بنا إلى برنامج آخر، وهو السباحة.

وكانت منطقة المتنــزّه الزغيبية، وفيها عيون جارية موضوع عليها براك على هيئة مسابح، وفيها المياه الصافية، فكان الشيخ يضع قطعة من النقود الحديد داخل البركة، ويقول : أيكم يأتي به ؟ فيتنافس الطلاب في ذلك.

فكانت مباريات ورياضات فيها الفائدة والخير، حتى استمتع الطلاب بالسباحة والسباق للوصول إلى الغرض.

ثُــمَّ :

انتقل بنا إلى برنامج آخر، وهو : الرماية.

وقد أخرج فضيلته (بندقية أم حبة) أتى بها ليتمرن الطلاب عليها.

ثم اصطففنا للرماية، ووضع غرضاً لإصابته حيث بدأ كل طالب يتقصد الهدف ليصيبه، فكانت النتيجة أن أصابه البعض وأخفق آخرون فانظر الهدف العظيم الذي وصل إليه الشيخ من خلال هذه الرحلة الطلابية من تعليم السباحة، والرماية، والمسابقة على الأقدام، يتمثل في حسن اختيار الشيخ ومدى إدراكه للفائدة التي تحصل للطلاب، لو أن كثيراً من المربين اقتدوا بمثل هذه المناقب؛ لحصلوا خيراً لأفادوا كثيراً..» أ هـ.[١]

قلت : فانظر – رحمك الله – إلى المعلم عندما يكون جامعاً بين الفقه الشرعي وبين البصيرة بحاجة طلابه.

كيف استغل وقت تنــزههم فيما ينفع ويعود عليهم بالخير في دينهم ودنياهم ؟

كيف وضع لهم برنامجاً موافقاً لما كان عليه الصحابة والسلف الصالح في لهوهم وسباقهم ؟

---

(١) جريدة الجزيرة، العدد ١٠٣٤٦.

وهذه لفتة هامة للذين يربون طلابهم على التمثيليات، والمسارح والأناشيد والنكات، وما يسمى بالكذبة البيضاء، والمشاهد والمهرجانات، وغيرها..

مما لا يُخْرِجُ عالماً ولا داعية ولا مجاهداً، ولن تحرر أراضي المسلمين المسلوبة شرقاً وغرباً بجماعة من المنشدين تقف على أبواب القدس فتنشد نشيداً حماسيّاً بأصوات جميلة فاتنة تشبه أصوات النساء.

ولن تحرر الشيشان بفرقة من الممثلين تقف على أبوابها، فتمثل مشهداً لمحمد الفاتح أو لخالد بن الوليد.

لـــمـــاذا ؟!!

لأننا لم نرب هؤلاء الشباب على ما تربى عليه الرعيل الأول حتى في لهوهم وتنزههم.

رمي، سباحة، عدو على الأقدام، شحذ للعقول، مباريات فقهية، مسابقة في أصل الدين - في العقيدة - في معنى كلمة التوحيد - في شروطها وأركانها، مسابقة في حفظ القرآن - سورة — آيات، مسابقة في حفظ السنة - أحاديث مختارة، مسابقة في سمت الرعيل الأول في جهادهم - في دعوتهم.

رحم الله الشيخ وأعلى درجته في عليين، كم كان نافذ البصيرة، فقيه القلب والعقل، نصَح لطلابه وأعذر إليهم، وسلك بهم سبل الهدى.

اللهم فاجزه عنا خير الجزاء.

وليت المعتنين بالدراسات والأبحاث التربوية يعكفون على دراسة فترة وجود الشيخ في المعهد، ويجمعون من سجلات المعهد وملفاته، ومن الطلاب القدامى ما يقدم صورة واضحة مشرقة تمهد السبيل لخطط في الأنشطة التربوية لتلك المرحلة والله الموفق.

فصل

وفاة علامة القصيم
وتعيين شيخنا ابن عثيمين خلفاً له
في الإمامة والتدريس

لم تمض سوى سنتين وأشهر بعد رجوع شيخنا إلى عنيزة، وتدريسه في معهدها، ولزومه لشيخه السعدي؛ إلا وقد أصابت عنيزة مصيبة المصائب، وكارثة الكوارث، فقد الهدم لواؤها، وثلمت فيها ثلمة، وأظلم نهارها.

ففي يوم ١٣٧٦/٦/٢٣هـ نادى مناديها بوفاة عالمها، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي الذي أضاءت به، وعمرت بدروسه، وسعدت بحلقاته، وامتلأت بطلابه.

وقد كان السعدي أصيب عام ١٣٧٢هـ بمرض ضغط الدم، وتصلب الشرايين، فكان يعتريه مرة بعد مرة وهو صابر محتسب.

وفي ليلة الأربعاء ٢٢ من شهر جمادى الآخرة لسنة ١٣٧٦هـ، وبعد فراغه من الدرس اليومي المعتاد، وبعد فراغه من صلاة العشاء، «وكانت آخر صلاة صلاها في الجامع إماماً، وقد قرأ في الركعة الأولى: ﴿**والتِّينِ وَالزَّيْتُونِ**﴾، وفي الثانية : ﴿**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ في لَيْلَةِ الْقَدْرِ**﴾».[1]

أحَسَّ بثقل وضعف في الحركة، فأشار إلى أحد تلاميذه بأن يمسكه ويذهب معه إلى البيت، ففعل، و لم يصل إلى البيت إلاَّ وقد أغمي عليه، ثم أفاق بعد ذلك، فحمد

(١) مجلة الدعوة، العدد ١٧٧٨.

الله وأثنى عليه وتكلم مع أهله والحاضرين بكلامٍ حسن طيب، ثم عاوده الإغماء مرة أخرى، فلم يتكلم بعد ذلك.

فلما أصبحوا صباح الأربعاء دعوا الطبيب، فقرر أن معه نزيفاً في المخ، فأبرقوا لابنه وللملك فيصل - رحمه الله تعالى - لما كان وليّاً للعهد، فأصدر أمره الكريم عاجلاً بكل ما يلزم، فقامت طائرة خاصة وفيها طبيب مخ، ومهرة من الأطباء والعلاجات إلى مدينة عنيزة، وكان فيها ابنه عبد الله ولكن الجو كان ملبداً بالغيوم والرعد والبرق والعواصف الشديدة وفيها أمطار قد تتابعت أكثر من شهر، تهدمت منها البيوت، ونزلت أخشاب سطوح المساجد، فلم يساعد الجو على هبوط الطائرة، ورجعت من حيث أتت، ثم رجعت من الغد صباح الخميس لمحاولة الهبوط، فتلقت مكالمة وهي في الجو بوفاته فرجعت من حيث أتت، وقد توفي رحمه الله تعالى قبل طلوع فجر يوم الخميس الموافق ٢٣ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٦هـ عن تسع وستين سنة، وصلى عليه الشيخ عبد العزيز بن محمد البسام بعد صلاة الظهر في الجامع الكبير في حشد كبير لم يشهد له مثيل.

ولقد تأثر الناس بوفاته وفقدت عنيزة أغلى وأعز رجالها.

يقول الشيخ محمد بن عثمان القاضي في روضة الناظرين (٢٤٧/١) :

«ولقد حدثني من أثق به بأن الشيخ سليمان المشعلي، وكان عالماً جليلاً وقاضياً مسدداً لما علم بوفاته قال :

مات اليوم عالم نجد وقد طاب الموت بعد هذه الشخصية الفذة، فانصدع ومات في ١٢ من رجب بعد وفاة شيخنا السعدي بتسعة عشر يوماً، وكان من خواصه».[1]

---

(١) اتحاف النبلاء، للزهراني (٧٠/١).

المَوتُ أفْنَاهُمْ واسْتَبْقَاكَ بَعْدَهُمُ حَيّاً فَمَا أَقْرَبَ القَاصِي مِنَ الدَّانِي

وبوفاة هذا العلم النحرير انثلمت ثلمة عظيمة وأحس أهل عنيزة وطلابها بفراغ هائل، كان لابد من القرار السريع لسده، والبحث عمن يقوم مقام هذا العالم الفذ، وأولى من يسد هذه الثغرة هم تلامذته، وخواصه، وأخصهم في ذلك هو التلميذ النجيب المحبب إلى السعدي؛ والذي حظِي بعناية خاصة، ألا وهو شيخنا ابن عثيمين، لذا رأى أولياء الأمر في عنيزة المسارعة بتعيينه خلفاً لشيخه.

وفي ذلك يقول شيخنا ابن عثيمين :

«لما توفي شيخنا السعدي عام ١٣٧٦هـ كان شيخنا الأول محمد بن عبد العزيز المطوع قاضياً في عنيزة، فرأى هو وأميرها في ذلك الوقت خالد بن عبد العزيز السليم أن أكون خلفاً للشيخ في الجامع والمكتبة التي كان شيخنا يدرس فيها، فوافقت على ذلك».[١]

وكانت أول صلاة فريضة صلاها الشيخ في الجامع إماماً، يوم الأحد ١٣٧٦/٦/٢٦هـ صلاة الظهر.

وأول جمعة صلاها في يوم الجمعة ١٣٧٦/٧/٢هـ.

وبعد هذا التاريخ بنحو سنة أتم الشيخ كلية الشريعة انتساباً أي عام ١٣٧٧هـ.

واستأنف الشيخ عطاءه بين الجامع الكبير بحلقه وخطبه والمعهد، ثم الكلية بفصولها وقاعاتها، ومناهجها.

وبهذا يكون الباب الأول من هذا الكتاب قد أوشك على التمام.

---

(١) برنامج (في موكب الدعوة) بإذاعة القرآن الكريم بالرياض.

وفيه إتمام البناء العلمي للشيخ، والإعداد التربوي للمرحلة القادمة، والتي سيستمر فيها الشيخ حتى الوفاة.

ألا وهي مرحلة البذل والعطاء والتعليم والدعوة.

وهي مادة الباب الثاني.

وقبل أن ننتقل من هنا لابد من إلقاء النظر حول أهم أسباب النجاح، وحصول المراد للشيخ في طلب العلم بعد توفيق الله تعالى.

وإذا أحببنا أن نتلمسها سنجدها – والله أعلم – تتلخص في النقاط الآتية :

١- رغبة ابن عثيمين الجازمة في الطلب، وتوفر النية الصادقة، والهمة العالية.

٢- حث الأسرة له على سلوك سبيل العلم.

وفي هذين يقول الشيخ جواباً على سؤال هذا نصه :

س : اندفاعك نحو العلم وتلقيه ودراسته على أيدي المشائخ، هل كان بتوجيه من الوالد والأسرة.. أم كان بدافع ذاتي محض ؟

ج : كان بتوجيه من الوالد، وعندي رغبة نحو هذا الشيء.[1]

٣- عدم وجود العوائق الدنيوية أو الاجتماعية.

وهذا عامل مهم في حياة الطالب فكم صرفت العوائق والعوارض الكثير والكثير من طلاب العلم الذين لديهم الكفاءة والذكاء والقدرة.

وقد كاد يحصل للشيخ شيء من هذا، ولكن الله يسر وأعان على تلافي هذه العوارض وذلك في موضعين سبق ذكرهما حين عمل الشيخ في فلاحة الوادي، وترك

---

(١) مجلة اليمامة، العدد ٩٥٣، لقاء صحفي مع الشيخ.

دروس ابن سعدي، وحين أراد والده أن يذهب معه إلى الرياض، فقال له ابن سعدي : «إن هذا لايمكن. نريد محمداً أن يمكث هنا حتى يستفيد».[١]

٤- وجود شيخ مربٍّ وحنون، رعى تلميذه، وحرص عليه، وتلطف في تعليمه العلم بالتدرج، فبدأ معه بصغار العلم قبل كباره.

حيث وكّل به ابن سعدي أحد تلاميذه الكبار وهو الشيخ المطوع حتى تأهل لحلقات علامة القصيم.

٥- تتلمذه وسماعه من كبار العلماء الراسخين في العلم في عصره ممن تتلمذ عليهم، واستِفادته من كبار علماء عصره ممن لم يلقهم فيما نعلم.

فقد اجتمع في عصر الشيخ كبار علماء الدنيا، من أمثال : السعدي، وابن إبراهيم، والشنقيطي، وابن باز، والعفيفي، ثم بعد ذلك الألباني في المدينة المنورة.

فهؤلاء جبال الدنيا في التوحيد والفقه والحديث وعلوم الآلة ممن كان لهم الدور البارز في توجيه المسيرة العلمية والدعوية بعد ذلك في العالم أجمع.

فقد استفاد الشيخ كما سبق ممن التقى بهم، ونظر في كتابات وأبحاث من لم يجلس إليهم كالشيخ محمد رشيد رضا - رحمه الله تعالى -.

٦- اهتمام الشيخ بالتأسيس في البناء العلمي.

فها هو يبدأ بحفظ القرآن ويتمه، ثم يضبط عدداً من المتون الفقهية والحديثية كـ (الزاد، والبلوغ).

وله محفوظات في العربية، من أمثال : الأجرومية، والألفية، يستحضرها سريعاً، ويلزم طلابه بحفظها.

---

(١) المصدر السابق.

وقد قال الشيخ : «قرأنا كثيراً فلم يبق معنا إلا ما حفظنا».

٧- أخذه العلم من نبعه الصافي الذي لم تكدره الدلاء.

فشيخه السعدي يدرس التفسير على الطريقة السلفية الصحيحة، فلا صوفية، ولا إسرائيليات، ولا أقوال ساقطة متهالكة، بل استنباط موفق وتفسير مسدد.

وكذا شيخه الشنقيطي فتفسيره للقرآن بالقرآن ثم بالسنة، ثم شيخه في الحديث ابن باز، فمن صحيح البخاري إلى مسلم، فالسنن، وقراءات لرسائل شيخ الإسلام ابن تيمية، وكذا بقية دروسه.

رحمة الله على الجميع.

٨- حرصه الشديد على وقته، فقد حَصّل في الزمن اليسير ما يحصله كبار الطلاب في الزمن الطويل، وسيرته شاهده بذلك.

٩- تأثره بكتابات شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله تعالى، وخاصة طريقة الاستدلال والاستنباط والتعليل، وربط الأحكام بأدلتها، وتنويع الأدلة.

وقد قال عن ذلك :

«الإنسان يقرأ ويتأثر، وأحياناً يقرأ ولا يتأثر، فالذي أرى أنه يتأثر القارئ بكتبه شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - فإن له تأثيراً قويّاً بالنسبة لقوة الحجة، والاقناع، والدفاع.

ولذا أنا أنصح كل من يريد الوصول إلى الحق من منبعه الصافي؛ أن يقرأ في كتب هذا الإمام؛ لأنه حقّاً إمام - جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً - وكذلك أيضاً تلميذه ابن القيم : أسلوبه وإقناعه يأخذان بألباب قارئيه، لكني أتأثر بكلام الشيخ أكثر من تأثري بكلام ابن القيم؛ مما يدفع الإنسان إلى الاقتناع الكامل الكافي.

كذا تأثرت بتلميذه ابن مفلح صاحب كتاب (الفروع) في مذهب الإمام أحمد بن حنبل؛ لأن له توجيهات طيبة جداً في الفقه تدل على عمق معرفته بالشريعة.

وتأثرت أيضاً بمنهاج الشيخ محمد رشيد رضا، لأنه جيد في عرض المسائل، وإن كان عليه بعض الأخطاء، وجل من لا يخطئ فهو على كل

حال له أثر في منهجي في تحقيقه المسائل، وما أشبه ذلك.» إ هـ.[١]

١٠- جمع الشيخ همه على العلم وتحصيله، والاكتفاء من الدنيا بما يسد حاجته، وعدم توزيع الأوقات في ملاحقة حطامها الفاني، وإشباع الرغبات التي لا تنتهي.

وهذه خصلة تحلى بها عدد من مشايخه منهم العلامة الشنقيطي الذي كان لا يعرف فئات العملة الورقية، وهو الذي كان يتمثل بأبيات الأديب محمد ابن حنبل الشنقيطي :

لاَ تُسِئ بالعلْـــمِ ظَنّـــاً يَا فَتى	إنَّ سُـــوءَ الظَّنِّ بالعـــلْم عَطَب
لاَ يزهـــدكَ أخي في العلـــمِ أن	غَمَرَ الجهـــالُ أَرْبَـــابَ الأَدَب
إن تَر العَـــالِم نَضـــواً مُرْمَلاً	صفرَ كَـــفٍّ لَمْ يساعدْه سَبب
وتَر الجَـــاهِلَ قَدْ حَـــازَ الغِنى	محْـــرَزَ المأْمُولِ منْ كُـــلِّ أَرَب
قَدْ تجُـــوع الأسْـــدُ في آجامهَا	والذئَـــابُ الغُبْسُ تَعْتَام القتَب[٢]

---

(١) مجلة الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) إتحاف النبلاء بسير العلماء (١٣٦/١).



الباب الثاني

(بذله وعطاؤه)

وفيه فصلان:

الفصل الأول : علمه وعمله وصفاته وأخلاقه

الفصل الثاني : سبل دعوته وتعليمه، وجهوده في نشر العلم

الفصل الأول

علمه وعمله وصفاته وأخلاقه

(١) عقيدته :

المتتبع لحياة الشيخ العلمية والعملية، يجد أنه يعتقد اعتقاد السلف الصالح؛ أهل السنة والجماعة؛ في أصول الدين جملةً وتفصيلاً.

وقد بين الشيخ رحمه الله تعالى عقيدته السلفية في تآليفه وشروحه ودروسه ومحاضراته وخطبه وفتاواه.

وقد عاش يدعو إلى هذه العقيدة المباركة حتى آخر أيام عمره، في دروسه التي كان يلقيها في المسجد الحرام من غرفته، وهو على سرير المرض.

ومن المناسب هنا أن أذكر نبذة من عقيدة الشيخ التي كتبها بنفسه، وسماها : «عقيدة أهل السنة والجماعة».

وسأختصر ذكر الأدلة فيها، ومن شاء المزيد فليراجع الأصل.

قال رحمه الله تعالى :

عقيدتنا

عقيدتنا: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

فنؤمن بربوبية الله تعالى؛ أي : بأنه الرب الخالق المالك المدبر لجميع الأمور.

ونؤمن بألوهية الله تعالى؛ أي : بأنه الإله الحق، وكل معبود سواه باطل.

ونؤمن بأسمائه وصفاته؛ أي : بأنه له الأسماء الحسنى والصفات الكاملة العليا.

ونؤمن بوحدانيته في ذلك : أي بأنه لا شريك له في ربوبيته، ولا في ألوهيته، ولا في أسمائه وصفاته.

قال الله تعالى : ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ واصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً﴾. [مريم : ٦٥].

ونؤمن بأنه : ﴿اللهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ وَلاَ يَؤُدُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ العَلِيُّ العَظِيمُ﴾. [البقرة : ٢٥٥].

ونؤمن بأنه : ﴿هُوَ اللهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمِ (٢٢) هُوَ اللهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلاَمُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللهُ الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ (٢٤)﴾. [الحشر ٢٢-٢٤].

ونؤمن بأنه : ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورُ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَاناً وَإِنَاثاً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٥٠)﴾. [الشورى : ٤٩-٥٠].

ونؤمن بأنه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ (١١) لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٢)﴾. [الشورى ١١-١٢].

ونؤمن بأنه : ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾. [هود : ٦].

ونؤمن بأنه : ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي البَرِّ وَالبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾. [الأنعام : ٥٩].

ونؤمن بأن الله : ﴿عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾. [لقمان : ٣٤].

ونؤمن بأن الله يتكلم بما شاء، متى شاء، كيف شاء: ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيماً﴾. [النساء : ١٦٤]. ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾. [الأعراف : ١٤٣]. ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيّاً﴾. [مريم : ٥٢].

ونؤمن بأنه : ﴿لَوْ كَانَ البَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ البَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾. [الكهف : ١٠٩].، ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ وَالبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. [لقمان : ٢٧].

ونؤمن بأن كلماته الله أتم الكلمات صدقاً في الأخبار وعدلاً في الأحكام، وحسناً في الحديث، قال الله تعالى : ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً﴾. [الأنعام : ١١٥]. وقال : ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثاً﴾. [النّساء : ٨٧].

ونؤمن بأن القرآن الكريم كلام الله تعالى تكلم به حقّاً، وألقاه إلى جبريل فنــزل به جبريل على قلب النبي ﷺ، ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ القُدُسِ من رَبِّكَ بالحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدَىً وبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (١٠٢) وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولونَ

إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾. [النحل : ١٠٢ - ١٠٣].

ونؤمن بأن الله عز وجل عليٌّ على خلقه بذاته وصفاته؛ لقوله تعالى : ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾. [البقرة : ٢٥٥]. وقوله تعالى : ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾. [الأنعام : ١٨].

ونؤمن بأنه : ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ﴾. [يونس : ٣].

واستواؤه على العرش : علوه عليه بذاته علواً خاصاً يليق بجلاله وعظمته لا يعلم كيفيته إلا هو.

ونؤمن بأنه تعالى مع خلقه، وهو على عرشه، يعلم أحوالهم ويسمع أقوالهم، ويرى أفعالهم، ويدبر أمورهم.

يرزق الفقير، ويجبر الكسير، يؤتي الملك من يشاء وينـزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، بيده الخير وهو على كل شيء قدير.

ومن كان هذا شأنه كان مع خلقه حقيقة، وإن كان فوقهم على عرشه حقيقة ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾. [الشورى : ١١].

ولا نقول كما تقول الحلولية من الجهمية وغيرهم : إنه مع خلقه في الأرض. ونرى أن من قال ذلك فهو كافر أو ضال؛ لأنه وصف الله بما لا يليق من النقائض.

ونؤمن بما أخبر به عنه رسوله ﷺ أنه ينـزل كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول :

«من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له».

ونؤمن بأنه سبحانه وتعالى يأتي يوم المعاد للفصل بين العباد؛ لقوله تعالى: **﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾**. [الفجر: ٢١-٢٣].

ونؤمن بأنه تعالى: **﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾**. [البروج: ١٦].

ونؤمن بأن إرادته تعالى نوعان:

كونية: يقع بها مراده، ولا يلزم أن يكون محبوباً له، وهي التي بمعنى المشيئة، كقوله تعالى: **﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾**. [البقرة: ٢٥٣]، **﴿إِنْ كَانَ اللهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾**. [هود: ٣٤].

وشرعية: لا يلزم بها وقوع المراد، ولا يكون المراد فيها إلا محبوباً له، كقوله تعالى: **﴿وَاللهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾**. [النساء: ٢٧].

ونؤمن بأن مراده الكوني والشرعي تابع لحكمته، فكل ما قضاه كوناً أو تعبد به خلقه شرعاً فإنه لحكمة وعلى وفق الحكمة، سواء علمنا منها ما نعلم أو تقاصرت عقولنا عن ذلك: **﴿أَلَيْسَ اللهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾**. [التين: ٨]، **﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾**. [المائدة: ٥٠].

ونؤمن بأن الله تعالى يحب أولياءه، وهم يحبونه.....

ونؤمن بأن الله تعالى يرضى ما شرعه من الأعمال والأقوال ويكره ما نهى عنه منها.

ونؤمن بأن الله تعالى يرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات.....

ونؤمن بأن الله تعالى يغضب على من يستحق الغضب من الكافرين وغيرهم...

ونؤمن بأن لله تعالى وجهاً موصوفاً بالجلال والإكرام : ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ﴾. [الرحمن : ٢٧].

ونؤمن بأن لله تعالى يدين كريمتين عظيمتين : ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [المائدة : ٦٤]، ونؤمن بأن لله تعالى عينين اثنتين حقيقيتين، لقوله تعالى : ﴿وَاصْنَعْ الفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾. [هود : ٣٧].

وقال : [ﷺ] «ما انتهى إليه بصره من خلقه».

ونؤمن بأن الله تعالى : ﴿لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾. [الأنعام : ١٠٣].

ونؤمن بأن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾. [القيامة : ٢٢-٢٣].

ونؤمن بأنه: ﴿لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ﴾. [البقرة: ٢٥٥]. لكمال حياته وقيوميته.

ونؤمن بأنه لا يظلم أحداً؛ لكمال عدله.

وبأنه ليس بغافل عن أعمال عباده؛ لكمال رقابته وإحاطته.

ونؤمن بأنه لا يعجزه شيء في السماوات ولا في الأرض؛ لكمال علمه وقدرته: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾. [يس : ٨٢].

وبأنه لا يلحقه تعب ولا إعياء؛ لكمال قوته : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾. [ق : ٣٨].

أي من تعب ولا إعياء.

ونؤمن بثبوت كل ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات.

لكننا نتبرأ من محظورين عظيمين، هما : **التمثيل**؛ أن يقول بقلبه أو لسانه : صفات الله تعالى كصفات المخلوقين. **والتكييف**؛ أن يقول بقلبه أو لسانه كيفية صفات الله تعالى كذا وكذا.

ونؤمن بانتفاء كل ما نفاه الله عن نفسه، أو نفاه عنه رسوله ﷺ، وأن ذلك النفي يتضمن إثباتاً لكمال ضده، ونسكت عما سكت الله عنه ورسوله.

ونرى أنّ السير على هذا الطريق فرض لابد منه؛ وذلك لأن ما أثبته الله لنفسه أو نفاه عنها سبحانه فهو خبر أخبر الله به عن نفسه، وهو سبحانه أعلم بنفسه وأصدق قيلاً، وأحسن حديثاً، والعباد لا يحيطون به علماً.

وما أثبته له رسوله أو نفاه عنه فهو خبر أخبر به عنه، وهو أعلم الناس بربه، وأنصح الخلق، وأصدقهم، وأفصحهم.

ففي كلام الله تعالى ورسوله ﷺ كمال العلم والصدق والبيان، فلا عذر في رده أو التردد في قبوله.

فصل

وكل ما ذكرناه من صفات الله تعالى تفصيلاً أو إجمالاً، إثباتاً أو نفياً، فإننا في ذلك على كتاب ربنا وسنة نبينا معتمدون، وعلى ما سار عليه سلف الأمة وأئمة الهدى من بعدهم سائرون...... إلى آخر ما ذكره رحمه الله تعالى من هذه العقيدة المباركة من بقية أمور الاعتقاد.

وإنني أقترح أن تشرح هذه العقيدة المباركة شرحاً موسعاً، وتُدَرَّس في حلق العلم لطلاب العلم، وتدرس كذلك في المعاهد والكليات والجامعات، كما تدرس الواسطية والطحاوية.

ونقول كما قال الإمام مالك رحمه الله تعالى لما ألف الموطأ وقيل له في ذلك، فقال : «ما كان لله أبقى». وقد كان ما تفرسه رحمه الله تعالى. وقد كتب الشيخ هذه العقيدة المباركة، وكذا كتابه الفذّ : (القواعد المثلى) في حدود سنة ١٤٠٤هـ - ١٤٠٥هـ، بعدما تكلم بعض الناس على ما ذكره في أحد المجالس من تقرير أن معية الله معية حقيقية ذاتية تليق به، فرموه بما لم يقله، وتوهموا ما لم يرده، فكان من حكمة الشيخ وتواضعه للحق أن ترك هذه الكلمة (ذاتية) لدرء هذه الفتنة.

وأنقل للقارئ هنا ما كتبه الشيخ وسجَّله بقلمه حول هذا الموضوع حيث قال في كتابه : «القواعد المثلى».[1]

تنبيه ثالث

اعلم أيها القارئ الكريم أنه صدر مني كتابة لبعض الطلبة تتضمن ما قلته في بعض المجالس في معية الله تعالى لخلقه، ذكرت فيها :

أن عقيدتنا لله تعالى معية حقيقية ذاتية تليق به، وتقتضي إحاطته بكل شيء، علماً وقدرةً وسمعاً وبصراً وسلطاناً وتدبيراً، وأنه سبحانه منــزه أن يكون مختلطاً بالخلق، أو حالاً في أمكنتهم، بل هو العلي بذاته وصفاته.

وعلوه من صفاته الذاتية التي لا ينفك عنها.

وأنه مستوٍ على عرشه كما يليق بجلاله.

وأن ذلك لا ينافي معيَّته؛ لأنه تعالى ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾.

وأردت بقولي (ذاتية) توكيد حقيقة معيته تبارك وتعالى.

---

(١) ص ٦٣، ط دار عالم الكتب، سنة ١٤٠٨هـ.

وما أردت أنه مع خلقه سبحانه في الأرض، كيف ! وقد قلت في نفس هذه الكتابة – كما ترى – إنه سبحانه منـــزه أن يكون مختلطاً بالخلق، أوحالاً في أمكنتهم، وأنه العليُّ بذاته وصفاته، وأن علوه من صفاته (الذاتية) التي لا ينفك عنها.

وقلت فيها أيضاً ما نصه بالحرف الواحد : «ونرى أن من زعم أن الله بذاته في كل مكان، فهو كافر أو ضال إن اعتقده، وكاذب إن نسبه إلى غيره من سلف الأمة أو أئمتها» أ هـ.

ولا يمكن لعاقل عرف الله وقدَّره حق قدره أن يقول إن الله مع خلقه في الأرض. وما زلت ولا أزال أنكر هذا القول في كل مجلس من مجالس جرى فيه ذكره. وأسأل الله تعالى أن يثبتني وإخواني المسلمين بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

هذا وقد كتبت بعد ذلك مقالاً نشر في مجلة الدعوة، التي تصدر في الرياض، نشر يوم الاثنين الرابع من شهر محرم سنة ١٤٠٤هـ برقم ٩١١، قررتُ فيه ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى من أن معية الله لخلقه حق على حقيقتها، وأن ذلك لا يقتضي الحلول والاختلاط بالخلق؛ فضلاً عن أن يستلزمه، ورأيت من الواجب استبعاد كلمة (ذاتية)، وبينت أوجه الجمع بين علو الله تعالى، وحقيقة المعية.

واعلم أن كل كلمة تستلزم كون الله تعالى في الأرض، أو اختلاطه بمخلوقاته، أو نفي علوه، أو نفي استوائه على عرشه، أو غير ذلك.

مما لا يليق به تعالى، فإنها كلمة باطلة يجب إنكارها على قائلها كائناً من كان، وبأي لفظ كانت.

وكل كـــلام يوهم – ولو عند بعض الناس – مالا يليق بالله تعالى فإن الواجب تجنبه لئلاً يظن بالله تعالى ظن السوء.

لكن ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ؛ فالواجب إثباته وبيان بطلان وهم من توهم فيه ما لا يليق بالله عز وجل. أ هـ.[(١)]

وقد ذكر الشيخ في آخر الكتاب نص المقال المنشور في مجلة الدعوة السعودية بتاريخ ١٤٠٤/١/٤هـ، وعليه تحرير الشيخ له بتاريخ ١٤٠٣/١١/٢٧هـ.

وقد نبه الشيخ في آخر كتابه على المسألة العظيمة التي يحتاج التذكير بها كل عالم، وكل طالب علم.

ألا وهي الرجوع إلى الحق متى تبين له، فقال :

«فعلى المؤمن أن يبني معتقده وعمله على كتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ فيجعلهما إماماً له، يستضيء بنورهما، ويسير على منهاجهما، فإن ذلك هو الصراط المستقيم الذي أمر الله به تعالى في قوله : **﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ﴾**. وليحذر ما يسلكه بعض الناس من كونه يبني معتقده أو عمله على مذهب معين؛ فإذا رأى نصوص الكتاب والسنة على خلافه حاول صرف هذه النصوص إلى ما يوافق ذلك المذهب على وجوه متعسفة، فيجعل الكتاب والسنة تابعين لا متبوعين، وما سواهما إماماً لا تابعاً.

وهذه طريق من طرق أصحاب الهوى، لا أتباع الهدى.

وقد ذمَّ الله هذه الطريق في قوله : **﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتْ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾**.

---

(١) من ص ٦٣، إلى ص ٦٤.

والناظر في مسالك الناس في هذا الباب يرى العجب والعجاب، ويعرف شدة افتقاره إلى اللجوء إلى ربه في سؤال الهداية والثبات على الحق، والاستعاذة من الضلال والانحراف.

ومن سأل الله تعالى بصدق وافتقار إليه عالماً بغنى ربه عنه، وافتقاره هو إلى ربه، فهو حري أن يستجيب الله تعالى له سؤله.

يقول الله تعالى : **﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾** أ هـ.

وهذا الكتاب أي القواعد المثلى أثنى عليه شيخ المترجم العلامة ابن باز، - رحم الله الجميع - ثناءً عاطراً؛ حيث قال :

«فقد اطلعت على المؤلف القيم الذي كتبه صاحب الفضيلة أخونا الشيخ محمد بن صالح العثيمين، وسمعته من أوله إلى آخره، فألفيته كتاباً جليلاً قد اشتمل على بيان عقيدة السلف الصالح في أسماء الله وصفاته، كما اشتمل على قواعد عظيمة، وفوائد جمة، في باب الأسماء والصفات.... إلى أن قال : فجزاه الله خيراً وضاعف مثوبته، وزادنا وإياه علماً وهدىً وتوفيقاً، ونفع بكتابه القراء وسائر المسلمين، إنه ولي ذلك والقادر عليه» أ هـ. أملاه في ٥/١١/ ١٤٠٤هـ

هذا وقد أطلت هنا لأمرين :

أولاً : التسجيل التاريخي لرجوع الشيخ وإثباته للصواب الذي لا إشكال فيه؛ حتى لا يأت متقول في زمن من الأزمان يفتري على الشيخ، وكم في التاريخ من عبرة وعظة.

ثانياً : لتذكرة أولي النهى من العلماء وطلاب العلم بأهمية التجرد من الهوى، ووجوب الرجوع إلى الحق مهما كان قدر القائل، أو قدر المقالة.

حتى إن الشيخ ابن باز وابن عثيمين قرظا كتاب الشيخ حمود التويجري رحمه الله تعالى في رده على المترجم.

وهذا أنموذج في التواضع والخلق الرفيع، ينبغي أن يقتدي به، ويحذو طلاب العلم حذوه. رحم الله الجميع وأسكنهم الفردوس الأعلى.

وهذه العقيدة التي أسلفنا نبذاً منها ظل الشيخ طيلة حياته يدعو إليها بلسانه وبنانه تأصيلاً وتفصيلاً من منبره ومن درسه، ومن خلال هاتفه، وفي الشارع والجامع، والمعهد والجامعة، في مجالسه الخاصة والعامة، ولا يكاد يجد فرصة سانحة إلا وينشر فيها هذه العقيدة الصافية النقية بأسلوبه السهل المتدرج الذي يجذب انتباه العامي، ويستفيد منه الطالب، مؤكداً على أهمية علم التوحيد وشرفه، واستمع إليه وهو يقول :

«أما بعد.. فإن علم التوحيد أشرف العلوم وأجلها قدراً، وأوجبها مطلباً، لأنه العلم بالله تعالى، وأسمائه، وصفاته، وحقوقه على عباده، ولأنه مفتاح الطريق إلى الله تعالى وأساس شرائعه، ولذا أجمعت الرسل على الدعوة إليه، قال تعالى : ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِن رسُولٍ إلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إلاَّ أَنَا فَاعبُدُون**﴾. وشهد لنفسه تعالى بالوحدانية، وشهد بها له ملائكته، وأهل العلم، قال الله تعالى : ﴿**شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إلاَّ هُوَ والمَلاَئكَةُ وَأُولُوا العِلْمِ قَائماً بالقِسْطِ لاَ إِلَهَ إلاَّ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ**﴾.

ولما كان هذا شأن التوحيد كان لزاماً على كل مسلم أن يعتني به تعلماً وتعليماً، وتدبراً واعتقاداً، ليبني دينه على أساس سليم واطمئنان وتسليم، يسعد بثمراته ونتائجه. أ هـ.

وقد لهج الشيخ ببيان أهداف العقيدة الإسلامية على الفرد والمجتمع، بما يحقق السعادة للتمسك بها في الدَّارَين، فقال رحمه الله تعالى :

أهداف العقيدة الإسلامية :

مقاصدها وغايتها النبيلة المترتبة على التمسك بها، وهي كثيرة متنوعة، فمنها :

أولاً : إخلاص النية والعبادة لله تعالى وحده؛ لأنه الخالق لا شريك له، فوجب أن يكون القصد والعبادة له وحده.

ثانياً : تحرير العقل والفكر من التخبط الفوضوي الناشئ عن خلو القلب من هذه العقيدة؛ لأن من خلا قلبه منها فهو إما فارغ القلب من كل عقيدة، وعابد للمادة الحسية فقط، وإما متخبط في ضلالات العقائد والخرافات.

ثالثاً : الراحة النفسية والفكرية، فلا قلق في النفس ولا اضطراب في الفكر، لأن هذه العقيدة تصل المؤمن بخالقه، فيرضى به ربّاً مدبراً، وحاكماً مشرعاً، فيطمئن قلبه بقدَره، وينشرح صدره للإسلام، فلا يبغي عنه بديلاً.

رابعاً : سلامة القصد والعمل من الانحراف في عبادة الله تعالى، أو معاملة المخلوقين؛ لأن من أسسها الإيمان بالرسل المتضمن لإتباع طريقتهم ذات السلامة في القصد والعمل.

خامساً : الحزم والجد في الأمور، بحيث لا يفوت فرصة للعمل الصالح إلا استغلها فيه رجاء للثواب، ولا يرى موقع إثم إلاّ ابتعد عنه خوفاً من العقاب؛ لأن من أسسه الإيمان بالبعث والجزاء على الأعمال ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾، وقد حث النبي ﷺ على هذه الغاية في قوله : «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف**... » الحديث.

سادساً : تكوين أمة قوية تبذل كل غالٍ ورخيص في تثبيت وتوطيد دعائمه غير مبالية بما يصيبها في سبيل ذلك، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ**

آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾.

سابعاً : الوصول إلى سعادة الدنيا والآخرة بإصلاح الأفراد والجماعات ونيل الثواب والمكرمات، وفي ذلك يقول الله تعالى : **﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.**

هـــذه بعض أهداف العقيدة الإسلامية، نرجو الله تعالى أن يحققها لنا، ولجميع المسلمين».[1]

وعن أثر العقيدة الصحيحة على صلاح الأمة، يقول رحمه الله تعالى :

«وهذه الثمرات التي ذكرناها لهذه الأسس وما لم نذكره تجعل من الأمة أمة إسلامية طاهرة نقية تدين لله دين الحق، وتعامل الخلق بالعدل والصدق، لأن ما سواها من شرائع الإسلام يصلح بصلاح هذه الأسس، وتصلح أحوال الأمة بصلاح أمر دينها، ويفوتها من صلاح أحوالها بقدر ما فاتها من صلاح أمور دينها. أ هـ.».[2]

وهذه الثمرات العقدية التي أشار إليها الشيخ رحمه الله قد ساهم في بيانها والتنبيه عليها في عدد من كتبه؛ ليقربها لطلاب العلم والعمل، وقد أكثر من ذكرها في شرحه على العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، بما لم أجده له في مكان آخر من شروحه المطولة أو المختصرة، فلا تكاد تجد آية أو آيات أو حديثاً أو أكثر إلا ويتبعه بقوله الفائدة المسلكية من هذه الآية أو هذا الحديث.

وهذه طريقة بديعة جداً في التعليم والتربية، لم أجدها بهذه الكثرة لغيره.

---

(١) نبذة في العقيدة الإسلامية ص ٤٣ ط: مكتبة المعارف – الطبعة الثانية – سنة ١٤٠٤هـ.

(٢) نبذة في العقيدة الإسلامية، ص ١٠.

ويا حبذا لو تكون درباً يسلكه أهل العلم في كتاباتهم، ودروسهم وحلقاتهم، إذاً لكان فيه فائدة عظيمة نحو تربية أجيال على ضوء الآثار العظيمة للكتاب والسنة.

وسأذكر من شرحه على الواسطية مثالاً واحدً لفائدة مسلكية فيها سعادة العبد في الدراين.

يقول رحمه الله تعالى في مسألة الرؤية :

«أما في مسألة الرؤية؛ فما أعظم أثرها على الاتجاه المسلكي؛ لأن الإنسان إذا وجد أن غاية ما يصل إليه من الثواب هو النظر إلى وجه الله تعالى كانت الدنيا كلها رخيصة عنده؛ وكل شيء يرخص عنده في جانب الوصول إلى رؤية الله عز وجل؛ لأنها غاية كل طالب ومنتهى المطالب.

فإذا علمت أنَّكَ سوف ترى ربك عياناً بالبصر؛ فوالله لا تساوي الدنيا عندك شيئاً، فكل الدنيا ليست بشيء؛ لأن النظر إلى وجه الله تعالى هو الثمرة التي يتسابق فيها المتسابقون، ويسعى إليها الساعون، وهي غاية المرام مِنْ كل شيء...».[(١)]

وهذه العقيدة التي عقد عليها قلبه قد بذل الشيخ في تقريرها غاية وسعه، ولا أدل على ذلك من أن تنظر إلى كتب العقيدة التي اقترن اسمه بها شرحاً أو تعليقاً أو اختصاراً أو تقريباً، وسأسرد هنا ما علمته من ذلك :

١- كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب (شرح).

٢- العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية (شرح مطول) و(تعليق مختصر).

٣- الفتوى الحموية الكبرى لابن تيمية (اختصار) وهو أول مؤلف للشيخ كتبه سنة ١٣٨٠هـ.

---

(١) شرح العقيدة الواسطية (١/٤٥٨-٤٥٩)، ط : دار ابن الجوزي - ط : ٣.

٤- الرسالة التدمرية لابن تيمية (تقريب).

٥- لمعة الاعتقاد لابن قدامة (شرح وتعليق).

٦- الأصول الثلاثة للشيخ محمد بن عبد الوهاب (شرح).

٧- الأصول الستة للشيخ محمد بن عبد الوهاب (شرح).

٨- نبذة في العقيدة الإسلامية (تأليف).

٩- عقيدة أهل السنة والجماعة (تأليف).

١٠- القواعد المثلى (تأليف).

١١- العقيدة السفارينية (شرح مسجل).

١٢- النونية لابن القيم (شرح مسجل).

١٣- الميمية لابن القيم (شرح مسجل).

١٤- اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية (تعليق مسجل)و(انتقاء).

١٥- القضاء والقدر (تأليف).

١٦- كتاب التوحيد من صحيح البخاري (شرح مختصر مكتوب على الآلة).

١٧- تفسير آية الكرسي.

١٨- الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع (تأليف لطيف).

١٩- العقيدة الطحاوية (شرح لطلاب الجامعة).

٢٠- كشف الشبهات (شرح).

٢١- شرح أصول الإيمان.

٢٢- فتاوى العقيدة التي جمعها غير واحد، منهم الشيخ فهد السليمان. وغير ذلك من الفتاوى العقدية في الإذاعة والحرم، وغيرها..

وهذه الشروح والتآليف منها ما هو رسالة لطيفة، ومنها ما هو عدة مجلدات.

وبنظرة أخرى إلى الأشرطة المسموعة التي شرح الشيخ فيها كتب العقيدة يتبين لك الزمن الطويل الذي استغرقه الشيخ في خدمة هذه العقيدة المباركة بحسب الجدول الوارد في تسجيلات مؤسسة الاستقامة الإسلامية بعنيزة.

١- الفتوى الحموية الكبرى سنة ١٤٠٥هـ.

٢- كتاب التوحيد سنة ١٤٠٧هـ.

٣- القواعد المثلى سنة ١٤٠٧هـ.

٤- الرسالة التدمرية سنة ١٤٠٧هـ.

٥- العقيدة الواسطية سنة ١٤٠٨هـ / و١٤١٩هـ.

٦- السفارينية سنة ١٤٠٨هـ.

٧- الميمية سنة ١٤٠٨هـ.

٨- النونية سنة ١٤١٢هـ.

٩- عقيدة أهل السنة والجماعة سنة ١٤١٧هـ.

١٠-اقتضاء الصراط المستقيم سنة ١٤١٧هـ.

١١-توحيد الأنبياء والمرسلين سنة ١٤١٩هـ.

١٢-كتاب التوحيد والرد على الجهمية من صحيح البخاري سنة ١٤١٥هـ.

ولا شك أن القدر الذي شرحه الشيخ أكثر بكثير من الذي قامت مؤسسة الاستقامة بتسجيله حيث كان الطلاب يسجلون - قبل ذلك - بطريقة اجتهادية، كل يسجل لنفسه، وقد يحتفظ بها ولا ينشرها عبر مؤسسة معينة.

ومن أوضح الأدلة على ذلك أن أول كتاب قرأته على شيخي رحمه الله تعالى هو فتح رب البرية بتلخيص الحموية، وكان في حدود سنة ١٤٠٤هـ، وكذا سمعت منه الواسطية في حدود هذا التاريخ القديم نسبياً، ولعل من يلتمس هذا يجده. والله الموفق.

تعليق على طريقة الشيخ في اختصار الكتب وتقريبها :

الذي يظهر من اختصارات الشيخ أو تلخيصاته أن له طريقة متميزة في ذلك.

فحين يظن القارئ أنه سيجد تلخيصاً لكلام المؤلف يجمع له شتات عدة عناصر، أو يقرب عدة أبحاث في عبارات موجزة مختصرة؛ يجد في تقريب الشيخ أو تلخيصه أمراً آخراً، فهو أقرب لشرح الحموية وترتيبها من كونه تلخيصاً.

ويكفي لبيان هذا أن الحموية الأصل فتوى وقعت في حوالي ثمانين صفحة تقريباً.

والناظر في تلخيص الشيخ يلاحظ فيه الآتي :

- أن هذه الفتوى مع صغر حجمها قسمت في التلخيص إلى ستة وعشرين باباً يتضمن بعضها عدة فصول.

- أن الشيخ في التلخيص صَدَّرها بتعريف عدد من المصطلحات التي ستكثر الحاجة إليها كالتكييف والتمثيل والتحريف والتشبيه في اللغة والاصطلاح بما لا يوجد في الأصل.

- حذف الشيخ في التلخيص كثيراً من النقول التي ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية في آخر رسالته للاستشهاد بها على صحة ما ذهب إليه في إثبات الصفات وخاصة في العلو.

- رد الشيخ على كثير من شبهات النفاة المعطلة في عدد من الصفات بطريقة تفصيلية تأصيلية مقسمة إلى عناصر وأوجه.

– نقل الشيخ إلى التلخيص عدداً من النقول عن شيخ الإسلام في بعض كتبه مستشهداً بها على ما يريد، وهاك أمثلة على ذلك :

١– نَقْلُه من كتاب : (الرد على المنطقيين) ص ١١٠.

٢– نَقْلُه من كتاب العقل والنقل في ص ١٠٣.

٣– نَقْلُه أيضاً من الكتاب نفسه قاعدة عند التعارض ص ٧٧.

٤– نَقْلُه عن المؤلف من الرسالة العرشية ص ٧٤.

٥– نقله عن ابن كثير ص ٧٤.

كما زين الشيخ تلخيصه ببعض الشواهد الشعرية بعضها متقدم قائله عن شيخ الإسلام، وبعضه متأخر أو معاصر كما في نقله من النونية لابن القيم رحمه الله تعالى ص ٩٠ قصة قتل خالد القسري للجعد بن درهم.

كل ما ذكرت هنا وغيره يؤيد أن تلخيص الشيخ للحموية إنما هو شرح لها، وليس المراد منه التلخيص الذي هو الاختصار كما أسلفت.

ويقال في التدمرية ما قيل هنا.

وإنما أسهبت في هذا الموضوع؛ لأن هذا قد يكون لبنة لدراسة منهج الشيخ ابن عثيمين العلمي في الكتابة، والتأليف، ومن ذلك الاختصار والتلخيص، ولعله يأتي مستقبلاً مَنْ يقوم بهذا العمل. والله الموفق.

منهج الشيخ في تقرير العقيدة ونشرها وتعليمها :

قد كان للشيخ رحمه الله تعالى منهج متميز في عقيدته علماً وعملاً، دراسة وتدريساً.

فقد اتخذ نصوص الوحي وجهته، وجعل سبيل السلف الصالح دربه ومسلكه.

فينظر ما جاء به النص أو الإجماع؛ فلا يحيد عنه مهما كلفه من تشنيع لمشنعين، أو توهين المعاندين، ولا يزال يلهج بهذا المنهج دوماً.

واستمع إليه وهو يقول :

«ونرى وجوب إجراء نصوص الكتاب والسنة في ذلك على ظاهرها، وحملها على حقيقتها اللائقة بالله عز وجل، ونتبرأ من طريق المحرفين لها، والذين صرفوها إلى غير ما أراد الله بها ورسوله ﷺ.

ومن طريق المعطلين لها الذين عطلوها عن مدلولها الذي أراده الله ورسوله ﷺ.

ومن طريق الغالين فيها الذين حملوها على التمثيل أو تكلفوا لمدلولها التكييف.

ونعلم علم اليقين أنّ ما جاء في كتاب الله تعالى أو سنة نبيه ﷺ؛ فهو حق لا يناقض بعضه بعضاً؛ لقوله تعالى : **﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلاَفاً كَثِيراً﴾**. [النساء : ٨٢] ».[1]

واقرأ هذه الرسالة التي أرسلها إلى أحد المشايخ الفضلاء حول الحديث القدسي **«من تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً، ومن تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة»** ويقرر الشيخ في الرسالة إثبات صفة الهرولة على الوجه اللائق بالله تعالى.

يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى : «فيا محب تعلم أن هذا الحديث أخبر الله تعالى به عن نفسه ونقله عنه أمينه على وحيه ورسوله إلى عباده ومبلغ رسالته على الوجه الأتم، ونقله عن هذا الرسول أمناء أمته من الصحابة، والتابعين وأئمة الأمة من أهل الحديث والفقه، وتلقته الأمة بالقبول.

(١) عقيدة أهل السنة والجماعة ص ١٨-١٩. ط : دار الإفتاء ١٤٢١هـ.

وتعلم يا محب : أن الله تبارك وتعالى أعلم بنفسه وبغيره ﴿**واللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**﴾، ﴿**قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ الله**﴾.

وتعلم يا محب أن الله تعالى لم يطلع خلقه على ما علمه إياهم من أسمائه وصفاته، وأفعاله وأحكامه إلا ليبين لهم الحق حتى لا يضلوا ﴿**يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾.

وتعلم يا محب :

أنه لا أحد أحسن من الله حديثاً، ولا أصدق منه قيلاً، وأن كلامه – جل وعلا – في أعلى غاية الفصاحة والبيان، وقد قال سبحانه عن نفسه : «**من أتاني يمشي أتيته هرولة**».

فلا تستوحش يا أخي من شيء أثبته الله – تعالى – لنفسه بعد أن علمت ما سبق، واعلم أنك إذا نفيت أن الله تعالى يأتي هرولة، فسيكون مضمون هذا النفي صحة أن يقال : إن الله لا يأتي هرولة. وفي هذا ما فيه.......

ثم يقول : «وأي مانع يمنع من أن نؤمن بأن الله تعالى يأتي هرولة، وقد أخبر الله تعالى به عن نفسه، وهو سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء، وليس كمثله شيء وهو السميع البصير. وليس في إتيان الله تعالى هرولة على الوجه اللائق به بدون تكييف ولا تمثيل شيء من النقص، حتى يقال : إنه ليس ظاهر الكلام، بل هو فعل من أفعاله يفعله كيف يشاء...».

ثم يقـــول :

«وإن الإنسان ليجد في نفسه الخوف من أن يلقى الله عز وجل وهو يقول : (إن الله تعالى لا يأتي هرولة) بعد أن أثبت الله ذلك لنفسه، وسبحان مَن قال عن نفسه : ﴿**وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ**﴾.

ولقد تأملت هذه المسألة، وكلما هممت أن أقول بما ذهب إليه بعض الناس في هذا الحديث، وجدتني خائفاً من أن أقول في كلام الله عز وجل - ما لا أعلم - وأن بقائي على ما يدل عليه ظاهر الحديث مع تنـزيه الله عز وجل عما لا يليق به من مماثلة الخلق، ومع الكف عن تكييف صفاته، أسلم في عقيدتي، وأبعد لي عن التكلف، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها..» أهـ.(١)

طريقته في الاستدلال :

أما طريقة الشيخ في الاستدلال لهذه العقيدة؛ فقد كان يستدل على ذلك بالفطرة والعقل الصريح، والنقل الصحيح والحسن، والإجماع، بحسب ما يقتضيه المقام.

وقد كان يحرص كثيراً على تنويع الأدلة، ويقول : إن كثرة الأدلة وتنوعها مهم جداً لطالب العلم.

قال رحمه الله تعالى في الاستدلال على وجود الرب تعالى وتقدس :

«قد دل على وجوده تعالى الفطرة والعقل والشرع والحس».(٢)

وأخذ يفصل في كل واحدة. وقال أيضاً : «وأما علو الذات فمعناه : أن الله بذاته فوق جميع خلقه، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة..»، ثم قال: «فهذه الأدلة الخمسة كلها تطابقت على إثبات علو الله بذاته فوق خلقه..».(٣)

---

(١) مجمـوع فتاوى ورسـائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، لفهـد السليمـان (١٨٣/١- ١٨٨).

(٢) نبذة في العقيدة الإسلامية ص ١١.

(٣) فتح رب البرية بتلخيص الحموية ص ٦٥-٦٦.

ومثل هذا قاله في شرح الواسطية.[١]

وكان رحمه الله تعالى لا يغفل أقوال أهل العلم في فهم الدليل، ودائماً يقول : «أهل العلم يُستَدلُّ لهم ولا يُستَدل بهم». ولكن يوردها مسترشداً بها في فهم الدليل.

مثل قوله رحمه الله تعالى :

«والحاصل أن الجاهل معذور بما يقوله أو يفعله مما يكون كفراً، كما يكون معذوراً بما يقوله أو يفعله مما يكون فسقاً، وذلك بالأدلة من الكتاب والسنة، والاعتبار، وأقوال أهل العلم».[٢] وأيضاً يعْتَبِر الشيخ بمقتضى حكمة الرب تعالى.

قال رحمه الله تعالى :

«وإذا كان هذا مقتضى نصوص الكتاب والسنة وكلام أهل العلم؛ فهو مقتضى حكمة الله تعالى، ولطفه، ورأفته، فلن يعذب أحداً حتى يعذر إليه...».[٣]

طول نفس الشيخ في ردوده :

وكما كان الشيخ رحمه الله تعالى قوياً في الاستدلال لعقيدة أهل السنة بكافة أنواع الاستدلال.

فإننا نجده كذلك يرد على أهل الزيغ والانحراف بمنتهى القوة فينوع الأدلة، ويفصل في الرد، ويطيل النفس جداً في ذلك؛ فيورد الشبهة ويفصلها ثم يرد عليها من عدة أوجه، ثم يورد اعتراض الخصم فيقول (فإن قيل كذا) فالجواب كذا.

---

(١) شرح الواسطية (١٧٨/١).

(٢) شرح كشف الشبهات ص ٤٦، ط : دار الثريا ١٤١٦هـ.

(٣) المصدر السابق ص ٤١.

ومن أوضح الأمثلة على ذلك كتابه «**تقريب التدمرية**» حيث عقد فصلاً في القسم الثاني من المعطلة، وقسمهم إلى أربع طوائف.

الطائفة الأولى : الأشاعرة والماتوريدية ممن أثبت بعضاً ونفى البعض، فرد عليهم من خمسة أوجه.

ثم قال : فإن قالوا ما أثبتناه؛ فقد دل العقل على ثبوته فلزم إثباته.

قلنا عن هذا ثلاثة أجوبة.. وذكرها.

ثم ذكر **الطائفة الثانية** : وهم المعتزلة، وذكر شبهتهم ثم رد عليهم من تسعة أوجه.

ثم ذكر **الطائفة الثالثة** : وهم غلاة الجهمية، والقرامطة، والباطنية؛ ممن لا يصفون الله إلا بالنفي المجرد عن الإثبات.

ورد عليهم من سبعة أوجه.

ثم ذكر **الطائفة الرابعة** : وهم غلاة الغلاة من الفلاسفة، والجهمية، والقرامطة، والباطنية، وغيرهم..

ورد عليهم من ثلاثة أوجه، ثم أورد لهم شبهة ورد عليهم من أربعة أوجه.

وفي رده على المحتجين بالقدر على مخالفة الشرع.

قال رحمه الله تعالى :

«فإن قال قائل: أفلا يصح على هذا التقرير أن يحتج بالقدر من خالف الشرع؟

فالجواب : أن الاحتجاج بالقدر على مخالفة الشرع لا يصح كما دل على ذلك الكتاب والسنة والنظر..».

فذكر دليلين من القرآن وآخر من السنة وثلاثة أدلة من النظر الصحيح.

ثم أورد شبهة لهم وأجاب عنها، ثم أورد شبهة أخرى، ورد عليها من وجهين.

وفي شرحه للواسطية[1] ناقش المؤولين للاستواء على العرش بأنه الاستيلاء فذكر شبههم على هذا التحريف، ورد عليهم من أربعة أوجه، ألزمهم في الوجه الثالث بثلاثة لوازم باطلة على قولهم هذا، وفي الوجه الرابع أجاب بأربعة أوجه استرسل في الوجه الرابع في ذكر سؤال يوجهه إليهم، ثم يجيب عنه بالتفصيل في مجمل كلامهم وإطلاقهم لفظ الجسم والحيز مما لم يرد في الشرع نفيه ولا إثباته.

ثم بعدما انتهى يلخص مجمل رده عليهم - رحمه الله تعالى وغفر له -.

فهو بهذه الطريقة المتينة يستدل بالأدلة العقلية والنقلية، ويتدرج مع المخالف في استعراض شبهته، والجواب عنها بما لا يدع بعد ذلك لقائل مقالاً، ولا لصاحب شبهة مجالاً، إلا أن يسلم ويستسلم.

وهذه طريقة مفيدة جداً لطالب العلم في مناقشة الشبه والجواب عنها.

وقد عُرف الشيخ بها في دروسه وكلماته، وقد سلكها قبله شيخه ابن سعدي فيما ذكرنا من طريقته مع طلابه، وكذا في بعض كتاباته، كما مضى في أوّل الترجمة - رحمه الله تعالى -.

موقف الشيخ من القضايا العقدية المعاصرة، وكيف واجهها.

لم يأل ابن عثيمين جهداً في مواجهة المخالفات العقدية المعاصرة على اختلاف أنواعها، سواء كانت من ميراث الفرق والمذاهب السالفة، أو من نتاج الحاضر، فكان بالمرصاد لكل دعوة دخيلة على العقيدة السلفية الخالصة، ردّاً لها وتفنيداً لشبهاتها وشبهات أصحابها، واستدلالاً على الحق بالكتاب والسنة والإجماع ونحوها..

(١) شرح الواسطية (١/٣٧٥-٣٨١).

وقد بين الشيخ موقفه من الخلاف في المسائل العقدية.

فقال رحمه الله تعالى :

«وأما ما لا يسوغ فيه الخلاف فهو ما كان مخالفاً لما كان عليه الصحابة والتابعون، كمسائل العقائد التي ضل فيها من ضل من الناس، ولم يحصل فيها الخلاف إلا بعد القرون المفضلة - أي لم ينتشر الخلاف إلا بعد القرون المفضلة - وإن كان بعض الخلاف فيها موجوداً في عهد الصحابة؛ ولكن ليعلم إننا إذا قلنا قرن الصحابة، ليس المعنى أنه لابد أن يموت كل الصحابة، بل القرن ما وجد فيه معظم أهله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : (إنَّ القرن يحكم بانقضائه إذا انقرض أكثر أهله).

فالقرون المفضلة انقرضتْ ولم يوجد فيها هذا الخلاف الذي انتشر بعدهم في العقائد، فمن خالف ما كان عليه الصحابة والتابعون فإنه يُرد عليه، ولا يقبل خلافه».[1]

وقال أيضاً :

«وأما الخطأ في العقيدة؛ فإن كان خطأ مخالفاً لطريق السلف فهو ضلال بلا شك، ولكن لا يحكم على صاحبه بالضلال حتى تقوم عليه الحجة، فإذا قامت عليه الحجة؛ وأصر على خطئه وضلاله كان مبتدعاً، كان مبتدعاً فيما خالف فيه الحق، وإن كان سلفياً فيما سواه، فلا يوصف بأنه مبتدع على وجه الإطلاق، ولا بأنه سلفي على وجه الإطلاق، بل يوصف بأنه سلفي فيما وافق السلف، مبتدع فيما خالفهم، كما قال أهل السنة في الفاسق إنه مؤمن بما معه من الإيمان، فاسق بما معه من العصيان، فلا يُعطى الوصف المطلق، ولا يُنفى عنه مطلق الوصف، وهذا هو

(١) شرح الأصول الستة ص ١٥٦، مع شرح كشف الشبهات، ط : دار الثريا، ط : ٢.

العدل الذي أمر الله به، إلاّ أن يصل المبتدع إلى حد يخرجه من الملة فإنه لا كرامة له في هذه الحال». [1]

وسأذكر صوراً من منافحات الشيخ عن العقيدة، سواء كان ذلك في مسائل كلية أو جزئية :

١- رده على شبهات المؤولة المعاصرين كالأشاعرة ونحوهم..

فقد امتلأت رسائل الشيخ ودروسه بالرد عليهم، والجواب عن شبههم إجمالاً وتفصيلاً.

ومن أجمل ما كتب الشيخ في ذلك الجواب التفصيلي عن عدد من الشبه التي أوردوها على أهل السنة، وادعوا أن أهل السنة قد أولوها، فألزموهم بطرد التأويل في غيرها.

وقد انبرى الشيخ في ذكر شبههم إجمالاً وتفصيلاً.

فقال رحمه الله تعالى في كتابه «**القواعد المثلى**» بعد ذكر الشبهة السابقة: ونحن نجيب بعون الله تعالى عن هذه الشبهة بجوابين: مجمل ومفصل.

وذكر الجواب المجمل، ثم ذكر المفصل، وأورد فيه خمسة عشر مثالاً مما ادعوا فيه التأويل، وأجاب عن كل واحد جواباً علمياً مفصلاً جمع فيه بين علم العقيدة والحديث واللغة والأصول، وجمّله بنقول رائعة عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

ثم ختم ذلك بخاتمة مهمة في الجواب عمن يدعي أن نسبة الأشاعرة في هذا العصر حوالي ٩٥٪ من المسلمين، يعني أنهم أغلبية، فكيف نضللهم فيما ذهبوا إليه؟ ونخرجهم فيما خالفوا فيه من مسمى أهل السنة ؟.

---

(١) كتاب العلم ص ١٩٩ - ٢٠٠، ط : دار الثريا.

فأجاب عَنْ هذه الشبهة بجواب جاء فيه :

١- إننا لا نسلم أن تكون نسبة الأشاعرة بهذا القدر بالنسبة لسائر فرق المسلمين، فإن هذه دعوى تحتاج إلى إثبات عن طريق الإحصاء الدقيق.

٢- ثم إننا لو سلمنا أنهم بهذا القدر، أو أكثر فإنه لا يقتضي عصمتهم من الخطأ لأن العصمة في إجماع المسلمين لا في الأكثر.

٣- ثم إن إجماع المسلمين قديماً ثابت على خلاف ما كان عليه أهل التأويل... إلخ» أ هـ.[1]

٢- تفصيله في مسالة التكفير وخاصة تكفير الحكام.

فقد بين الشيخ خطورة الكلام في هذه المسألة خاصة ممن لا علم عنده، أو ممن يجري وراء العواطف والحماس المتوقد، وحذّر أشد التحذير من الولوج في هذه الباب بغير علم وبصيرة، فقال رحمه الله تعالى :

«وهذه المسألة أعني مسألة الحكم بغير ما أنزل الله من المسائل الكبرى التي ابتلي بها حكام هذا الزمان، فعلى المرء أن لا يتسرع في الحكم عليهم بما لا يستحقونه؛ حتى يتبين له الحق؛ لأن المسألة خطيرة، نسأل الله تعالى أَنْ يُصْلِحَ للمسلمين ولاة أمورهم وبطانتهم، كما أن على المرء الذي آتاه الله العلم أن يبينه لهؤلاء الحكام، لتقوم الحجة عليهم، وتبين المحجة، فيهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة، ولا يحقرن نفسه عن بيانه، ولا يهَابنّ أحداً فيه فإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين. والله ولي التوفيق».[2]

---

(١) انظر: مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين لفهد السليمان (٣/٣٣٥) ط:٢.

(٢) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين، لفهد السليمان (٢/١٤٧).

ولما ذكر الشيخ الأصل الثالث من الأصول الستة التي ذكرها الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى، وهو السمع والطاعة لمن تأمر علينا، ولو كان عبداً حبشياً، وأن هذا الأصل لا يعرف عند أكثر من يدعي العلم فكيف العمل به.

قال رحمه الله تعالى معلقاً :

«ولما أحدثت الأمة الإسلامية ما أحدثت، وفرقوا دينهم، وتمردوا على أئمتهم، وخرجوا عليهم، وكانوا شيعاً نزعت المهابة من قلوب أعدائهم وتنازعوا ففشلوا وذهبت ريحهم، وتداعت عليهم الأمم، وصاروا غثاءً كغثاء السيل.

وصار هذا الأصل لا يعرف عند أكثر من يدعي العلم، والغيرة على دين الله تعالى، وترك العمل به، ورأى كل فرد من أفراد الرعية نفسه أميراً أو بمنـزلة الأمير المنابذ للأمير.

فالواجب علينا جميعاً – رعاة ورعية – أن نقوم بما أوجب الله علينا من التحاب والتعاون على البر والتقوى، والاجتماع على المصالح لنكون من الفائزين..) ثم قال : (إنّ الكلمة إذا تفرقت، والرعية إذا تمردت، دخلت الأهواء والضغائن، وصار كل واحد يسعى لتنفيذ كلمته، وإن تبين أنّ الحق والعدل في خلافها، وخرجنا عن توجيهات الله تعالى حيث يقول: **﴿يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاته وَلاَ تَمُوتُنَّ إلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلمُونَ** (١٠٢) **وَاعْتَصمُوا بحَبْلِ الله جَميعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذكُرُوا نعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ إذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بنعْمَته إخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَة منَ النَّار فَأَنْقَذَكُمْ منْهَا كَذَلكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ ءايَته لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾**. [آل عمران: ١٠٢-١٠٣].

فإذا عرف كل واحد ماله وما عليه، وقام به على وفق الحكمة فإن الأمور العامة والخاصة تسير على أحسن نظام وأكمله».[١]

---

(١) شرح الأصول الستة ص ١٦٢، مع كشف الشبهات، ط : دار الثريا.

٣- رده على زنادقة الفلكيين.

وقال رحمه الله تعالى في تقرير أن السماوات أجرام محسوسة في خطبة له :

«وإنما قررنا هذا ونبهنا عليه لأنه يوجد من زنادقة الفلكيين وملحديهم من ينكر أن تكون السماوات أجراماً محسوسة، فيخشى أن يروج هذا الباطل على من لا علم له بالكتاب والسنة، وجميع الأقاويل التي يتكلم بها الفلكيون في هذه الأمور لا تعتقد حتى تُعْرَضَ على كتاب وسنة رسوله ﷺ؛ فإنْ وُجد فيها ما يدل عليها فهي مقبولة، وإنْ وُجد في الكتاب والسنة ما يكذبها فهي باطل مردودة، وإن كان الكتاب والسنة ليس فيهما ما يدل على تلك الأقاويل لا نفياً ولا إثباتاً وجب التوقف فيها حتى يقوم دليل علمي أو عقلي على صحتها...».[1]

وقال أيضاً في بيان جريان الشمس وسيرها :

«وهكذا تسير الشمسُ والقمرُ في فلكيهما بانتظام باهر وسير محكم، كل يجري إلى أجل مسمى إلى أن يأذن الله بخراب هذا العالم، فتخرج الشمس من مغربها؛ كما في صحيح البخاري عن أبي ذر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ حين غربت الشمس : «**أتدري أين تذهب؟**»، قلت : الله ورسوله أعلم، قال : «**فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن فيؤذن لها، وتوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، يقال لها : ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها**».

وفي هذا الحديث دليل ظاهر على أن الشمس تسير بنفسها، كما يدل على ذلك قوله تعالى : ﴿**وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا**﴾.

وقوله: ﴿**كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى**﴾.

---

(١) الضياء اللامع من الخطب الجوامع ص ٣٤.

وقوله : ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾.

وهذه الأدلة تكذب ما يقال من أن الشمس ثابتة ولا تدور، وتدل على أنه قول باطل يجب رده وتكذيبه» أ هـ.[1]

٤- رده على الروافض.

ومن ذلك ما ذكره في شرح الواسطية تقريراً لكلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في بيان عقيدة أهل السنة أنهم (يرون إقامة الحج والجهاد والجمع والأعياد مع الأمراء؛ أبراراً كانوا أم فجاراً).

قال رحمه الله تعالى: .. خلافاً للروافض الذين يقولون : إنه لا إمام إلا المعصوم، وإن الأمة الإسلامية منذ غاب من يزعمون أنه الإمام المنتظر، ليست على إمام، ولا تبعاً لإمام، بل هي تموت ميتة جاهلية من ذلك الوقت إلى اليوم، ويقولون : إنه لا إمام إلا الإمام المعصوم ولا حج ولا جهاد مع أي أمير كان؛ لأن الإمام لم يأت بعد.

لكن أهل السنة والجماعة يقولون : «نحن نرى إقامة الحج مع الأمراء سواء كانوا أبراراً أم فجاراً، وكذلك إقامة الجهاد مع الأمير، ولو كان فاسقاً، ويقيمون الجهاد مع أمير لا يصلي معهم الجماعة، بل يصلي في رحله، فأهل السنة لديهم بعد نظر؛لأن المخالفات في هذه الأمور معصية لله ورسوله، وتجر إلى فتن عظيمة، فما الذي فتح باب الفتن والقتال بين المسلمين، والاختلاف في الآراء إلا الخروج على الأئمة..».[2]

وقال أيضاً : (ومن قرأ التاريخ علم أن للرافضة يداً في سقوط بغداد وانتهاء الخلافة الإسلامية فيها؛ حيث سهلوا للتتار دخولها، وقَتَلَ التتار من العامة والعلماء

---

(١) الضياء اللامع ص ٣٢.

(٢) شرح الواسطية ٢/٣٣٨، ط : دار ابن الجوزي ط : ٣.

أمماً كثيرة، فقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب (منهاج السنة) أنهم هم الذين سَعَوا في مجيء التتر إلى بغداد دار الخلافة، حتى قتل الكفارُ - يعني التتر - من المسلمين مالا يحصيه إلا الله تعالى من بني هاشم وغيرهم، وقتلوا بجهاتِ بغداد ألف ألف وثمانمائة ألف ونيّفاً، وسبعين ألفاً، وقتلوا الخليفة العباسي، وسبوا النساء الهاشميات، وصبيان الهاشميين. أ هـ ٥٩٢/٤ - تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم.

ومن عقيدة الرافضة : («**التُّقْيَة**» وهي : أن يظهر خلاف ما يبطن، ولا شك أن هذا نوع من أنواع النفاق يغتر به من يغتر من الناس، والمنافقون أضر على الإسلام من ذوي الكفر الصريح...).[١] **وقال** :

(الروافض طائفة غلاة في علي بن أبي طالب وآل البيت وهم من أضلّ أهل البدع، وأشدّهم كرها للصحابة ﭬ). **وقال** :

(نحن نتبرأ من طريقة هؤلاء الروافض الذين يسبّون الصحابة ويبغضونهم، ونعتقد أن محبتهم فرض، وأن الكف عن مساوئهم فرض، وقلوبنا - ولله الحمد - مملوءة من محبتهم لما كانوا عليه من الإيمان، والتقوى، ونشر العلم، ونصرة النبي ﷺ).[٢]

٥- رده على المحتجين بالقدر على فعل المعصية.

قال رحمه الله تعالى :

«وهنا مسألة يحتج بها كثير من العصاة : إذا أنكرت عليه المنكر؛ قال : هذا هو ما قدره الله عليه؛ أتعترض على الله ؟ فيحتج بالقدر على معاصي الله، ويقول : أنا عبد مسير...» إلى آخر الشبهة.

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين لفهد السليمان (٥٦/٣-٥٧).

(٢) شرح الواسطية (٢٨٢/٢ - ٢٨٤).

وأجاب عنها بجواب طويلٍ جاء فيه: فنقول له: إن احتجاجك بالقدر على معاصي الله يبطله السمع والعقل والواقع...».[1]

إلى آخر ما قال رحمه الله تعالى...

٦- بيان الشيخ للكثير من الأخطاء التي تقع في كلام بعض الناس.

وله رحمه الله تعالى كتاب مخصص لهذا الموضوع.

ومن تلك الأخطاء :

- عبارة (لا حول الله) الواجب أن تعدل، فيقال: لاحول ولاقوة إلا بالله
- (لا سمح الله) تكره؛ لأنها توهم أن أحداً يجبر الله على فعل الشيء.
- (لا قَدّر الله) لا بأس بها إذا قصد بها الدعاء.

مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١٣٩/٣).

- وعبارة : (شاءت قدرة الله) لا تصح. المصدر السابق (١٣٢/٣).
- (فلان كان المثل الأعلى) وأنها لا تجوز على سبيل الإطلاق، فإذا قيدت فلا بأس.

المصدر السابق (١٣٢/٣).

- (فلان دفن في مثواه الأخير) وأنها حرام لا تجوز. المصدر السابق (١٣٣/٣).
- (إطلاق المسيحي على النصراني، والمسيحية على النصرانية) لا يجوز.

المصدر السابق (١٣٣/٣).

- (فلان المغفورله، أو المرحوم) فيه تفصيل : إذا قصد الخبر لا يجوز، وإذا قصد الدعاء فلا بأس. المصدر السابق (١٣٠/٣).

---

(١) شرح الواسطية (٢٢٥/٢-٢٢٨).

- إبطاله لعدد من الأيمان الحادثة، مثل : (والشرف، والذمة، حد الله بيني وبينك، أنا نصراني إن فعلت كذا). المصدر السابق (٢/٢١٩).
- بيانه لتحريم تهنئة الكفار بعيد الكريسمس. المصدر السابق (٣/٤٧).
- قول بعض الطبعيين: (المادة لا تفنى ولا تزول ولا تخلق من عدم) وأن هذا كفر لا يقوله مؤمن. المصدر السابق (٣/١٣٠).
- قول البعض (فال الله ولا فالك) قال : لا يجوز أن يقال فال الله، لأن هذا يوهم أن يكون الفال صفة لله، لكن إن أراد الفال الذي يجعله الله في (ولا فالك) فهذا لا بأس به، فالكلمة موهمة ينبغي تجنبها.

ألفاظ ومفاهيم في ميزان الشريعة (٢/٤١).

- قول البعض عند حصول شيء عظيم (يا وجه الله، يا دين الله) قال : لا يجوز.

المصدر السابق (٢/٣٩).

- قول البعض (يا رحمة الله، يا عزة الله) قال : الواجب أن يقول يارب العالمين، يا أرحم الراحمين، وما أشبه ذلك مما جاءت به السنة ولا يدعون الصفة، فالصفة لا تدعى، إنما الذي يُدعى هو الموصوف وهو الله تعالى.

المصدر السابق (٢/٣٤).

- قول البعض (العبد مسيَّر، ما هو مخيَّر) قال : هذا غير صحيح، بل الإنسان له إرادة واختيار يختار ما شاء. المصدر السابق (٢/٢٣).
- قول بعض الناس في وصف بعض الآيات (الإيقاع الموسيقي لهذه الآية) قال: لا يحل، الموسيقى من آلآت العزف، وهي حرام، ولا يوصف القرآن بوصف محرم.

المصدر السابق (٢/٤٤).

- دعاء البعض (اللهم لا نسألك رد القضاء، ولكن نسألك اللطف فيه) قال: هذا محرم لا يجوز؛ لأن الدعاء يرد القضاء، كما جاء في الحديث «**لا يرد القضاء إلا الدعاء**». المصدر السابق (٢/٤٥).
- قول (شاءت قدرة الله، أو شاء القدر) لا يصح، لأن القدر والقدرة أمران معنويان، ولا مشيئة لهما، وإنما المشيئة لمن هو قادر ومقدر.

المصدر السابق (٢/٤٨).

٧- بيان الحكم الشرعي لعدد من المكتشفات الحديثة، من ناحية تعلقها بالعقيدة الإسلامية.

من ذلك :

أ - علم الأطباء الآن بذكورة الجنين وأنوثته، هل هذا يخالف ما جاء في قوله تعالى:

﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ﴾ [لقمان : ٣٤].

فأجاب رحمه الله تعالى بجواب جاء فيه :

«إذا تبين ذلك فقد قيل : إنهم الآن توصلوا بواسطة الآلآت الدقيقة للكشف عما في الأرحام، والعلم بكونه أنثى أو ذكراً، فإن كان ما قيل باطلاً فلا كلام، وإن كان صدقاً فإنه لا يعارض الآية؛ حيث إن الآية تدل على أمر غيبي، وهو متعلق علم الله تعالى في هذه الأمور الخمسة، والأمور الغيبية في حال الجنسين، هي : مقدار مدته في بطن أمه، وحياته وعمله، ورزقه، وشقاوته أوسعادته، وكونه ذكراً أم أنثى، قبل أن يخلق، أما بعد أن يخلق فليس العلم بذكورته أو أنوثته من علم الغيب؛ لأنه بتخليقه صار من علم الشهادة، إلا أنه مستتر في الظلمات الثلاثة، التي لو أزيلت

لتبين أمره، ولا يبعد أن يكون فيما خلق الله تعالى من الأشعة أشعة قوية تخترق هذه الظلمات حتى يتبين الجنين ذكراً أم أنثى، وليس في الآية تصريح بذكر العلم بالذكورة والأنوثة، وكذلك لم تأت السنة بذلك...» أ هـ.(١)

ب- حكم لباس السوار لعلاج (الروماتيزم).

وهل هذا يعارض ما جاء في حديث عمران بن حصين ﷺ أن النبي ﷺ رأى رجلاً في يده حلقة من صُفْر، فقال : «**ما هذه؟**» قال: من الواهنة، فقال : «**انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً، فإنك لو مُتَّ وهي عليك ما أفلحت أبداً**». رواه أحمد(٢) بسند لا بأس به، كما في كتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى.

قال رحمه الله تعالى :

«ظهر في الأسواق منذ سنتين حلقة من النحاس، يقولون : إنها تنفع من (الروماتيزم)، ولها اسم لا أذكره، يزعمون أن الإنسان إذا وضعه على عضده، وفيه (روماتيزم) نفعته، ولا ندري هل هذا صحيح أم لا ؟ لكن الأصل أنه ليس بصحيح؛ لأنه ليس عندنا دليل شرعي ولا دليل حسي يدل على ذلك.

وهي لا تؤثر على الجسم، فليس فيها مادة دهنية حتى نقول : إنّ الجسم يشرب هذه المادة وينتفع بها، فالأصل أنها ممنوعة، حتى يثبت لنا دليل صحيح صريح واضح أنّ لها اتصالاً مباشراً بهذا (الروماتيزم) حتى ينتفع بها» أ هـ.(٣)

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٦٨/١).

(٢) مسند أحمد (٤٤٥/٤).

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد (١٨٩/١) ط : دار العاصمة، وانظر أيضاً مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١١١/١).

ج- دوران الأرض، ودوران الشمس حول الأرض.

قال رحمه الله تعالى :

«خلاصة رأينا حول دوران الأرض أنه من الأمور التي لم يرد فيها نفي ولا إثبات، لا في الكتاب ولا في السنة.

أما رأيُنا حول دوران الشمس على الأرض، الذي يحصل به تعاقب الليل والنهار، فإننا مستمسكون بظاهر الكتاب والسنة من أن الشمس تدور على الأرض دوراناً يحصل به تعاقب الليل والنهار، حتى يقوم دليل قطعي يكون لنا حجة بصرف ظاهر الكتاب والسنة إليه – وأنّى ذلك – فالواجب على المؤمن أن يستمسك بظاهر القرآن الكريم والسنة النبوية في هذه الأمور وغيرها..».[1]

د- الصعود إلى القمر :

أشكل على كثير من الناس ما يُدّعى من صعود بعض الناس إلى سطح القمر، وهل هذا يتعارض مع قوله تعالى : ﴿**وَجعَلَ القَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً**﴾ وكان الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي ينفي صعود أحد إلى القمر، وأن هذا لا يمكن لدلالة الآيات على أن القمر في السّماء.

ويقول إن صح هذا يقيناً فأنا لم أفهم القرآن، أو كما قال رحمه الله تعالى :

«فكتب شيخنا ابن عثيمين في ذلك رسالة سمَّاها (رسالة في الوصول إلى القمر).

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٧٠/١).ولشيخ الإسلام في عصره العلامة عبد العزيز ابن باز رسالة يقرر فيها ثبوت الأرض، وعدم دورانها، وكذلك للعلامة الشيخ حمود التويجري كتابٌ حافلٌ بالأدلة على إبطال قول من يقول بالدوران، أسمّاه (الصواعق الشديدة في الرد على علماء الهيئة الجديدة) رحمهم الله تعالى وغفر لهم.

قال في أولها بعد المقدمة :

أما بعد : فقد تواترت الأخبار بإنزال مركبة فضائية على سطح القمر بعد المحاولات العديدة التي استنفدت فيها الطاقات الفكرية والمادية والصناعية عدة سنوات، وقد أثار هذا النبأ تساؤلات، وأخذاً ورداً بين الناس...

إلى أن قال : وإذا صح ما تواترت به الأخبار من إنزال مركبة فضائية على سطح القمر، فإن الذي يظهر لي أن القرآن لا يكذبه ولا يصدقه، فليس في صريح القرآن ما يخالفه؛ كما أنه ليس في القرآن ما يدل عليه ويؤيده...».[1]

وقال في نهاية البحث : «وبعد فإن هذا البحث في هذا الموضوع قد يكون من فضول العلم لولا ما دار حوله من البحث والمناقشات حتى بالغ بعض الناس في رده وإنكاره، وغلا بعضهم في قبوله وإثباته.

فالأولون جعلوه مخالفاً للقرآن، والآخرون جعلوه مطابقاً للقرآن، فأحببت أن أكتب ما حررته هنا على حسب ما فهمته بفهمي القاصر، وعلمي المحدود. وأسأل الله تعالى أن يجعل ذلك خالصاً لوجهه نافعاً لعباده، والحمد لله رب العالمين». أ هـ.[2]

هـ - حكم ربط نزول المطر بالضغط الجوي والمنخفض الجوي :

سئل رحمه الله تعالى عن هذه المسألة التي يكثر الحديث عنها، بل قد تكرر بصفة يومية في الإذاعات العربية وغيرها..

والتي قد يعتمد عليها العديدُ من الناس ممن لا علم لهم بحكمها.

---

(١) ص ٢١ ضمن مجموعة رسائل في العقيدة.

(٢) رسالة الوصول إلى القمر، ضمن (رسائل في العقيدة) من ص ١٢١ إلى ص ١٢٦. ط : مكتبة دار المعارف بالرياض.

فقال رحمه الله تعالى :

«تعليق المطر بالضغط الجوي والمنخفض الجوي، وهو إن كان قد يكون سبباً حقيقياً، ولكن لا ينبغي فتح هذا الباب، بل يقال : هذا من رحمة الله، هذا من فضله ونعمته، قال الله تعالى : **﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِي سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً فَتَرَى الوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلاَلِهِ﴾**. [النور: ٤٣]. وقال عز وجل : **﴿اللهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفاً فَتَرَى الوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلاَلِهِ﴾**. [الروم : ٤٨]. فتعليق المطر بالمنخفضات الجوية من الأمور الجاهلية التي تصرف الإنسان عن تعلقه بربه.

وليعلم أن النسبة تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : نسبة إيجاد، وهذه شرك أكبر.

القسم الثاني : نسبة سبب، وهذه شرك أصغر.

القسم الثالث : نسبة وقت، وهذه جائزة. والله أعلم».[1]

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين (١٩٣/٢). وانظر أيضاً (٢٧١/٥-٢٧٢) عما يأتي في الإذاعات من التنبأ بنزول المطر.

أهم المؤثرات في توجه الشيخ للعقيدة السلفية

إنّ توجه طالب العلم والعالم إلى العقيدة السلفية ليس أمراً سهلاً، والأصعب من ذلك الثّبات عليها رغم الشبهات الكثيرة التي يبثّها أصحاب العقائد الزائغة، وقد كان لثبات الشيخ على هذه العقيدة عدة مؤثرات بعد توفيق الله تعالى، منها :

١- تتلمذه على كبار علماء عصره الذين عُرفوا بعقيدتهم السلفية، واتباعهم سبيل السلف الصالح أهل السنة والجماعة.

٢- تأثره بكتابات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، كما أشار هو إلى ذلك حيث قال : «الإنسان يقرأ ويتأثر، وأحياناً يقرأ ولا يتأثر، فالذي أرى أنه يتأثر القارئ بكتبه شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - فإن له تأثيراً قوياً بالنسبة لإيمان العبد ومعرفته بأسرار الشريعة وبالنسبة لقوة الحجة، والإقناع، والدفاع.

ولذا فأنا أنصح كل من يريد الوصول إلى الحق من منبعه الصافي أن يقرأ في كتب هذا الإمام، لأنه حقاً إمام، جزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً.

وكذلك أيضاً تلميذه ابن القيم: أسلوبه وإقناعه، يأخذان بألباب قارئيه.

لكني قد أتأثر بكلام الشيخ أكثر من تأثري بكلام ابن القيم؛ مما يدفع الإنسان إلى الاقتناع الكامل الكافي.

كذلك تأثرت بتلميذه ابن مفلح صاحب كتاب الفروع في مذهب الإمام أحمد بن حنبل لأن له توجيهات طيبة جداً في الفقه تدل على عمق معرفته بالشريعة.

وتأثرت أيضاً بمنهاج الشيخ محمد رشيد رضا؛ لأنه جيد في عرض المسائل، وإن كان عليه بعض الأخطاء، وجل من لا يخطئ، فهو على كل حال له أثر في منهجي في تحقيقه المسائل. وما أشبه ذلك».[١]

٣- اعتصامه بالدليل، ودورانه مع الدليل حيث دار، وهذا جانب بارز جداً في حياة الشيخ سواء في دروسه أو كتاباته أو فتاواه.

قال رحمه الله تعالى :

«ولذلك أنا أدعو إخواني من أهل العلم أن يكون دائماً الأصل الذي يبنون عليه هو الكتاب والسنة، والتحرر في الأفكار، لكن الأصح التحرر في التفكير، وجعل الفكر تابعاً لما دَلّ عليه الكتاب والسنة حتى يكون الإنسان متحرّراً حقيقة، ثم بعد ذلك يعرض ما بدا له على ما استنبطه أهل العلم، فلعله يجد خطأ فيما استَنْبَط، فيُوفَّق للرجوع إليه».[٢]

٤- عدم تعصبه لمذهب معيّن أو قول معين تقليداً لغيره.

وهذه مسألة عظيمة، فكثيراً ما أعمى التعصب عيون جهابذة العقلاء عن الحق، وقادهم إلى مهاوي الضلالة، خاصة في الاعتقاد.

فكم ممن سمع قولاً لشيخه، أو اعتقد مذهباً لأستاذه فأعماه عن الحق الواضح الجليّ القريب منه، وعاش عليه دهراً طويلاً، إلا أن يتداركه الله برحمته.

والأمثلة على ذلك عديدة، منها : قصة أبي جعفر الهمذاني مع شيخه أبي المعالي الجويني، كما رواها الذهبي في سيره، حيث قال : «أخبرنا يحيى ابن أبي منصور

---

(١) مجلة الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) المصدر السابق.

الفقيه في كتابه، عن عبد القادر الحافظ، أخبرنا أبو العلاء الهمذاني، أخبرني أبو جعفر الحافظ (يعني الهمذاني)، سمعت أبا المعالي : وسئل عن قوله تعالى : ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾. [طه: ٥]. فقال : كان الله ولا عرش، وجعل يتخبط، فقلت : هل عندك للضرورات من حيلة ؟ فقال : ما معنى هذه الإشارة ؟ قلت : ما قال عارف قط : يا ربّاه ! إلاّ قبل أن يتحرك لسانه، قام من باطنه قصد لا يلتفت يمنة ولا يسرة - يقصد الفوق - فهل لهذا القصد الضروري عندك من حيلة، فتنبّئنا نتخلص من الفوق والتحت ؟ وبكيت، وبكى الخلق، فضرب بكمّه على السرير، وصاح بالحيرة، ومزّق ما كان عليه، وصارت قيامة في المسجد، ونزل يقول : يا حبيبي ! الحيرة الحيرة، والدهشة الدهشة».[1]

فانظر - رحمك الله - ما الذي جعل الطالب الفقيه يترك ما دَلّ عليه القرآن من إثبات الاستواء على العرش، ويسأل شيخه المخرج من ضرورة توجه العبيد إلى جهة العلو في دعائهم.

أليس هو التعصب لمذهب الأشياخ، وما الذي جعل شيخه يتحير، ويمزق قميصه؛ حيث لم يجد جواباً لهذه الضرورة الفطرية، أليس هو السبب نفسه، وكم فعل التعصب وفعل، ولذا عده الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى من مسائل الجاهلية، فقال في المسألة الخامسة والخمسين : التعصبُ للمذهب، كقوله فيها : ﴿**وَلاَ تُؤْمِنُوا إِلاَّ لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ**﴾. [آل عمران : ٧٣].

وترتب عليها مخالفة عظيمة، فقال في المسألة الرابعة عشرة بعد المائة : (قاعدة الضلال، وهي : القول على الله بلا علم) نسأل الله تعالى العافية.

---

(١) السير (٤٧٧/١٨).

٥- عدم دخوله في علم الكلام.

إن المتتبع لسير أفذاذ من العلماء المخالفين لأهل السنة، يجد أن من أعظم أسباب الانحراف لديهم دخولهم في علم الكلام والذي دخل على المسلمين بعد المائة الثانية، بعدما عُربت الكتب اليونانية والرومانية خاصة في عهد المأمون حيث حصل بذلك شر كثير، وبلاء مستطير.

وقد كان شيخنا رحمه الله تعالى من أبعد الناس عن الدخول في علم الكلام، أو اللجوء إليه في الاستدلال.

وقد عقد في كتابه «فتح رب البرية بتلخيص الحموية» باباً كاملاً، هو الباب الثاني والعشرون؛ حيث قال فيه :

«الباب الثاني والعشرون في تحذير السلف من علم الكلام» وقال أيضاً «علم الكلام هو ما أحدثه المتكلمون في أصول الدين من إثبات العقائد بالطرق التي ابتكروها، وأعرضوا بها عما جاء الكتاب والسنة به، وقد تنوعت عبارات السلف في التحذير عن الكلام وأهله؛ لما يفضي إليه من الشبهات والشكوك، حتى قال الإمام أحمد : لا يفلح صاحب كلا م أبداً.

وقال الشافعي : حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في العشائر والقبائل، ويقال : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة، وأقبل على علم الكلام». أ هـ.

ثم قال الشيخ معلقاً :

«وهم مستحقون لما قال الإمام الشافعي من وجه، ليتوبوا إلى الله ويرتدع غيرهم من اتباع مذهبهم، وإذا نظرنا إليهم من وجه آخر وقد استولت عليهم

الحيرة، واستحوذ عليهم الشيطان، فإننا نرحمهم ونرق لهم. ونحمد الله الذي عافانا مما ابتلاهم به....

وأكثر من يخاف عليهم الضلال هم الذين دخلوا في علم الكلام و لم يصلوا إلى غايته، ووجه ذلك : أن من لم يدخل فيه فهو في عافية، ومن وصل إلى غايته فقد تبين له فساده، ورجع إلى الكتاب والسنة، كما جرى لبعض كبارهم، فيبقى الخطر على من خرج عن الصراط المستقيم و لم يتبين له حقيقة الأمر» أ هـ.[1]

وقد ذكر الشيخ نموذجاً ممن ضل بسبب علم الكلام، فقال : «هؤلاء الخلف الذين فضل هذا الغبي طريقتهم في العلم والحكمة على طريقة السلف كانوا حيارى، مضطربين بسبب إعراضهم عما بعث الله به محمداً ﷺ من البينات والهدى، والتماسهم علم معرفة الله تعالى ممن لا يعرفه بإقراره على نفسه وشهادة الأمة عليه، حتى قال الرّازي وهو من رؤسائهم مبيناً ما يَنْتهي إليه أمرهم :

نِهَـــايَةُ إقْدامِ العُقــُول عقــالُ وأَكْثَرُ سَعْي العَـــالمينَ ضَـــلالُ
وَأَرْواحُنَا فِي وَحْشَة مِنْ جُسُومنَا وغَـــايَةُ دُنْيــانَا أَذىً وَوَبـــالُ
وَلَمْ نَسْتَفِدْ مِنْ بَحْثِنَا طُولَ عُمْرِنَا سِوَى أَنْ جَمَعْنَا فيهِ قِيلَ وَقَالَ

لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج السلفية فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلاً، رأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، اقرأ في الإثبات: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى العَرْشِ اسْتَوَى**﴾، ﴿**إلَيْه يَصْعَدُ الكَلمُ الطَّيِّبُ**﴾، واقرأ في النفي ﴿**لَيْسَ كَمِثْله شَيْءٌ**﴾، ﴿**وَلاَ يُحِيطُونَ به عِلْماً**﴾، ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي.. أ هـ.

---

(١) تلخيص الحموية، ص ٩٨.

ثم علق على كلامه قائلاً :

«فكيف تكون طريقة هؤلاء الحيارى الذين أقرّوا على أنفسهم بالضلال والحيرة أعلم وأحكم من طريقة السلف الذين هم أعلام الهدى ومصابيح الدجى، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به على سائر أتباع الأنبياء، والذين أدركوا من حقائق الإيمان والعلوم ما لو جمع إليه ما حصل لغيرهم لاستحيا من يطلب المقارنة فكيف بالحكم بتفضيل غيرهم عليهم ؟ وبهذا يتبين أن طريقة السلف أسلم وأعلم وأحكم..» أ هـ.[1].

٦- كثرة ابتهاله إلى الله تعالى أن يثبته على السنة والجماعة، ويهديه إلى الطريق الأقوم.

ويلهج بهذا الدعاء : «اللهم ربّ جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشّهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلفت فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراطٍ مستقيم».[2]

(٢) فقهه :

إن تميز شيخنا المترجم رحمه الله تعالى في الفقه لا يخفى على أحد من العوام أو العلماء وطلاب العلم، من غرب المعمورة إلى شرقها من المسلمين العجم، فضلاً عن العرب نساءً ورجالاً.

---

(١) فتح رب البرية، ص ٦٠.

(٢) رواه مسلم حديث رقم (٧٧٠).

وقد اشتهر شيخنا بالتميز الفقهي أكثر من تميزه في علوم الشريعة الأخرى، كالعقيدة والتفسير وغيرها..

فتجد العوام يحرصون على سماع فتواه في المسألة، ويسألون عنها إذا لم تنقل إليهم فإذا علموا بها انشرحت لها صدورهم وعملوا بها امتثالاً لقوله تعالى: ﴿**فَاسأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**﴾.[النحل: ٤٣]. فقد ارتضوا ابن عثيمين العالم العامل مَرجعاً لهم ومبلغاً لأحكام الله، وإن شئت قلت : موقعاً عن ربّ العالمين.

وقد كان الشيخ رحمه الله تعالى فيما نحسبه والله حسيبه أهلاً لذلك. والله تعالى هو الموفق للصواب.

وسنحاول في هذا الفصل إلقاء بعض الضوء على الجانب الفقهي عند الشيخ رحمه الله تعالى بشيء من الإيجاز؛ لأن هذا الجانب يحتاج إلى دراسة تفصيلية متأنية موسعة، لا يتسع لها المقام هنا.

وسنتناول هذا الجانب في أربعة مباحث :

المبحث الأول : الأسس التي تكونت من خلالها الملكة الفقهية لدى الشيخ.

المبحث الثاني : ما تميز به فقه ابن عثيمين، وفيه سماتُ البحث الفقهي لدى الشيخ.

المبحث الثالث : النتاج الفقهي العلمي.

المبحث الرابع : أثر ذلك على النهضة العلمية المعاصرة.

المبحث الأول :

الأسس التي تكونت من خلالها الملكَةُ الفقهية لابن عثيمين.

بعد توفيق الله تعالى وعونه، فإنّ الشخصية الفقهية للشيخ قد تشكلت وبرزت من خلال عدة أسُس قد مرّ بنا بعضها في الباب الأول في مرحلة البناء والتكوين العلمي، ويأتي بعضها الآخر وسأذكرها بصورة موجزة مع شيء من الأمثلة، وذلك لأن الاستطراد هنا، ونقل الأمثلة العديدة سيأخذ قسطاً كبيراً من الكتاب.

وما سنذكره يدل على ما وراءه، والله الموفق.

١- تأثره بشيخه ابن سعدي رحمه الله تعالى.

سبق في ترجمة ابن سعدي رحمه الله تعالى بيان أوجه التميز عنده، وخاصة من الناحية الفقهية الأصولية.

وقد ذكر شيخنا – كما سبق – أنه تأثر به غاية التأثر، حتى سأله أحد تلاميذه عن طريقة شيخه ابن سعدي، فقال : انظر ماذا أصنع أنا فهذه طريقة ابن سعدي، وقد كان رحمه الله تعالى من حبه لشيخه يقلده في خطه، وابن سعدي رحمه الله تعالى ممن برز في الفقه في هذا العصر وأصوله وقواعده، بروزاً منقطع النظير في سعة اطلاعه، وعمق فهمه، وقوة استنباطه، وبلوغه رتبة الاجتهاد.

فشيخنا المترجم قد ارتوى من هذا المعين، ونهل من هذا البحر الزاخر، وورث من شيخه هذا التميز الفقهي، والذي سيأتي الكلام عليه في موضعه.

٢- تأثره بكتابات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه القيم رحمهما الله تعالى.

فقد دأب الشيخ منذ طلبه للعلم على إدمان النظر في كتب الشيخين، وجعلهما من المراجع الأساسية خاصة عند اشتداد الخلاف، أو تعسر الخروج منه، سواء في ذلك الكتب الصغيرة الحجم أو المطولات، فكان دائم الرجوع لـ (مجموع الفتاوى، جمع الشيخ العلامة عبد الرحمن بن قاسم) وكان سريعَ الاستحضار لمواضع المسائل، بل ينقل منه الصفحات العديدة معزوّة لأجزائها ابتداءً وانتهاءً.

انظر على سبيل المثال كلامه في شرح شيخ الإسلام لحديث: «**صنفان من أمتي من أهل النار لم أرهما**..» الحديث، قال: قال شيخ الإسلام ابن تيمية (١٤٦/٢٢) مجموع الفتاوى.[١] ونقله من اقتضاء الصراط المستقيم ص ٧٠، في شرح حديث (هما بهم كفر) كلام شيخ الإسلام في الفرق بين الكفر المعرف بأل والمنكر في الإثبات.[٢]

نقله عن ابن القيم في كتاب الصلاة.

(ص ٤٠٠، من مجموعة الحديث)[٣] استحالة أن يترك الصلاة من كان في قلبه شيء من الإيمان.

نقله عن شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٢٢٢/٢٣) قوله : اتفق العلماء على أنها - أي صلاة الجماعة - من أوكد العبادات، وأجل الطاعات، وأعظم شعائر الإسلام. أ هـ.[٤]

---

(١) نقله في مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ ابن عثيمين (٢٧١/١٢).
(٢) المصدر السابق (٥٩/١٢).
(٣) المصدر السابق (٤٤/١٢).
(٤) المصدر السابق (٤٠/١٢).

نقله عن ابن القيم (زاد المعاد ١/٢٣٨) في وضع اليدين بين السجدتين.[١]

نقله عن شيخ الإسلام من (الفتاوى الكبرى ١/٣٥٠) فتوى في التشويش على المصلين.[٢] وانظر على سبيل المثال من مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين، المواضع التالية:

(١٢/٢٧٩)، (١٢/٢٧٢)، (١٣/٨٩)، (١٣/٨٧)، (١٣/٨٣)، (١٣/٨٠)، (١٣/١٤٩)، وغيرها الكثير..

وقد سبق نقل كلامه عن تأثره بابن تيمية :

«لكني قد أتأثر بكلام شيخ الإسلام أكثر من تأثري بكلام ابن القيم مما يدفع الإنسان إلى الاقتناع الكامل الكافي».[٣]

وقد بلغ من شغف الشيخ بكتب الشيخين أن لخص العديد منها، وانتقى منها الفوائد الفريدة، في الفقه والعقيدة، من ذلك :

١- مختارات من زاد المعاد لابن القيم.

٢- مختارات من إعلام الموقعين له.

٣- مختارات من اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية.

وقد ذكر في المقدمة أنه بدأ قراءته في عام ١٣٩٦هـ.

وهو مع كل ذلك لم يكن مقلداً لابن تيمية ولا لتلميذه، بل كان يحدوه الدليل في كل ما تبعهما فيه، وكما أنه قد وافقهما في كثير من المسائل، فقد خالفهما في عدد من المسائل، كما سيأتي.

---

(١) المصدر السابق (١٣/١٩٧).

(٢) المصدر السابق (١٣/٧٦).

(٣) مجلة الدعوة، العدد ١٧٧٦.

٣- حفظ المتون :

قد كان الشيخ يردد كثيراً «من حفظ المتون حاز الفنون» وقد عني الشيخ بحفظ المتون منذ صغره كما أشرنا إلى ذلك في النشأة، فحفظ القرآن كاملاً عن ظهر قلب، وهو آية في استحضاره لمواضع الاستشهاد من الآيات.

وينبه الشيخ إلى ما يقع فيه بعض طلاب العلم من عدم حفظهم لكتاب الله تعالى في بداية الطلب، ويعتنون بغيره، فيقول رحمه الله تعالى :

«وإنه مما يؤسف له أن تجد بعض طلبة العلم لا يحفظ القرآن، بل بعضهم لا يحسن القراءة، وهذا خلل كبير في منهج طلب العلم، لذلك أكرر أنه يجب على طلبة العلم الحرص على حفظ القرآن، والعمل به، والدعوة إليه، وفهمه فهماً مطابقاً لفهم السلف الصالح» أ هـ.(١)

وقد ذكر الشيخ أحسن ما يراه في طريقة الحفظ، فقال :

«وأحسن ما رأيت في العلم أن الإنسان إذا حفظ شيئاً اليوم يقرأه مبكراً صباح اليوم التالي، فإن هذا يُعين كثيراً على حفظ ما حفظ في اليوم الأول، هذا شيء فعلته أنا، فإنّ هذا يعين على الحفظ الجيد».(٢)

وقد حفظ من الأدلة متن (بلوغ المرام) ومارسه كثيراً، وحفظ (متن زاد المستقنع في الفقه الحنبلي)، وحفظ (ألفية ابن مالك)، و (قطر الندى لابن هشام).

وكان هو وزميله الشيخ عبد الله البسام يرتبان أوقاتاً للحفظ والتسميع، بعد صلاة العصر، والساعات الأولى من الليل.

---

(١) كتاب العلم، ص ٤٥، ط : دار الثريا.

(٢) المصدر السابق، ص ١٣٧.

وهذا الحفظ قد نفع الله به الشيخ كثيراً، فكان يسعفه عند إرادة الاستشهاد على مسألة ما، أو في كتابة، أو مناظرة، أو نحو ذلك..

وقد قال رحمه الله تعالى : (قرأنا كثيراً وما بقي إلا ما حفظنا).

وقد كان لهذا الحفظ في التأسيس العلمي الدور الكبير، مما قد غفل عنه الكثير من طلاب العلم اليوم، وإلى الله المشتكى.

قال الشيخ سليمان الضحيان: «قد سمعته يشدد على أهمية حفظ المتون العلمية، يقول : (أحياناً تعزب عنك بعض المعلومات في مسألة من المسائل، ثم بمجرد أن تتذكر الفقرة في المتن الذي حفظته تسترجع تلك المعلومات» أو نحو هذا.

ولهذا يشترط على تلامذته الملازمين حفظ المتون، مثل (زاد المستقنع، والواسطية، والبرهانية).[1]

وقد وضح الشيخ المتون التي يبتدأ بها طالب العلم في عدد من الفنون، فقال رحمه الله تعالى :

«فإذا كنت تطلب النحو :

فإن كنت مبتدئاً فلا أرى أحسن من متن (الآجرومية)؛ لأنه واضح وجامع، وحَاصِرٌ، وفيه بركة.

ثم متن (ألفية ابن مالك)؛ لأنها خلاصة علم النحو، كما قال هو عن نفسه :

أَحْصَى مِنَ الكِفَــايَةِ الخُلاَصَة　　　كَمَا اقْتَضى غِنىً بِلاَ خَصَــاصَة

---

(١) مجلة المعرفة، العدد ٦٩.

وأما في الفقه :

فمتن (زاد المستقنع)، لأنّه كتاب مخدوم بالشروح والحواشي والتدريس، وإنْ كان بعض المتون الأخرى أحسن منه مِنْ وجه، لكن هو أحسن من حيث كثرة المسائل الموجودة فيه، ومن حيث إنه مخدوم.

وأما في الحديث :

فمتن (عمدة الأحكام)، وإن ترقيت فـ (بلوغ المرام)، وإن كنت تقول إما هذا أو هذا، فبلوغ المرام أحسن؛ لأنه أكثر جمعاً للأحاديث، ولأن الحافظ ابن حجر - رحمه الله - بين درجة الحديث.

وأما في التوحيد :

فمن أحسن ما قرأنا متن (كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى) وأما في توحيد الأسماء والصفات فمن أحسن ما قرأت (العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى) فهو كتاب جامع، مبارك، مفيد وهلم جرا.

خذ من كل فن تطلبه متناً مختصراً فيه، واحفظه.

وقال أيضاً :

«لا تنتقل من مختصر إلى آخر بلا موجب، فهذا من باب الضجر، وهذه آفة عظيمة تقطع على الطالب طلبه، وتضيع عليه أوقاته، فإذا كان كل يوم له كتاب يقرأ فيه، فهذا خطأ في منهج طالب العلم، فإذا قررت كتاباً من كتب العلم فاستمر فيه، ولا تقل : أقْرَأُ كتاباً أو فصلاً من هذا الكتاب، ثم أنتقل للآخر، فإن هذا مضيعة للوقت» أ هـ.[1]

---

(١) كتاب العلم، ص ٢٣٧ - ٢٣٨، ط : دار الثريا.

٤- تمكنه من علوم الآلة :

علوم الآلة أو العلوم المساعدة كعلم النحو، والأصول، والقواعد الفقهية، والبلاغة من أساسيات طالب العلم الناجح المبرز، والتي لا يتمكن من الغوص في العلوم الشرعية، والوقوف على أسرار الشريعة وحكمها إلا بتمكنه في هذا العلم، وقد بلغ الشيخ في ذلك القدح المعلى، فقد حفظ ألفية ابن مالك، والآجرومية، وقيل إنه أعرب الألفية إعراباً سريعاً في جلسة واحدة ! وكان يستدل كثيراً بشواهد من الألفية.

من ذلك : ما ذكره في الشرح الممتع :

(فإن قال قائل : وهل تأتي الكاف للتعليل ؟ قلنا : نعم تأتي للتعليل، استمع إليها من كلام العلماء، واستمع إلى مثالها.

قال ابن مالك :

شِبْهٌ بِكَـــافٍ وَبِهَا التَّعْلِيلُ قَدْ   يَعْنِي وَزَائِـــداً لِتَـــوْكِيدٍ وَرَدْ).[1]

وما ذكره أيضاً في جواز حذف النعت وبقاء المنعوت :

قال : (قال ابن مالك :

وَمَـــا مِنَ الْمَنْعُوتِ وَالنَّعْتِ عقلْ   يَجُوزُ حَذْفُهُ وَفِي النَّعْتِ يَقِلْ).[2]

وقال أيضاً في بيان الفرق بين اسم المرة والهيئة :

(قال ابن مالك :

وَفَعْـــلَةٌ لِمَـــرَّةٍ كَـــجَلْسَـــةٍ   وَفِعْـــلَةٌ لِهَـــيْئَةٍ كَجِلْسَـــةٍ).[3]

---

(١) الشرح الممتع (٣/٢٣١).

(٢) الشرح الممتع (٣/١٩٤).

(٣) المصدر السابق (٣/٤٤٣).

وأذكر أننا ونحن في الدرس عندما يطلب إعراب كلمة من أحد الطلاب فيقوم بإعرابها، فيسأله مبادراً : ما الدليل على هذا من كلام ابن مالك رحمه الله تعالى ؟.

وأما بالنسبة لأصول الفقه والقواعد فحدث ولا حرج، فقد بلغ فيها الشيخ كل مبلغ حفظاً، وتأصيلاً، وتقعيداً، واستحضاراً وضرباً للأمثلة، وسيأتي نماذج من ذلك في مبحث التميز الفقهي.

قال الشيخ سليمان الضحيان : «ويكاد الشيخ ينفرد بالإحاطة في هذه العلوم، وحسبك أنه يكاد يحفظ (قواعد ابن رجب) مع كثرتها وصعوبتها..».[1]

وبناءً على ما سبق فإن الشيخ كان يشرح دروسه بالعربية الفصحى، وكذا كلامه في الإذاعة، ودروس الحرم، وغيرها، وهذه مزية برز فيها الشيخ، وساعدت الكثير من مُحبي العلم، ومُريدي المعرفة على الإنصات للشيخ والإقبال على دروسه سواء من الرجال أو النساء أو الصبيان، خاصة من بلاد العجم، ولعل هذا هو أحد أسباب انتشار أشرطة الشيخ في أمريكا، ودول أوروبا، وإفريقيا، وهذا عامل مهم جداً، فإن العامية قد تفيد في بلد أنت فيه، ويتكلم أهله بها، ولا تفيد في غيره ممن لا يعرف هذه اللهجة، وقد وقع في هذا عدد من الدعاة في وعظهم وإرشادهم، فلم يحصل بذلك النفع المرجو؛ بسبب اختلاف اللهجات. والله الموفق.

٥- قوة عقليته، وحدة ذكائه :

٦- عمق نظره، وطول تأمله :

فالشيخ رحمه الله تعالى قد أوتي عقلية فذة، تبهر المستمع إليه، وتأخذ بلبّه، وقد أهّله ذلك للكلام في المسائل المعقدة، فيحللها، ويخرج برأي واضح فيها، يفهمه

(١) مجلة المعرفة، العدد ٦٩.

العامي وطالب العلم، ومن ذلك ما استنبطه الشيخ رحمه الله من آية الوضوء من سورة المائدة، فقد استخرج منها فوائد عجيبة سيأتي إيرادها كاملة، وأذكر هنا منها فائدة واحدة تدل على قوة عقليته رحمه الله تعالى :

قال : «من فوائد الآية وجوب الطهارة لصلاة الجنازة، لقوله : ﴿**إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ**﴾. والصلاة على الجنازة صلاة، كما تدل على ذلك الأحاديث الكثير عن النبي ﷺ مثل قوله ﷺ : «**من شهد الجنازة حتى يصلي عليها فله قيراط**»، وقال: «**صلوا على صاحبكم**» وفي شهداء أحد ولم يصل عليهم، وهي أحاديث لا تحصر، تطلق الصلاة على هذا الدعاء المخصوص على الميت، وعلى هذا فالصلاة على الجنازة لا بد فيها من طهارة.

بقي عندنا سجود التلاوة، وسجود الشكر، إن قلنا : إنهما صلاة اشترط لهما الطهارة، فمن قال إنهما يبدآن بالتكبير، ويختمان بالتسليم، قال إنهما صلاة وتجب لهم الطهارة، ومن قال : لا يبدآن بالتكبير ولا يختمان بالتسليم، قال : لا يشترط لهما الطهارة».[1]

٧- التأني في الأمور، وترك العجلة :

فقد كان رحمه الله تعالى ينصح طلبة العلم بالتأني خاصة في طلب العلم، وعدم العجلة، وقد سمعته يكرر: (العلم يؤخذ بالأيام والليالي)، و(ما أُخذ جملة، ذهب جملة).

وكذلك اشتهر عن الشيخ تأنّيه في الفتوى، قال رحمه الله تعالى :

«ويجب على المفتي أن يتريث في الحكم عند الإشكال وألا يتعجّل، فكم من حكمٍ تعجّل فيه، فيندم على ذلك، وربّما لا يستطع أن يستدرك ما أفتى به، والمفتي

---

(١) مجلة الدعوة، العدد ١٧٨٥.

إذا عرف الناس منه التأني والتثبت وثقوا بقوله واعتبروه وإذا رأوه متسرعاً والمتسرّع كثير الخطأ لم يكن عندهم ثقة فيما يفتي به، فيكون بتسرّعه وخطئه قد حَرَمَ نفسه وحرم غيره ما عنده من علمٍ وصواب..».[١]

٨- تحرره الفكري، وترك التقليد الأعمى :

وقد انتفع الشيخ بهذا كثيراً، فقد أخرجه ترك التقليد للأسلاف إلى آفاق العلم الرحبة، حتى فتح للشيخ من أبواب العلم، ودقائقه، ومسائله، ما لم يسبقه إليه غيره، وقد قلت للشيخ يوماً : إننا نسمع منك في التفسير فوائد على الآيات لا نكاد نجدها في الكتب – وهي غاية في القوة والروعة والاستدلال – لم لا تخرج في كتاب ؟ فقال رحمه الله تعالى وهو في غاية التواضع : (الموجود يكفي) يعني أن كتب التفسير المطبوعة كافية، ولا حاجة للمزيد من الكتب.

وقد كان الشيخ يكرر لتلاميذه في الدرس قائلاً: إنك لن تُسْأَل عن أحد سوى نبيك ﷺ، فلن تسأل في قبرك عن الشخص الفلاني، أو الإمام الفلاني، ويردد دائماً قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُم الْمُرْسَلِينَ﴾، و لم يقل ماذا أجبتم فلاناً وفلاناً.

وقال رحمه الله تعالى : (من يتعصب لمذهب أو شخص مع أن الدليل خلافه، أن هذا المتعصب مقدم على خطر عظيم جداً، وذلك لأنه أي بتعصبه يستلزم تقديم قول غير الله تعالى ورسوله على قول الله ورسوله، وهذا خطير جداً، فالواجب على الإنسان أن يتبع الدليل حيثما كان. صحيح أن الإنسان يتأثر إذا تفقه على يد عالم، أوعلى مذهب معين، يتأثر بهذا العالم، وبهذا المذهب وهذا لا يستلزم أن يكون الإنسان متعصباً لهذا المذهب أو لذلك الرجل، بل عليه إذا تبين له الدليل أنْ يتبع

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ ابن عثيمين (٣٣٥/١١).

الدليل حيثما كان؛ لأن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ﴾. [الشورى: ١٠]، ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وأُولِي الأَمْرِ مِنْكُم فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾. [النساء: ٥٩]).[1]

وقال أيضاً رحمه الله تعالى: «فالتقليدُ كما قال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية رحمه الله تعالى بمنـــزلة الميتة، إن اضطررت إليها فكلها، وإن استغنيت عنها فهي حرام عليك..».[2]

ومع كل هذا فلم يكن الشيخ ليجعل أقوال وآراء علماء الإسلام خلفه ظهرياً بل جعلها هي الحادي الذي يحدوه لفهم الدليل، واستنباط الأحكام على ضوء الأدلة الشرعية، فهو ليس مبتدعاً لقولٍ جديد لم يُسبق إليه، وليس مقلداً لغيره، ويتمثل بقول ابن مسعود رضي الله عنه: (لا تقلد دينك الرجال).

ومما يبين ذلك ما قاله رحمه الله تعالى: «.. حتى أئمة المذاهب ينهون عن تقليدهم تقليداً محضاً، ويقولون: «متى تبين الحق فإن الواجب الرجوع إليه».

فنقول لمن عارضنا بمذهب فلان أو فلان، نحن وأنت نشهد أن محمداً رسول الله، وتقتضي هذه الشهادة أن لا نتبع إلا رسول الله ﷺ، وهذه السنة بين أيدينا واضحة جلية، ولكن لست أعني بهذا القول أن نقلل من أهمية الرجوع لكتب الفقهاء وأهل العلم، بل إن الرجوع إلى كتبهم للانتفاع بها ومعرفة الطرق التي بها تستنبط الأحكام من أدلتها، من الأمور التي لا يمكن أن يحقق طلب العلم إلا بالرجوع إليها.

---

(١) مجلة الدعوة، العدد ١٧٧٦، آخر حوار مع الشيخ.

(٢) كتاب العلم، ص ١٢٢، ط : دار الثريا.

ولذلك نجد أولئك القوم الذين لم يتفقهوا على أيدي العلماء؛ نجد أن عندهم من الزلات شيئاً كثيراً؛ لأنهم صاروا ينظرون بنظر أقل مما ينبغي أن ينظروا فيه، يأخذون مثلاً صحيح البخاري فيذهبون إلى ما فيه من الأحاديث، مع أن في الأحاديث ما هو عام، ومخصص، ومطلق، ومقيَّد، وشيء منسوخ، لكنهم لا يهتدون إلى ذلك؛ فيحصل بهذا الضلال الكبير» أ هـ.[1]

---

(١) كتاب العلم، ص ٥٠، ط : دار الثريا.

المبحث الثاني:

ما تميز به فقه ابن عثيمين :

مرَّ معنا في المبحث السابق أنّ التأسيس الفقهي المتين للشيخ رحمه الله تعالى قد أنتج فقها متميزاً كان له سمات خاصة، بلغ به الشيخ مرتبة الاجتهاد، واستحق لقب الفقيه، وقد أطلقها عليه عدد من أهل العلم، منهم :

شيخنا العلامة : **عبد المحسن بن حمد العباد البدر**، حيث قال عنه «مكانته العلمية لا تخفى على أحد، فهو عالم كبير، وفقيه متمكن».(١)

الشيخ حمد بن إبراهيم بن حمد الجطيلي : «بعض العلماء يختص ويتخصص في قسم من العلوم الشرعية؛ لكن الشيخ محمد العثيمين حاز الأصول والفروع بالتحقيق، والتدقيق».(٢)

وقال الشيخ مساعد السلمان : «لقد تميز شيخنا محمد بن صالح العثيمين رحمه الله وأسكنه فسيح جناته، باستنباطه للفوائد الفقهية من الأدلة الشرعية، فتجده رحمه الله تعالى ينتقي الفوائد من النصوص الشرعية دون تكلف وعناء، وكأنما سطرت أمام عينيه..».(٣)

وقال فضيلة الشيخ **صالح بن حميد** عنه : «هو الإمام العالم العلامة، حبر العلوم، بحر المعارف، شيخ الفقه وإمام السنة..».(٤)

---

(١) من محاضرة بعنوان (الشيخ محمد بن صالح ابن عثيمين وشيء من سيرته ودعوته).

(٢) جريدة الجزيرة، العدد ١٣٣٥.

(٣) مجلة الدعوة، العدد ١٧٨٥.

(٤) جريدة الوطن، العدد ١١٥.

وقال فضيلة الشيخ **صفوت نور الدين** رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر، عنه : «العالم الفقيه».[1]

وقال الشيخ **عبد الرحمن بن فضيلة الشيخ أبي بكر الجزائري** الأستاذ بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة : «وقد كان صرحاً من صروح العلم والمعرفة ونموذجاً للعلماء والفقهاء المجتهدين..».[2]

وقال الشيخ الدكتور **سليمان بن حمد الصقري** - عضو هيئة التدريس بجامعة الإمام بفرع القصيم - :

«كان فقيهاً مجتهداً له آراء يخالف فيها المذهب صاحب مدرسة فقهية متميزة».[3]

وقال الشيخ **خالد بن عبد الرحمن الشايع** : «وإن نظرت إلى علم الشيخ في الفقه؛ فأنت واجدٌ علماً غزيراً، وفهماً متيناً...».[4]

وقال الشيخ **سليمان عبد العزيز الربعي**: «فقدت الأمة المسلمة بوفاته - رحمه الله - عالماً موسوعياً كبيراً، وفقهياً ضليعاً، مجتهداً ومعلماً أميناً نصوحاً من الرعيل الأول».[5]

هذا الفقه المتميز للشيخ كانت له معالم وسمات بارزة، سنلقي الضوء على ما تيسر منها :

---

(١) جريدة البلاد، العدد ١٦٢٣٠.

(٢) عكاظ، العدد ١٢٥٥٨.

(٣) عكاظ، العدد ١٢٥٥٨.

(٤) جريدة الرياض، العدد ١١٨٩١.

(٥) جريدة الرياض، العدد ١١٨٩٣.

١- سهولة العبارة :

تميز فقه الشيخ رحمه الله تعالى بسهولة عبارته، ويسر أسوبه، ووضوح كلماته، فليست ألفاظه بالغريبة الوحشية التي تحتاج معها اصطحاب قاموساً لفك رموزها، وليست عباراته بالمتقعرة، بل يستحق أن يطلق على أسلوبه (السهل الممتنع) فيفهمه العامي من أول وهلة، ويجد فيه طالب العلم بغيته.

ومن أمثلة ذلك : سُئل رحمه الله تعالى :

إذا خشي الإنسان إن قضى حاجته أن تفوته صلاة الجماعة، فهل يصلي وهو حاقن ليدرك الجماعة، أو يقضي حاجته ولو فاتته الجماعة ؟

فأجاب رحمه الله تعالى : يقضي حاجته ويتوضأ، ولو فاتته الجماعة، لأن هذا عذر، وقد قال النبي ﷺ : «**لا صلاة بحضرة طعام، ولا هو يدافعه الأخبثان**».[(١)]

فانظر – يرحمك الله – إلى طول السؤال، وقصر الجواب.

وسئل رحمه الله تعالى : **ما هي شهادة الزُّور ؟ وهل تبطل الصوم ؟**

فأجاب : شهادة الزُّور من أكبر الكبائر، وهي أن يشهد الرجل بما لا يعلم، أو بما يعلم خلافه، ولا تبطل الصوم، ولكن؛ تنقص أجره.[(٢)]

وسُئِل : **ما المراد بالاضطباع ؟ ومتى يشرع ؟**

فأجاب : الاضطباع أن يكشف الإنسان كتفه الأيمن، ويجعل طرفي الراء على الكتف الأيسر، وهو مشروع في طواف القدوم، وأما في غيره فإنه ليس بمشروع.[(٣)]

---

(١) فتاوى أركان الإسلام، ص ٣٤٠، سؤال رقم ٢٦٤، جمع : فهد السليمان.

(٢) فتاوى أركان الإسلام، س : ٤٣٤، ص : ٤٨٥.

(٣) المصدر السابق، س : ٤٩٦، ص : ٥٤٠.

وهذا لا يعني أنه لا يوجد للشيخ إجابات مُسْهَبة، بل قد يكون للشيخ رسائل في مسألة واحدة في تعريفها وأحكامها وما يتعلق بها، وذلك لأن لكل مقام مقالاً، ولكل حادث حديثاً.

ومن ذلك :

١- رسالة في الصلاة والطهارة،وأهل الأعذار.كتبها سنة ١٤٠٠هـ.

٢- رسالة في مواقيت الصلاة. كتبها سنة ١٤٠٠هـ.

٣- رسالة في سجود السهو. كتبها سنة ١٤٠٠هـ.

٤- رسالة في أحكام الأضحية والزكاة.

٥- رسالة في أقسام المداينة. وغيرها..

٢- ربط الحكم بدليله أو تعليله.

وهذا الجانب بارز في فقه الشيخ يقف عليه المتأمل في كتبه ورسائله وفتاواه من أول وهلة، فهو منهج للشيخ اختطه لنفسه، ولا يحيد عنه في تعليمه وتدريسه وخطبه وفتاواه.

وقد لفت نظر المهتمين بالعلم؛ علماء وطلاب، فوثقوا في فقهه من أجل ذلك، فهو يدور مع الدليل حيث دار، ولا يقف عند ذلك، بل إذا كانت المسألة مما اشتد فيها النـــزاع فإنه يحقق الدليل، ويذكر درجته وتخريجه، وهذا من آثار نبذه للتقليد والتعصب وهو يورد الدليل بين طلاب العلم بالطريقة المنهجية المعروفة من إيراد النص وتخريجه أو عزوه، أو ذكر القياس وأركانه، ونحو ذلك.

وأما بالنسبة للعوام ونحوهم؛ فيبسط لهم الدليل، ويشرحه لهم بما يفهمه مثلهم، وهذا من حسن تعليمه، ودماثة خلقه، وتمام نصحه للأمة، لذا أحَبَّه العامي والعالم، ووثق في فتياه المرأة والرجل، والصغير والكبير.

فإذا لم يجد دليلاً ظاهراً للحكم فإنه يلجأ إلى التعليل المستقيم المبني على الأصول المشهورة عند أهل العلم، وإلا فإن الشيخ يحتاط في المسألة، ويتوقف فيه، وتكون محل تردد.

ومن أمثلة ذلك :

ما ذكره في مسألة الخلاف بين أهل العلم في حكم مس الذكر هل هو ناقض للوضوء أم لا ؟

قال رحمه الله تعالى :

«والخلاصة أن الإنسان إذا مس ذكره استحب له الوضوء مطلقاً سواء بشهوة أو بغير شهوة، وإذا مسه لشهوة فالقول بالوجوب قوي جداً لكنه ليس بظاهر، بمعنى أني لا أجزم به، والاحتياط أن يتوضأ».[(١)]

ومما يدل على أن الشيخ يدور مع الدليل حيث دار، رده القول باشتراط ثبات الخف بنفسه؛ لكي يمسح عليه، حيث رجح الشيخ عدم الاشتراط، وقال :

«على المذهب لا يجوز، وعلى القول الراجح يجوز، ووجه رجحانه أنه لا دليل على هذا الشرط، فإذا قال قائل: فما هو الدليل؟ نقول : الدليل عدم الدليل..».[(٢)]

٣- إظهاره مقاصد الشريعة، وأسرارها، وحكمها.

وقد أوتي الشيخ في هذا فهماً ثاقباً، وفتحاً مبيناً، فيأتي من حِكَم الشريعة وأسرارها بما يبهر الألباب، ويأخذ بقلوب السامعين، فتخبت قلوبهم لله رب العالمين، لما وقفوا عليه من آياته العظيمة، وحكمته الباهرة.

---

(١) الممتع (٢٣٤/١)، وقارن بما في مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٢٠٣/٤).

(٢) الممتع (١٩٢/١).

ومن ذلك :

لما انتشر استعمال (المايكروفون) في المساجد، وحصل حوله خلاف في شرعيته، كتب الشيخ لأحد الناس رسالة، جاء فيها.

وبعد: فإننا لا نرى بأساً بوضع مكبر الصوت الذي يسمى (المايكروفون) في المنارة للتأذين به، وذلك لما يشتمل عليه من المصالح الكثيرة، وسلامته من المحذور، ويدل على ذلك أمور..».

وذكر الشيخ ثمانية أدلة، ملخصها :

الأول : أنه مما خلق الله تعالى لنا في هذه الأرض وقد أحله لنا، كما يفيده قوله تعالى : **﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً﴾**.

الثاني : أنه من القواعد المقررة عند أهل العلم (أن الأصل في الأعيان والمنافع الحل والإباحة إلاّ ما قام الدليل على تحريمه).

الثالث : أن قاعدة الشرع الأساسية (جلب المصالح، ودفع المفاسد).

والمايكروفون يشتمل على مصالح: كالمبالغة برفع الصوت بتكبير الله تعالى وتوحيده، والشهادة لرسوله ﷺ بالرسالة، والدعوة إلى الصلاة خصوصاً وإلى الفلاح عموماً.

ومن مصالحه : تنبيه الغافلين، وإيقاظ النائمين.

ومع هذه المصالح ليس فيه مفسدة تقابل أو تقارب هذه المصالح، بل ليس فيه مفسدة مطلقاً فيما نعلم.

الرابع : أن من القواعد المقررة في الشريعة الإسلامية (أن الوسائل لها أحكام المقاصد).

والمايكروفون وسيلة ظاهرة إلى أسماع الناس الأذان والدعوة إلى الصلاة، وإبلاغهم ما يلقى في المساجد من خطب ومواعظ، وإسماع الناس الأذان من الأمور المأمور بها بإجماع أهل العلم، فما كان وسيلة إلى تعميمها وإيصالها إلى الناس كان مأموراً بها أيضاً.

الخامس : اشتراط أهل العلم في المؤذن أن يكون صيتاً، أي رفيع الصوت، والمايكروفون من وسائل ذلك بلا شك، فيكون مطلوباً.

السادس : أن النبي ﷺ كان يتحرى من كان عالي الصوت في إبلاغ الناس.

السابع : قياس تكبير الصوت على تكبير النظارة للحروف والكلمات فمن أحّل هذه أجاز تلك ولابد.

الثامن : أنه يستعمل في أفضل المساجد : المسجد الحرام، ومسجد النبي ﷺ من غير نكير من أهل العلم..[1] انتهى ملَخّصاً

فانظر – رحمك الله – إلى فقه الشيخ في بيان مقصد الشريعة من الأذان وهو الإعلام برفع الصوت بالشهادتين، وحث الناس على الصلاة والفلاح، وكيف بين أن مكبر الصوت وسيلة مفيدة في ذلك. وأيضاً حرص الشرع على إيصال المواعظ والخطب والدعوة عموماً إلى أقصى ما يُستطاع للأمر العام بالبلاغ، وأن هذا أحد وسائله.

وقد سئل الشيخ رحمه الله تعالى هذا السؤال :

س : فضيلة الشيخ : هل يجوز الصيد بدون حاجة، بل لمجرد ممارسة هواية الصيد فحسب، بحيث إنه يرمي الصيد ويتركه ميتاً، ولا يستفيد هو منه ولا غيره، وكذلك ما الحكم في صيدها من أجل أن يتسلى الصغار بها ؟

(١) انظر مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين (١٣/٩١-٩٥).

فأجاب رحمه الله تعالى ما ملخصُه :

ج : «الصيد لهواً وعبثاً محرم؛ لما في ذلك من اللهو والغفلة عن ذكر الله، ولأن ذلك يوجب ضياع المال في غير فائدة، وقد صرّح بعض العلماء بكراهته، ولكن قواعد الشريعة تقتضي تحريمه؛ لأن النبي ﷺ نهى عن إضاعة المال، ومطاردة الصيد لأجل صيده وتركه لا شك إنه من السّفه وقد قال الله تعالى : **﴿وَلاَ تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمْ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَاماً﴾**. [النساء : ٥] وأما صيد الصيود من أجل أن يتسلى بها الصغار فلا بأس بها...».[1]

٤- عنايته بالتقاسيم :

ولقد اشتهر الشيخ رحمه الله تعالى بعنايته بتقسيم الجواب أو الفتيا أو المسألة إلى أقسام؛ والكلام على كل قسم تأصيلاً واستدلالاً، ومن ذلك : قوله في التسمية :

(تكون واجبة؛ في الوضوء. وتكون مستحبة؛ كالتسمية عند الأكل، على رأي الجمهور، وقال بعض العلماء : إنها واجبة وهو الصحيح، وتكون بدعة عند الأذان مثلاً، إذا أراد أن يؤذن قال : **﴿بسم الله الرّحمن الرّحيم﴾**، وكذا عند الصلاة.

أمّا عند قراءة القرآن فتقرأ في أول السورة، وأما في أثناء السورة فقال بعض العلماء : يستحب أن يقول : بسم الله، ورد بعض العلماء هذا - وهو الصحيح - وقال إن الله لم يأمرنا عند قراءة القرآن إلاّ أن نقول : **﴿أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾** فإذا أردت أن تقرأ في أثناء السورة فلا تسمي).[2]

تقسيمه لخروج الناس للنـــزهة إلى ثلاثة أقسام :

---

(١) فتاوى وتوجيهات في الإجازة والرحلات ص ١١٠، جمع خالد أبو صالح.

(٢) الشرح الممتع (١/١٣٢-١٣٣).

قال رحمه الله تعالى :

(إن كثيراً من الناس في أيام أجازة الربيع يخرجون إلى البرّ للنـــزهة والأنس مع أصحابهم وإخوانهم، وهذا من الأمور المباحة، لكن ينقسم الناس في الخروج إلى ثلاثة أقسام :

١- **قسم**: يكتسبون به إثماً، فتجد عندهم من آلآت اللهو موسيقى، أغانٍ، ألعاب محرمة، يحصل منها شرّ، ويكون ذلك وبالاً عليهم.

٢- **وقسم**: آخر يقضون هذا الوقت في اللغو واللهو، وإن لم يصل إلى درجة التحريم.

٣- **والقسم الثالث** : من يستعمله بالدعوة إلى الله، ويكون إذا بقي في مخيم يتلو كتاب الله، يقرأ في كتب التفسير، في كتب الحديث، ويتجول بين المخيمات للدعوة إلى الله عز وجل، والترغيب والترهيب، يهدي الله به بشراً كثيراً).[1]

تقسيمه للناس في كيفية قضاء الإجازة إلى خمسة أصناف :

الأول : من يذهب إلى العمرة وزيارة المسجد النبوي.

الثـــاني : من يخرج للنـــزهة.

الثـــالث : من يبقى في بلده.

الرابـــع : من يخرج في الدعوة إلى الله.

الخامس : من يخرج خارج البلاد للمتعة.[2]

---

(١) فتاوى وتوجيهات في الإجازة والرّحلات. إعداد : خالد أبو صالح.

(٢) المصدر السابق، ص ١٧.

تقسيمه لحال المأموم مع الإمام إلى أربعة أقسام :

قال رحمه الله تعالى : (حال المأموم مع إمامه تنقسم إلى أربعة أقسام :

الأول : مسابقة.

الثاني : تخلف.

الثالث : موافقة.

الرابع : متابعة).[1]

وشَرَع الشيخ رحمه الله تعالى في بيانها بأدلتّها.

تقسيم التأويل إلى قسمين :

قال رحمه الله تعالى : (والتأويل قسمان : صحيح مقبول، وفاسد مردود

١- **فالصحيح** : ما دلّ عليه دليل صحيح كتأويل قوله تعالى : ﴿**وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ**﴾ إلى معنى : واسأل أهل القرية؛ لأن القرية نفسها لا يمكن توجيه السؤال إليها.

٢- **والفاسد** : ما ليس عليه دليل صحيح كتأويل المعطلة قوله تعالى : ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ إلى معنى استولى والصواب أن معناه العُلُوّ والاستقرار من غير تكييف ولا تمثيل).[2]

ولا شكّ أن تقسيم مسائل العلم أقرب لفهمها، وأضبط لحفظها، وأسهل لتذكّرها، وهي طريقة كثير من المحقّقين من السلف والخلف.

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين (١٢/٤٩٨).

(٢) الأصول من علم الأصول ص ٥٨، ط : م الرسالة ١٤١٨هـ.

٥- عنايته بالفروق :

كذا عُرف رحمه الله تعالى بعنايته بذكر الفروق في الألفاظ والكلمات أو الأحكام والمصطلحات، وهذا باب خطير جداً؛ إذا لم يتقنه طالب العلم؛ فإنه سيقع في خلطٍ عظيم واضطراب هائل لتفريقه بين المتماثلات، وتسويته بين المختلفات، كما حصل ويحصل ممن لم يتقن هذا الباب، وقد كتب فيه المتقدمون والمتأخرون، فمن المتقدمين القرافي رحمه الله تعالى في كتابه (الفروق) ومن المتأخرين شيخ المترجم العلامة السعدي رحمه الله تعالى في كتابه الذي سبقت الإشارة إليه (القواعد والأصول الجامعة والفروق والتقاسيم البديعة النافعة) ولقد وَرِث المترجم من شيخه السعدي هذا الإرث العظيم، فقد كان بارعاً رحمه الله تعالى في هذا الباب.

ومن ذلك : الفرق بين مسح الرأس وغسله في الوضوء :

قال رحمه الله تعالى : «الفرق بين المسح والغسل أن المسح لا يحتاج إلى جريان، بل يكفي أن يغمس يده في الماء ثم يمسح بها رأسه مبلولة بالماء، وإنما أوجب الله في الرأس المسح دون الغسل، لأن الغسل يشق على الإنسان ولا سيما إذا كثر الشعر، وكان في أيام الشتاء، إذ لو غسل لنـزل الماء على الجسم، ولأن الشعر يبقى مبتلاً مدة طويلة، وهذا يلحق الناس به العسر والمشقة، والله إنما يريد بعباده اليسر».[1]

الفرق بين الفجر الأول والفجر الثاني.

قال رحمه الله تعالى : (ذكر العلماء أن بينهما ثلاثة فروق :

الأول : أنَّ الفجر الأول ممتد لا معترض، أي ممتد طولاً من الشرق إلى الغرب، والثاني معترض من الشمال إلى الجنوب.

---

(١) الشرح الممتع (١/١٥٠).

الثاني : أن الفجر الأول يظلم، أي يكون هذا النور لمدة قصيرة ثم يظلم، والفجر الثاني لا يظلم، بل يزداد نوراً وإضاءة.

الثالث : أنّ الفجر الثاني متصلٌ بالأفق ليس بينه وبين الأفق ظلمة، والفجرُ الأول منقطعٌ عن الأفق بينه وبين الأفق ظلمة).[1]

الفرقُ بين : الأداء، والإعادة، والقضَاء.

قال رحمه الله تعالى :

(الأداء : ما فعل في وقته لأول مرّة.

والإعادة : ما فعل في وقته مرة ثانية

والقضاء : ما فعل بعد وقته).[2]

الفرق بين الفاسد والباطل.

قال رحمه الله تعالى :

(والفاسد والباطل بمعنى واحدٌ إلاّ في موضعين :

الأول : في الإحرام، فرقوا بينهما بأن الفاسد ما وطئ فيه المحرم قبل التحلل الأول، والباطل ما ارتد فيه عن الإسلام.

الثاني : في النكاح، فرقّوا بينهما بأن الفاسد ما اختلف العلماء في فساده كالنكاح بلا ولي، والباطل ما أجمعوا على فساده، كنكاح المعتدة).[3]

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين (١٢/٢٠٧).

(٢) الشرح الممتع (٢/٧٢-٧٣).

(٣) الأصول من علم الأصول ص ١٨، ط : ٧، م الرسالة ١٤١٨هـ.

٦- عنايته بالقواعد الفقهية.

اعتنى الشيخ رحمه الله تعالى بإبراز القواعد الفقهية الكلية أو الأغلبية، وربط جزئيات المسائل بها، وتخريجها عليها؛ عناية كبيرة، لما في ذلك من الفائدة المرجوة للمتعلم.

فطالب العلم الذي يدرس المسائل بدون معرفة قاعدتها سرعان ما تأتيه مسألة أو مسائل لا يستظهر دليلها، ولا يعرف كيف يردها إلى نظائرها أو إلى قاعدتها، فيأخذه الاضطراب ويعتريه الخلل، وقد تكون من أيسر المسائل.

لذلك كله كان الشيخ رحمه الله تعالى يكثر من إيراد القواعد الفقهية، ويطالب بها طلابه. وقد اشتغل رحمه الله تعالى باختصار قواعد ابن رجب رحمه الله تعالى، وله منظومة فريدة في القواعد والأصول.

ومما يذكره الشيخ من القواعد :

١- العبر في الأمور بمعانيها لا بصورها.[1]

٢- يثبت تبعاً ما لا يثبت استقلالاً.[2]

٣- المشقة تجلب التيسير.[3]

٤- ما كان معفواً عنه شرعاً زال ضرره قدراً.[4]

٥- ما كان تحريمه تحريم وسائل أباحته الحاجة.[5]

---

(١) الشرح الممتع (١/٢٠٧).

(٢) المصدر السابق (١/٤٣٤).

(٣) المصدر السابق (١/٤٣٩).

(٤) المصدر السابق (١/٣٥٧).

(٥) المصدر السابق (٢/٢١١).

٦- الشارع لا يُفَرّق بين متماثلين، كما أنه لا يجمع بين متفرّقين.[١]

٧- المحرم لا تبيحه إلاّ الضرورة.[٢]

وذكر الشيخ محمد صالح المنجّد عدة قواعد أخر :

٨- البدل له حكم المبدل منه.

٩- عدم السبب المعين لا يقتضي سبب المعين.

١٠- اليقين لا يزول بالشك.

١١- الشيء في معدنه لا حكم له.

١٢- ما شك في وجوده فالأصل عدمه.

١٣- الفرع أضعف من الأصل.

١٤- كل ما وجب في العبادة فإن فواته مبطلٌ لها.

١٥- القضاء يحكي الأداء.[٣]

وذكر أحد تلاميذ الشيخ وهو الأخ خالد بن صالح النـــزال أنه قرأ على الشيخ هو وأحد الطلاب أكثر من مائة قاعدة فقهية، وهو يمشي، وهي مسجلة كاملة.[٤]

وسأذكر عدداً من القواعد الفقهية والأصولية التي دونتها أثناء حضوري لدروس الشيخ رحمه الله تعالى في شرح بلوغ المرام، ومعها بعض الفوائد الأخرى، وذلك في حدود سنة ١٤٠٣هـ، وما بعدها.

---

(١) المصدر السابق (٢٠٧/١).

(٢) المصدر السابق (٢١١/٢).

(٣) محاضرة للمنجد بعنوان ١٠٠ فائدة من الإمام العلامة ابن عثيمين رحمه الله تعالى.

(٤) جريدة الرياض، العدد ١١٨٩٣.

فوائد وقواعد فقهية وأصولية متنوعة مما كتبته خلف الشيخ من التعليقات على بلوغ المرام :

١- قاعدة : لازم قول العالم ليس قولاً له.

٢- قاعدة : لا يلزم من العدل المساواة.

٣- فائدة : اسم (الصمد) أجمع ما قيل فيه أنه الكامل في صفاته، المفتقر إليه جميع مخلوقاته.

٤- فائدة : الحصر في العدد يوجب تذكر المعدود.

٥- فائدة : التفصيل بعد الإجمال أشوق للسامع.

٦- سميت الدنيا دنيا لدنوّها زمناً ودنوها رتبة، لأنها دون الآخرة.

٧- قاعدة: العلة المنصوصة يلحق بها كل ما يشترك معها في الحكم.

٨- فائدة : الصحيح أن آخر وقت العشاء منتصف الليل، وينبني على هذا : إذا طهرت الحائض بعد منتصف الليل فإنه لا يلزمها القضاء.

٩- فائدة : سجود الشكر، ذكرٌ، يجوز بغير وضوء.

١٠- قاعدة : إذا جاء الخبر بمعنى النهي فهو تأكيد له.

١١- قاعدة : **والشّك بعد الفعل لا يؤثّر**

وهكذا إذا الشّكوك تَكثرُ

١٢- قاعدة : **وكلّ ما أتى ولم يحدّد بالشرعِ**

كالحِرز فبالعرف احددِ

معنى القاعدة : أن ما جاء من الأمور و لم يحدّد شرعاً رجع فيه إلى العرف.

١٣- قاعدة : قال : قال شيخ الإسلام : (لا يوجد حكم متعلقّ بشخص، ولا تتعلق الأحكام إلاّ بالمعاني).

١٤- فوائد قرن الحكم بالعلة :

أ - بيان سمو الشريعة.

ب- طمأنينة القلب.

ج - شمول الحكم بوجود العلة.

١٥- قاعدة : كلّ شيء وُجد سَببه في عهد الرّسول ﷺ و لم يفعله؛.. ففعله غير مشروع؛ لأن فعله ﷺ سنة، وتركه سنة.

١٦- فائدة : على العابد أن :

أ - ينوي العبادة.

ب- ينوي الامتثال.

ج - ينوي نية المعمول له.

د - استحضار الاتباع.

١٧- فائدة : العَجَب نوعان :

- عجب إنكار.

- عجب استحسان.

١٨- قاعدة : إذا كانت العلة منصوصة فتخصص العمُوم، وإلا فلا.

١٩- قاعدة : إذا كان القيد أغلبيّاً فلا مفهوم له، مثاله قوله تعالى : ﴿وَرَبَائِبُكُم اللاَّتِي فِي حُجُورِكُمْ﴾.

٢٠- النهي عن الشيء يتعلّق بكلّه وجزئه لأنه مفسدة، والأمر.. بالشيء يتعلق بالشيء كله، فلا يحصل الامتثال إلا بكلّه.

٢١- قاعدة : الشرط العرفي المطرد كالشرط اللفظي.

٢٢- قاعدة : اذا اختلف العلماء على قولين مع عدم وجود دليل مرجح؛ فالأخذ يكون بالأيسر على الأمة.

٢٣- فائدة لغوية : ابتداء الغاية داخل، وانتهاؤها خارج، وهذه ليست قاعدة مطردة بل أغلبية، ويعرف ذلك بالقرينة.

٢٤- قاعدة : مباشرة الممنوع للتخلص منه جائز.

٢٥- قاعدة : لا يمكن لدليلين قطعيّين أن يتعارضا.

٧- ميله لترجيحات شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تعالى، ومخالفته لهما فيما ترجح عنده خلافه.

قد سبق بيان أن الشيخ تأثر كثيراً بكتابات الشيخين، وكانت كتبهما له صبوحاً وغبوقاً، وذلك لقوة استدلالهما، وثبات منهاجهما.

ومع ذلك فإنه لم يكن مقلّداً لشيخ الإسلام رحمه الله تعالى ولا لتلميذه، و لم يكن ظلاً لهما، بل كان يأخذ بما قويت فيه الحجة، وظهرَت المحجّة، ويكرّر كلمة ابن القيم رحمه الله تعالى : «شيخ الإسلام حبيب إلينا، والحقّ أحبّ إلينا من شيخ الإسلام».

ومن المسائل المشهورة التي وافق فيها شيخ الإسلام :

١- (مسألة إيقاع الطلاق الثلاث واحدة، وهو أيضاً مذهب شيخه العلامة الإمام عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى.

٢- مسألة عدم تحديد مسافة القصر بمقدار معين، بل ما يطلق عليه السفر هو المبيح للقصر.

٣- مسألة عدم قبول توبة ساب الرسول عليه الصلاة والسلام.(١)

٤- جواز عيادة أهل الذمة للمصلحة، كالدعوة إلى الإسلام.(٢)

٥- مشروعية أخذ الجزية من كلّ كافر.(٣)

ومع ذلك فقد خالف شيخ الإسلام في أمور ظهر له أن الدليل خلافها، وقد ذكر الأخ وليد الحسين عدداً من هذه المخالفات، أذكرها نقلاً عنه :

١- يرى شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أن الجماعة شرط لصحة الصلاة، ويرى شيخنا ابن عثيمين رحمه الله تعالى أنها واجبة.

٢- يرى شيخ الإسلام أن المتمتع في الحج يكفيه سعي العمرة عن سعي الحج، ويرى شيخنا أن سعي العمرة لا يكفي عن سعي الحج.

٣- يرى شيخ الإسلام جواز سفر المرأة بلا محرم مع الأمن، ويرى شيخنا عدم جواز سفر المرأة بلا محرم مطلقاً.

٤- يرى شيخ الإسـلام جواز الجمع بين الأختين من الرضاع، ويرى شيخنا التحريم.

٥- يرى شيخ الإسلام جواز دفع الزكاة في قضاء دين الميت الذي لم يخلف وفاء، ويرى شيخنا عدم الجواز.

---

(١) الشرح الممتع (١٠٠/٨).

(٢) المصدر السابق (٨٦/٨).

(٣) المصدر السابق (٦٣/٨).

٦- يرى شيخ الإسلام جواز تعفير الوجه بالتراب تذللاً لله تعالى، ويرى شيخنا ضعف هذا القول؛ لأن الأصل في العبادات المنع والحظر، حتى يقوم دليل على المشروعية.

٧- يرى شيخ الإسلام أن للأم الثلث مع الإخوة المحجوبين بالأب، ويرى شيخنا أن للأم السدس، أي أن الإخوة يحجبونها حجب نقصان مع أنهم غير وارثين.

٨- يرى شيخ الإسلام جواز الزيادة بين الربويَّيْن من جنس واحد في مقابلة الصنعة، ويرى شيخنا عدم الجواز للعمومات الدالة على أن الذهب بالذهب لا بد فيه من التساوي سواءً بسواء.

٩- يرى شيخ الإسلام أن المأموم تكفيه قراءة إمامه في الصلاة الجهرية وهو المذهب، ويرى شيخنا وجوب قراءة الفاتحة على المأموم في الجهرية).[1] إ هـ.

ومما لم يذكره :

١٠- مسألة الشراء ممن أُكره على بيع الشيء، هل يشرع الشراء منه أو يحرم ؟

يرى شيخ الإسلام صحة الشراء، ويرى شيخنا التفصيل، فإذا كان ترْك الشراء سيجعل المُكره يرجع عن إكراهه حَرُم الشراء، وإلا جاز لأنه من باب الإحسان إليه.[2]

٨- سعة استنباطاته من الأدلة.

وقد اشتهر رحمه الله تعالى بسعة فقهه، وقوة استنباطاته من الأدلة، وغزارة الفوائد التي يستخرجها من الآية الواحدة.

---

(١) مجلة الحكمة، العدد الثاني ١٤١٤هـ.

(٢) الشرح الممتع (٨/١٢٣).

وقد ذكر الشيخ أنه استنبط من آية القصاص أكثر من إحدى وعشرين مسألة.[١]

وذكر الشيخ سليمان الضحيّان أن الشيخ استنبط منها (بضعاً وثمانين) فائدة.[٢]

وسأكتفي هنا بذكر آية واحدة استنبط منها الشيخ ثلاثاً وثلاثين فائدة، ألا وهي آية الوضوء.

قال تعالى : ﴿يَا أَيهَا الَّذينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاَة فَاغْسلُوا وجُوهَكُمْ وَأَيْديَكُمْ إِلَى المَرَافق وَامْسَحُوا برُءوسكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الكَعْبَيْن وَإِن كُنْتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُوا وَإِن كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ منكُمْ منَ الغَائط أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بوجُوهكُمْ وأَيْديكُمْ منْهُ، مَا يُريدُ اللهُ ليَجْعَلَ عَلَيْكُمْ منْ حَرَجٍ وَلَكن يُريدُ ليُطَهِّرَكُمْ وَليُتمَّ نعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾. [المائدة : ٦].

قال الشيخ رحمه الله تعالى : «يؤخذ من هذه الآية الكريمة عدة فوائد :

أوّلاً : أهمّية الطهارة من الحدثين الأكبر والأصغر بقسميها : المائية والترابية، ونأخذ الأهمية من أنّ الله صدّر الخطاب عنها بالنداء.

ثانياً : أن الوضوء من مقتضيات الإيمان، لأن الخطاب به صدِّر بـــ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا﴾ وأن الإخلال به نقص في الإيمان.

ثالثاً : عناية الله سبحانه وتعالى بالصلاة؛ حيث فرض علينا أن نتطهّر إذا قمنا إليها، فغيرها من العبادات لا يشترط له الطهارة، و لم يجمع العلماء على أن شيئاً من العبادات تشترط له الطهارة إلا الصلاة، وما عداها ففيه خلاف.

---

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) مجلة المعرفة، العدد ٦٩.

فمثلاً : الطواف بالبيت جمهور أهل العلم على أنه يشترط له الطهارة، وذهب بعض العلماء ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية إلى أنّه لا يشترط له الطهارة.

مس المصحف : جمهور العلماء أو أكثرهم على أنه لا يجوز إلا بطهارة، وذهب بعض العلماء ومنهم الشوكاني إلى أنه لا يشترط له الطهارة، وأظُن أهل الظاهر كذلك.

رابعاً : من فوائد الآية وجوب الطهارة لصلاة الجنازة، لقوله : ﴿**إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ**﴾. والصلاة على الجنازة صلاة، كما تدل على ذلك الأحاديث الكثيرة عن النبي ﷺ مثل قوله ﷺ : «**من شهد الجنازة حتى يُصلي عليها فله قيراط**» وقال : «**صلوا على صاحبكم**» ودفن شهداء أحُد، و لم يصَلّ عليهم.

وهي أحاديث لا تُحصر، تطلق الصلاة على هذا الدعاء المخصوص على الميت، وعلى هذا فالصلاة على الجنازة لا بد فيها من طهارة.

بقي عندنا سجود التلاوة، وسجود الشكر إن قلنا إنهما صلاة اشتُرط لهما الطهارة، فمن قال إنهما يبدآن بالتكبير ويختمان بالتسليم قال: إنهما صلاة، وتجب لهما الطهارة، ومن قال: لا يبدآن بالتكبير، ولا يُختمان بالتسليم قال: لا يُشْترط لهما الطهارة.

خامساً : من فوائد الآية الكريمة وجوب غسل الوجه في الوضوء، وتأخذ من قوله : ﴿**فَاغْسِلُوا وجُوهَكُمْ**﴾ والأصل في الأمر الوجوب.

سادساً : ومن فوائد الآية الكريمة تحريم مسح الوجه لقوله : ﴿**اغْسِلُوا**﴾ وقوله في الرأس : ﴿**وَامْسَحُوا**﴾ ففرّق الله تعالى بين الغسيل والمسح.

سابعاً : من فوائد الآية أنه يجب في الوضوء إزالة ما يمنع وصول الماء لأنه لو كان على العضو مانع يمنع الماء لم يصدق عليه أنه غسله، ولهذا يجب على الذين

يمارسون الشغل في «البوية» أن يلاحظوا ذلك، لأن «البوية» تمنع وصول الماء فإذا منعت وصول الماء لم تصح الطهارة.

ثامناً : من فوائد الآية الكريمة شرف الوجه، لأن الله بدأ به.

تاسعاً : من فوائد الآية الكريمة أنه لا يجب غسل الكفين قبل غسل الوجه: يعني لو أن الإنسان توضأ، وبدأ بغسل وجهه دون أن يغسل كفيه، فوضوؤه صحيح، ما وجه الدلالة من الآية ؟

لأن الله لم يذكر ذلك، ولو كان واجباً لذكره الله عز وجل، لكن غسل الكفين في مقدمة الوضوء سنة، فعله النبي ﷺ.

عاشراً : من فوائد الآية الكريمة وجوب المضمضة والاستنشاق، وتؤخذ من قوله : ﴿**اغْسِلُوا وجُوهَكُمْ**﴾ لأن الأنف والفم داخلان في مسمى الوجه، وعلى هذا فتجب المضمضة والاستنشاق.

المضمضة هي : إدارة الماء بالفم، والاستنشاق هو : سحب الماء إلى داخل الأنف، وقد أمر النبي ﷺ بالمبالغة في الاستنشاق إلاّ أن يكون الإنسان صائماً.

الحادية عشرة : من فوائد الآية الكريمة وجوب غسل اليدين إلى المرفقين لقوله تعالى : ﴿**وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ**﴾ ولكن هل تدل الآية على أن الإنسان يبدأ بغسل يده من أطراف الأصابع إلى المرفقين ؟

الجواب : قال بعض العلماء : إن في الآية دليلاً على أنه ينبغي أن تغسل اليد من أطراف الأصابع ماراًّ بها إلى المرفق.

الثانية عشرة : ومن فوائدها وجوب مسح الرأس لقوله: ﴿**وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ**﴾ وأن المسح يَجب تعميم الرأس به، لقوله: ﴿**بِرُؤُوسِكُمْ**﴾ و لم يقل: ببعض رؤوسكم.

مسألة : لو غسل الإنسان الرأس بدل مسحه، هل يجزئه ؟

الجواب : هذا ينبني على تقييد النص بالعلة، نحن نعلم أن الحكمة في مسح الرأس هو التخفيف عن الأمة، لأن الرأس لو غسل والغالب أن فيه شعراً تأذى الإنسان منه، ولا سيما أيام الشتاء، قال بعض العلماء : إنه يجزئه غسله بدلاً عن مسحه، وقال بعض العلماء : إن الغسل لا يجزئ، لماذا ؟

الجواب : لأنه خلاف أمر الله، وقد قال النبي ﷺ : «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ**» إذاً فلا يجزئ الغسل بدلاً عن المسح.

وقال آخرون : يجزئ الغسل إن أمرَّ يده على الرأس لأنه أتى بالمسح وزيادة، وهذا القول أرجح، ومع ذلك فإننا نقول إن هذا خلاف الأولى وأن الأولى أن يمسح الإنسان رأسه كما أمر الله به.

الثالثة عشرة : من فوائد الآية الكريمة وجوب مسح الأذنين لأن الأذنين من الرأس، وعلى هذا فتكون الآية دالة على وجوب مسح الأذنين لأنهما من الرأس.

الرابعة عشرة : من فوائد الآية الكريمة وجوب غسل الرجلين إلى الكعبين، لقوله : ﴿**وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الكَعْبَيْنِ**﴾.

الخامسة عشرة : من فوائدها جواز المسح على الخفَّين والجَوربَين على قراءة : ﴿**وَأَرْجُلِكُمْ**﴾ بالكسر.

السادسة عشرة : من فوائدها وجوب الترتيب بين الأعضاء الأربعة، فنبدأ بالوجه، ثم اليدين إلى المرفقين، ثم الرأس، ثم الرِّجلين، ويؤخذ من أن الله بدأ بها مرتَّبة، ولأن الله عز وجل أدخل ممسوحاً بين المغسولات، والبلاغة تقتضي أن تذكر

المغسولات وحدها والممسوح وحده إلاّ لسبب، ولا نعلم لذلك سبباً إلا مراعاة الترتيب، وعلى هذا فيكون في الآية دلالة على الترتيب من وجهين.

الوجه الأول : أن الله ذكرها مرتّبة، والنبي ﷺ حين أقبل على الصفا ليسعى قرأ : ﴿**إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ**﴾ ثم قال : «**أبدأ بما بدأ الله به**» وفي رواية للنسائي «**أبدوا بما بدأ الله به**» بصيغة الأمر.

الوجه الثاني من الدلالة على الترتيب : أن الله تعالى أدخل الممسوح بين المغسولات ولا نرى لذلك فائدة إلا مراعاة الترتيب.

السابعة عشرة : من فوائد الآية الكريمة أنه لا يجب الترتيب بين اليمنى واليسرى، وأنه لو قدّم اليسرى على اليمنى أجزأه، ويؤخذ من أنه قال: ﴿**وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ**﴾ و لم يقل واليد اليمنى، ثم اليد اليسرى، وقال: ﴿**وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ**﴾ و لم يقل اليمنى قبل اليسرى ولكن مع ذلك التيامن أفضل، قالت عائشة رضي الله عنها : «كان النبي ﷺ يعجبه التّيمن في تنعّله وترجّله وطهوره وفي شأنه كلّه».

الثامنة عشرة : من فوائد الآية الكريمة وجوب الموالاة، يعني ألا تُؤَخر غسل عضو عن الذي بعده بزمن كبير تنقطع به الموالاة، لأنها ذكرت متوالية، وهي واقعة في جواب الشرط. والشرط ﴿**إِذَا قُمْتُمْ**﴾ وجواب الشرط ﴿**فَاغْسِلُوا**﴾ ومعلوم أن جواب الشرط يلي المشروط، فإذا كان جواب الشرط يلي المشروط، وقد ذكرت الأعضاء مرتّبة دلّ على ذلك أنه لا بد من الموالاة، وقد جاءت السنة بذلك، وأنّ الرجل لو أخّر غسل عضوٍ عن الذي قبله بزمن كثير يعد منفصلاً وجب عليه الإعادة.

التاسعة عشرة : وفي الآية الكريمة جواز المسح على الخفين، وكذلك على الجوربين، وقد سبق الفرق بين الخفّين والجوربين : وأن الخفين من جلود وشبهها،

والجوربان تكون من الصوف والقطن والكتان وما أشبه ذلك، وتسمى الجوارب عند الناس «الشُّرّاب» وعلى هذا فيجوز المسح على الخفين أو الجوارب بدلالة القرآن في هذه الآية، كما أن السنة متواترة به، فقد تواتر عن النبي ﷺ أنه مسح على الخفّين، وجاء فيه عن النبي ﷺ وعن الصحابة نحو أربعين حديثاً.

وقد قال الناظم :

مما تواتــر حديث مَنْ كَــذَب ... ومن بنى لله بيتــاً واحتســب

ورؤيـــة شفــاعة والحــوض ... ومســح خفــين وهذي بعض

وهنا نتكلم بعض الشيء عن المسح على الخفين فنقول : يشترط لجواز المسح على الخفّين :

- أن يتقدم لبسهما طهارة، ودليل ذلك حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، قال : كنت مع النبي ﷺ في سفر فتوضأ، فأهويت لأنزع خفيه، فقال : «**دعهما، فإني أدخلتهما طاهرتين**»، فلو أن أحداً لبسهما على غير طهارة للتدفئة، ونسي فمسح عليهما، وصلى، هل وضوؤه صحيح وصلاته ؟

الجواب : ليس وضوءه صحيحاً ولا صلاته كذلك؛ لأنه لم يطهّر رجله الطهارة الواجبة، وهذا ليس من باب فعل المحظور، ولكنه من باب ترك المأمور، وفي حديث المغيرة دليل على أن من كان عليه خفٌّ فإن مسحهما أفضل من الغسل، ويؤخذ من قوله «دعهما». فلو سألنا سائل: أيّهما أفضل: المسح على الخفّين أو غسل الرجلين؟

الجواب : قلنا : الأفضل لمن كان لابساً للخفّين المسح ومن لم يلبس الخفّين فالغسل، ثانياً : من شروط جواز المسح على الخفّين أن يكون في المدة المحدّدة، وهي يومٌ وليلة للمقيم، وثلاثة أيام بلياليها للمسافر، دليل ذلك حديث علي رضي الله عنه

قال: «جعل النبي ﷺ ثلاثة أيام ولياليها للمسافر، ويوماً وليلة للمقيم يعني للمسح على الخفّين.

وحديث صفوان بن عسال رضي الله عنه، قال : «كان رسول الله ﷺ يأمرنا إذا كنا سفراً ألا ننـــزع خفافنا ثلاثة أيام ولياليهن إلاّ من جنابة، ولكن من غائطٍ وبولٍ ونومٍ».

متى تبدأ هذه المُدّة ؟

الجواب : قيل وهو قول شاذٌّ، تبدأ من اللبس، وقيل : تبدأ من الحدث بعد اللبس، وقيل : تبدأ من المسح بعد الحدث.

والقول الراجح أنها تبتدأ من المسح، لأن النبي ﷺ قال : «**يمسح**» بعد الحدث.

ولا يتحقق المسح إلاّ بوجوده فعلاً، فابتداء المدة إذاً من أول مرّة مسح بعد الحدث، ثم عدّ أربعاً وعشرين ساعة بعد المسح إذا كنت مقيماً، واثنتين وسبعين ساعة بعد المسح إذا كنت مسافراً، ومن شروط المسح على الخفين أن يكون المسح في الحدث الأصغر، أما في الجنابة فلا مسح، ودليل ذلك حديث صفوان المتقدم وفيه «إلا من جنابة، ولكن من غائطٍ وبولٍ ونومٍ». فإذا حصل للإنسان جنابة، وعليه خفّان فإن الواجب عليه أن يخلعهما ليغسل رجليه؛ لأن طهارة الجنابة أغلظ من طهارة الحدث الأصغر، ولهذا يحرم على من عليه جنابة ما لا يحرم على من كان عليه حدث أصغر.

وإذا تمت المدّة فهل ينتقض الوضوء ؟

الجواب : الصحيح أنه لا ينتقض وضوؤه، وأن وضوءه باقٍ ولو تمت المدّة، لكن لا يمسح بعد تمام المدّة.ووجه كون ذلك هو القول الصحيح أن النبي ﷺ إنّما

وقّت المسح، و لم يوقّت الطهارة، ما قال الطهارة يومٌ وليلة، فإذا أتم اليوم والليلة فإن مقتضى ذلك ألا أمسح، وليس مقتضاه أن يبطل وضوئي، هذا وجه.

الوجه الثاني أن هذا الذي مسح قبل تمام المدّة بنصف ساعة، ثمّ تمت المدة وهو ماسح، قد صحّ وضوؤه بمقتضى دليل شرعي، وما صحّ بمقتضى دليل شرعي فإنه لا يمكن إفساده إلا بدليل شرعي، وليس لمن قال : إنه ينتقض بتمام المدّة دليل شرعي يدلّ على ذلك.

لو أن الرّجل خلع الجورب الذي مسحه، أو الخف، فهل تنتقض طهارته ؟

الجواب : فيه خلاف، لكن الصحيح أن طهارته لا تنتقض، كيف ذلك ؟

الجواب : لأننا نقول هذا الرجل الذي مسح على الجورب أو الخف صحت طهارته، لأن المدة ما زالت باقية، فإذا خلع الخفّ فإننا نقول : ما دامت طهارته قد صحت بمقتضى دليل شرعي فإننا لا ننقضه إلاّ بدليل شرعي.

وأين الدليل على أن خلع الخفّ ناقضٌ للوضوء ؟ ليس هناك دليل.

وأيضاً : لو أن رجلاً توضأ وعليه شعرٌ كثير على رأسه ومسحه، ثم بعد أن أتم وضوءه حلقه، فزال الممسوح، فهل ينتقض وضوؤه ؟

الجواب : لا ينتقض، حتى على قول من يقول إن الوضوء ينتقض بخلع الخفّ، وعلى هذا إذا خلع خفّه فإن طهارته باقية، لا تنتقض، ولكن لا يمكن أن يعيد الخفّ مرةً أخرى إلاّ بعد أن يتوضأ ويغسل رجليه.

العشرون : من فوائد الآية الكريمة : جواز التيَمُّم، بل وجوبه عند عدم الماء أو عند التضرُّر باستعماله، ودليل ذلك قوله تعالى : **﴿وَإِن كُنتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ**

أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾.

الحادية والعشرون : من فوائدها أن التيمُّم يكون في الحدث الأكبر والأصغر لقوله: **﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾** على التفسير الصحيح لقوله **﴿أَوْ لاَمَسْتُمْ﴾** بأنه الجماع.

الثانية والعشرون : من فوائد الآية الكريمة : أن الغائط ناقضٌ للوضوء، ويؤخذ من قوله : **﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الغَائِطِ...﴾**.

وهل مثله البول ؟ نعم مثله، لأنه خارج من السبيل.

وهل مثله الرّيح ؟ نعم لأنه خارج من السبيل، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : «**إذا وجَد أحدكم في بطنه شيئاً فأشكل عليه : أخَرَج منه شيء أم لا ؟ فلاَ يَخرُجنّ من المسجد حتّى يسمع صوتاً، أو يجد رِيحاً**».

وهذا دليل على أن الرّيح ناقض للوضوء.

لو خرَج من السبيلين دمٌ، ليس بولاً ولا غائطاً ولا ريحاً ولكنه دمٌ، مثل لو كان في الإنسان بواسير، أو تنجرح المثانة فيخرج الدم، هل ينتقض الوضوء أم لا ؟

الجواب : نعم، ينتقض الوضوء، ولهذا نقول: كل خارج من السبيلين فإنه ناقضٌ للوضوء سواء كان بولاً أو غائطاً أو دماً أو ماءً أو مذياً، أمّا المني فإنه يوجب الغسل.

الثالثة والعشرون : من فوائد الآية الكريمة : جواز التيمم على كل أجزاء الأرض لقوله : «**فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً**» فيجوز التيمم على الأرض سواء كانت رملية أو طينية أو ذات تراب - غبار - أو ليس لها غبار، لأن الله تعالى لم يفصّل.

ولأن النبي ﷺ وأصحابه كانوا يسافرون، ويمرّون بالأراضي الرملية والترابية ويتيممون، وهذا دليل على أنه يجوز التيمم بكل ما كان على وجه الأرض، هذا إذا كان من التراب، يعني مِنْ أصل الأرض كالأحجار والأتربة، وما أشبه ذلك.

فإذا كانت فرشاً فهل يتيمم عليها الإنسان ؟

الصحيح أنه لا يتيمم عليها إلا إذا عدم مكاناً من الأرض وكان عنده فرش وفيها غبار فحينئذٍ يتيمم عليها.

الرابعة والعشرون : من فوائد الآية الكريمة : أنه يشترط للتراب المتيَمَّمُ به أن يكون طاهراً لقوله : ﴿**فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً**﴾.

الخامسة والعشرون : من فوائده : تساوي الطهارتين في التيمم طهارة الحدث الأصغر والحدث الأكبر لقوله تعالى : ﴿**أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وأَيْدِيكُمْ مِنْهُ**﴾، بينما الأعضاء المغسولة في طهارة الماء تختلف : ففي الجنابة يغسل جميع البدن، وفي الوضوء لا يغسل إلا الأعضاء الأربعة، أما التيمم فإن الطهارتين فيه على حدٍّ سواء، والفرق ظاهرٌ؛ لأن المقصود بالتيمم إظهار التّعبد لله؛ حيث إن الإنسان يمسح أشرف أعضائه بهذا التراب، وهذا لا يختلف فيه الموجب للغسل والموجب للوضوء، فإن التعبد حاصل بخلاف الطهارة بالماء، فإن فيها تنظيفاً، فلذلك خصت الأعضاء الأربعة بالوضوء، وجميع البدن بالغُسل.

السادسة والعشرون : من فوائد الآية الكريمة : وجوب مسح الوجه بالتيمم، ويؤخذ من قوله : ﴿**فَامْسَحُوا بِوجُوهِكُمْ وأَيْدِيكُمْ مِنْهُ**﴾.

فلو أن رجلاً هبّت عاصفة أمامه وليس عنده ماء، وهو ممن جاز له التيمم،

فاستقبلها بوجهه حتى امتلأ وجهه، واستقبلها بيديه حتى امتلأت غباراً، فهذا لا يجزئه لأنه ليس فيه مسح، والله عز وجل أوجب المسح.

السابعة والعشرون : من فوائد الآية الكريمة : أن التيمم مطهر، لقوله : ﴿**وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ**﴾ وقد جاءت السنة أيضاً بما جاء به القرآن، وهو أن التيمم مطهّر مثل قوله ﷺ : «**جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً**» متفق عليه، عن جابر رضي الله عنه.

وبناءً على ذلك : لو تيمم الإنسان لصلاة الفجر وبقي على طهارته إلى صلاة الظهر هل يصلي بالتيمم صلاة الظهر ؟

الجواب : نعم، يصلي صلاة الظهر وإن بقي على طهارته إلى العصر صلى العصر، وإن بقي على طهارته إلى المغرب صلى المغرب، وإن بقي إلى العشاء صلى العشاء، لأن هذا التيمم طهرة بمقتضى دلالة القرآن والسنة، والطهارة إذا ثبتت بدليل شرعي فلا ترتفع إلا بدليل على أن التيمم يبطل بخروج الوقت، وعلى هذا فما دمت على طهارتك فإنك تبقى على طهارتك ولا تتيمم.

وهذا القول : إن التيمم رافع للحدث هو القول الصحيح وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية، وجماعة من المحققين، لكن رفعه للحدث رفع مؤقت إذا وجد الماء، أو زال المانع من استعمال الماء وجب عليه أن يتوضأ إن كان تيممه عن حدث أكبر، ودليل ذلك ما ثبت في صحيح البخاري من حديث عمران بن حصين في قصة نقص الماء عليهم، وأخذهم المزادة من المرأة المشركة، وتوضئهم منها.

وكان هناك رجلٌ لما فرغ النبي ﷺ من صلاته رآه معتزلاً، فقال له النبي ﷺ : «**ما منعك أن تصلي معنا ؟**» فقال يا رسول الله أصابتني جنابة ولا ماء، فقال له

النبي ﷺ : «**عليك بالصعيد فإنه يكفيك**» أي : يكفيك عن الماء، وهذه الجملة دليل على أن التيمم رافع للحدث لأن الماء رافع للحدث، ثم جلس الرجل، فلما جيء بالماء وارتوى الناس، واستقوا، وبقي بقية، قال النبي ﷺ للرجل : «خذ هذا فأفرغه على نفسك».

فقوله : «**خذ هذا فأفرغه**» يدل على أن التيمم رافع الحدث عنه رفعاً مؤقتاً حتى يجد الماء، فإذا وجده وجب استعماله.

وكذلك قوله ﷺ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه : «**الصعيد وضوء المسلم، وإن لم يجد الماء عشر سنين، فإذا وجد الماء فليتق الله، وليمسه بشرته**».

الثامنة والعشرون : من فوائد الآية الكريمة : إثبات الإرادة لله في المعنى الشرعي، لقوله : ﴿**مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ**﴾.

التاسعة والعشرون : من فوائد الآية الكريمة : أن الحَرَجَ منفيٌّ شرعاً.

ولهذا يقول العلماء : كلما وجدت المشقّة وجد التّيسير، وبعضهم يعبّر بعبارة أخرى، فيقول : المشقّة تجلب التيسير، وهذا صحيح، قال النبي ﷺ لعمران بن حصين : «**صلّ قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جنبٍ**» وهذا تيسير لوجود المشقّة.

وقال ابن عبّاس رضي الله عنهما : جمع النبي ﷺ بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء في المدينة، من غير خوفٍ ولا مطر، قالوا : ما أراد بذلك ؟ قال : أراد أن لا يحرج أمته. أي : لا يشق عليها.

وصلى النبي ﷺ بأصحابه في رمضان ثلاث ليالٍ، ثمّ ترك ذلك في الليلة الرابعة أو الثالثة، ثم قال : «**إني خشيت أن تفرض عليكم، فتعجزوا عنها**».

وقال ﷺ: «**لولا أن أشقّ على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة**» وقال حين تأخر في صلاة العشاء إلى ثلث الليل: «**إن هذا لوقتها، لولا أن أشق على أمتي**».

والنصوص في هذا كثيرة، كلها تدلّ على أن هذا الدين ليس فيه حرج ولا مشقة، لا في أصل العبادات، ولا فيما إذا وجد طارئ يقتضي التخفيف، فالصوم مثلاً إذا سافر الإنسان فإنه يفطر، وإذا كان مريضاً فإنه يفطر، لأن الصوم قد يشُقّ عليه.

الثلاثون : ومن فوائد الآية الكريمة : أنه لا يجوز أن يمسّ القرآن رجلٌ بغير وضوء، ويؤخذ من قوله : ﴿**وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ**﴾ وقد قال النبي ﷺ: «**لا يمس القرآن إلا طاهر**» فإذا قرنت الحديث بالآية عرفت أن معنى الطاهر هو الذي توضأ أو تطهر بالماء أو بالتيمم، وعلى هذا فلا يجوز أن يمس المصحف إلا طاهر، وقد قال بعض العلماء : إنه يجوز لغير الطاهر أن يمسّ القرآن، يعني لغير المتوضئ، وقالوا : إن قوله ﷺ : «**لا يمس القرآن إلا طاهر**» أي إلا مؤمن.

واستدلّوا لقولهم بقول النبي ﷺ : «**إن المؤمن لا ينجس**» وبقوله تعالى : ﴿**إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ**﴾، فقالوا : المراد بالطاهر أي المؤمن، أي لا يمس القرآن إلا مؤمن، سواء كان متوضِّئاً أم غير متوضئ، ولكن هذا ليس بصواب، لأننا ما عهدنا أن النبي ﷺ يعبر عن المؤمن بالطاهر، وإنما يعبّر عن المؤمن بالإيمان، ألم ترَ إلى قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ**﴾ ولم يقل: إنما الطاهرون، [كان شيخنا – رحمه الله – يرى عدم اشتراط الطهارة لمس المصحف لكن ترجح عنده أخيراً أنه يُشترط].

الحادية والثلاثون : من فوائد الآية : أن الشرع من تمام النعمة، لقوله: ﴿**وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ**﴾ ويدلّ على أن الشرع من تمام النعمة قوله تعالى : ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ**

﴿لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً﴾ ولا شك أن أكبر نعمة ينعمها الله على العباد أن يشرع لهم ديناً يوصلهم إليه، ففتح الطريق الشرعي الموصل إلى الجنة، لا شك أنه إحسان، ولا طريق يوصل إلى الجنة إلا التمسك بشريعة الله عز وجل، فإن الله عز وجل قد سدّ جميع الطرق إلا الطريق الذي جاء به النبي ﷺ.

الثانية والثلاثون : وجوب الشكر لله، لقوله : ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

الثالثة والثلاثون : من فوائدها: إثبات الحكمة في أفعال الله عز وجل وشرعه، لقوله: ﴿وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.[1]

٩- تناوله للمسائل المعاصرة :

يُعد شيخنا ابن عثيمين رحمه الله تعالى ممن جمع بين أصالة السلف من جهة الإحاطة بالأدلة وطرق الاستدلال، والتمكن في الآلات، وأدوات الاجتهاد، وبين الإلمام بواقع الناس وقضاياهم، أو ما أطلق عليه حديثاً «فقه الواقع».

فنتج عن هذين الأمرين أمور، منها :

أ - تقريب الشيخ لفقه السلف، وخاصة المسائل الكبار، وبعض المسائل التي يعنى طلاب العلم في فهمها، ومعرفة معانيها، والموجودة في كتب الأئمة المتقدّمين، كالمغني والمبسوط والمجموع، أو كتب المتون، كالزاد ونحوه.

ب- إفتاء الشيخ وبيان رأيه في عدد من القضايا العصرية الحادثة، سواءً كانت صغيرة أم كبيرة.

(١) مجلة الدعوة، العدد ١٧٥٨، بقلم الشيخ : مساعد السلمان.

مثل :

١- أحكام التأمين.

٢- حكم البطاقة الائتمانية والتخفيضية.

٣- حكم الجمعيات التعاونية.

٤- حكم التعامل بالشيكات في بيع الذهب.

٥- الصلاة خلف المذياع.

٦- التعامل من خلال الإنترنت.

٧- حكم العدسات اللاصقة.

٨- استخدام الميكروفون في الأذان والصلاة.

٩- غسيل الملابس بالبخار في المغاسل الآلية.

١٠- لبس الرجال للسلاسل.

١١- حكم الأسنان الذهبية.

١٢- تكرير الماء المتلوث بالنجاسات، واستعماله في السقي والطهارة.

١٣- أحكام الصلاة في الطائرة، والطهارة فيها.

١٤- حكم التطيّب بالكولونيا، والصلاة مع ذلك.

١٥- حكم الزواج بنية الطلاق.

١٦- حكم لبس الساعة المطليّة بالذهب.

١٧- حكم حجز مكان في المسجد الحرام لشخص معيّن.

١٨- حكم الصلاة خلف الدفايات الكهربائية.

١٩- حكم وضع مدخنة البخور أمام المصلّين في المسجد.

٢٠- حكم تحديد القبلة بالبوصلة.

٢١- حكم لبس المرأة للبنطلون أمام النساء أو المحارم.

٢٢- حكم ما يعرف بالعباءة الفرنسية.

٢٣- حكم المسح على الغترة، والشماغ، وخمار الرأس.

٢٤- حكم الصلاة في الدّور الثاني في المسجد الحرام مع وجود مكان في الدور الأول.

٢٥- كيف نعيّن الصف الأول في المسجد الحرام.

٢٦- حكم اقتناء الدّش وإدخاله على الأولاد.

٢٧- حكم من يلبس نظارات كبيرة لا تمكنه من السجود.

٢٨- حكم المصافحة بعد الصلاة، وقول (تقبّل الله).

٢٩- حكم دفع الزكاة للمجاهدين في أفغانستان والشيشان.

٣٠- حكم إدخال علب السجائر إلى المصلى.

٣١- حكم بيع المرابحة.

٣٢- حكم المصافة خلف النساء في المسجد الحرام أو معهن.

٣٣- حكم الصلاة بالبنطال.

٣٤- حكم الصلاة خلف شارب الدخان.

٣٥- حكم الرطوبات الخارجة من فرج المرأة.

٣٦- حكم الصلاة خلف التلفاز دون رؤية الإمام.

٣٧- حكم قصر الصلاة للمبتعثين.

٣٨- كيف يفعل المصاب بالربو في الوضوء والصلاة.

٣٩- حكم التّبول في البانيو أثناء الاستحمام.

٤٠- إمام يقرأ الفاتحة باللغة الإنجليزية، فما حكم صلاة من خلفه.

٤١- حكم بنوك الحليب الذي يشترى من الأمهات الحوامل.

فهذه إحدى وأربعون مسألة من المسائل المعاصرة أجاب عنها الشيخ، وغيرها كثير.

انظرها مع الإجابة عليها في مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين، جمع الأخ فهد السليمان، أمّا المسائل الثلاث الأخيرة فهي من أسئلة المنجّد للشيخ، ذكرها في محاضرته عن الشيخ بعنوان «١٠٠ فائدة من الإمام ابن عثيمين رحمه الله تعالى».

وذكر الكثير غيرها من المسائل المعاصرة، فانظرها هناك.

يقول الشيخ الفقيه عبد الله الركبان :

«يتميز فضيلة الشيخ محمد العثيمين بالعمق العلمي، وسعة الأفق، ودقة النظر، واستيعاب المتغيّرات التي وجدت في هذا العصر، وتنزيل الوقائع الجديدة على القواعد الشرعية».[1]

سمات البحث الفقهي لدى الشيخ :

في هذه الأسطر أذكر سمات البحث الفقهي لدى الشيخ بصفة إجمالية ليكون ذلك نهجاً لطالب الهدى والرشاد سائلاً المولى التوفيق والسداد.

(١) مجلة الدعوة، العدد ١٧٧٨.

١- البعد عن الهوى.

٢- التجرّد الموضوعي في البحث.

٣- الأدب في المناظرة.

٤- العدل مع المخالف.

٥- رسوخ وسائل البحث عنده.

٦- التحرير الدقيق للمسائل.

٧- تحديد المصطلحات.

٨- ثبات المنهج البحثي واطراده.

٩- استحضار القواعد الأصولية العامة.

١٠- استحضار القواعد الفقهية الكلّية.

١١- الانضباط في القياس.

١٢- الاستقامة في تفريع المسائل.

١٣- مناقشة القول المرجوح وأدلته بعناية.

١٤- رجوعه عن قوله إذا تبين له الصواب.

١٥- توقفه عن الترجيح إذا تساوت عنده الأدلة أو تكافأت.

هذه خلاصة ما كتبه عدد من الباحثين حول سمات البحث لدى الشيخ، ولا شك أن كل واحدة تحتاج إلى شرح وضرب للأمثلة لا يتسع لها المقام هنا، ولعلّه يأتي من يقوم بدراستها وتحريرها في دراسة موسعة.

ولكن هذه لفتة مجملة لها دور بارز في تميز الشيخ الفقهي رحمه الله تعالى وغفر له.

المبحث الثالث:

الحصاد الفقهي العلمي :

بعد هذه الحياة العلمية العامرة بالفقه تأصيلاً، وتقعيداً، وبذلاً، وعطاءً بارك الله عز وجل في هذا العمر، فنتج عن ذلك حصيلة مباركة على الأمة تمثلت في :

١- الشروح الفقهية والأصولية.

٢- المؤلفات المستقلة.

٣- الرسائل الخاصة.

٤- الأشرطة.

٥- الفتاوى.

وسأتكلم بصفة موجزة عن كل واحد مما سبق، فأقول وبالله التوفيق.

١- الشروح الفقهية والأصولية.

أ - يبرز في مقدمة الشروح الفقهية المطبوعة، شَرح الشيخ لزاد المستقنع المسمى بـــ (الشرح الممتع) والذي فرغ من الأشرطة، ثم قام الشيخ بمراجعته وطبعه بعناية الشيخين: د. سليمان أبا الخيل، ود. خالد المشيقح، مذيلاً بتعليقات واستطرادات نفيسة في الحواشي، بلغ ثمانية مجلدات، من أول الطهارة إلى آخر باب الصرف من كتاب البيوع.

ثم أعاد الشيخ طبعه بحذف التعليقات، وبتحقيق جديد، وصدر منه جزءان فقط حتى وفاته رحمه الله تعالى.

ويعتبر هذا الشرح من أنفس الشروح على زاد المستقنع، ومن أجمل ما كتب الشيخ رحمه الله تعالى؛ حيث إنّه يتميز بالآتي :

- سهولة العبارة.
- التعليق على المسائل الحادثة المعاصرة.
- تصحيح القول الصحيح، وبيان أوجه ضعف القول المرجوح.
- التعليق على أخطاء بعض الفقهاء.
- التنبيه على بعض الأقوال الشاذّة.
- إبراز الكثير من توجيهات شيخ الإسلام رحمه الله تعالى.

وقد لاقى هذا الكتاب قبولاً منقطع النّظير، وكان بحقٍّ اسماً على مسمّى.

ب – **كتاب الكافي في الفقه الحنبلي.**

قام الشيخ بشرحه في الدروس، وهو مسجّل على الأشرطة.

ج – **البرهانية في الفرائض.**

قام الشيخ بشرحها، وقد فرغت بخطّ اليد، وهي مسجّلة على الأشرطة.

د – **شرح عمدة الأحكام.** لم يكتمل.

هـ – **شرح بلوغ المرام.**

طبع منه مجلّد، وقد أوقف الشيخ طباعته لعل ذلك لأمور فنية خاصة بالطباعة، والمراجعة، والتحقيق.

و – **شرح المنتقى.**

لم يكتمل، مسجّل على الأشرطة.

ومن الشروحات الأصولية :

أ - شرح مختصر التحرير (مسجّل).

ب - شرح قواعد ابن رجب (مسجّل).

ج - شرح كتابه : الأصول من علم الأصول (مسجّل).

د - شرح المنظومة في أصول الفقه (مسجّل).

هـ - شرح القواعد والأصول (مسجّل).

و - شرح نظم الورقات للعمريطي، بدأ في شرحه في الخامس عشر من شهر صفر عام ١٤١٥هـ، وانتهى منه في غرة ربيع الثّاني من العام نفسه، كما في مقدمة الكتاب الذي صدر عن مكتبة الكلباني (كتابة على الكمبيوتر) وهو أيضاً (مسجّل).

هذا وقد يضاف للشروحات الفقهية الشروحات لأبواب الفقه على صحيحي البخاري ومسلم.

ومن ذلك : أبواب كتاب الوضوء، والصلاة، والأذان، والجمعة، والعيدين، والوتر، والاستسقاء، والكسوف، والنكاح، والأطعمة، واللباس، والاستئذان، والأيمان، والنذور، والكفارات، والفرائض، والحدود، والمحاربين، والمعاندين، من صحيح البخاري.

ومن صحيح مسلم : الطهارة، والصّلاة، والمساجد، ومواضع الصلاة، وصلاة المسافرين، والجمعة، والعيدين، والاستسقاء، والكسوف، والزّكاة، والصيام، والحج، والنكاح، والجهاد.

حسب فهرسة تسجيلات مؤسسة الاستقامة الإسلامية بعنيزة. والله أعلم.

٢- المؤلفات الفقهية :

مع تمكن الشيخ رحمه الله تعالى ورسوخ قدمه في الفقه إلاّ أن ضيق وقته لانشغاله بالدروس والفتوى ربما كان هو المانع لاشتغاله بالتأليف وكتابة المؤلفات الكبار التي تليق بمكانته العلمية، ومع ذلك فقد ترك لنا عدداً من الرسائل تعالج قضايا فقهية متنوعة.

من ذلك :

أ - رسالة في الوضوء والغسل والصلاة.

ب - رسالة في كفر تارك الصلاة.

ج - رسالة في الأضحية والزكاة.

د - كتاب تسهيل الفرائض.

هـ - رسالة في الحجاب.

و - رسالة في صلاة وطهارة أهل الأعذار.

ز - رسالة في مواقيت الصلاة.

ح - رسالة في سجود السهو في الصلاة.

ط - رسالة في المداينة.

ي - رسالة في زكاة الحليّ.

ك - رسالة في المسح على الخفّين.

ل - رسالة في الدماء الطبيعية للنساء.

م - رسالة في أحكام الميّت وغسله.

ن - رسالة في الرّبا وأقسامه.

س - مجموعة أسئلة في بيع وشراء الذهب.

ع - رسالة في الزّواج.

- المؤلفات في القواعد والأصول :

لم أقف للشيخ على مؤلفات في القواعد والأصول سوى كتابين فقط، هما :

١- الأصول من علم الأصول، وقد كان كتبه لطلاب المعهد العلمي.

٢- منظومة القواعد والأصول، وهي منظومة لطيفة جامعة مفيدة.

٣- الرسائل الخاصّة :

كان من عادته رحمه الله تعالى الإجابة عن أسئلة المستفتين بنفسه في رسائل خاصة بهم، ترسل إليهم على عناوينهم في مشارق الأرض ومغاربها، وكان من تلك الفتاوى رسائل مطوّلة تصلح أن تكون أبحاثاً مستقلّة في مسائل معيّنة.

تجد الكثير منها في مجموع فتاوى ابن عثيمين، جمع الشيخ فهد السليمان.

وهي تصلح لأن تجمع في مجلّد مستقلّ باسم الرّسائل الشخصية، وانظر على سبيل المثال :

المجـلّد : ١٢/ الصفحات : ٥٩، ٨٦، ١٥٠، ١٥٤، ٣٣٠.

المجـلّد : ١٣/٨٦، ٨٨، ٩٦، ١٢٥، ٢٠٧، ٢٤٧، ٢٥٥، ٢٧١، ٢٧٦، ٣٦٣، ٤١٠.

المجـلّد : ١٤/٢٢، ٦٥، ١٤٣، ١٨١، ٢١٠، ٢١٤، ٢٥٥، ٢٧٣، ٢٩٣، ٣٠٧.

٤- الأشرطة المسجّلة.

كان الشيخ رحمه الله تعالى حريص جداً على تسجيل دروسه وفتاواه، ويهتم بذلك، ويساعد القائمين على ذلك، ويشجّع من يريد تسجيل الفتاوى أو المحاضرات.

وذكر أحد المرافقين له وهو العقيد الركن / علي بن محمد الخشان : أنه يوماً كان الشيخ سيذهب معه في السيارة، ثم قام بإعلامه بأنه لديه بعض الفتاوى، فقال الشيخ : هل عندك مسجّل ؟ قال : لا، فدخل الشيخ مترله وأحضر مسجّلاً صغيراً ثم أعطاه إياه لكي يسجّل.[1]

وقد بلغت تسجيلات الشيخ لدى مؤسسة الاستقامة ٥٠٠٠ ساعة.[2]

وذكر الشيخ المنجّد أن أشرطة الشيخ بلغت ٣١٨٣ شريطاً.[3]

وهذا بلا شك في كلّ الفنون، وسيكون نصيب الفقه منها الشيء الكبير.

وكان الشيخ رحمه الله تعالى يحرص على مراجعة ما سجّل، وتدارك ما يحصل من خلل في التسجيل.

يقول مدير إنتاج دروس الشيخ، الأخ/ موسى الهادي بمؤسسة الاستقامة بعنيزة:

---

(١) مجلة الجندي المسلم، العدد ١٠٢.

(٢) مجلة الدعوة، العدد ١٧٧٨.

(٣) شريط : ١٠٠ فائدة من الإمام ابن عثيمين.

«الشيخ رحمه الله تعالى يقوم بمراجعة ومتابعة جميع ما نسجّل، ومتابعتنا فيما يمكن تداركه من سقط أو نسيان، أو تحريف مسألة، أو فوات حديث، أو آية،وكان شديد الحرص على تسجيل جميع ما يلقيه من الدّروس، وكان الشيخ أيضاً رحمه الله تعالى يتصل بي بعد كلّ تسجيل لمراجعة ما سجّل له، وتوجيهي بحذف سؤال قد لا يستفيد منه العامة، أو يكون له تأثير على الأوضاع العامة، وكان رحمه الله في أغلب دروسه شديد التوجيه للناس على طاعة ولاة الأمور، وبتوحيد الكلمة وعدم الفرقة».

وقال أيضاً :

«لقد قمت بتسجيل وإنتاج جميع الدروس التي يلقيها في الجامع الكبير بعنيزة، وكذلك الدروس التي تقام في منـــزله، ومن أبرز الدروس التي قمت بتسجيلها «زاد المستقنع في الفقه» و«بلوغ المرام» و«الصحيحين» و«آداب طالب العلم» وفي «السيرة» و«التفسير»، ومن ضمن لقاءات المنـــزل التفسير المفصّل من جزء الذاريات، وجزء عمّ، وكذلك تسجيل أسئلة العامة، والإجابة عليها».[1]

٥- الفتاوى.

قد جُمعت فتاوى الشيخ الفقهية وترجيحاته في عدد من الرسائل قام بنشرها عدد من طلبة العلم لدى الشيخ بعد إذنه بذلك، وكثير منها مكرر؛ من ذلك :

أ - فتاوى الصيد.

ب - فتوى وتوجيهات في الإجازة والرّحلات.

ج - الاختيارات والترجيحات.

(١) مجلة الدعوة، العدد ١٧٧٨.

د - فتاوى في تربية الشّباب.

هـ - فتاوى نور على الدّرب.

و - فتاوى لقاء الباب المفتوح.

ز - فتاوى اللقاء الشهري.

ح - مجموع دروس وفتاوى الحرم المكّي.

ط - ٧٠ سؤالاً في أحكام الجنائز.

ي - ٥٢ سؤالاً عن أحكام الحيض.

ك - فتاوى أركان الإسلام.

ل - فتاوى منار الإسلام.

م - فتاوى سؤال من حاج.

ن - جلسات رمضانية.

س - جلسات الحج.

جمع أكثر هذه الفتاوى الشيخ / فهد السليمان في مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين - ولا يزال المجموع لم يكتمل -.

المبحث الرابع:

أثر ذلك على النهضة العلمية، والدعوة إلى الله تعالى.

لا يشكّ الناظر في حياة الشيخ محمد بن عثيمين أنه أثّر تأثيراً عظيماً على سير النّهضة العلمية، وترشيد ما يعرف بالصحوة الإسلامية.

لأن الدّعوة إلى الله لا بد فيها من فقه، بل من فقه صحيح منضبط مبني على أسسٍ شرعية.

وكثيراً ما حصل الاضطراب لشباب الصّحوة في عدد من الأماكن بسبب عدم وجود رؤية فقهية صحيحة يُرجع فيها إلى العلماء الربّانيين أمثال الإمام ابن عثيمين رحمه الله تعالى.

فدعوة بلا فقه هي دعوة متخبّطة فاشلة، والمتأمل في تاريخ عدد من الدول الإسلامية وغيرها يجد في ذلك أعظم عبرة.

فشباب الصحوة أو النهضة الإسلامية المعاصرة، جعل الكثير منهم من الشيخ مرجعاً له في الحوادث المدلهمّة، سواء في قضايا الحكّام الذين يحكمون بغير ما أنزل الله، أو دعوة الكفّار، أو السّفر إلى بلاد الكُفر، أو البقاء فيها، أو ما يتعلّق بقضايا المرأة المعاصرة والغزو الفِكري لبيوت المسلمين بالصحون الهوائية، وتعدّد الأحزاب والجماعات الإسلامية، وغير ذلك من المسائل المصاحبة للصحوة المعاصرة.

من ذلك ما ذكره الدكتور عبد الرحمن الخميس :

قال : «في أيام الحج بأحد الأعوام السالفة جاءته بمنى طائفتان، وكل طائفة مكونة من أربعة أشخاص، وكلّ واحدة تتهم الأخرى بالكفر واللعن، وهم جميعاً

من الحجاج، وملخّص قصّتهم أن إحدى الطائفتين اتّهمت الطائفة الأخرى أنّها إذا قامت تصلّي وضعت اليد اليمنى على اليسرى فوق الصّدر، وهذا كفرٌ بالسّنة؛ حيث أن السّنة عند هذه الطائفة إرسال اليدين على الفخذين بينما تقول الطائفة الأخرى إن إرسال اليدين على الفخذين دون جعل اليمنى على اليسرى كفرٌ مبيح للعنة، وكان النّزاع بينهما شديداً، وبفضل الله تعالى، ثم بجهود الشّيخ وآخرين معه حسم النّزاع بينهم وتم تبيين الحقّ لهم، وما يجب أن يكونوا عليه من الائتلاف، وتفرقوا، وقد رضيت كلّ طائفة عن الأخرى بعد أن كانت تكفّرها وتلعنها».(1)

وقد استفاد شباب النهضة من جهة أخرى لا تقلّ أهمّيّة عن السابقة، وهي تلمذتهم على الشّيخ أو كتبه أو أشرطته في مشارق الأرض ومغاربها حتى إن من المسلمين في أمريكا من يعقد الدروس وكأنّ الشيخ موجود بينهم فيأتون بأشرطة الشيخ ويلتفّون حولها في وقت محدد، وبعد الانتهاء من الشريط أو الدّرس يأخذون في الأسئلة والمناقشة، وكأنّ الشيخ حاضر معهم.

وقد حدّث بعض محبّي الشيخ أنه وجد في أمريكا أشرطة للشيخ لم يقف عليها في الجزيرة العربية.

قال الشيخ عبد الله الجلالي : «قبل حوالي خمسة عشر عاماً زرت أمريكا، فالتقيت بطائفة من الشباب هناك، وعرضت عليهم هل عندكم من كتب الشيخ محمد العثيمين وأشرطته؟ فقال أحدهم: عندي ثلاثمائة وخمسون شريطاً له، فوجدت أنّ هذه الأشرطة لم أسمعها أنا بنفسي و لم أرَها، وعرفت أن الشيخ قد منّ الله عز وجل عليه بما يناسب فضله بأن هيّأ له قلوباً وإخواناً نشروا علمه في أصقاع العالم حتّى في أمريكا».(2)

---

(1) جريدة البلاد، العدد ١٦٢٣٠.

(2) «شريط الإمام ابن عثيمين، مجموعة من العلماء والدّعاة» تسجيلات «صدى التقوى» بالرياض.

هذا في أمريكا، وإذا انتقلنا إلى الجانب الآخر من العَالَم في روسيا الشيوعية، وتحت سياط العذاب والإرهاب نجد دعوة الشيخ قد وصلت إلى هناك تحت الأقبية إلى شباب وشيوخ الصحوة.

من ذلك : ما رواه الشيخ أحمد بن عبد العزيز الحمدان : «في حج عام ١٤١٦هـ كنت مرافقاً لسماحته وهو يزور الحجّاج - كعادته كل سنة - يسلّم عليهم ويحدثهم، ويجيب على أسئلتهم في مطار الملك عبد العزيز بجدة، ودخلنا صالة استقبال كان فيها حجاج من جمهورية من الجمهوريات الإسلامية التي كانت تحت الحكم الرّوسي، وكان أصغرهم سنّاً قد بلغ السّتين، وليس فيهم من يتكلم العربية، فسأل الشّيخ إن كان معهم مترجم يترجم كلامه إليهم، فلم نجد إلاّ شاباً سعودياً كان في استقبالهم يتحدّث بلسانهم، فطلبنا منه أن يترجم كلام الشيخ، فوافق، وأخذ الشيخ يتحدّث والشاب يترجم، وفي أثناء حديثه دخلَ شابٌّ يركض - علمنا فيما بعد أنه مرشد الحملة - وإذا به يتحدّث العربية بطلاقة، وطلب أن يقوم بالترجمة، وأخذ مكبّر الصوت، وهو لا يعلم من هو الشيخ حتى فرغ الشيخ من حديثه ثمّ جاء يسلّم، فقلنا له : هذا الشيخ محمد بن عثيمين، وإذا بالشاب ينظر إلى الشّيخ باستغراب وقد اتسعت حدقتا عينيه، وقال : الشيخ محمد بن صالح العثيمين، فاستغربنا من معرفته لاسم الشيخ، وقلنا : نعم، وإذا به يضمّ الشيخ بذراعيه وأخذت الدّموع تنهال من عينيه وهو يقول : الشيخ محمد العثيمين ويكرّر اسمه فرحاً، ثم ما لبث أن أخذ مكبّر الصوت، ونادى في أفراد الحملة بكلام لم نفهم منه سوى ترديده لاسم الشّيخ، وكانت المفاجأة أكبر عندما أخذ أفراد الحملة يبكون، وارتفعت أصواتهم وهم يردّدون اسم الشّيخ : الشيخ العثيمين، وقال الشّاب : يا شيخ هؤلاء كلّهم طلاّبك، هؤلاء كانوا يدرسون كتبك في

الأقبية تحت الأرض لَمّا كان تعليم الإسلام عندنا ممنوعاً، وهم في شوقٍ للسلام عليك فهل تأذن لهم ؟ وأذن لهم الشّيخ، فأقبلوا يقبّلونه ويقبّلون رأسه ويديه وهم يبكون ويردّدون اسمه، فكان من أشَدّ المواقف تأثيراً، وما أعلم من بقي في ذلك المكان إلاّ وبكى تأثّراً بما رأى وسمع».[١]

قال الدكتور عبد الرحمن السديس : «أذكر أنّي مرة في إحدى الدول الغربية دخلت أحد المراكز الإسلامية، وفيه مكتبة متواضعة، فإذا أنا بمجموعة من طلاب العلم في هاتيك الدّيار من محبّي الشيخ رحمه الله تعالى وهم لم يروه، وقد عكفوا على كتبه ومؤلفاته ورسائله يقرؤونها ويبذلون جهودهم في ترجمتها بلغتهم، فقلت : سبحان الله الذي كتب لشيخنا القبول حتّى في مجاهل الغرب وأقاصي الدّنيا، ولقد بشّرته بذلك فسُرّ كثيراً».[٢] وقد تكلّم الشيخ في العديد من الضوابط التي تنهض بالدعوة المعاصرة، وتُرَشِّد مسارها، والتي ينبغي على طالبي الإصلاح في الأمة بحثها ودراستها، ودراسة كيفية تطبيقها، وذلك لترشيد فقه الدعوة المعاصر وتنقيته مما دخله من الشوائب والمعوقات، من ذلك :

١- ضوابط مهمة لإنجاح الصّحوة الإسلامية من كتاب الصّحوة الإسلامية[٣]

الضابط الأول : التمسّك بالكتاب والسّنة.

الضابط الثاني : العلم والبصيرة.

أولاً : أن يكون على بصيرة فيما يدعـــو إليه.

---

(١) البلاد، عدد ١٦٢٢٣.

(٢) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٥.

(٣) إعداد الأخ علي بن حسين أبو لوز – دار القاسم للنشر ط : ٣.

ثانيا : أن يكون على بصـــيرة بحال الدعـــوة.

ثالثاً : أن يكون على بصيرة في كيفية الدّعوة.

الضابط الثـــالث : الفهم.

الضابط الرابـــع : الحكمة.

الضابط الخامس : التآلف والتّواد.

الضابط السادس : الصبر والاحتساب.

الضابط السابع : التّخلق بالأخلاق الفاضلة.

الضابط الثـــامن : كسر الحواجز بين الداعية وبين النّاس.

الضابط التاســـع : استعمال الرفق واللّين.

الضابط العاشـــر : اتساع صدور الشباب للخلاف بين العلماء.

الضابط الحادي عشر : تقييد العاطفة بما يقتضيه الشرع والعقل.

الضابط الثاني عشر : إقامة الزيارات بين الشّباب.

الضابط الثالث عشر : عدم اليأس.

الضابط الرابع عشر : الاتصال بولاة الأمور.

٢- صفات الداعية إلى الله :

١- الإخلاص لله تعالى.

٢- أن يعتقد أنه بدعوته إلى الله وارث لنبيه ﷺ.

٣- أن يكون ثابتاً في دعوته إلى الله.

٤- أن يصبر ويصابر.

٥- أن يسلك طريق الحكمة.

٦- أن يكون الدّاعي عالماً بشريعة الله.

٧- أن يكون الدّاعي على جانب كبير من الدين والأخلاق.

٨- أن يكون الدّاعي وقوراً.

وغير ذلك من الأمور المهمة الكثيرة، والأسئلة المتعلّقة بالدعوة المعاصرة تقف عليها في الكتاب المذكور، وبالله التّوفيق.

(٣) الشيخ مفسراً :

قد آتى الله الشيخ المترجم فقهاً في التفسير وبصراً في كتاب الله العزيز، بما لو أقسمت بين الرّكن والمقام أنني لم أر مثله في أحدٍ من علماء هذا العصر ما كنت حانثاً إن شاء الله تعالى.

فقد كنت في مجلس الشيخ أستشعر وهو يفسّر آيات الكتاب العزيز كأنني بين يدي عالم من علماء القرون الأولى ممن رسخوا في العلم والفهم، وجمعوا أدوات الاجتهاد وآلآت الاستنباط.

وقد سمعت من الشيخ في التفسير سورتي الروم والعنكبوت، وكتبت خلفه دفاتر فقدتها في أسفاري.

وقد كان الشيخ يكثر التأمّل ويتعمّق في الاستنباط، ويحثّ على الفكرة والتدبّر، ويغوص وراء المعاني؛ حتى إنه يستخرج عشرات الفوائد من الآية الواحدة وينوّعها.

وقد يأتي بفوائد مقررة من أدلّة أخرى، لكن الشيخ كان يقول إنها يستفاد منها في كثرة الأدلّة وتضافرها.

وقد سألت شيخنا ذات مرّة وقلت له : يا شيخ إننا نسمع منك تفسيراً قد لا نجده - أحياناً - في العديد من التفاسير؛ فهلاّ تفكّر في طباعة تفسير مستقلّ ؟

فكان ردّ الشيخ عليّ أن قال :

الموجود يكفي إن شاء الله تعالى.

وقد كان من براعة الشيخ في التفسير ما لاحظه القاصي والداني في مكة المكرّمة في المسجد الحرام في درس الشيخ عندما ينتهي إمام الحرم من القراءة في صلاة المغرب أو الفجر يقوم الشيخ باستفتاح درسه بتفسير هذه الآيات التي تُليت في تلك الصلاة في أيّ موضع من القرآن كانت، وبدون تحضير سابق لها أو استعداد، ويفسّرها كأحسن تفسير كأنه قام بتحضيرها ويستخرج فوائدها.

وهذا مما أبهر العقول، وتكلّم به الناس في الآفاق ممن يحضر درسه، وهذا يدلّ على تمكّنه ورسوخه في هذا العلم العظيم.

ومن المناسب هنا أن أذكر بحثاً عن منهج الشيخ في التفسير لأحد تلامذة الشيخ الّذين أوصى لهم بالتدريس في جامعه الكبير بعنيزة وهو الشيخ عبد الرحمن الدهش، وإن كنت أرى أن منهج الشيخ في التفسير يحتاج إلى بحث موسّع ومراجعة لتفسير الشيخ سواءً التّفسير العام أو تعليقاته على الجلالين، أو التفسير على المقاطع التي كان يتلوها بعض أئمّة الحرم في رمضان وغيره، وكان الشيخ يقوم بتفسيرها.

أو في برنامجه المشهور في إذاعة القرآن الكريم : (من أحكام القرآن)، وهذا نوع آخر من الكتابة لعلّ الله يعين عليه ويوفّق من شاء لذلك.

ولعلّي أخصّ بالذكر طلاب الدراسات العليا بقسم التفسير في الجامعات الإسلامية المختلفة، والله الموفّق والهادي إلى سبيل الرشاد.

قال الشيخ عبد الرحمن الصالح الدهش المحاضر في قسم القرآن وعلومه في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بفرع القصيم :

منهج الشيخ في التفسير

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبيّ بعده، وعلى آله وصحبه ومن تبعه إلى يوم الدين، أما بعد :

فإن الحديث عن منهج إمام من أئمة الدين في علم كان من اهتماماته، وأمضى فيه جزءاً من عمره، وخصَّه بنصيب وافرمن دروسه، وكثيراً ما وجَّه طلابه للعناية به، بل والبداءة به - حديث لا يمكن أن تستوعبه مقالةٌ كهذه، ولذا سيكون الحديث فيها منصبّاً على بعض منهجه في تفسيره. وقبل الحديث عن منهجه أشير إلى موضوعين متعلقين بتفسيره : **الأول** : دروسه في التفسير حيث كان تفسيره القرآنَ لطلابه[1] على ثلاثة طرق :

١- **الطريق الأول** : التفسير العام؛ حيث لم يرتبط الشيخ بكتاب تفسير ينطلق منه، وهذا يشمل الدرس الخاص بالطلبة، وابتدأ الشيخ في التفسير فيه من أوَّل القرآن وانتهى فيه إلى سورة الأنعام، ولم يتمَّها. ويشمل تفسيره في اللقاءات العامة حيث فسر الشيخ خلالها كثيراً من المفصَّل، ومواضع متفرقة من القرآن.

---

(١) يخرج بهذا ما كتبه الشيخ - رحمه الله - من تأليف في التفسير.

٢- **الطريق الثاني** : التفسير الذي ارتبط فيه الشيخ بتفسير الجلالين، فكان منطلقاً له، و لم يقتصر عليه، وبلغ فيه سورة الزخرف، و لم يتمها أيضاً.

٣- **الطريق الثالث** : التفسير المفرَّق ويتمثل في تفسير الشيخ للآيات التي تمر في أثناء شرحه لكتاب ما، وهي كثيرة، وربما أسهب الشيخ في تعليقه عليها، ورجَّح فيها. [من ذلك شرحه للآيات في كتاب التوحيد والواسطية ومقدمة التفسير وغيرها].

ومع تعدد الطرق التي تناول الشيخ التفسير من خلالها إلا أن منهجه فيها متقارب، حيث اتفقت في كثير من المعالم.

الثاني : مصادره في تفسيره :

الغالب في طريقة الشيخ – رحمه الله تعالى – ألا يذكر مصادره التي نقل منها، ولا أسماء العلماء الذين يذكرُ أقوالهم، بل تراه يبهمُ أسماءهم، ويذكرُ الأقوال منسوبة إلى بعض أهل العلم، أو بعض المفسرين دون تحديدهم، إلا أنه قد ينصُّ في بعض الأحيان على بعضهم، ومنهم على سبيل المثال : ابن حزم (البقرة ٢٢٢، ٢٢٨)، الزمخشري (آل عمران : ١)، ابن تيمية، ابن القيم (البقرة : ١، ٢٢٨)، ابن اللبان صاحب الاختيارات الفقهية (البقرة : ٢٢٨)، محمد رشيد رضا (البقرة:٢١٩)، وشيخه عبد الرحمن السعدي (البقرة:٢٢٩) وغيرهم..

المنهج العام للشيخ في التفسير :

لقد كان الشيخ – رحمه الله تعالى – موسوعيَّ المعرفة، درس علوم الشريعة وتفقه فيها، وكان لها الأثر الواضح في تفسيره.

وقد عمد الشيخ إلى تقريب التفسير لعامة الناس فضلاً عن طلابه والمستفيدين منه؛ فالسهولة في العبارة والبعد عن غامض التراكيب واضحٌ في العرض، ولذا خلا

تفسير الشيخ من الأقوال الكثيرة، والتفريعات البعيدة التي قد تجدها في بعض التفاسير، وكذا التعقيدات البلاغية، أو الأعاريب المطولة.

ومع هذا تجد في تفسير الشيخ ما تجده عند غيره من الاعتماد على بيان القرآن بالقرآن وجمع نظائر الآية، وبيان القرآن بالسنة، وذكر للقراءات وتوجيهها معنى أو إعراباً، وبيان المشكل، وكذا الشعر، وهو قليلٌ نسبياً، وفي غالبه شاهد لغوي، أو ضابط نحوي أو نحو ذلك.

ويجد القارئ والسامع في أثناء ذلك الترجيح المبني على قاعدة، أو التنبيه على خطأ في فهم آية، ففي تفسير قوله تعالى ﴿**وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّت**﴾ [آل عمران: ٢٧] يرجح الشيخ أن الآية عامة في الحياة الحسية، كإخراج الإنسان من النطفة، والمعنوية كإخراج الكافر من المؤمن، ويعلل الشيخ لهذا الترجيح بقوله : «إذا صلح اللفظ للمعنيين بدون تنافٍ بينهما فالواجب حمله عليهما» وعند قوله – تعالى – في وصف يحيى – عليه السلام –: ﴿**وَسَيِّداً وَحَصُوراً**﴾ [آل عمران: ٣٩]

قال الشيخ : «أي حاصراً نفسه عن أراذل الأخلاق، أما من قال من المفسرين إن «الحصور» الممنوع عن إتيان النساء، فإن في هذا نظراً واضحاً؛ لأن عدم قدرة الإنسان على النساء ليس كمالاً، ولكنه عيب، وفيها قول آخر أنه لا يأتي من النساء من لا تحل له فيكون وصفاً له بكمال العفة، لكن ما قلناه أشمل من هذا القول، فهو مقدم على المعنى الأول»، وعند قوله – تعالى – : ﴿**كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ**﴾ [آل عمران: ٣٧]. ينبه الشيخ على خطأ من كتب الآية على طاق القبلة، يظن أنه هو المحراب المراد بالآية، وإنما هو مكان العبادة.

والشيخ حريص كل الحرص على عدم الوقوع فيما وقع فيه كثير من المفسرين من حشد الإسرائيليات والاعتماد عليها؛ فعند قوله – تعالى –: ﴿**إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن**

تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ [البقرة: ٦٧]، قال الشيخ: «وقد ذكر المفسرون هنا إسرائيليات كثيرة حول هذا الموضوع ولكن لا يعنينا أن نُعيِّن مَن هذا القاتل ومن هذا المقتول ! وإنما المقصود أنه قتلت نفس فادارؤوا فيها، أي : تخاصموا».

ثم هو يشك فيما قيل - عن مريم - عند قوله - تعالى - : **﴿وأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً﴾** [آل عمران: ٣٧]، إنها تنمو في العام ما ينمو غيرها في عامين قال الشيخ : «ولعلها من الإسرائيليات... فالله أعلم».

وعند قوله - تعالى - : **﴿وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً﴾** [آل عمران: ٣٧].

قال الشيخ : «قال بعض المفسرين - وهو من الإسرائيليات - يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء».

وبعد هذه المعالم العامة نجدنا مضطرين إلى إبراز معالم أساسية في منهج الشيخ في تفسيره وهي :

أولاً : التفصيل في أحكام القرآن، وبيان الراجح منها بدليله، دون تعصب لمذهب معين :

وهذا أشهر من أن يُذكر فيه مثالٌ؛ لأن الشيخ - رحمه الله تعالى - كان فقيهاً مجتهداً، وكان لا يمرُّ بآية من آيات الأحكام إلا فصَّل في ذلك الحكم وبينه.

ثانياً : ذكر القضايا الفقهية المعاصرة المرتبطة بالآية، وبيان الحكم فيها :

ومن ذلك ما قاله في تفسير قوله - تعالى - : **﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾** [البقرة: ٢١٩]، قال : «فلو تقامرا على شيء من المال بأي صفة من الصفات؛ فإن ذلك يعتبر مَيْسراً، ومن ذلك ما يسمى بالحظ والنصيب، فإنه ميسر، ومن ذلك التأمين على الأموال أو على السيارات أو على البيوت أو على النفوس أو ما أشبه ذلك».

ثالثاً : تنـــزيلُ الآيات على الواقع المعاصر، وربطها به :

ففي قوله – تعالى -: **﴿وَلا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ﴾** [البقرة: ٢٢١]، قال : «إن في الآية رداً واضحاً على الذين أطلقوا أن دين الإسلام دين مساواة؛ لأن التفضيل ينافي المساواة.

والعجيب أنه لم يأت في الكتاب ولا في السنة لفظ المساواة أبداً؛ لأن الله ما أمر بها، ولا رغب فيها؛ لأنها ليست صحيحة، فإذا قلت بالمساواة دخل الفاسق والكافر والمؤمن والذكر والأنثى، وهذا هو الذي يريده أعداء الإسلام من المسلمين، لكن جاء الإسلام بكلمة هي خير من تلك الكلمة، وليس فيها احتمالٌ أبداً، وهي : **﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾** [النحل: ٩٠]، فكلمة العدل تقتضي أن نسوِّي بين الاثنين حيث اتفقا في الصفات المقتضية للتسوية، وأن نفرق بينهما حيث اختلفا في الصفات المقتضية للتفريق».

وانظر أيضاً حديثه في هذه الآية عن التنبيه على الدعوة التنصيرية التي يقوم بها النصارى في هذا العصر، وانظر ذكره فائدة في قوله – تعالى -: **﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾** [البقرة: ٢٢٣]، فقد ذكر الدعوة إلى تحديد النسل، وردَّ عليها. وغيرها كثير من القضايا المعاصرة التي تطرَّق إليها الشيخ أثناء تفسيره.

رابعاً : الاهتمام بالجانب التربوي الذي تشير إليه الآيات. ويظهر ذلك في جانبين : **الأول** : الجانب الوعظي :

ومن ذلك تفسيره لقوله – تعالى -: **﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلاقُوهُ﴾** [البقرة: ٢٢٣]، قال: «والله لو كانت قلوبنا حيَّةً لكان لهذه الكلمة وقع في نفوسنا؛ لأنها من كلام الله – عز وجل – مصدَّرة بـــ «اعلموا»، لكن، والله القلوبُ ميتة، والشكوى إلى الله عز وجل».

الثاني : جانبُ الإرشادات والتوجيهات لطالب العلم :

ومن ذلك تعليقه على قوله – تعالى – ﴿وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٢١]، قال : «وأنت إذا آمنت بهذه الجملة، وهي قوله : ﴿وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ﴾، فإنه قد يعرض لك مسألة لا تجدها في كلام الفقهاء ولا في كلام المحدثين، وعندما تتأمل القرآن تجدها واضحة صريحة، أو عندما تتأمل السنة تجدها واضحة مبينة فيها، وهذا شيء معلوم، ولهذا أحثكم أنتم – طلبة العلم – على أن يكون دأبكم في الوصول إلى غائص المسائل الرجوع إلى الكتاب والسنة، ولا حرج أن نستعين بكلام أهل العلم؛ لأن اعتماد الإنسان على نفسه في فهم الكتاب والسنة قد يحصل فيه خلل كثير؛ فلا بد أن يعرف القواعد التي قعَّدها السلف من الصحابة والتابعين، مستنبطين لها من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ».

وعند قوله – تعالى –: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ [آل عمران: ٧]، قال الشيخ : «ينبغي للإنسان أن يحرص على أن يكون راسخاً في العلم لا جامعاً كثيراً منه؛ لأن العبرة بالرسوخ في العلم؛ فإن الإنسان إذا كان عنده رسوخ في العلم صار عنده ملكة يستطيع أن يُقرِّب العلم بعضه من بعض، ويقيس ما لم يُنَصَّ عليه على ما نُصَّ عليه، ويكون العلم لديه كالطبيعة الراسخة».

خامساً : النواحي اللغوية :

كان الشيخ – رحمه الله – يولي عناية واضحة بالنواحي اللغوية، فيبرز معنى الآية من خلال وقفات إعرابية، أو صرفية، أو بلاغية، والشيخ – رحمه الله – من خلال وقفاته تلك يهدف فيما يهدف إلى الناحية التطبيقية لطلابه، ولا أدل على ذلك من إعرابه بعض الآيات واضحة الإعراب إعراباً تفصيلياً[1]، ومثله استطراداته

(١) انظر إعرابه لقوله – تعالى –: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [آل عمران: ٤].

الكثيرة في قضايا نحوية بحتة فعند قوله – تعالى – ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللهِ فَإِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران : ١٩]، استطرد الشيخ في بيان سبب ارتباط جملة جواب الشرط بالفاء، بطريقته الحوارية في الدرس مع الطلبة، وذكر ما ذكره النحاة في ضابط ذلك :

اسمية طلبية وبجامد   وبما وقد وبلن وبالتنفيس

وقريبٌ منه استطراده حول الاسم الممنوع من الصرف عند كلامه على قوله – تعالى -: ﴿أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى﴾ [آل عمران: ٣٩]، حيث أشار إلى الخلاف في عربية اسم (يحيى) واستطرد من خلاله إلى موانع الاسم من الصرف بطريقته السابقة.

وأما وقفات الشيخ الصرفية فهي قريبه في منهجها من وقفاته النحوية، فيذكر وزنَ بعضَ الكلمات واشتقاق بعضها ليصلَ إلى معنى الكلمة القرآنية، فعند قوله – تعالى -: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ [آل عمران: ٣] قال الشيخ : «هو هذا القرآن، وهو «فعال» بمعنى: «مفعول»؛ لأنَّه مكتوبٌ فهو كتابٌ مكتوبٌ في اللوح المحفوظ، كما قال – تعالى – : ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ. فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾ [الواقعة: ٧٧،٧٨]. وفي تفسير قوله – تعالى -: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ٣٤]. قال الشيخ : والذرية مأخوذة من «ذرأ» بمعنى «خلق»؛ لقوله – تعالى-: ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ [الشورى: ١١]، يذرؤكم فيه : أي : يخلقكم، وقيل : من «وذر» بمعنى «ترك»، فعلى الأول تكون الذرية شاملة للأصول والفروع، لأن الأصول مخلوقون والفروع كذلك مخلوقون، أما إذا جعلناها من «وذر» بمعنى «ترك»، فهي للفروع فقط، وهذا هو المعروف عند عامة الناس أن الذرية هم الفروع، ثم يتساءل الشيخ – رحمه الله -: هل في القرآن ما يدلُّ على أن الذرية تطلق على الأصول ؟

فيجيب بقوله - تعالى - : ﴿وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ [يس: ٤١]. فإن الذين حُملوا من الذرية هم الذين آمنوا مع نوح وهم سابقون، أي أصول».

والشيخ - رحمه الله - بإيجازه هذا غير المخل، وتساؤله الذي جاء عرضاً قد أجاب عن إشكال استوقف كثيراً من المفسرين، ومن آخرهم شيخه عبد الرحمن السعدي (ت: ١٣٧٦ هـ)، حيث قال في تفسيره عند هذه الآية : «وهذه الآية من أشكل المواضع عليّ في التفسير».[1]

وأما اللفتات البلاغية فلم يخلُ تفسير الشيخ - رحمه الله - من وقفات عندها، ومن ذلك تفسيره قول الله - تعالى -: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤].

أشار الشيخ إلى قوة التعبير القرآني؛ حيث سلط الحب على الشهوات لا على هذه الأشياء؛ لأن هذه الأشياء حبُّها قد يكون محموداً إذا لم يكن سبباً لصده عن دين الله.

وفي قوله - تعالى - : ﴿وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ [آل عمران: ١٥]، يشير الشيخ إلى نقطة العموم في إطلاق (مطهرة) لتشمل التطهير الحسيَّ والمعنويَّ معتمداً على قاعدة: أن حذف المعمول يُؤْذن بعموم العامل. قال الشيخ : «ولهذا أمثـلة كثيرة - مثلاً - قوله - تعالى -: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى، وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى، وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى﴾ [الضحى: ٦-٨]، فالرسول ﷺ وجدهَ ربُّه يتيماً فآواه، وآوى به حتى جعله فئة لكل مؤمن، ضالاً فهداه وهدى به، عائلاً فأغناه وأغنى به».

(١) تيسير كريم الرحمن، ص ٦٩٦، تحقيق : اللويحق.

سادساً : استنباط الفوائد :

تُشكِّل الفوائد في درس التفسير جزءاً لا يغفل في منهج الشيخ، وتأتي أهمية الفوائد من حيث إفرادها في الكلام بمبحث الفوائد عقب آية أو آيات يتم الشيخ تفسيرها والكلام عليها، ومن ناحية أخرى توسُّع الشيخ فيما يذكره تحت هذا المبحث؛ فهو لا يقتصر على الفوائد المباشرة في الآية؛ إذ يذكر الفائدة ثم يتبعها بما قد يتفرع أو يُشْكل عليها ويجيب عنه. فعند قوله - تعالى -: ﴿**وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [آل عمران: ٢٧].

يقول الشيخ - رحمه الله -: «ومن فوائد الآية الكريمة أن الرزق بيد الله لقوله - تعالى -: ﴿**وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ**﴾ ويترتب على هذا أنه ينبغي للعاقل فضلاً عن المؤمن أن لا يطلب الرزق من أيدي الناس، وإنما يطلبه من الله - عز وجل -، ولهذا جاءت النصوص بفضيلة العفة». وعند قوله - تعالى - عن امرأة عمران : ﴿**وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ**﴾ [آل عمران: ٣٦]، يذكر الشيخ - رحمه الله - من فوائد الآية تسمية المولود حين يولد، ثم يقول : «وهذا هو السنة : أن يُسَمَّى الإنسان حين يولد إلا إذا لم يتهيأ الاسم فإنه يسمي في اليوم السابع، وبهذا تجتمع الأدلة؛ فإن النبي ﷺ لما وُلِد إبراهيم، قال : «**وُلِد لي الليلة غلام، فسميته باسم أبي إبراهيم**»[1] وفي حديث العقيقة قال : «تذبح يوم سابعه، ويحلق ويسمى..»[2]. والفوائد مجال رحب عند الشيخ - رحمه الله - لتقرير العقيدة السليمة، وتصحيح الأخطاء العقدية بشيء من الاستطراد والبسط؛ فعند قوله - تعالى -: ﴿**قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً**

---

(١) أخرجه مسلم، ح / ٢٣١٥، أبو داود في الجنائز، ح / ٢٧١٩.

(٢) رواه أبو داود، ح / ٢٤٥٥.

مَعْدُودَاتٍ﴾ [آل عمران: ٢٤]. يقول الشيخ - رحمه الله -: «ومن فوائد هذه الآية الكريمة أن هؤلاء يؤمنون بالبعث؛ لقولهم : ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ﴾، ويتفرع على هذا أنه لا يكفي في الإيمان أن يؤمن الإنسان بالله وباليوم الآخر دون أن يستلزم هذا الإيمان قبولاً، وإذعاناً؛ فإن مجرد التصديق لا يعتبر إيماناً؛ إذ لا بد من القبول والإذعان، ولهذا أدلة).

وفي تفسير قوله - تعالى -: ﴿وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران :٣٤] :

يقول الشيخ - رحمه الله -: (ومن فوائد الآية الكريمة إثبات اسمين من أسماء الله، وهما (السميع والعليم)، فالسميع يتعلق بالأصوات، والعليمُ يتعلق بكل شيء بالأصوات، والأحوال، والأعيان).

ثم يستطرد الشيخ في تقسيم أسماء الله إلى متعدية ولازمة، وما يتضمنه كل نوع من الدلالة، ثم يستطرد مرة ثانية إلى الفرق بين دلالة التضمن والاستلزام وتطبيق ذلك على اسم (الخالق، والرحمن، والحي). وفي مجال تصحيح الأخطاء العقدية يذكرُ الشيخ - رحمه الله - عند كلامه على آيات عموم القدرة في أكثر من موضع - يذكر مقالة السيوطي - رحمه الله - في تفسير قوله - تعالى -: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٢٠]، حين قال :

«وخصَّ العقل ذاته فليس عليها بقادر»(١)، ثم يتعقبها، ففي تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٍ﴾ [آل عمران: ٢٩]،يقول الشيخ - رحمه الله - بعد ذكره مقالة السيوطي السابقة:

---

(١) تفسير الجلالين، ١ / ٥٤٧ بحاشية الجمل.

«فإن هذه كلمة باطلة، هو أراد معنى – والله أعلم – لكن التعبير بهذا خطأ، نقول : إن الله – تعالى – قادرٌ على كل شيء يتعلقُ بفعله، أو بفعل عباده، كل شيء يفعله الله فهو بقدرته – سبحانه وتعالى – (و)كل شيء يفعله العباد فهو بقدرته، وهذا الاستثناء أو هذا التخصيص غير صحيح، بل العقل يشهد لله – تعالى – بكمال أو بعموم القدرة وأنه على كل شيء قدير».

وفي مسألة التفاضل بين الملائكة وصالحي البشر، وهي مسألة أطال فيها بعض العلماء النَّفَسَ، وحشدت لأجلها الأدلة يوردها الشيخ – رحمه الله – من فوائد قوله – تعالى –: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران : ٣٣]، يوردها بقوله : «من فوائد الآية الكريمة ما ذكره بعض أهل العلم من أن الصالحين من البشر أفضل من الملائكة، ثم يقول: «وعندي أن البحث في هذه المسألة من فضول العلم؛ لأنه أي فائدة لنا إذا قلنا : إن فلاناً أفضل من جبريل، أو جبريل أفضل من فلان..؟»»، وبعد إشارته لشيء من أدلة الفريقين، يقول: (وجمع شيخ الإسلام – رحمه الله – بين هذين القولين، فقال : إن الملائكة أفضل باعتبار البداية، وصالحي البشر أفضل باعتبار النهاية). ثم ينهي الشيخ – رحمه الله – عرضه للمسألة بقوله : (ومع ذلك فإني أرى أن الإمساك عن هذا أولى.. وأمَّا أيهم أفضل فهذا أمر لم نكلف به).

والحق أن الجانب العقدي في تفسير الشيخ سواء ما يتعلق منه بتوحيد الربوبية أو الألوهية أو الأسماء والصفات، أو غيرها من مباحث العقيدة يستحق أن يفرد بدراسة استقرائية وافية يُبرز من خلالها منهج الشيخ في ذلك.

سابعاً: كثرة القواعد العلمية التي يذكرها ويذكر تطبيقها في الآية، وهي قواعد متنوعة من لغوية ونحوية وأصولية وغيرها ومنها :

- الحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً.
- الأصل أن الوصف متحقق في الموصوف حتى يتبين خروجه عن ذلك.
- من تأمل الشريعة وجد أنها تعتني بالمعنى أكثر من الاعتناء باللفظ.
- لا ينبغي الإطلاق في موضع يخشى فيه من التعميم.
- العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.
- عند التنازع نرد المسألة إلى كتاب الله وسنة رسوله.
- العام لا يدل على جميع أفراده دلالة قطعية، بل دلالته ظنية.

ولو جمعت هذه القواعد العلمية العامة مع تطبيقاتها، لشكلت كتاباً نافعاً لطلبة العلم.

وبعد، فما ذُكر في هذه المقالة غيضٌ من فيض، وقليل من كثير، وعسى الله أن يُقيض من يقوم بدراسة منهج الشيخ في عموم العلوم التي برع فيها، فيُبرز فيها ما يفيد طلبة العلم من تراث الشيخ المبارك ولا نملك في الختام إلا أن ندعو له بالمغفرة والرحمة، ونسأل الله أن يبلغه الفردوس الأعلى جزاء ما قدم، إنه سميع قدير، وبالإجابة جدير.

(٤) زهده :

اشتهر الشيخ بزهده في الحطام الفاني، وقد زرته في بيته القديم بعنيزة عندما دعاني لطعام الإفطار في رمضان، وقد كان من الطين، وكان بيتاً بسيطاً جداً يذكر ببيوت الأوائل وزهدهم.

وكان الشيخ يؤثر أن يمشي من بيته إلى الجامع على قدميه غالب الأحيان، ويعتذر لمن يريد أن ينقله في السيارة، ويحب أن يمشي هذه المسافة التي تتراوح ما بين عشر دقائق وربع ساعة على رجليه، وقد كان يقرأ ورده من القرآن أو الأذكار.

وذلك في شدة الحر أو شدة البرد، فهذا ديدنه الذي أدركته عليه في بيته القديم، وقد حصل أن زارني الشيخ في مكة سنة ١٤٠٧هـ عندما رزقت بابنتي الكبرى، وعند انصرافه قلت له : يا شيخ ألا ترغب أن يقوم أحد بتوصيلك إلى الحرم بالسيارة – حيث كان المترل في مكان جبلي في منطقة أجياد – فقال : لا، والحمد لله أنني لا أحسن قيادة السيارة.

وقد سألته في هذا المجلس عما يدعيه بعض العلماء من الاستدلال لجماعة التبليغ على توقيت الخروج، بقوله تعالى : **﴿قُلْ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ﴾**. وقوله تعالى : **﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاَثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ﴾**. إلى آخر ما استُدِل به.

فكان جواب الشيخ بعد أن تبسم : هذا لا يصدر من عالم.

ومن زهد الشيخ : أنه كان يلبس نعلاً معروفاً لها أصبع، لا تتجاوز قيمتها خَمسَة عشر ريالاً، ويلبسها دوماً.

وقال الشيخ محمد صالح المنجّد :

«كان – رحمه الله تعالى – زاهداً في الدنيا، ليس من أهل العقارات والأموال، وما يأتيه من الرواتب ينفقه على أهله، وقد أُعطي سيارة جديدة فلم يستعملها، فلمّا علاها الغبار سحبت من أمام البيت.

وأُعطى بيتاً كبيراً فوهبه لطلبة العلم.

وسيارته قديمة «مازدا» في الثمانينات «يعني الموديل»، ومن تأمّل غترته وبشته، ونعاله عرف أنه رجلٌ زاهد غير متعلّق بالدنيا».[1]

---

(١) محاضرة للمنجد بعنوان (١٠٠فائدة من العلامة ابن عثيمين)، وجاء في الاقتصادية بعدد : ٢٦٥٢ أن السيارة من نوع (كريسيدا).

قال الشيخ فهد بن عبد الله السنيد : «وأما زهده فيكفي أن تعلم أن ريع كتبه التي تطبع بإذنه لصالح الأعمال الخيرية، ويشترط على من يقوم بطباعة كتبه ألا يحتفظ بحقوق لمن أراد طبعه، وتوزيعه مجاناً».[1]

وقال سليمان السالم الحناكي : «وقد ذكر لي من أثق به موقفين للشيخ يعبّران عن صفة الزّهد لديه :

ففي أحد الأيام كان الشيخ يقف بجوار مسجده مع بعض طلبته يسألونه ويناقشونه في بعض المسائل الشّرعية، فأتت سيارة فارهة ونزل منها السائق، وأعطاه مفاتيح السيارة قائلاً : إن هذه السيارة هدية من فلان الفلاني «أحد أعيان البلد» وأبى الشيخ إلا أن الشّخص ألحّ عليه، فأخذ

الشيخ المفاتيح، وركب ذلك الشّخص السيارة الأخرى وذهب.

فيقول محدّثي :

أن الشيخ تابع حديثه مع طلبته وهو يقلّب المفاتيح بيده، ولم يلتفت مطلقاً، وفجأة أتى شاب وسلّم على الشيخ، وقال : يا شيخ الليلة زواجي، وإني أرجو أن تحضره، ولكنّ الشيخ تعذّر لبعض الارتباطات، ولكنّ الشّاب ألح عليه بالحضور، فلاطفه الشّيخ وقال إن ظروفه لا تساعده، ولكن خذ مفاتيح هذه السيارة فهي هديّة مني لك، وأخذ الشّاب السيارة وذهب، وعاد الشّيخ لحديثه وكأن شيئاً لم يكن.

وموقف آخر :

وهو أن الملك خالد رحمه الله تعالى زار الشيخ في بيته كعادة ولاة الأمر في تقدير العلماء وإجلالهم، ولمّا رأى الملك منزل الشيخ المتواضع عرض عليه أن يبني له

(١) مجلة الدّعوة، العدد ١٧٨١.

داراً جديدة، فشكره الشيخ وقال : إنني أبني لي داراً في الصالحية «حيّ في عنيزة» ولكن المسجد والوقف التّابع له تنقصهما بعض الحاجيات والمستلزمات، وبعد أن ذهب الملك قال له بعض جلسائه يا شيخ ما علمنا أنّك تبني داراً في الصالحية، فقال الشيخ : أليست المقبرة في الصالحية !!!.[1]

وقال الشيخ الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي :

أذكر لفضيلته موقفين نادرين في عصرنا الحاضر :

أحدهما : أنه بعد صدور نظام الجامعة أجرت الجامعة تصنيفاً لأعضاء هيئة التدريس فيها حسب (الكادر) الجامعي، وكانت الإجراءات لبعض الدرجات تتطلب تقديم أبحاث ودراسات في مجال الاختصاص، فلم يتقدّم بأي بحث، وحينما فوتح برّر ذلك بأن العالِم لا ينبغي أن يستشرف للرتب والترقيات، وأن أهل العلم الشرعي يحسن بهم الاحتساب والعمل لوجه الله، وما يأتي تبعاً لذلك فلا بأس به.[2]

وقال الشيخ محمد العبد الله الحميدي : «عينت مديراً للمعهد العلمي بعنيزة عام ١٣٩١هـ في الوقت الذي كان فيه الشيخ محمد بن عثيمين لا يزال في موقعه كمدرّس ولاحظت بأنه رحمه الله كان يتحرج من دخول المسابقات في الوظائف «نظام المراتب القديم» لاقتناعه الكامل فيما جاء بالأثر «ما جاءك من هذه الدنيا فخذه، وما لم يأتك فلا تتطلع إليه» ولزهده في الدنيا وقدراته العلمية والرغبة في الاستفادة منها في مجال التعليم».[3]

---

(١) جريدة الجزيرة، العدد ١٠٣٣٦.

(٢) مجلة الفيصل، العدد ٢٩٤.

(٣) الجندي المسلم، العدد ١٠٢.

وقال الشيخ خالد بن عبد الرحمن الشايع :

«ومما تحلى به الشيخ ذلك الزهد الذي يذكرك بزهد السلف الصالح وورعهم، وكان ذلك في لباس الشيخ المتواضع، وفي بعده عن كثير من مظاهر الأبهة التي يتعاطاها كثير من النّاس، وجملة القول أن الشيخ قد زانه الله بخلق كريم، في بيته ومع أهله وطلابه وعموم الناس».(١)

وقال محمد إبراهيم السبيعي :

«أما عن زهده فحدّث ولا حرج، وأذكر أنه حينما زاره الملك خالد بن عبد العزيز يرحمه الله في منزله الطّيني البسيط في عنيزة، عرض عليه أن ينتقل إلى سكنٍ آخر، أو قبول أي مبلغ لبناء سكن مناسب.

لكن الشيخ دعا للملك خالد الذي ألح على الشيخ لقبول هذا الأمر، فآثر أن يوجه هذا التّبرع لشراء العمارة القريبة من الجامع، لتكون مكتبة

لطلبة العلم، فاشتراها الملك بسبعة ملايين مع مبالغ نقدية للطلبة».(٢)

وقال الشيخ راشد الزهراني :

يقول أحد الإخوة وكان مرافقاً للشيخ : «رافقت الشيخ إلى زيارة أحد المسؤولين، فلما دخلنا قصره هالني ما رأيته من أنواع الأشجار والورود وجمال الطبيعة، فقلت وتذكرت نعمة الجنة : نسأل الله عز وجل أن يرزقنا الجنة، فقال رحمه الله : سبحان الله، سبحان الله، أو يحرك ذلك ما في قلبك عن الجنة ؟ إن الجنة أعظم بكثير من أن تقارنها بهذه الدنيا الفانية.

---

(١) جريدة الرياض، العدد ١١٨٩١.

(٢) الاقتصادية، العدد ٢٦٥٠، وذكرتها للزيادة عما سبق.

يقول : ولّما دخلنا المسجد لأداء الصّلاة، خرج الشيخ فلم يجد حذاءه، فبدأنا بالبحث عنها، فأُمر له بحذاء، فأبى، فرأيت جندياً يبكي، فقلت: ما يبكيك رحمك الله ؟ فقال : أبكي لما أرى، هذا ابن عثيمين الذي ملأ اسمه الآفاق، وهو بهذه الثّياب، ويبحث عن حذائه !».(١)

وقال الشيخ أحمد القاضي: «وحتّى حين عيّن على المرتبة الممتازة التي من خصائصها تعيين سائق وسيارة لصاحبها ظلّ لا يستعملها إلا في التنقلاّت المتعلّقة بالعمل، حتّى لربّما تمرّ الأيام دون أن تتحرّك».(٢)

(٥) ورعــه :

الزهد والورع صفتان نبيلتان يتحلى بهما كرائم الرّجال، والزهد كما عرفه أهل العلم : هو ترك ما لا ينفع في الآخرة، والورع: ترك ما يخشى ضرره في الآخرة.

والشيخ رحمه الله تعالى قد تحلّى بكلا الصفتين الكريمتين، وقد سبق الحديث عن زهده، وهذه نماذج من ورعه.

قال الشيخ الدّكتور يوسف بن عبد الله الزامل :

«جئته مع وفد اقتصاديٍّ في أمسية عصر جميلة في منزله القديم، وتحدّثنا في بعض الأمور، وشكونا إليه شخصاً مسيئاً، فكأنّ الشيخ تكلم فيه بضع كلمات تبين أذاه، ثم تحدثنا في موضوعات أخرى وقضينا بعد مدة مجلسنا، وكان المجلس مسجّلاً في

---

(١) شريط معالم في حياة فقيد المسلمين ابن عثيمين، بواسطة (صفحات مشرقة من حياة الإمام محمد بن صالح العثيمين) لحمود المطر.

(٢) المجلة الإسلامية، إذاعة القرآن الكريم.

شريط، وعندما أردنا أن نخرج قال لي: انتظر، أعطني الشريط، أريده ثم أرجعه لك، ثم بدا له فقال: أتعرف تلك الكلمة التي في الشريط عن فلان، امسحها».(١)

وقال الشيخ عائض الردادي :

«وما زلت أذكر موقفَ الشيخ من اسم برنامج «مِنْ أحكام القرآن» في إذاعة القرآن الكريم، فقد أقرته الإذاعة باسم «أحكام القرآن» فأصرّ الشيخ على أن يكون الاسم «من أحكام القرآن» التزاماً منه بخلق العلماء، وتواضعهم وورعهم، فهو لم يرد أن يوصف ما استنبطه من آيات الذكر الحكيم بأنه كلّ ما في الآيات من أحكام، بل أدخلَ «مِن» ليكون ما يقوله شيئاً مما استُنْبِطَ من الآية».(٢)

وقال الدّكتور عبد الله بن عبد المحسن التويجري :

«إنه عرض لمسألة في المسح على الخفّين، وذكر أنّ فهمه للدليل كذا، ولولا أنه لا يعرف من قال بها من السلف لأفتى بها».(٣)

وقال الشيخ محمد صالح المنجّد :

«وكان متحرّياً للدقة، وحتى في تصحيح درجات الطلاب فربما يعطي واحداً من خمسٍ وأربعين، وواحداً من ثمانين، فيقول له بعض من حوله من المدرّسين : إلى هذه الدرجة الدّقة ! فقال : لا أستطيع أن أزيده فأظلم غيره، ولا أن أنقصه فأظلمه».(٤)

---

(١) مجلة الأسرة، العدد ٩٢.

(٢) الجزيرة.

(٣) مجلة الدّعوة، العدد ١٧٧٦.

(٤) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

وقال الشيخ الدّكتور إبراهيم بن عبد الله المطلق :

«في عام ١٤١٧هـ وفي شهر شوّال، استضافته جامعة الإمام في دورة المبتعثين في المعهد العلمي بجدّة في محاضرة علميّة للمبتعثين، ليجيب على أسئلتهم الشّرعية، وقد تزامن ذلك مع اجتماع هيئة كبار العلماء في مدينة الرياض، فاعتذر الشيخ عن المحاضرة إلاّ أن يأذن له سماحة الشّيخ عبد العزيز بن باز، فأذن له، فحضر وقد شرفت بمرافقته وقراءة الأسئلة على فضيلته، وفي نهاية المحاضرة طلبت منه توقيع أنموذج يتم من واقعه صرف مكافأة لصاحب المحاضرة، فلمّا صلى الشيخ رحمه الله تعالى المغرب وجلست بجواره لاستكمال الإجابة على الأسئلة، قال لي: أين الورقة التي قبل قليل؟ فأعطيتها إيّاه، فمزّقها، فقلت له : لما فعلت هذا يا شيخ أحسن الله إليك ؟

قال : نحن محسوبون الآن على هيئة كبار العلماء بالرياض.

فأكبرت هذا الورع العظيم في شخصه رحمه الله تعالى حيث رفض مكافأة الجامعة على هذه المحاضرة رغم تكلفة مشقّة السفر إلى جدّة معلّلاً ذلك بأنه في حال انتداب إلى الرّياض لحضور اجتماع الهيئة، فرحمه الله رحمة واسعة».[1]

وقال الشيخ عبد الرحمن العشماوي :

(ومما رواه لي بعض الأخوة الثّقات عن أمانة الشيخ : أحد الإخوة كان ينقله معه من عنيزة إلى بريدة للعمل في الجامعة، ويقول : أنا في نقل الشيخ معي كنت أستفيد فائدة كبيرة؛ علم، وأسئلة، والشيخ يجيبني، وأفاجأ به في آخر كلّ شهر عندما يستلم راتبه يأخذ المبلغ المقتطع للنقل ويسلمه لي، وأنا أحاول ردّ المبلغ، فيقول : لا يمكن لأن هذا المبلغ مخصص للنقل، وأنت نقلتني فيجب أن تأخذه».[2]

---

(١) مجلة الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) مجلة الدّعوة، العدد ١٧٧٦.

وقال أيضاً : «ومن الأشياء العجيبة عنه أنه كان إذا استخدم قلمه في الجامعة واضطر أن يملأ قلمه بالحبر من «الدواة» من مكتبة الجامعة، بعد أن ينتهي من العمل، وقبل أن يخرج يفرغ ما بقي من الحبر في قلمه في «الدواة» بالمكتب، ثم ينطلق».(١)

وقال الشيخ عبد الرحمن بن علي النّهابي إمام وخطيب جامع الصالحية، وعضو الجمعية الخيرية الصالحية :

«وفي مجالس الجمْعية لاحظت الورع في تعامله رحمه الله، فلا يمكن أن يدخل على الجمعيّة ما لا يصحّ أن يدخل فيها أو يخرج منها، ما ليس فيه مصلحة ظاهرة، أو منفعة تعود على الجمعية.

ومن ذلك : أنه وصلنا تبرع من آل الإبراهيم وفقهم الله بمبلغ مائة ألف ريال، وكان مزيل في الشيك أنّه زكاة، فعرضنا ذلك على فضيلته، فقد كان أفتى بعدم صرف الزكاة لجمعيّات تحفيظ القرآن الكريم، وقلنا سنضعه في الطّلاب الفقراء والمعلمين المحتاجين، فقال : ليُرد عليهم المبلغ، أو يراجعون في تحويله لصرفه لغرض الزكاة.

وكان يقول : نحن مسؤولون عن هذا المال الذي بين أيدينا فلا نستهين ولا بريالٍ واحد».(٢)

وقال الدّكتور عبد الله بن علي الجعيثن :

«ومن أمثلة ذلك : أنه كان رحمه الله يميل إلى قوة القول بأن لابس الخفّ لو نزعه وهو على طهارة مسحاً أنه له إعادته والمسح عليه، لكنه أوقف القول به على وجود قائلٍ به ممن سبقه، حيث قال - رحمه الله تعالى - فالذي يمنعني من

(١) المصدر السابق.

(٢) جريدة الجزيرة، العدد ١٠٣٤٦.

القول به هو أنني لم أطلع على أحدٍ قال به، فإن كان قال به أحد من أهل العلم فهو الصواب عندي».[١]

ومن ذلك أن الشيخ أفتى بفتيا اتهمه الناس على إثرها بتهم شتّى تتعلّق باعتقاده، وذات مرّة سأله أحد طلبة العلم عن تلك الفتوى وما أثارته، فأجابه الشيخ، وقال ضمن إجابته : «إن النّاس إذا رأوا إنساناً مشهوراً تكلموا عليه، وطعنوا فيه حسداً من عند أنفسهم» وفي المساء طلب الشيخ شريط التسجيل الذي تضمّن هذا الكلام، وطلب حذفه، وقال: «قَوْلي : إنساناً مشهوراً ما كان ينبغي لي قولها، فهذه فيها تزكية للنفس».[٢]

وقال في شرح زاد المستقنع في أحد الدّروس :

«قضيّة الأوامر والنواهي لم أصل إلى ضوابط محددة في هذه المسألة، لأننا لوقلنا بوجوب كل أمرٍ لكلفنا الناس، وإلى ساعتي هذه ما وجدت ضابطاً تنضبط به جميع الأوامر وجميع النواهي، لأنه يخرج من الوجوب كثير من الأوامر بالاتفاق، وأما ما خالف الإجماع فالأمر فيه واضح».[٣]

وقال الشيخ عبد العزيز بن محمد الوهيبي :

«وكان رحمه الله يرفض أن يتسلّم رواتب الدروس التي يتخلّف عن تدريسها في الجامعة، نظراً لبعض انشغالاته».[٤]

---

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

(٢) الأسرة، العدد ٩٢.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الاقتصادية، العدد ٢٦٥٠.

وقال الشيخ محمد بن صالح المنجّد :

«خرج الشيخ مرّة مع شخصٍ في سيارته من عنيزة إلى بريدة في مهمة في مشروعٍ خيري، فأسرع السائق المرافق للشيخ، وكان في الطريق نقطة تفتيش على السرعة الزائدة، فأوقفوا السيارة لإعطائه المخالفة، فنظر العسكريّ في السيارة، فإذا فيها الشيخ محمد بن صالح العثيمين، فاستحيا وقال : تفضّلوا امشوا، فمشت السيارة، وبعد برهة يسيرة، قال الشيخ للذي معه : لماذا أوقفونا ؟ قال : لأجل السرعة الزائدة، قال : ارجع إلى هذه النقطة، فاستدار ورجع إلى أمر الشيخ، فلمّا وصل إلى المكان قال لهذا العسكريّ : لماذا أوقفتنا قبل قليل ؟ قال : يا شيخ كان فيه سرعة زائدة، قال ولماذا تركتنا نمضي ؟ قال : قلت لعلّكم مستعجلين وعندكم مسألة مهمّة، قال : لا، كم هي مخالفة السّرعة ؟ قال : يا شيخ ما فيه داعي ؟ قال :كم مخالفة السّرعة ؟ ثلاثمائة، هذه مائة وخمسون منّي ومائة وخمسون تأخذها من هذا لأنه خالف ولأني ما نصحته، وأصرّ على دفع المبلغ».(١)

وقال الدكتور أحمد بن سليمان العريني :

«عندما درّسنا لمادة العقيدة في كلّية الشريعة بالقصيم، وأجرى لنا امتحان أعمال السنة، كان الامتحان يوم الأحد، وفي السّبت الذي يليه أحضر أوراق الإجابة مصحّحة، بينما عدد الطّلاب يفوق الثمانين، فسلّم لنا الأوراق وقال : اقرؤُوها، ومن وجد أنّي ظلمته في شيء من الدرجات أثناء التصحيح فليُراجعني، وأذكر أن أحد الزّملاء راجعه في نصف درجة فأضافها له».(٢)

(١) شريط ١٠٠ فائدة من العلامة ابن عثيمين.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

وقال الشيخ بدر بن نادر المشاري :

«كان رحمه الله لا يستخدم أقلام وأوراق الدوائر الحكومية في أعماله الخاصة والشّخصية، حدّثني أحد طلاب الشيخ : أنه في أيّام الحج يقول : كنّا في صحبة الشيخ، وقد وفّرت له الدّولة وفّقها الله هاتفاً مجّانياً بالصّفر الداخلي، وإذا أراد أن يتصل الشيخ اتصالاً شخصياً اتصل بهاتفه الخاص، وكان يقول : هذا هاتف يستقبل ولا يرسل، بل ويقول نفس طالب الشيخ :

اتصل بي في إحدى المحاكم بالمملكة وقال : لديّ ورقة خاصة أريد أن أرسلها لك بالفاكس، أعطني رقم الفاكس، فقلت : هذا الرقم يا شيخ يتحول إلى فاكس، فقال الشيخ : أليس هذا رقم المحكمة ؟ قلت : بلى، قال : والفاكس أليس للمحكمة ؟ قلت : نعم، قال : كيف أرسل ورقة خاصة على حساب بيت مال المسلمين ؟ اذهب واشتري فاكساً لأرسل لك الورقة، وتم ذلك».[(١)]

وقال الشيخ عقيل بن عبد العزيز العقيل :

«دعاني الشيخ ابن عثيمين للطعام، وكان نوعاً واحداً على السفرة، وبعد أن تناولنا الغداء أعطاني كيساً فيه مبلغ كبير من المال جُمع في المسجد لصالح المسلمين، ولما خرجت لحقني الشيخ مسرعاً قبل ركوبي، ويناديني، فقلت : ماذا تريد يا شيخ ؟ فقال : انتبه، إن في الكيس نصف ريال، فقلت : أبشر يا شيخ، وعندما فتح الكيس وعددنا الأموال وجدنا نصف ريال، وكان الشيخ من حرصه على أموال النّاس وصدقاتهم خائفاً أن ننسى هذا النصف..».[(٢)]

---

(١) شريط (أحبّ لقاء ربّه) نقلاً عن صفحات مشرقة لحمود المطر.

(٢) جريدة الرياض، العدد ١١٨٩١.

قال الأخ خالد بن صالح الشبل :

«كان للشيخ محاضرة في إحدى الدور الصيفية للبنات التابعة لجمعية تحفيظ القرآن في عنيزة، ولما حضر كنت أحضرت معي إناءً صغيراً فيه رطب، وكان الرطب في بدايته، ولما قَدّمته للشيخ أكل منه اثنتين أو ثلاثاً، واستغرب أن يوجد هذا في ذلك الوقت، لكني قلت له : إن هذا من نخلة عندنا بجوار المسجد، وتُسقى من ماء المسجد، ويأكل منها جماعة المسجد والمارة، فتغيّر وجهه وقال لي ولم يكن معنا أحد: يعني ليست عندك في البيت ؟ قلت : لا، فأخرج من جيبه عشرين ريالاً، ومدّها لي، فحاولتُ ردّه، لكنه رفض بشدّة، فأدخلت المبلغ للمسجد، وندمت إن كنت أسأت إلى الشيخ من حيث لا أريد ذلك، وإنّما أحببت أن يطعم منها حُبّاً له».(1)

وقال الشيخ عبد الله بن عبد العزيز الغفيص :

«ذات مرة ونحن في الغرفة التي يجلس بها في المسجد الحرام للرد على أسئلة المستفتين ازدحمت الغرفة كثيراً بسبب وفود قدمت من الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي، وجاء وقت الإفطار، فأخذ يوزّع التمر على الضيوف بنفسه رحمه الله، وقام أحد الطلبة بإدخال أحد ترامس الماء التي خارج الغرفة بجوار الباب لكثرة الناس داخل الغرفة، وكان التّرمس الذي بداخلها لا يكفي، فقال الشيخ : لا تُدخله، فهذا لم يوضع لنا داخل الغرفة، وإنما للمصلين الذين بالخارج.

ومن ذلك أيضاً : أنه كان يقتصد في الإضاءة داخل الغرفة، فعندما أشعل الأنوار وقد تكون ثلاثاً أو أربعاً، يقول : يكفي واحدة أو اثنتان ويأمرني بذلك».(2)

---

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٩.

(٢) ملحق الأربعاء، عدد يوم ٢٩/١٠/١٤٢١هـ.

وقال د. أحمد بن عبد الرحمن القاضي :

«من عجائب ورعه ودقّته أنه إذا تغيّب عن إمامة الجامع بسفرٍ أو نحوه دفع ما يقابل راتب الإمامة لمن استخلفه، وكان إبان تدريسه بالمعهد العلمي كما حدّثونا من سبقونا أنه إذا تأخّر عن الدّوام ولو لبضع دقائق أثبت ذلك في سجلّ الحضور والانصراف، وكتب أمامه : بغير عذرٍ».[1]

ومن أبرز مظاهر الورع عند الشيخ رحمه الله تعالى ما اشتهر عنه من رفضه للمناصب الكبرى، ومنها منصب القضاء. فقد أصدر الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي المملكة العربية السعودية ورئيس قضاتها أمره بتولّي الشيخ - المترجم - القضاء في محكمة الإحساء رئيساً لها.

فاعتذر الشيخ و لم يقبل الشيخ ابن إبراهيم رحمه الله تعالى اعتذاره لما يجده في الشيخ ابن عثيمين من القدرة على تولّي هذا المنصب الهام والخطير في نفس الوقت، لكن الشيخ محمد ألحّ في رفضه، وبعد اتصالات مع الشيخ ابن إبراهيم - رحمه الله تعالى - قبِل اعتذاره.

وقال الشيخ عبد القادر محمد العماري، رئيس المحاكم الشرعية بقطر سابقاً :

«فابتعاده رحمه الله عن القضاء على الرّغم من إلحاح فضيلة الشيخ محمد ابن إبراهيم عليه يدلّ على زهده وورعه، ولكن إلحاح الشيخ محمد باعتباره رئيس القضاء كان مبنياً على أن من مسؤوليته أن يتولّى الأكفاء والنُزَهاء، وأن من واجبهم المشاركة في المسؤولية حتى لا تخلو الساحة من الأكفاء والمخلصين، ويترك الحبل على الغارب، وتكون النتيجة عكسية، فيتحمل مسؤوليتها الجميع أمام الله...».[2]

---

(١) جريدة البلاد، العدد ١٦٢٤٤.

(٢) المستقبل الإسلامي، العدد ١١٥.

(٦) تواضعه :

إنّ سجية التواضع من السّجايا التي تحلّى بها الشيخ، وألقت له المحبّة والقبول في نفوس العامة والخاصة من النّاس، فهو متواضعٌ في ملبسه وممشاه، وجلوسه مع الناس، وتعامله معهم، وفي حله وترحاله، وفي سائر شؤونه رحمه الله تعالى وغفر له.

قال الدكتور يوسف بن عبد الله الزّامل : «اتّجهت صباح أحد الأيام إلى المطار لأسافر إلى الرّياض لمناقشة رسالة [ماجستير] في الاقتصاد الإسلامي، ولم أشعر وأنا أمرّ بالفحص الأمني إلاّ والشيخ رحمه الله تعالى يمرّ بجانبي، فسلمت عليه بشعور اختلط فيه السرور، مع المفاجأة، وكان الشيخ خفيف المحمل فلم يكن معه حقيبة، ولذلك سرعان ما تقدّم حتى ابتعد كثيراً، وما إن جمعت حقيبتي بعد فتحها حتّى هرولت مسرعاً للحاق به، وما إن صعدنا الطائرة حتى قال له أحد المضيفين : تقدّم ياشيخ، فالمقاعد في الدرجة الأولى خالية، فقال: لا، وإن أذنتم جلسنا في مؤخرة الدرجة السياحية خلف الناس، فبادر المضيف : (تفضّلوا)، ولما أردنا الجلوس خلع الشيخ (البشت) أي [العباءة] فقال المضيف: أعطنا نعلّقه،فقال الشيخ:لا،ما يحتاج (عتيق) أي أن البشت قديم لا يستحقّ مزيد عناية وطواه بنفسه ووضعه في الكرسيّ الوسط وجلس إلى النافذة وجلست بجانبه على كرسيّ الممر..».(١)

وقال الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التويجري :

«ولا أنسى في هذا المقام أنني عاتبت أخانا الفاضل عبد الكريم المقرن – المذيع بإذاعة القرآن الكريم – حيث قلت له : لماذا عند التعريف بالشيخ عند تقديم برامجه

---

(١) مجلة الأسرة، العدد ٩٢.

- مثل نور على الدرب - وسؤال على الهاتف، وتفسير آيات الأحكام، لا تذكرون أنه عضو هيئة كبار العلماء، لأنه أعلى الألقاب للشيخ ؟ فقال : إن الشيخ يرفض ذلك بتاتاً، وقد حاول معه بعض المشايخ وطلبة العلم، ومع ذلك رفض».(١)

ويذكر الشيخ عبد الرحمن بن علي النهابي عن خروج الشيخ معهم في رحلة برّية وهم طلاب في المرحلة الثانوية :

فقال الشيخ عبد الرحمن : «أتذكر أن فضيلته بعد التوجيهات، والتعليم، والترتيب، ابتدأنا بالسباق على الأقدام فكان والدنا الشيخ هو الأول مع أحد الطلاب، فكانت النتيجة أن سبق الشيخ الطالب لقوّة جريه، ثم تتابع السّباق».(٢)

وقال الدكتور عبد الله بن حافظ الحكمي :

«ولقد حضرت مناسبات ومآدب لفضلاء أجلاء من كبار العلماء والمشايخ والوجهاء، والشيخ من المدعوين لها، فيأتي المدعوون بمظهر أنيق، وسيارات فارهة بما أباحه الله لعباده، ويأخذون مجالسهم في هدوء منهم ومن الحاضرين، ويأتي الشيخ متأخراً، أين سيارته، إنها هذا الونيت، أو الجيب، أو تلك السيارة الصغيرة التي يزدريها النظر لأحد طلبته من صغار السّن، وإذا بالشيخ بقامته القصيرة، وجسمه النحيل، وعباءته المتواضعة، قد قصر ثوبه، ووضع غترته البيضاء على رأسه من غير تكلّف، وقد أحاط به محبّوه من كل مكان.

فإذا أقبل تسابق المستقبلون للحفاوة به، وإذا دخل المجلس ارتج المجلس لحضوره، يحيونه ويكرمونه بصدر مجلسهم، والشيخ هاش باش يرد التحية بأحسن

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) الجزيرة، العدد ١٠٣٤٦.

منها، ويقابل الثناء بالدعاء، تأخرت علينا يا شيخ، فيعتذر : نعم، نعم، لقد كان عندي درس وتأخرت لإجابة السائلين والمستفتين، و لم أتمكن من الحضور إلا الآن، فإذا جرى الكلام كان كلامه مقدّماً ورأيه ظاهراً».[1]

وقال العقيد الركن/ علي بن محمد الخشان : «دُعي مرّة لإلقاء محاضرة في المعهد الملكي الفنّي بالقصيم، فلما أنهى المحاضرة صار الخروج من باب غير باب الدخول، فسارع أحد الطلبة للإتيان بحذاء الشيخ، وقال ذلك الطالب : سأحمل الحذاء حتى تخرج، فرفض الشيخ، وقال مازحاً : أتريد أن تأخذها لك، وكان أيضاً إذا دخل المسجد حمل حذاءه بنفسه، ووضعه بجواره حيث يوجد عازل؛ لئلا تؤذي المأمومين».[2]

وذكر الشيخ عبد العزيز بن حمّين الحمين رئيس محكمة محافظة الرّس مظهراً من مظاهر تواضعه :

«إفشاء السلام على الصغير والكبير، حتى على عمّال النظافة والباعة في الأسواق، في رحمة وألفة عجيبة تخرج بلا تكلّف ولا عناء، مع ابتسامة إيمانية تأخذ القلوب، تطبيقاً لقوله ﷺ : «**أفشوا السلام**» الحديث.. وهو أسلوب تربويّ دعوي لا يكلّف شيئاً لكنه عظيم الأثر، عميق التأثير».[3]

قلت : ومن تواضع الشيخ قوله عن نفسه : «ولست من الذين يصحّ نسبتهم إلى علم الحديث، ولكني اتجهت إلى علم الحديث».[4]

---

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٨.

(٢) مجلة الجندي المسلم، العدد ١٠٢.

(٣) جريدة الرياض، العدد ١١٨٩٦.

(٤) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

فليتعظ بهذا من يحفظ حديثاً أو حديثين فيدعى بين الأنام محدّثاً.

وقال الأخ كمال أحمد صابر «أمين مكتبة السكن الطلابي» :

«في مرحلة إنشاء السكن الجديد للطلاب كان الشيخ رحمه الله تعالى يأتي يومياً لمتابعة المبنى، ويتطلع على الأمور والمستجدات بنفسه مع العمال والمهندسين، وفي ذات يومٍ وهو يقوم بالتفقد للسكن أراد الشيخ رحمه الله تعالى أن يطمئن على خزان الماء الأرضي للسكن، فقام برفع غطاء الخزان الأرضي ليتأكد من نظافته، وذلك مما يدل على تواضع الشيخ وحرصه الشديد على طلابه».[١]

وقال أيضاً :

«كان من تواضعه أنه رحمه الله يحمل معي بنفسه صناديق الكتب التي تأتيه إلى البيت، حيث إن الشيخ يقوم بالاتصال عليّ في المكتبة، ثم أذهب إليه في البيت، ثم أقوم بعمل فهرسة هذه الكتب التي تأتي من داخل البلاد وخارجها، فكان الشيخ رحمه الله تعالى يحمل معي الكتب، ويجلس على الأرض».[٢]

ويقول إبراهيم بن الشيخ محمد بن عثيمين عن والده المترجم :

«كان للشيخ نفقات كثيرة وخدمات متعددة من الصعب أن أعرفها حتى لو علمت منها أشياء، فهناك الكثير الذي لا أعلمه، والسبب في ذلك أنه كان يدير أمواله وأعماله بنفسه، لم تكن له سكرتارية ومكتب، أو مثل هذه الأشياء، ورغم ذلك كان منظماً حتى مخاطباته كان يكتبها بخط يده».[٣]

---

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

(٣) الأسرة، العدد ٩٢.

ومن بساطته رحمه الله تعالى ما **ذكره الشيخ عبد المحسن القاضي** :

«أن الشيخ ذات مرّة حين كان قادماً من مسجده إلى بيته على رجليه أراد الجنود منْعه من المرور بجوار منزله نظراً لأن ولي العهد سيقوم بزيارة الشيخ ابن عثيمين، فأخبرهم بأنه ابن عثيمين الذي سيزوره ولي العهد، و لم يعرفه الجنود حينها».(١)

وقال محمد الناصر العريني :

«كان من شدة تواضعه لا يكتب اسمه تحت لقب الشيخ، ولا بالابن، وإنما يكتب محمد الصالح العثيمين كما ترونها في فتاواه وتزكياته، وسمعته في محرابه يقول لشخص : اذهب لفلان، وقل له يقول لك محمد العثيمين كذا وكذا».(٢)

وقال الطالب عبد الرحمن الوكيل :

«وأذكر قصة حدثت في أحد تلك الدروس «في الحرم المكي» حيث كنت جالساً إلى جوار الشيخ، وعندما انتهى من الدّرس قدم له أحد طلابه كوباً من الماء، فشرب نصفه، وقدم لي نصفه الآخر، فكان موقفاً لا ينسى بالنسبة لي».(٣)

وقال الشيخ فهد بن عبد الله السنيد :

«كنت آكل معه رحمه الله أكلة السحور في مكة، وكنت جالساً إلى جانبه، فلمّا شرع في أكل الفاكهة صار يعطيني منها، وهذا يدلّ على تواضعه، وحسن ملاطفته لطلاّبه.

---

(١) جريدة الوطن، العدد ١١٢، بتصرف يسير.

(٢) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٥.

(٣) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٦.

وأذكر أيضاً : في عام ١٤٠٦هـ في عنيزة أن بعض الحاضرين أحضرَ نَعْليْ الشيخ – رحمه الله تعالى – لما أراد الخروج من المسجد ليلبسهما، فرفض الشيخ ذلك، وأمره بأن يعيدهما إلى مكانهما». (١)

قلت : ومما أذكره مما رأيته من تواضع شيخي رحمه الله تعالى أنه في عام١٤٠٦هـ بعد تخرجي من الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، احتجْت إلى عدد من شهادات التعريف «التزكيات» من الشيخ لأتقدم للحصول على الماجستير فطلبت من الشيخ أن يكتبها لي، وقد كان في الحرم المكي فجلس على الدرج النازل من الدّور الثاني إلى الدور الأولّ ناحية باب الملك عبد العزيز، وبدأ يكتب لي هذه التعاريف، وأذكر أنها كانت خمسة مقدمة إلى خمس جهات.

ومما أذكره أيضاً أنه في عام ١٤١٣هـ أتى الشيخ للعمرة، و لم يكن كثير أحد يدري أنه في الحرم، فطلبت منه أن أصحبه في عمرته لأنظر ماذا يصنع، وبعد الانتهاء من العمرة اتّجه إلى السيارة التي أتى فيها، وقام بتبديل ملابسه بجوار السيارة الواقفة أمام مستشفى أجياد كما يفعل الفقراء والضعفاء ممن لم يتيسر لهم مسكن بمكة، وهذا من تواضعه رحمه الله وغفر له، وفي هذه المرّة وبعد صلاة العصر أراد الشيخ الخروج من الحرم، فذهب أحد محبّيه لإحضار نعله، فغضب الشيخ وقال له: تب إلى الله، فقال حاضر يا شيخ سأفعل لكن ليس الآن، فقال : بل الآن.

وفي هذه السنة ١٤١٣هـ احتجت أيضاً إلى تعريف من الشيخ، فطلبت منه ذلك، فجلس في الصحن حول الكعبة، وكتبه لي، ولا يزال معي إلى الآن(٢). فرحمه الله تعالى وغفر له.

---

(١) الدعوة، العدد ١٧٨١.

(٢) انظر صورة منها في مقدمة الكتاب.

وقبل هذا بسنوات في عنيزة كنت جالساً مع فضيلته في المسجد المؤقت أثناء بناء المسجد الجامع الجديد، وتعطل الميكروفون، فقلت للشيخ : هل تسمح لي بإصلاحه، فقال : إذا أردت أن أعلمك طريقة الإصلاح فأنا على استعداد لذلك، أو كما قال رحمه الله تعالى وغفر له.

وقال الشيخ عبد المحسن القاضي :

«مرة كان في إحدى حلقات التعليم، أحد طلابه ذهب إلى دورة المياه، فانكسرت«أنبوبة» الماء، فأتى إلى الشيخ في وسط الحلقة وأخبره بذلك فما كان من الشيخ رحمه الله – وكان في مسجد بجوار بيته يدرس في الصباح – إلا أن ذهب وأتى بعدّة الإصلاح «السباكة» هو والطلاب، واجتمعوا وأصلحوا هذه «الماسورة»، ثم رجع لدرسه ليكمل».[1]

وقال النقيب صالح بن عبد العزيز العجلان :

«أذكر في ذات مرّة كنت في مجلسه في منى أثناء موسم الحج، وكان في نفس المجلس «المخيّم» سماحة مفتي الدّيار السعودية الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى حيث يجلس بجانبه، من أجل الفتوى لعامة الناس، وبينما الزّحام يختلف من وقت لآخر وكلاهما رحمهما الله مشغولٌ في الفتوى والإجابة على الأسئلة دون كللٍ أو مللٍ حتّى خفّ الزحام، ولم يبق لديهما من يسأل، ثم أقبل رجلٌ يريد الإجابة على سؤال، ثم اتّجه لفضيلة الشيخ ابن عثيمين، وسأل الرّجل، ثم رفض الشيخ محمد الإجابة وأشار لفضيلة الشيخ ابن باز قائلاً : «انظر الوالد» أي اسأل الوالد ابن باز».[2]

(١) برنامج «معكم على الهواء، حلقة خاصة عن الشيخ» بواسطة صفحات مشرقة، ص ٨.
(٢) الأربعاء عدد يوم ١٤٢١/١٠/٢٩هـ.

وقال عبد الله بن عبد العزيز الغفيص :

«في مرّة كان له محاضرة في كلية البنات بمكّة، وأنزلته بجوار باب الإدارة وكان في استقباله المسؤول، وذهبت أبحث عن موقف للسيارة، وبقي ينتظرني عند الباب حتّى عُدت، ولم أكن أعلم أنه ينتظرني».(١)

وقال إبراهيم بن الشيخ محمد بن عثيمين :

«أذكر في وقت مرضه كان في المسجد في الجامع الكبير بعنيزة صلى معه شخص قد جاء من «حفر الباطن» للسلام على الشيخ والاستفادة من علمه، وكان معه (طواقي) المعروفة والتي توضع على الرأس، فكانت اثنتين يقول أنهما من صديق له، والدته قامت بصنعها بيديها وهي من أهل جازان، فقام من تواضعه وبساطته رحمه الله بأخذها، وقام بنزع غترته وطاقيّته، ثم قام بوضع إحدى تلك الطاقيتين رغبة منه رحمه الله بجبر خاطر ذلك الرجل، وخرج من المسجد وهي على رأسه».(٢)

وقال الشيخ محمد الشرافي :

«أحد الإخوة واسمه عبد الصمد سأل الشيخ مرة في درس التفسير قال : يا شيخ حفظك الله، إنا نجد في القرآن أن الله سبحانه وتعالى يذكر السمع مفرداً، والبصر مجموعاً، كقوله تعالى : **﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلاَ أَبْصَارُهُمْ﴾**. [الأحقاف: ٢٦] وقوله: **﴿وجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ﴾**. [السجدة: ٩] فلماذا؟ فأطرق الشيخ برهة، وقد أشرعنا أقلامنا لكتابة الجواب، ولكن كان الجواب أحسن مما نتوقع، فقال الشيخ : لا أعلم، فوالله ما أُعطينا فائدة في تلك الليلة أعظم من تلك الفائدة».(٣)

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الرياض، العدد ١١٨٩٧.

(٣) شريط الإمام ابن عثيمين، مجموعة من طلبة الشيخ (تسجيلات صدى التقوى بالرياض).

وقال د. سعود حسن مختار بعد أن ذكر إجابة الشيخ للدعوة، قال : «ولقد حدث هذا معي شخصياً قبل أكثر من عشر سنوات، فقد رأيته مرّة في مكان عام بمكة، وقلت له : يا شيخ أتمنى لو تجيب دعوتي مرّة وتجلس إلى إخواني وأهلي، فقال : أين عنوانك، قلت : في جدّة، فقال: إن تنتظر إلى بعد الحج آتيك، وإن دعوتني هنا في مكة آتيك، فدعوته في بيت صهري عدنان يماني رحمه الله بالعزيزية، فقلت له : متى آتيك يا شيخ لآخذك، قال : لا، أنا آتيك ! وأخذ العنوان، وفي الوقت المحدد تأخر الشيخ دقائق، فقلت : لعلّه نسيني، وهذا من الطبيعي من مثله لمثلي وإذا به يقف أمامي، ثم أدخلته إلى المنـــزل، وذهبت لأحضر مسجّلاً لأسجّل كلامه، فجئت بالمسجّل، ثم ذهبت لإحضار الشاهي ودعوة إخواني الموجودين من أهلي، فلمّا رجعت رأيته قد غيّر مكانه إلى مكان آخر، وجهّز المسجّل بعد أن أزاح بعض الأثاث بنفسه حتى لا يعوق توصيل الكهرباء ! وأنا مندهش لتواضعه، ثم قال: لا تكلّف على نفسك؛ الفول زين بمكة، ويكفينا للعَشاء».[1]

وقال أحد محبّي الشيخ رحمه الله تعالى : «كان رحمه الله تعالى مع أحد محبّيه بسيارة قديمة، كثيرة الأعطال فكانت تمشي وتتوقف، وفي مرة من المرات توقفت وهو في طريقه إلى الجامع، فما كان منه رحمه الله إلا أن قال للسائق : ابق مكانك، وسأنزل لأدفع السيارة، فنـــزل الشيخ رحمه الله تعالى ودفع السيارة بنفسه حتى تحركت».[2]

وقال الشيخ حمد بن عبد الله الجطيلي :

«كنت يوماً بجواره في احتفال المعهد العلمي بعنيزة، وسألني قائلاً : هل لك كلمة في الحفل ؟ فقلت : لم يُطلب مني ذلك، فدعا مدير المعهد خلال الحفل، وقال له :

---

(١) المدينة، العدد ١٣٧٧٩.

(٢) جريدة البلاد، العدد ١٦٢٣٧بواسطة صفحات مشرقة ص ٥٨.

اجعلوا كلمة للشيخ حمد، فخجلت من نفسي أن يقول الشيخ عنّي شيخاً؛ وزاد على ذلك أن قال لمدير المعهد : اجعلوا كلمته قبل كلمتي، فزاد من حرجي وحيائي».(١)

وقال د. محمد رزق طرهوني بعد أن ذكر قصة لطيفة في تقبيل رأس الشيخ :

«وبعد صلاة التراويح بدأ درسه كالعادة بتفسير آية من الآيات تلاها إمام الحرم، ثم بدأ في درسه، وكان عنوانه «السلام» وتكلم كلاماً عجيباً وكأني لأول مرة أسمعه، ثم استفاض في ذلك كعادته رحمه الله وأسكنه فسيح جناته، ثم أجاب عن الأسئلة المطروحة عليه، بعد ذلك قال : يا إخوتي ويا أبنائي أرجو منكم بعد مغادرتي لهذا المكان ألا تتجمعوا عليّ وتقبّلوا رأسي، ومن أراد السلام عليّ ففي المكان، وتكفي المصافحة ومن الأمام فقط ومن الأمام فقط، ثم قال رحمه الله تعالى : أرجو أن يسامحني كل من جفوته، أو نهرته، أو قسوت عليه، فلا أريد إلا الإصلاح ما استطعت، وأريد أن يكون طالب العلم متحلّياً بسمات العالم، متميزاً عن غير ».(٢)

وقال أيمن بن عبد العزيز أبانمي :

«مرة ذهب ليلقي محاضرة في الحرس الوطني، وقد استعد كبار الضباط لاستقباله عند المسجد، فلمّا أتى لينزل من السيارة جعل حذاءه داخل السيارة ونزل، فأشار إليه مرافقه أن يلبس للوجاهة، فقال الشيخ : لا، دعها، ونزل حافياً فما زاده ذلك إلا مهابة وتعظيماً».(٣)

---

(١) جريدة الجزيرة، العدد ١٠٣٤١.

(٢) انظر صفحات مشرقة ص ١٢٤، وعزاه لجريدة المدينة، العدد ١٣٧٧٩.

(٣) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٤.

وكان الشيخ مع أهله مثالاً للتواضع ولين الجانب، من ذلك ما ذكره ابنه إبراهيم حفظه الله تعالى قائلاً :

«كان لا يقدم على أمر يتعلّق بنا أو بالأسرة إلا بعد مشورتنا، فدائماً كان يكرّر رحمه الله كلمة : سوف نعقد مؤتمراً عائلياً وهو يمازحنا، فكان يجتمع بنا ويستشيرنا، فرداً فرداً، ويطلب الرأي من الصغير والكبير، فيجمع الآراء، ونتفق سويّاً».(١)

قلت :

ومما أذكره من تواضعه رحمه الله تعالى واحترامه لأهل العلم : أن الشيخ ألقى محاضرة في جامع الرّاجحي بالرياض بالربوة في «أحداث الشيشان» في يوم الأربعاء ١٤٢٠/٨/١٦هـ وبعد أن انتهى كان من ضمن الأسئلة التي وجّهت إليه ؟ ماذا تقولون في الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، وكان قد توفّي منذ فترة، فأجاب الشيخ قائلاً : «مثلي لا يتكلّم عنه؛ لأنه أعلم منّي وأنفع مني للأمة، ونشهد الله على حبِّه، وهو أول من فتح الباب للبحث في علم الحديث، ونفع الله به الأمة ؟!!» رحمه الله وغفر له.

«وفي أحد المرات دعي لافتتاح تسجيلات إسلامية فوجد لكل صاحب أشرطة لوحة كبيرة عليها اسمه، ولاحظ أن لوحة الشيخ الألباني صغيرة، فأنكر عليهم، وأمرهم بتكبير لوحة الألباني، أو تصغير لوحات المشايخ الآخرين».(٢)

---

(١) شريط الإمام ابن عثيمين، بعض أقرباء الشيخ، تسجيلات (صدى التقوى) بالرياض.

(٢) مجلة الأسرة، العدد ٩٢.

(٧) عدم محبته للمديح، والثناء عليه :

وقد كان رحمه الله تعالى لا يحب الإطراء عليه، أو مدحه والثناء عليه عند الناس، ويمنع من ذلك، بل يُحرج من يفعل ذلك إذا استمرّ عليه، ويوقفه عن ذلك :

من ذلك ما اشتهر عنه أنّ أحد طلابه استأذن منه أن يتلو أمامه قصيدة، فأذن، فقال الطالب :

يَا أمتي إن هذَا الليلَ يَعقبه فَجرٌ — وأنــوَارهُ في الأَرضِ تَنتَشِــرُ
والخَيرُ مُرتقبٌ والفَتْــح منْتَظرٌ — والحقّ رغمَ جُهُودِ الشّر منْتَشرُ
بِصَحوةٍ باركَ البَاري مَسيرَتَها — نقيّة مَا بِهَــا شَــوبُ وَلاَ كَدَرُ
مَا دَام فِينَا ابنُ صَالح شَيْخُ صَحْوَتِنَا — بِمِثْلِه يُرْتَجَى التّأييدُ وَالظّــفَرُ

فاعترض الشيخ على الطالب، وقال : أنا لا أوافق على هذا البيت لأني لا أريد أن يربط الحق بالأشخاص، فإذا ربطنا الحقّ بالأشخاص معناه أن الإنسان إذا مات قد ييأس الناس.

ثم قال : إذا كان يمكنك أن تبدل البيت :

ما دام فينا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ هذا طيب.

فقال الطالب : ما دام فينا كتاب الله وسنة رسوله - ابن عثيمين - فاعترضه الشيخ قائلاً : لا، الله يهديك، لا، لا هذه لا تجيبها أبداً.. وقّف وقّف.

ثم قال من حوله : «خلّه يواصل يا شيخ».

فاعترض قائلاً : لا، لا والله ما أرضى، لا، لا ما أرغب.

ثم علّق قائلاً : «أنا أنصحكم من الآن وبعد الآن، أن لا تجعلوا الحق مربوطاً بالرجال، الرجال أولاً يضلّون، حتى ابن مسعود يقول : من كان مستنّاً فليستَنّ بمن قد مات، فإن الحيّ لا تؤمن عليه الفتنة، الرّجال إذا جعلتم الحقّ مربوطاً بهم يمكن الإنسان يغترّ بنفسه - نعوذ بالله من ذلك - ويسلك طرقاً غير صحيحة..».[1]

وقال الشيخ محمد بن عبد الله المشوّح :

«طلبت منه رحمه الله أن نعقد معه لقاء عبر برنامج «في موكب الدّعوة» المعروف، الذي يذاع عبر إذاعة القرآن الكريم، لنتناول شيئاً من سيرته وحياته، وطلبه للعلم، ومشائخه، وتوجيهاته لطلبة العلم، فلبّى بكلّ تواضع، فصدرت ذلكم اللقاء بتقديم موجز مختصر، أثنيت فيه على الشيخ رحمه الله بما هو أهله من الأوصاف العلمية، والمديح الصادق.

فأوقفني وأوقف التسجيل، وطلب محو وإزالة تلك المقدّمة، والاكتفاء بالاسم مجرداً من أي مديح، أو إطراء، أو ثناء».[2]

وسمعت الشيخ محمد صالح المنجّد يقول :

«كان الشيخ رحمه الله تعالى من تواضعه لا يرضى أن يقال له : العلامة، وإذا سجّل أحد طلابه ذلك في شريط، قال : امسح، امسحه من الشريط وقلت له مرّة : يا شيخ هذه المسائل التي سألتك إياها سنجمعها في كتاب مسائل العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، قال : لا نريد العلامة ولا غيرها».[3]

---

(١) من شريط (١٠٠ فائدة من العلامة ابن عثيمين) للمنجّد.

(٢) جريدة الرياض، العدد ١١٨٩٣.

(٣) شريط (١٠٠ فائدة من العلامة ابن عثيمين) بالحرس الوطني بالرياض.

قلت : وهذا الذي أشار إليه سمعته بنفسي من الشيخ، فقد كان الشيخ يلقي محاضرة في مدينة بريدة في الجامع الكبير حوالي سنة ١٤٠٤هـ، وقدّم له المقدّم بالثناء عليه ووصفه بالعلامة، وبعد أن انتهى عقب الشيخ عليه قبل بدأ المحاضرة منكراً عليه وصفه بالعلامة، ثم قال : إن العلامة هو من يجمع علوماً كثيراً، وأنا لست كذلك وإنما يصح هذا على أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية ونحوه، أو كما قال رحمه الله تعالى.

وقد حدث مثل هذا الموقف في الرياض في مسجد علي بن المديني في عام ١٤٢١هـ قبل وفاة الشيخ بأشهر قليلة.

وأيضاً كان الشيخ يمنع إطلاق كلمة «الإمام» على كل عالم أو داعية، ويقول: إن الإمام من له أتباع يتبعونه في مذهبه وقوله، كالأئمة الأربعة ونحوهم ولا يصح أن تطلق على كلّ عالم، ومن ذلك ما ذكره عن الموفق ابن قدامة رحمه الله تعالى معلقاً في شرح زاد المستقنع على قول الحجاوي رحمه الله تعالى : «أما بعد : فهذا مختصر في الفقه من مقنع الإمام الموفق أبي محمد على قول واحد..» قال : «قوله : الإمام» هذا من باب التساهل بعض الشيء لأن الموفق ليس كالإمام أحمد أو الشافعي، أو مالك أو أبي حنيفة، لكنه إمام مقيد له من ينصر أقواله ويأخذ بها، فيكون إماماً بهذا الاعتبار.

أما الإمامة التي مثل إمامة الإمام أحمد وما أشبهه، فإنه لم يصل إلى هذه الدرجة، وقد كثر في الوقت الأخير إطلاق الإمام عند الناس، حتى إنه يكون الملقّب بها من أدنى أهل العلم.

وهذا أمرٌ لو كان لا يتعدى اللفظ لكان هيناً، لكنه يتعدى إلى المعنى، لأن الإنسان إذا رأى هذا يوصف بالإمام تكون أقواله عنده قدوة مع أنه لا يستحقّ..».(١)

---

(١) الشرح الممتع (١٢/١) ط : ١.

(٨) إخلاصه :

الإخلاص لوجه الله جل وعلا أمره عظيم، وهو في نفس الوقت أمرٌ خفيٌّ لا يطلع عليه إلا علام الغيوب، لكن هناك دلائل قد تدلّ عليه، وتشير إليه، من ذلك محبة إخفاء العمل عن أعين الناس، وعدم الرغبة في ثنائهم، وأن يستوي ظاهر المرء مع باطنه، إلى غير ذلك مما هو مبسوط في محله.

وشيخنا رحمه الله تعالى نرجو الله تعالى له أن يكتبه في المخلصين.

ومما ذُكر عنه في هذا الأمر ما رواه أحد تلامذته، وهو الأخ خالد بن عبد الله الزمام قال : «في ذات يوم كان الشيخ ينظر إلى السماء ويستغفر، فلما علم أننا ننظر إليه صرف بصره إلى سقف البناء حتى لا نشعر به أنه يستغفر».(١)

وقد سأله الشيخ محمد الشرافي قائلاً :

«يا شيخ حفظك الله أحبّ أن تخبرني عن طريقتك في قيام الليل لعلّني أقتدي بك، فقال : اسكت، الله يستر علينا، و لم يجب».(٢)

وقال الأستاذ شديد بن غازي المطيري مدير عام تعليم البنات بحائل :

«حينما قدم له محاسب الرئاسة العامة لتعليم البنات راتبه لقاء تلك المحاضرات التي كان يلقيها فضيلته في كلّية البنات حينما قال : وهل تريدني أن أتقاضى راتباً إزاء واجباتي تجاه بناتي وأخواتي في الدين».(٣)

---

(١) جريدة الرياض، العدد ١١٨٨٩.

(٢) شريط الإمام ابن عثيمين (تسجيلات صدى التقوى بالرياض).

(٣) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٧.

وقال الدكتور عبد الرحمن العشماوي :

«لقد زرت الشيخ في مترله عندما أجريت معه لقاء على طريق الدّعوة، واستقبلنا استقباله الذي يعرفه الجميع بتواضع جمّ، وكان حريصاً على كلّ كلمة يقولها في اللقاء لأنني وجهت إليه أسئلة على طريق الدعوة حول حياة الشيخ وحول علمه، وكان يقول رحمه الله تعالى : لولا أن هذا كما قلتم لي سينفع المسلمين ما تحدثت لكم عن نفسي بهذه الصورة، ولكن ما دمتم أكّدتم لي بمسؤوليتكم أنتم أنّ هذا سينفع المسلمين، فواجب علينا أن نقوله، وقلنا له : عندما تتحدث عن تجربتكم وعن مراحلكم التعليمية فإنما نقدّم لشباب المسلمين أنموذجاً يقتدون به».[1]

وقالت نورة بنت محمد السعيد :

«كان رحمه الله يذكرنا دائماً بالاحتساب في كلّ عمل نقوم به، ويهتم بذلك اهتماماً كبيراً من أجل أن تصبح العادة عبادة، وقد ذكر رحمه الله تعالى في كتابه «شرح رياض الصالحين طرفاً من هذا الجانب في شرح حديث «من سقى مسلماً على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم».

فقال رحمه الله تعالى : يعني لو كان ولدك الصغير وقف عند البرادة يقول لك : اسقني ماءً وأسقيته وهو ظمآن فقد سقيت مسلماً على ظمأ فإن الله يسقيك من الرحيق المختوم، ثم يقول رحمه الله : فكم من عمل صغير أصبح بالنية كبيراً وكم من عملٍ كبيرٍ أصبح بالغفلة صغيراً.

انتهى (٢٠٨/٣).[2]

---

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٩) عبادته :

صلاته رحمه الله تعالى :

قالت سعاد بنت محمد بن حمد العثيمين :

«أمّا حبه للصلاة وطولها والخشوع فيها فحدّث ولا حرج، إذ قد أثارني منظر رأيته وأنا صغيرة، رأيت عجباً في سجادته التي يصلّي فيها النوافل

في منــزله، كانت السجادة مبطنة من الأسفل بالبلاستيك، رأيتها معلّقة على الجدار، وقد تشقق موضع الجبهة، واليدين، والرّكبتين من البطانة

البلاستيكية، فهذا إن دلّ على شيء، فإنما يدلّ على كثرة صلاته وقيامه، وبالفعل هذا ما لوحظ عليه في صلاة التراويح والقيام رحمه الله رحمة واسعة».[١]

قال الشيخ توفيق الصائغ :

«كان شيخنا رحمه الله تعالى لا يدع أن يصل صلاة الفجر بقيام الليل، يصلي من آخر الليل رحمه الله تعالى، ولا يأتي إلى صلاة الفجر إلا ووجهه يستهل ويبرق.

وصلّى بنا صلاة الاستسقاء ذات مرّة، فلم نمطر، ثم نودي بالصلاة مرّة أخرى، فصلّى فلم نمطر، ثم نودي بالصلاة مرّة ثالثة، فخرج الشيخ من بيته - والله الذي لا إله إلا هو كأن وجهه فلقة قمر، لا أظن ذلك إلاّ من قيام الليل - فلمّا صعد على درجات المنبر ما أن خطَب بالناس حتّى انهالت الدموع منه رحمه الله رحمة واسعة، ثم أخذ يدعو ويدعو ويدعو، فلم ننــزل من ذلك المصلّى إلا وقد مطرنا».[٢]

---

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) شريط وداعاً العثيمين بواسطة صفحات مشرقة ص ٣٣.

وقال الشيخ سعد بن عبد الله البريك :

«إن هذا العالم الجليل حتى آخر لحظة من لحظات عمره كما يخبرني الطبيب الذي كان معه آخر أيام حياته، وقابلته بعد موته بساعة أو ساعتين في المستشفى التخصصي في جدّة، قال : إني كنت آخر الأيام مع الشيخ، فسألته ما كان دأبه في الأيام الأخيرة، قال : ما رأيت عليه سوى الصلاة، وقراءة القرآن ما اشتغل بغير ذلك بشيء أبداً».(١)

قيامه الليل :

قال الشيخ محمد صالح المنجد :

«والشيخ رحمه الله تعالى كان يغتنم أوقاته جيداً، وينام مبكراً بعد العشاء فإذا جاءت الساعة الثانية ليلاً استيقظ تلقائياً من غير منبه».(٢)

ويقول مؤذن جامعه الشيخ عبد الرحمن الرّيس :

«وقد كان يحرص حرصاً شديداً على النوم مبكراً ليقوم للتهجد في آخر الليل».(٣)

قال إحسان بن محمد العتيبي عن الشيخ :

«إنه كان يقيم الليل حتى مع شدّة تعبه، وقد حدّث عن ذلك بعض تلامذته وهو - حمد العثمان - ومما قال بالمعنى :

أنه سافر مع الشيخ إلى الرّياض، فمكثوا فيه وقتاً ثم غادروا إلى جدّة فأدوا العمرة في مكة، فلمّا انتهوا من عمرتهم وإذا بالتعب قد سرى لجسدهم، فاستسلموا للنوم، قال الشيخ حمد : فقمت في الليل إلى الحمام لقضاء الحاجة، وإذا بي أرى

---

(١) المصدر السابق ص ٨١، وعزاه لشريط ربانيون على فراش الموت.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

(٣) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

الشيخ رحمه الله قائماً يصلّي!!فقلت : سبحان الله، أنا شاب واستسلمت للنوم، وهذا شيخٌ كبير تعب معي مثلي، ثم يقوم في الليل ليصلي، فتشجّع أخونا (حمد) ليصلّي، فقام وتوضأ، ولما أراد أن يصلّي وإذا بالنعاس يغالبه..».(١)

وقال الشيخ محمد صالح المنجّد :

«كان الشيخ ذا عبادة، ينام مبكراً بعد العشاء، فإذا جاءت الساعة الثانية يستيقظ تلقائياً بغير منبه ليقوم الليل، ويعمل ما يعمل.

وقال أحد من رافقه مرة في سفرٍ، فذهب مع الشيخ في دعوة، فرجعا متأخرين كالّين متعبين إلى مسكنهما، فوضع كلٌّ منهما رأسه الساعة الواحدة ليلاً، واضطجع الشيخ.

قال المرافق : أثناء الليل، وأثناء النوم انتبهت قرابة الساعة الثالثة أو الثالثة والنصف، وكنّا قد نمنا قرابة الواحدة فحينما انتبهت على صوت الشيخ وهو قائمٌ يصلّي في هذا الوقت الذي كان هو في أمسّ الحاجة إلى النّوم والرّاحة».(٢)

بكاؤه :

قال خالد بن عبد الله الحمودي :

«قبل وفاته يرحمه الله حضرنا مجلساً، وكنت معه، فتليت قصيدة في هذا المجلس عن الموت، فبكى الشيخ بكاءً شديداً وهو يسأل الله قائلاً: اللهم أعنّي على الموت، اللهم أعنا على الموت، وكان ذلك قبل وفاته بأشهر قليلة».(٣)

---

(١) جريدة المدينة – الرسالة العدد ١٣٧٨٨.

(٢) شريط ١٠٠ فائدة من الإمام ابن عثيمين.

(٣) المدينة، العدد ١٣٧٨٩.

صيامه :

قال الشيخ المنجّد :

«كان لا يترك ثلاثة أيام من كلّ شهر، ولو سافر وانشغل قضاها بعد سفره.[(١)]»

حجه وعمرته وزيارته :

لقد عُرف عن الشيخ أنه يقصد البيت الحرام في العشر الأواخر من رمضان، وذلك لأداء العمرة ثم للجلوس لتدريس الوافدين إلى البيت الحرام للاعتكاف والاعتمار والصلاة وقد استمر الشيخ على هذا حتى قبيل الوفاة قد كان الشيخ يعتمر في أوقات أخرى وغيرها، منها ما يكون مرتبطاً فيها باجتماع هيئة كبار العلماء في الطائف.

قال الشيخ المنجد : «ولّما اعتاد الذهاب إلى بيت الله الحرام، ومكة للتدريس استمرّ على هذه العادة، و لم ينقطع حتّى في السنة التي مات فيها، وفي مرض الموت ذهب إلى هناك على عادته يعبد الله، ويدرّس دين الله».[(٢)]

أمّا عن حجه فقد كنت مع الشيخ في حجّ عام ١٤٠٤هـ أو ١٤٠٧هـ ولا أعلم أنه انقطع عن الحج من وقتئذ، بل بعد أن كان يشارك في مخيّم التوعية في منى رقم (١) أصبح له مخيماً خاصاً به للدعوة إلى الله تعالى، أما قبل هذا التاريخ فلا علم لي به، و لم أجد أحداً نبّه عليه، فالله تعالى أعلم.

وأذكر في تلك السنة أن الشيخ استضافني في خيمته الخاصة بالمشايخ داخل المخيّم، وكان كعادته كريم الضيافة، وسألته عدّة مسائل، وفي آخر ليالي أيام

(١) شريط ١٠٠ فائدة من الإمام ابن عثيمين.

(٢) المصدر السابق.

التشريق، بعد صلاة العشاء قال : أريد أن أزور سماحة الشيخ ابن باز في مخيّمه، وعند مرورنا في شوارع منى لاحظ الشيخ صنابير المياه الأتوماتيكية ويبدو أن الشيخ كان يراها لأول مرة، فعرضت عليه أن يجربها، فقال «سبحان الله» تعجباً أي أنّها إذا وضع الشخص يده تحتها فُتحت، وإذا أخرها توقفت، وفي هذه الليلة لم نجد سماحة الشيخ ابن باز في مخيّمه رحمه الله تعالى حيث كان في زيارة أحد الفضلاء.

ورده من القرآن الكريم.

قال الشيخ المنجّد : «وكان - رحمه الله - مداوماً على قراءة ورده من القرآن باستمرار، يقرأه وهو ماشٍ إلى الصلاة، لا يركب، ولا يقبل أن يقاطعه أحد وهو ذاهبٌ إلى المسجد لأن هذا وقت الورد - ورد القرآن - فإذا اضطر إلى كلام صاحب الضرورة وتأخّر شيئاً ما في قراءة الورد، ووصل إلى المسجد ولم يتمّ ورده وقف عند باب المسجد، ولم يدخل حتى ينهي ورده، فيستغرب بعض الذين يرونه ! الشيخ واقف وما معه أحد، ماذا يفعل ؟ وفي الحقيقة أنه يتم ورده».[١]

وقال د. عبد الله بن علي الجعيثن :

«إنه - رحمه الله تعالى - قال لي ذات مرّة وقد طلبت منه المشي معه من بيته إلى المسجد : أن هذا الوقت من البيت إلى المسجد قد خصصته لمراجعة حفظي للقرآن».[٢]

وقال الشيخ بدر بن نادر المشاري :

«قال الطبيب المعالج للشيخ أن الشيخ محمد رحمه الله تعالى كان يقرأ القرآن الكريم، ثم دخل في غيبوبة قبل وفاته بساعة، وكان الشيخ قليل الكلام وكثير

(١) المصدر السابق.

(٢) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٨.

الحمد والاستغفار، يقول الطبيب: سمعته مرّة يقرأ سورة الفاتحة، وتارة كان يتمتم لصعوبة حالته الصحية، وعندما سُئل أبناؤه عما يتمتم به الشيخ ذكروا بأنه كان يقرأ القرآن».[١]

(١٠) مطالعته وكتبه ومكتبته :

تقول سعاد بنت محمد الحمد العثيمين :

«كان الشيخ يحبّ القراءة، ولا يردّ من يستفسر عن الأسئلة، وقته كله جعله لنفع المسلمين.

ولقد كنت وأنا صغيرة أتعجّب من شخصيته الفذّة وحبّه للقراءة، وردّه على الهاتف للفتوى بدون ملل، فقد كنت ألعب مع بناته حول مكتبته، وأسمع رنّات الهاتف ترنّ بدون انقطاع.

ودخلت المكتبة فتعجبت لما رأيت من كثرة الكتب، إذ ليس في المكتبة مكان فارغ سوى مكان جلوسه، أعمدة من الكتب، وكلّها يكب عليها ويقرؤها.

ودائماً كنت أراه في مكتبته ليس كحالنا، يتراكم التراب والغبار على الكتب..».[٢]

(١١) أعماله الخيرية :

صدقته وإنفاقه ومساعدته للمحاويج، ورعايته لليتامى والمساكين.

---

(١) شريط (أحبّ لقاء ربّه) بواسطة صفحات مشرقة ص ١٠٦.

(٢) مجلة الدعوة، العدد ١٧٧٦.

قال الشيخ بدر المشاري :

«مما لمسته زيارته المتواصلة لطلاب دار الملاحظة الاجتماعية بالرياض، حيث كان دائماً يوصيني أن أذكره بزيارتهم إذا كان موجوداً في الرياض، بل إذا ضاق به الوقت يحضر إليهم بالصباح، أوقبيل الظهر ولو وقتا قصيراً».[1]

وقال أيضاً :

«كنت مرة من المرات في صحبة الشيخ رحمه الله تعالى بالسيارة. وفي الطريق وعند الإشارة المرورية مرّ علينا رجلٌ يطلب مساعدة، ففتح الشيخ النافذة فأعطاه ما جادت به نفسه، وأخطأ الرجل السائل بعبارة قالها للشيخ، فجلس الشيخ يناصحه حتى تحرّكت السيارة».[2]

قال الشيخ عبد الله بن محمد الجبر :

«كم مرّة اتصل عَلَيّ الشيخ وقال لي : اذهب إلى تلك المرأة أم الأيتام، وتحقق من حالها لنقف معها في محنتها، وكم مرّة قال : صلّ معي العصر، وإذا به يعطيني مساعدات بشيكات مكتوب على كلّ واحد اسم صاحبها حتّى يتم إيصالها إليهم.

في عام ١٤٠٧هـ فكّرنا بإنشاء صندوق لإقراض الراغبين في الزواج بعنيزة، بعدما شاهدنا الحاجة الملحّة لإنشائه، نظراً لتردد كثير من الشباب عن الإقدام على الزّواج من كثرة تكاليف المهور، وعدم القدرة على تحصيلها.

وعند عرض هذه الفكرة على فضيلته رحمه الله فرح جداً بها، واستبشر خيراً، وقال : أعدوا نماذج لهذا المشروع تحفظ حقّ الدائن والمدين.

---

(١) المصدر السابق، ص ٨٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٩٠.

وبعد إعداد النماذج المطلوبة سارع بتزكية هذا المشروع والقائمين عليه، وحثّ الناس وأهل الخير أن يسارعوا بالبذل والعطاء والصدقة لهذا المشروع حتّى يواصل عطاءه.

وبحمد الله كان هذا المشروع النواة لجميع المشاريع الموجودة في معظم المملكة، رحمك الله ياشيخنا وأسكنك فسيح جنّاته».(١)

وقال عبد الله بن عبد العزيز الغفيص :

«كان يساعد المحتاجين ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وهو يمشي في الطريق، وأذكر أن امرأة من المعتمرات كانت تبكي وتشتكي أنها فقدت حقيبتها، وفيها نقودها وحاجاتها، وكنّا نمشي، وإذا بالشيخ يقف ويخرج من جيبه ورقة ٥٠٠ ريال ويعطيها ويمضي».(٢)

وقال د. عبد الله الموسى :

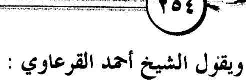
«أذكر أنني في إحدى زياراتي له في منْزله عندما كنت أدرس في الولايات المتحدة الأمريكية، أنه أخذ بيدي إلى مختصر له فقال : يا عبد الله أنا وأنت هنا، ولا يرانا إلاّ الله، خذ هذا المال – وكان كبيراً – وهو من مالي الخاص، واشتر به مصاحف ووزعها على المحتاجين في السجون الأمريكية، وأنت مسؤول عن الشراء وعن التوزيع، وأسألك بالله ألا تبلغ بهذا أحداً، و لم أبلغ بهذا أحداً منذ وقته إلى الآن، أمّا وقد انتقل الشيخ إلى الرفيق الأعلى فلا أرى بأساً أن أذكر أنه كان من المنفقين في السراء والضّراء، وكان لا يريد علم النّاس بذلك، رحم الله الشيخ رحمة واسعة وأجزل له المثوبة والعطاء».(٣)

---

(١) الرياض، العدد ١١٨٩٨.

(٢) الأربعاء، العدد ٢٩/١٠/١٤٢١هـ.

(٣) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٧.



ويقول الشيخ أحمد القرعاوي :

«في أغلب الأحيان وقبل دخول الشيخ إلى المسجد تقابله طفلة عمرها ست سنوات، فتطلب من الشيخ «ريالاً» فيقول لها الشيخ وهو يبتسم: هل تريدين ريالاً جديداً أو قديماً ؟ فتقول : أريد ريالاً جديداً، ثم تطلب لأختها، فيقوم الشيخ بإعطائها أيضاً».(١)

يقول الشيخ عبد المحسن القاضي :

«حرص الشيخ على أن تكون أعمال البرّ التي يقوم بها خاصّة جداً، فهو يساعد أي متقدّم يرغب في الزّواج، ويدفع له نصف المهر إذا انطبقت عليه الشروط، ويساعد الفقراء والمحتاجين، ويشجّع ويساهم في إنشاء أعمال البرّ، فقد أسّس مع ثلّة من طلابه جمعية تحفيظ القرآن الكريم في مدينة عنيزة، وشجّع على افتتاح مكتب لهيئة الإغاثة الإسلامية في المدينة نفسها، وأنشأ عدداً من المساجد في مناطق عدّة بالمملكة، وتبرّع بمبلغ ٣ ملايين ريال لزيادة آبار مياه الشرب في عنيزة، كما ساهم في إنشاء عدد من المساجد والمراكز الإسلامية في أوروبا، وأمريكا، وبنجلاديش، وغيرها..».(٢)

وقال العقيد الركن / علي بن محمد الخشّان :

«بالنسبة لتلقّي المعاريض أو الأسئلة المكتوبة فقد خصّص لها بعد صلاة العصر؛ فبعد أن يفرغ من شرح الحديث اليومي يبقى لتلقّي المعاريض، ويسمع ما عند أصحابها، ويعمل ما يراه مناسباً».(٣)

---

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

(٢) مجلة الأسرة، العدد ٩٢.

(٣) مجلّة الجندي المسلم، العدد ١٠٢.

وقال الشيخ منصور بن إبراهيم الحسين :

«وقد قمت بزيارته في جناحه منذ سنوات في الحرم، وكان عند باب الفتح، فتجد الكثير من أهل الحاجات عند جناحه من مشارق الأرض ومغاربها، وكان فضيلته يجلس في هذا الجناح بعد صلاة العصر لاستقبال أهل الفتاوى والمحتاجين، وكان أهل الخير يدفعون إليه صدقاتهم وزكاتهم للإشراف على توزيعها، وكان فضيلته حريصاً أشدّ الحرص على توزيعها وبدقّة والتأكد من أنّهم من ذوي الحاجات».(١)

وقال الدّكتور يوسف الزّامل :

«ومن حبّه للإحسان أنّي تحدّثت عرضاً له عن أسرة ذات قرابة بي، ليس على سبيل إبانة حاجتهم، لكنه - رحمه الله - بادرني بالسؤال عن وضعهم المادّي، بغية إيصال الإحسان لهم إن كانوا محتاجين».(٢)

وقال الشيخ المنجّد :

«وكان الشيخ رحمه الله يواظب على الصدقة صباح كلّ يوم جمعة، ولم يترك هذه المواظبة إلاّ لما تبين له أنه لم يثبت في ذلك سنة عن النبي ﷺ».(٣)

وقال الأخ إحسان بن محمد العتيبي :

«سافر شباب من الأردن إلى العمرة، وفي (خيبر) قدّر الله عليهم حادثاً؛ صدموا به عمود الإنارة، فهرعت الشرطة لمكان الحادث، وأصرّوا على السائق أن يدفع تكاليف العمود، وكانوا قد قدّروا ذلك بـ(٢١٠٠٠) ريال، وهذا السائق ومعه

---

(١) الرياض، العدد ١١٨٩٠.

(٢) الأسرة، العدد ٩٢.

(٣) شريط ١٠٠ فائدة من العلامة ابن عثيمين.

المعتمرون لا يقدرون على دفع مثل هذا المبلغ فحجزت الشّرطة جواز سفر السائق لحين تدبير المبلغ، ودفعه عند رجعتهم من أداء العمرة.

فغلب الشباب على أمرهم، وفكروا في طريقة تحصيل المبلغ، فلم يكن أمامهم إلا عرض الموضوع على بعض المشايخ، فكان أن ذهب واحدٌ منهم - وهو الذي حدّثني بالقصة - إلى الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى في غرفته في الحرم المكّي بعد صلاة العصر.

فعرف الشيخ منه القصّة، وقال له : تعال غداً وإن شاء الله يصير خيراً قال الشّاب : فلم أرجع للشيخ لأنني عرفت أن المبلغ كبير، والشيخ لا يعرفنا، ولم يُعرف عن الشيخ أنه يساعد في مثل هذه الأمور، لكنني ذهبت - والكلام لمحدثي - تحقيقاً لرغبة الشباب في أن أكلّم الشيخ فقط.

ثم رجع القوم إلى (الأردن) وكان لا بدّ من المرور على (خيبر) لأخذ الجواز، ولعلّ الله أن يكون قد رقّق قلوبهم فيسقطوا عنّا المبلغ.

ولّما دخل الشباب إلى المركز أصرّ الضابط على إحضار المبلغ كاملاً، وإلا لا سفر، فإن أرادوا السّفر فمن غير السائق !! تحيّر الشباب وسائقهم ! ماذا يفعلون ؟

توجّهوا للشاب الذي ذهب للشيخ ابن عثيمين، فقالوا له : ألم تذهب أنت للشيخ ماذا قال لك ؟ قال : تعال غداً !! قالوا : فهل ذهبت إليه ؟ قال : لا !!.

قالوا : اتصل به لعلّ الله أن يكون الفرج على يديه، ونحن محبوسون عن أهلنا هنا، ونحن في آخر أيام رمضان !! قال : فاتّصلت بالشيخ في غرفته فردّ عليَّ وأخبرته بحالنا !.

قال : أنت الشابّ الأردني ؟؟!!

قلت : نعم يا شيخ !

قال : ألم أقل لك تعال في الغد، لِم لَمْ تأتِ ؟

قال : استحييتُ !

قال : فلمَ كلّمتني إذن ؟؟! على كلِّ حال: المبلغ كان جاهزاً في اليوم نفسه !!.

فلم يصدّق صاحبي الخبر، وكاد الشّباب أن يطيروا فرحاً ومعهم السّائق بالطبع.

قال الشّاب : والحلّ يا شيخ ؟

قال : أن أحوّل المبلغ للمركز، وأطلب منهم أن ييسروا أمركم، وترجعوا إلى أهليكم قبل العيد !!.

قال الشيخ : أعطني الضابط المسؤول !

كلّم الضابط الشيخ بنوعٍ من اللامبالاة !

قال الشيخ : المبلغ عندي وأعطني رقم حسابكم، وأنا أحوّله لكم، وأطلقوا الشّباب وسائقهم ليذهبوا إلى أهليهم !.

ردّ الضابط بقلّة أدب : آسفين يا شيخ ! لا بدّ من إحضار المبلغ نقداً، وإلا فلن يسافروا ولن يرجعوا !!

غضب الشّيخ جداً من الضابط، وقال : أقول لك المبلغ عندي، دعهم يذهبون إلى أهليهم !!

رفض الضابطُ مرّة أخرى !

أغلق الشيخ السّماعة.

قال الشّاب: فما هي إلاّ لحظات إلاّ والمركز ينقلب رأساً على عقب، ما الخطب؟.

إنهُ أمير المدينة - الأمير عبد المجيد وقتها - اتصل يسأل عن الضابط الذي رفض طلب الشّيخ، وبدأ يهدّد ويتوعّد بالعقوبة.

حاول الضابط وأفراد الشرطة التّستّر على زميلهم.

ورأى الشاب تغيّر اللهجة بصورةٍ سريعة ومذهلة إلى رقّةٍ وأدبٍ.

فأمرهم أمير المدينة بإطلاق الشباب وسائقهم فوراً، وتصليح العمود على حساب الدّولة، لا يتصوّر أحد مدى فرحة الشباب بهذا الخبر، فشكروا للشيخ جهوده ووقفته معهم، وارتفعت أصواتهم بالدعاء للشيخ، وأكبر في الأمير احترامه للعلماء وتقديره لمكانتهم، في موقفٍ لن ينساه أحد منهم ما عاش أبداً». [1]

---

(١) جريدة المدينة، ملحق الرسالة العدد ١٣٧٨٨.

تزكية فضيلة الشيخ محمد العثيمين للمشروع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد: فقد جاءت النصوص القرآنية والسنة النبوية بالحث على تعلم القرآن وتعليمه والثناء على أهله وبيان جزيل ثوابه وأجره قال الله تعالى: (إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور) وقال تعالى: (الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به). وقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: خيركم من تعلم القرآن وعلمه. وقال: اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه. وقال: تعاهدوا القرآن فوالذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتاً من الإبل في عقلها.

وفي هذه النصوص دليل على أن قراءة القرآن من أفضل الأعمال كيف لا وهو كلام رب العالمين ومنهج أفضل المرسلين.

ولقد يسر الله تعالى إنشاء جمعيات لتحفيظ القرآن في مناطق من المملكة وتخرج منها شباب كثير يحفظون القرآن كله أو أكثره أو شيئاً منه.

وهذه الجمعيات تحتاج إلى دعم مالي ومعنوي لا سيما في الأمور الثابتة من العقارات ونحوها لتكون صدقات جارية لأصحابها بعد موتهم ولقد تقدم إلي أعضاء جمعية التحفيظ في الخبراء بمشروع بناء يكون مستمراً وهو مشروع حسن أهيب بإخوان المسلمين أن يدعموه بكل ما يستطيعون لما فيه من الخير العام المستمر وأسأل الله لهم القبول والمثوبة

كتبه محمد الصالح العثيمين في ٢٨/١٢/١٤١٩هـ

محمد العثيمين

مطابع ...

نموذج من محبة الشيخ لأعمال البر، ومساهمته فيها.

(١٢) كرمه وحسن ضيافته :

قال الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن العجلان :

«قمت بزيارة خاصة له أنا وفضيلة الشيخ عبد العزيز بن محمد السدحان قرابة عام ١٤٠٣هـ، فلمّا دخلنا ورحّب بنا وأحضر القهوة أخذ الشيخ يصبّ بنفسه لنا، وحاولنا جاهدين أن نقوم بذلك عنه فرفض، وامتنع بقوّة، وأخذ هو الذي بنفسه يباشر ذلك، وكذلك ما بعد القهوة علماً بأن هذا هو منهجه مع ضيوفه غالباً».(١)

وقال الدكتور عبد الرحمن العشماوي :

«لقد زرت الشيخ في منـــزله عندما أجريت معه لقاء على طريق الدعوة، واستقبلنا استقباله الذي يعرفه الجميع بتواضعٍ جمّ، والشيخ في الحقيقة يشعرك كلّما زرته أو جلست معه أنك تتعلم منه علماً شرعياً في حركته وسكتته، في استقباله، في وداعه، في طعامه، تغدّينا معه ذلك اليوم الذي التقينا معه في بيته،فكان غداءً هنيئاً ومتواضعاً،ولكنه كان من ألذ ما ذقناه في بيت رجلٍ أكرمنا باستقباله الذي تبرز منه عاطفته الصادقة».(٢)

وقال الشيخ محمد بن صالح المنجّد :«كان رحمه الله مكرماً للناس مكرماً للضيوف، وقد ألزم أحد طلبة العلم مرّة أن يبيت عنده، فقال : يا شيخ أنا مشغول وعندي أعمال، فأصرّ عليه حتّى شمّر عن ساعديه وكأنه يقول : استعمل القوّة، فوافق الآخر على أن يفرغ من شغله ثم يأتيه، فقال : أنتظرك، فتأخر حتّى الساعة الثانية عشرة ليلاً، ثم قال : آتي بيت الشيخ لأنني وعدته، فأطرق عليه الباب طرقة

---

(١) مجلة الدعوة، العدد ١٧٧٨.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

واحدة، قال : فطرقت عليه الباب من أول طرقة، ففتح لي الباب، وهذا يعني أنه كان ينتظر ضيفه إلى هذا الوقت وأدخله، وكان قد أعدّ له الفراش، والماء، والساعة، والمنبّه، حتى إذا أراد أن يقوم لقيام الليل».[1]

وقال الشيخ توفيق الصائغ : «كان رحمه الله تعالى يجلس مع طلابه على مائدة الإفطار في رمضان، لأنه يفتح بيته رحمه الله تعالى في عنيزة لطلاب العلم، طلاب العلم هناك؛ نجد طالباً من أمريكا، وآخر من بنجلاديش، وثالث من الصين، ورابع من تشاد، بل أحد الطلاب من تشاد وهو من المعجبين بالشيخ كثيراً ومن حملة فقهه، سمّى أحد أبنائه هكذا اسماً مركباً (محمد بن عثيمين).

تجد كوكبة من الطلاب الذين قدموا من كل أقطار الأرض، فيفتح الشيخ رحمه الله تعالى بيته في رمضان، فيأتون يفطرون عنده، وكان الطلاب يرون أثناء الإفطار إنشغال الشيخ رحمه الله تعالى بالرد على الهاتف، والله لا يكاد يجمع التّمرة إلى التمرة، ثم يشرب الماء حتّى يأتيه اتصال من أقصى الأرض، وآخر من أقصى الأرض، فيجيب الشيخ رحمه الله تعالى».[2]

قال فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين : «كان آخر لقائنا به في مكة ليلة ٢٧ من رمضان، حيث استأذنا في الوصول إليه، وجلست إلى جواره نحو خمس دقائق، فكان سؤاله عنّي أكثر من سؤالي عنه، لأنني كنت لا أحب أن أشقّ عليه بتكرار السؤال لما أعلم من حالته الصحية، ولكنني كلّما سكت بادر هو بالسؤال عن أحوالي وأخباري».[3]

---

(١) جريدة البلاد، العدد ١٦٢٣٧.

(٢) شريط (وداعاً العثيمين) بواسطة صفحات مشرقة ص ٨٦.

(٣) المصدر السابق ص ١٠٩- نقلاً عن جريدة البلاد، العدد ١٦٢٢٣.

(١٣) صلته للرحم :

قال ابنه إبراهيم : «كان الوالد رحمه الله تعالى حريصاً على صلة الرحم، وكان يقوم بزيارة أعمامه وعماته كل يوم خميس «له من الأعمام اثنان ومن العمات واحدة» بعد صلاة العشاء يزور كل واحد منهم في بيته ولم ينقطع عن هذه العادة أبداً؛ أو يؤخر هذه الزيارة لأي ظرف كان طالما هو موجود في المنطقة، فكان يرتب التزاماته بما يمكنه من القيام بتلك الزيارة إلى أن توفي رحمه الله تعالى على هذه الحال، أمّا أقاربنا خارج المنطقة فكان يتصل بهم صباح يوم الجمعة».(١)

وقالت منى بنت محمد الحمد العثيمين :

«وكان من عادته أن يرتّب لصلة رحمه كعمه وعمته وقتاً معلوماً في يوم محدد ليصلهم ويزورهم، وكان يواظب على مثل تلك المواعيد رغم ضيق وقته، وكنا ونحن أطفال نفرح كثيراً بمجيئه لمنـــزل أيّ منّا ومن شدّة فرحنا نتسابق لفتح الباب لنسير معه إلى المكان الذي يقصده، وكان يستغل ذلك الوقت في الحديث معنا ومداعبتنا».(٢)

وقالت أيضاً :

«وعلى الرّغم من قلة فراغه إلاّ أنه كان يصل رحمه، ويسأل عنهم، ويزورهم، ويقوم بالواجب تجاههم.

فعلى سبيل المثال : كان إذا مات لنا عزيز قدم إلى المترل، وعزى الجميع فيطوف على كلّ الأفراد في أنحاء المنـــزل مع أحد الرجال المحارم، حيث يقف على

---

(١) الأسرة، العدد ٩٢.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

باب الغرفة ويسلم على الجالسات فيه، ويواسيهن ويعزيهن، ويدعو للميت، وينصح أهله ألا يبكوا».[(١)]

وقالت لطيفة المشرف :

«عندما كنت في زيارة لأخي في القصيم، كان لدى عائلة الشيخ رحمه الله تعالى مناسبة خاصة، وقد دعتني زوجته الأخت أم عبد الله، وحضرتُ المناسبة، واستأذن الشيخ للسلام على أقاربه من النساء، والترحيب بهن، ووقف بجوار باب الغرفة وألقى التحية، ورحّب وسأل عن أحوال أقاربه».[(٢)]

وقال الشيخ خالد المصلح [صهر الشيخ] :

«كان رحمه الله تعالى عظيم البرّ بأهله وأقاربه، فكان يتفقد الكبير والصغير، فكان رحمه الله تعالى إذا مرض بعض الأطفال الصغار يتصل ويسأل عن صحته، ولا يكتفي بذلك، بل يفاجئ أهل البيت بطرق الباب عليهم؛ يتفقد حال المريض ويسأل عنه».[(٣)]

وقال الشيخ حمود بن عبد العزيز الصائغ :

«حتى مع رحِمه كان يخصص وقتاً يعلمه البعيد كما يعلمه القريب، فمثلاً ليلة الجمعة كان يخصصه لزيارة عمته؛ والعشاء عندها ولا يؤثر على ذلك أحداً حتى لو كانت أكبر مناسبة أو أكبر احتفال، فإذا لم يمكنه الاعتذار، ووجد أنه لا بد من الحضور جمع بينهما حتّى إنه أحياناً يذهب إليها قبل موعد تلك المناسبة، وهذا والله من أعظم الدّروس التي ربّى بها نفسه، وبارك الله له في وقته بسبب هذا التنظيم..».[(٤)]

---

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

(١٤) ملاطفته للصبيان :

قال الشيخ عبد المحسن بن عبد الرحمن القاضي :

«يحدّثني أحد الأخوة كان ذاهباً ليصلّي في الجامع مع ولده الصغير ذي السّت سنوات بغرض السلام على الشيخ بعد عودته من السفر، وكان هذا الأخ يصلّي الراتبة بعد الصلاة، فخشي ذلك الطفل أن يخرج الشيخ من الجامع، فذهب إليه في وسط طلاّبه وزوّاره، فقال له : تعالَ أبي يريد أن يسلم عليك، فما كان من فضيلة الشيخ رحمه الله إلاّ أن أعطى يده لهذا الطفل، فذهب به الطفل حتّى أوقفه على والده، وظلّ الشيخ واقفاً حتّى انتهى والد الطفل من الصلاة، فسلّم عليه».(١)

وقال بندر بن محمد المهنا :

«رأيته في جامع عنيزة بالقصيم عند خروجه من المسجد بعد الصلاة، فإذا بصبيّ مع أمه يطلبان المساعدة، فقال الشيخ : ماذا تريد ؟ فقال الصبيّ : أريد ريالاً جديداً، فقال الشيخ : أصلحك الله وأعطاه ريالاً جديداً كما أراد».(٢)

وقال الشيخ أحمد القرعاوي :

«في أغلب الأحيان وقبل دخول الشيخ إلى المسجد تقابله طفلة عمرها ستّ سنوات فتطلب من الشيخ ريالاً، فيقول لها الشيخ وهو مبتسم : هل تريدين ريالاً جديداً أو ريالاً قديماً، فتقول : أريد ريالاً جديداً، فيقوم الشيخ بإعطائها ريالاً جديداً، ثم تطلب لأختها، فيقوم الشيخ بإعطائها أيضاً».(٣)

---

(١) جريدة الوطن، العدد ١١٢.

(٢) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٧.

(٣) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

وقال الشيخ علي الحرير :

«قبل سنتين كان هناك في بلدنا حفل تخريج لحفظة كتاب الله تعالى، وحضر الشيخ، وبعد الانتهاء من صلاة العشاء وأراد أن يخرج، استقبله الناس عند الباب من أجل السلام عليه، ولما أراد أن يذهب وإذا بثلاثة صبيان يجْرُون، فلمّا رأوا الشيخ توقفوا، وناداهم الشيخ وسلّم عليهم، وكانوا يريدون أن يقبّلوا رأسه فحنى نفسه لهم».[1]

وقال أيمن بن عبد العزيز أبانمي :

«أذكر مرّة أني كنت أسير معه متوجّهين إلى الحرم، فكان إذا مرّ بأحدٍ سلّم عليه، حتّى الصّبيان يمرّ عليهم ويسلّم عليهم، حتّى إنه سلّم على صبيٍّ، فعرف الشيخ، فأعطاه سواكاً فَقَبِلَه منه بكلّ تواضع وابتسامة، ورحابة صدر».[2]

وقالت نورة بنت محمد السعيد :

«ومن مواقفه التعليمية، وإحقاقه للحقّ، وعدم السكوت عنه: ما حدث لأخي عندما كان صغيراً، فقد جاء إلى الصلاة، ووقف خلفه في روضة المسجد مع والدي، فقام أحد المصلّين، وأبعده عن مكانه، ووقف بدلاً منه، وبعد انتهاء الصلاة قال الشيخ لذلك الرّجل: لم فعلتَ ذلك، فهذا الطفل أحقّ منك بالمكان لأنه سبقك إليه».[3]

وقالت مِنى بنت محمد بن حمد العثيمين :

«أذكر موقفاً حدث لنا معه، وعمري ستّ سنوات حيث كنّا في بيته، وقد كنّا نلعب في فناء منـــزلهم، كلنا نحن وأبناؤه، فمرّ من عندنا، وسلّم علينا، وداعبنا

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٤١.
(٢) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٤.
(٣) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

بكلماته اللطيفة، ولفت نظره لباس أخي الذي يبلغ من العمر أربع سنين، إذ كان يرتدي ملابس ملصقاً عليها قطعة بلاستيكية على شكل صورة (أسد) فجلس رحمه الله بجانب أخي، وأمسك به بيده الحانية، وأخذ يتحدث معنا، حتّى استأنس أخي ثم أخرج له قطعة من النقود وقال له : أعطيك هذه النقود وأنزع هذه الصور، وربما علل الشيخ لأنها لا ترضي الله تعالى، ففرح أخي بذاك المبلغ، وغيّر الشيخ المنكر بالحكمة، واستفدنا جميعاً ولله الحمد، فتجنّبنا لبس المصوّرات حتّى اليوم».(١)

وقال بندر بن محمد المهنا :

«رأيته ذات مرّة يمشي في الحرم، فقابله رجل، أظنه باكستاني الجنسية حاملاً معه طفل، فسلّم عليه، وقال له الشيخ : هذا ابنك ؟ قال : نعم، فأخذ الشيخ الطفل وأراد أن يداعب والد هذا الطفل، فقال له : آخذه معي ؟ فقال الأب : خذه، فتبسّم الشيخ وأعطاه لأبيه».(٢)

وقالت سعاد بنت محمد الحمد العثيمين :

«كان يحبّ الصغار، ويداعبهم، ومع ذلك لا ينساهم من النصح والإرشاد والتعليم، ولقد كنت في سنّ صغيرة أبلغ من العمر عشر سنوات، ألعب مع بناته في فناء بيته، وكنت أرتدي ملابس قصيرة (الشانيل) فمسك بيدي وكلّمني برفق وداعبني حتى شعرت بالفرح والسرور، ثم قال لي : إن هذا اللبس لبس النصارى، وأمرني أن أبلّغ أمي بذلك، فقد كانت نعم النّصيحة، فلا أذكر والله أني لبست بعدها هذا النوع من اللباس».(٣)

---

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٧.

(٣) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

وقال الشيخ سامي بن صالح :

«ومرّة قام ابني الصغير أحمد عمره ثمان سنين بسحب الشيخ من بين تلاميذه إلى خارج المسجد قائلاً له : تعال سلّم على بابا سامي، وكنت خارج المسجد، فرأيت الشيخ الجليل يخرج مع ابني أحمد بهيبته وهو يبتسم، فقبلت رأسه وشكرته، واعتذرت منه على تصرّف الولد، ولكن كان مسروراً جداً ولم يبد أيّ تضايق».(١)

وقال الشيخ أحمد القرعاوي :

«ونحن في طريقنا إلى المنزل، يرى بعض الصبية يلبسون (القبّعات) فيقوم الشيخ رحمه الله بالذهاب إلى الصبيّ وهو مبتسمٌ، ويسأله عن لبس هذه القبّعة، ثم يخبره أنها تحمية من الشّمس، فيقوم الشيخ بتوجيهه، ويخبره بأن هذه القبعة مضرّة للعين، وفيها تشبّه بالكفار».(٢)

وقال الشيخ عبد الرحمن بن علي النهابي :

«وكان رحمه الله يأنس بقراءة الصغار للقرآن الكريم، فكان يعرض عليه في بعض اللقاءات والمناشط التعليمية من يقرؤون بين يديه، فكان يصغي إليهم، ويتبادل معهم الحديث، ويدعو لهم ويبارك عليهم، وفي بعض الأحيان يشجعهم بالجوائز الماديّة في نفس الاحتفال، ويتخيّر الصغار للإجابة على الأسئلة التي يطرحها لتشجيعهم، وحفز هممهم».(٣)

---

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٦.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

(٣) الجزيرة، العدد ١٠٣٤٦.

وقال الشيخ محمد بن صالح المنجد :

«جاء مرّة طفل يقول : يا شيخ أجب لي على أسئلة هذه المسابقة، قال : أُجيب؛ ولكن إذا فزت تعطيني نصف الجائزة».(١)

وقال د. عبد الله بن محمد الرّميان :

«كان رحمه الله متواضعاً للصغير والكبير، وأذكر ذات مرّة وقد أكرمنا الله بمجاورة الشيخ لنا في أحد مواسم الحج أنه قدم من المسجد ونحن برفقته، وبعد صعوده الدّرج خرج أحد أبنائي الصغار، فلمّا رآه الشيخ نزل من الدرج للسلام عليه، فأسرعت وحملته إليه لأمنعه من النـــزول، فقبّله، ثم نزل لتقبيل الآخر فتعجّبت من هذا الخلق، وشكرت له هذا التواضع، وهذا ديدنه رحمه الله مع جميع الصغار».(٢)

وقال الشيخ أحمد القرعاوي :

«عند خروج الشيخ لصلاة الجمعة يقابل في الطريق أطفالاً مع آبائهم، فيسلّمون عليه، ويقومون بتقبيل رأس الشيخ رحمه الله ويده، فيبتسم الشيخ لهم، ثم يسألهم؟ كم حفظتم من القرآن الكريم، وهل أنتم ملتحقون بحلقة لحفظ القرآن الكريم؟ ثم يجعلهم الشيخ يقرؤون عليه قصار السور، فيقوم بتشجيعهم وحثّهم على تكرار الحفظ».(٣)

وقال الشيخ محمد الشرافي :

«مرّة كنت أبحث عن الشيخ، فوجدته في طريقه إلى صلاة العصر، فإذا قد وقف عند أحد الطلبة في سيارته، وقد نزل طفلاه الصغيران، يسلّمان على الشيخ، فمسك

---

(١) شريط : ١٠٠ فائدة من العلامة الشيخ ابن عثيمين.

(٢) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٤.

(٣) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

الشيخ أحد الأطفال الصغار، وكان يرسم في يده ساعة، والطفل فرحان وكأنها ساعة ذهبية، ثم أخذ الطفل الثاني، وبدأ يرسم بيده، والناس في المسجد ينتظرونه».[١]

وقال حمد بن عبد الله الصغير :

«كان جمّ التواضع مع الصغار،فقد دعاه أحد الأفاضل في مدينة الرياض وهو مريض قبل أن يقعده المرض، وكنت أحد الحضور، وحين دخل إلى بيت الداعي كان في استقباله جميع الأطفال، صاحب المنـــزل وأقاربه عند الباب، فقضى وقتاً في السلام عليهم ومداعبتهم».[٢]

وقال الشيخ عبد المحسن بن عبد الرحمن القاضي :

«لقد كان رحمه الله يمرّ به أطفال مدرسة ابتدائية أثناء ذهابه إلى صلاة الظهر، فيقفون للسلام عليه، وهم كثر، فيسلّم على كلّ واحدٍ منهم، ويعنّف من يزجرهم».[٣]

(١٥) رفقه بالمرأة وعنايته بها :

قال الشيخ توفيق الصائغ :

«أتته مرّة امرأة من الجزائر فقالت : أريدك يا شيخ على انفراد، فأفرغ الشيخ من كان في الغرفة إلا من يكون معه لئلا تكون خلوة، فأخذت المرأة تحدّثه عن الجرائم والأمور البشعة في الجزائر، والشيخ يسمع لها، ثم رفع سماعة الهاتف ليتحدّث مع الطوائف المتناحرة هناك».[٤]

---

(١) شريط الإمام ابن عثيمين (تسجيلات صدى التقوى بالرياض).

(٢) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٣.

(٣) الوطن، العدد ١١٢.

(٤) شريط (وداعاً العثيمين) نقلاً عن صفحات مشرقة ص ٢٩.

وقالت حصّة بنت سليمان العذطون : «وله من مدارس البنات شواهد رسمت على جبين الزمن بمداد من ذهب فكانت الثانوية الأولى بعنيزة لها الشرف في زيارته في يوم لا ينسى، فالرذاذ يتتابع، والبرودة في ازدياد، والهواء القارس الذي يلفح وجه شيخنا – يرحمه الله – لحظة إلقاء المحاضرة، حيث كان يجلس تلك اللحظة تحت مظلّة مدخل المدرسة، رغم ذلك استمرّ في إلقائه دون اختصار أو نقص من المحاضرة، فقدم خلال ذلك توجيهاته لأعضاء المدرسة من معلمات وإداريات وطالبات، خاتماً تلك المحاضرة بحثّ المعلّمة، وتذكيرها بالمسؤولية الملقاة على عاتقها ومسؤولية أمانة التعليم مجيباً على أسئلة الجميع في عامّة المسائل خاصّة في الأمور التّعليمية فلقد كانت توجيهاته التربوية كتوجيهات الأب لابنته».[1]

وقالت نسيبة سليمان الربعي :

«حدّثتني أم إبراهيم وفقها الله، قال :

وقفت للشيخ في العام الماضي في الحرم المكي لأسأله عن شيء مما اختلف الناس فيه لأعرف رأي سماحته، فوقف مقتدياً في ذلك برسول الله ﷺ حيث توقفه المرأة والصبي في حاجتهما فيقف حتّى يقضي ذلك، وما أن وقف سماحته حتّى أحاط بي وبمجموعة صغيرة من الناس؛ جمع غفير من الرّجال هداهم الله لحرصهم على سماع أيّ فتوى منه،لكنّي قلت لسماحته إنّي لا أستطيع الكلام، وهؤلاء الرجال يحيطون بنا، فالتفت إليهم وقال: اذهبوا، حتّى فرقهم جميعاً، ثمّ انضم إليّ جمع كثير من النساء، فاستمع الشيخ إلى استفتاءاتهن حتى فرغن».[2]

---

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) الرياض، العدد ١١٨٩٥.

وقال د. عبد الرحمن بن علي كركمان :

«عندما أسلم مجموعة من الممرّضات، وكان لديهنّ بعض الاستفسارات التي رأينا أنه لا يمكن أن يجاوب عليها غير سماحته رحمه الله، حيث إن بعض الإخوان جزاهم الله خيراً كان لهم بعض الاجتهادات حول بعض المسائل، وبعد أن قابلن سماحته رحمه الله، واستمع إلى أسئلتهنّ وأجابهنّ بإجابات طمأنتهن كثيراً شجعهن وحثّهن على تشجيع غيرهنّ، وكذلك عوائلهن، وقدّم لهن بعض الدعم المالي مما كان له الأثر في نفوسهن ونفوس غيرهنّ عند إخبارهنّ بذلك».[١]

وقالت فوزية بنت عبد الرحمن الزامل :

«ومن آخر مواقفه رحمه الله التي أعرفها عنه حسن معاملته للمرأة، وحرصه على تفقيهها في أمر دينها، امرأة متوسطة في العمر لا ولد لها ولا زوج ولا قريب، حيث إنها من الإماء اللاتي منّ الله عليهنّ بالعتق، كانت تسكن بالقرب من منزل الشيخ، تذكر هذه المرأة بأنها في العام الماضي وقفت للشيخ في الشارع وقالت : يا عم أريد أن أحجّ أو أعتمر، وقف رحمه الله وأخذ يستمع إليها، وكان في طريقه إلى المسجد، وأخذت تحادثه وتبيّن له أنه ليس لديها محرم، وتشرح له وضعها وهو يستمع، وكان في لهجة هذه المرأة عجمة لا تستطيع معها إخراج الحروف صحيحة ويحتاج كلامها إلى وقتٍ ليُفهم، ومع ذلك وقف الشيخ رحمه الله واستمع إليها على الرغم من مشاغله، ثم قال : يا بنيّتي عليك بالصيام، والصلاة والتسبيح والتهليل ولا تذهبي فرضيت بذلك وطابت نفسها».[٢]

---

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٨.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

وقال الشيخ سليمان الجبيلان :

«امرأة من إحدى البلاد الإسلامية تتابعه وتريد أن تسأله، وهو خارج من المسجد الحرام، فما كان يردّ عليها، وكان يكلّمها وهو معطيها ظهره، فكانت تقول : ردّ علي، التفت لي يا شيخ، وهي كانت حاسرة عن وجهها، فالشيخ جزاه الله خيراً قال : أردّ عليكِ بعدما تتحجّبي، فقالت : أنا متحجّبة، وكانت تأخذ بالحجاب في قضيّة إخراج الوجه واليدين، فوضع الشيخ رحمه الله غترته على وجهه، وغطّى وجهه، والتفت إلى المرأة وقال لها : هذا الحجاب، فأخذت الدعوة عمليّاً».(١)

وقال الشيخ علي بن عبد الله السلطان :

«أذكر أنه يوم من الأيام في أحد الدروس وكان من عادته رحمه الله أن يجيب على عدد من الأسئلة قبل البداءة بالدرس، ومن المعلوم أنه يحضر درسه النساء أيضاً، ففي ذلك اليوم جاءته من بين الأسئلة ورقة موسومة بأم عبد الله وفيها من الكلام الشديد على الشيخ، وقد كان يقرؤه بصوت مسموع لدى الطلاب واضح مع تأثره أثناء القراءة حتى اغرورقت عيناه بالدمع، وبعد أن أنهاها ما كان منه إلا أن قال: لقد قست علينا أم عبد الله».(٢)

قال الشيخ أحمد القرعاوي :

«في أغلب الفترات وهو في الطريق على رجليه يقابله نساء، فيقف لهن ويقول لي : اذهب إليهنّ واسألهنّ ماذا يردن، فأذهب للنساء والشيخ واقف وأعرف منهن ماذا يردن، فإذا أردن الفتوى يفتيهن الشيخ، وإذا كنّ طالبات للصدقة فيقوم الشيخ بإعطائي مبلغاً من المال وأعطيهن».(٣)

---

(١) شريط الإمام ابن عثيمين، (تسجيلات صدى التقوى بالرياض).

(٢) المصدر السابق ص ١٠١.

(٣) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

وقالت فوزية بنت عبد الرحمن الزامل :

«لقد كان له هيبة عظيمة في نفوسنا، كم كنّا نشعر بالخجل حين نقترف ذنباً، مخافة أن يعلم به الشيخ، لقد كنّا نلعب بالشارع في انسجام تام، فحينما نرى الشيخ مقبلاً نقف إجلالاً له واحتراماً حتّى يتعدانا وقد ذكرت إحدى الأخوات؛ كم كان التدافع كبيراً بين الصغيرات حينما يقرب الشيخ منهن مخافة أن يراهنّ في لباسٍ مخالفٍ أو شعرٍ مقصوص..، ولا يبخل علينا رحمه الله ونحن في هذه السنّ الصغيرة بالتوجيه والدعاء لنا بالهداية».(١)

وقالت نورة بنت عبد الله صالح الدامغ :

«... حريصٌ رحمه الله على تعليم القرآن وحفظه بين النساء كما هو بين الرجال، يتابع بنفسه الحلقات كرئيس لجمعية تحفيظ القرآن الكريم بعنيزة، كان شديد الحرص على القسم النسوي بالجمعية، يلقي الدّروس ويشارك بالدورات الصيفية، ويتابع الأنشطة، وكان من المرتب له هذا العام دروساً خاصة للمعلمات بدار القرآن، ثم هو يرحمه الله يسمع لآراء النساء، ويحاور ويناقش أطروحاتهن، لمست ذلك بنفسي حين قدمت له آراء حول أحد المواضيع الخاصة بالجمعية بخطابٍ أرسلناه له، فرحّب غفر الله له بالنقاش، وتداول الرأي، ولم يستفرد فيه برأي وحده».(٢)

وقالت د. لولوة بنت عبد الكريم المفلح :

«كنت أشاهده يخرج من المسجد الحرام بعد دروسه يستوقفه الكبير والصغير، يجيب على هذا، ويسمع لذاك، ويسلّم على عمّال النظافة، وفوق ذلك فقد منح

---

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

النساء من وقته وعلمه نصيباً كافياً؛ فكنّ يستوقفنّه للسؤال، وكان يتنحّى قليلاً عمن معه من الرجال ويستمع لسؤالهنّ، ويجيب بصدرٍ رحبٍ وعلمٍ جمٍّ».[١]

وقالت منيرة الشبل : «.. عُرف رحمه الله تعالى بحرصه الشديد على نشر الدين الإسلامي بين أفراد المجتمع عامةً رجالاً ونساءً، فقد خصّص مكاناً للنساء لاستماع دروسه في المسجد، بل أبواب بيته مفتوحة لكلّ سائلٍ كذلك...، وله من الكتابات والخطب الكثير عن المرأة، وما يتعلّق بها من مسائلٍ كوجوب رعاية المرأة، ومنعها من التّبرج، ومسؤولية رعايتها، وغير ذلك مِنَ المسائل..».[٢]

وقال الدكتور علي بن مرشد المرشد الرّئيس العام لتعليم البنات بالمملكة:

«ولقد دعوت فضيلته مراراً لإلقاء محاضراتٍ على بناته الطالبات في مختلف أنحاء المملكة، وما أذكر أنه في يومٍ من الأيّام اعتذر عن ذلك، بل إنّي أجد منه الرّغبة والحرص في المبادرة إلى ذلك، وإضافةً إلى هذا فقد وجدت منه - رحمه الله - حرصه على الاجتماع بي سواءً في المكتب أو المنـــزل، والبحث في أمور تعليم البنات وخاصّة ماله علاقة بالمناهج الدراسية».[٣]

(١٦) مزاحه :

كان رحمه الله تعالى يحبّ أن يمزح أحياناً، ولا يقول إلا صدقاً لإدخال السرور على طلاّبه ومجالسيه بقدرٍ محدودٍ لا يؤثر على هيبته ومكانته مما كان يحصل به نوع من الاسترواح في دروس العامة والخاصة.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٦.

ومن ذلك : ما قاله **أحمد بن عبد الرحمن العواد** :

«مازلت أتذكّر ذلك الموقف الذي حصل أثناء زيارتي وبعض الأخوة الفضلاء لفضيلة الشيخ ابن عثيمين في عنيزة؛ حيث جلسنا مع فضيلته جلسة خاصّة، وبعد بيان الشيخ للحكم الشرعي للمسألة قال لصاحب السؤال مازحاً : البس يا ولدي ساعة من خشب، وضحك رحمه الله، وكم كان لهذه الكلمة من أثرٍ كبير في إزالة السآمة والملل عن الطلاب».[1]

وقال أيمن بن عبد العزيز أبانمي :

«ومما شاهدت من تواضعه أنّه مرّة كان في أحد دروسه في سطح الحرم، فأتت هرّة بين الصفوف، والشيخ كان يلقي الدّرس، فأوقف الشيخ الدّرس وقال : ماذا تريد هذه الهرّة؟ لعلّها تريد ماءً، اسقوها ماء، فسقوها، ثم ذكر الشيخ فائدة عن حكم سؤر الهرّة، ثم قال بعد ذلك : هذه فائدة بمناسبة حضور الهرّة، فضحك الجميع».[2]

وقال إحسان بن محمد العتيبي :

«كان النبي ﷺ يمزح ولا يقول إلاّ حقاً، وكان الشيخ ابن عثيمين رحمه الله مرحاً حلو المداعبة، وكان ذلك مما يضفي جواً مريحاً على الطلبة أثناء تحصيلهم العلم والجدّ، وله في ذلك مواقف منها :

أنّه جاءه عاميّ أثناء درسه في الحرم، وهو جالس على كرسيّه من خلفه، والشيخ يشرح ويدرّس، فقرب هذا العاميّ من الشيخ وتخطّى الرقاب، حتّى وصل إلى الشيخ من خلفه، فكأنه أرعب الشيخ قليلاً لأنه جاءه من الخلف.

---

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٤.

قال العاميّ : عندي سؤال يا شيخ !

قال الشيخ : وراك تسوّرت المحراب - أو كلمة نحوها - ! ثم أصرّ العاميّ على السؤال، و لم يعرف طبيعة الدّرس، والشيخ يمازحه ويلاطفه ويمتنع عن الإجابة !

فلمّا أصرّ العاميّ توجّه الشيخ للطلبة وقال : هل تسمحون له بالسؤال؟ فكلّهم أجاب : نعم نسمح، فسأل العاميّ - وأجاب الشيخ - وانصرف».[1]

وقال عبد العزيز الربيش :

«كنت في حلقة من حلقات العلم عند الشيخ ابن عثيمين، و لم أقصد الحضور دائماً، وكنت ألبس العقال فوق (شماغي)، وكنت الوحيد الذي يلبس العقال في تلك الحلقة، فكان الشيخ ابن عثيمين يناديني، فيقول : ماذا عندك يا أبا عقال ؟ وماذا تقول يا أبا عقال ؟ فظننت أنّ للشيخ رأياً في العقال، وأن في لبسه محذوراً، فلم أملك إلاّ أن أقف أمامه في الحلقة وأقول له : لماذا تناديني بأبي عقال؟هل لبس العقال حرام؟ فقال الشيخ : ناولني عقالك ! فأعطيته إياه و لم أدر ماذا يريد أن يصنع به فقام فوضعه فوق غترته ثم ابتسم لي وقال : من قال لك إنّ لبس العقال حرام فقل له : إنّي رأيت محمد بن عثيمين يلبسه».[2]

وقال إحسان بن محمد العتيبي :

«صلّى الشيخ في الحرم المكّي، وأراد بعد خروجه من الحرم الذهاب إلى مكان يحتاج الذهاب إليه إلى سيّارة.

أوقف الشيخ ابن عثيمين سيارة تاكسي، وصعد معه، وأراد السائق التعرّف على الراكب.

(١) جريدة المدينة (ملحق الرسالة) العدد ١٣٧٨٨.

(٢) المصدر السابق، وانظر التعليق الآتي على هذه القصة.

السائق : من الشيخ ؟

الشيخ : محمد بن عثيمين.

السائق : الشيخ ابن عثيمين ! وظنّ أن الشيخ يكذب عليه، إذ لم يخطر بباله أن يركب معه مثل الشيخ.

الشيخ : نعم، الشيخ.

السائق يهزّ رأسه متعجّباً من هذه الجرأة في تقمّص شخصيّة الشيخ.

الشيخ ابن عثيمين : من الأخ ؟

السائق : الشيخ عبد العزيز بن باز.

فضحك الشيخ.

الشيخ : أنت الشيخ عبد العزيز بن باز.

السائق : يعني أنت الشيخ ابن عثيمين.

الشيخ : لكن الشيخ عبد العزيز ضرير، ولا يسوق سيارة.

ثم تأكدّ للسائق أنه هو الشيخ رحمه الله، ووقع في إحراج».(١)

وقال الشيخ محمد صالح المنجّد :

«مرّة اتصلت عليه، ولعلّي شعرت أنه كان يتغدّى، فقلت له : لعلّ هذا وقت الغداء يا شيخ، فقال لي : تفضّل معنا، وهو في القصيم وأنا أكلّمه من المنطقة الشرقية».(٢)

---

(١) المصدر السابق.

(٢) البلاد، العدد ١٦٢٣٧.

قال خالد بن صالح الشّبل :

«كان مرّة معي في السيارة، ومررنا بمحلّ اتصالات، وكان هناك وقتها أزمة في أرقام الهاتف، فكان الشيخ يقرأ لوحة محل الاتصالات بصوت أسمعه، وإذا فيها : هاتف جوّال، فالتفت إليّ وقال بلهجتنا : (حنّا نبي هاتف يعرج)».[1]

وقال الشيخ سليمان الضحيّان :

«في أحد دروس شرح زاد المستقنع وصلت إليه ورقة يطلب صاحبها أن ينبّه الشيخ على الطلاب أن من له سيارة (فولفو) عند باب المسجد فليقم ليبعدها، فإنها قد أغلقت على سيّارة أخرى يريد صاحبها الذهاب، فقرأ الشيخ الورقة : (من له سيارة (فول) قرأها (فول) قصداً ليروّح عن الطلاب، ثم علّق قائلاً بالعامية (عجيب، بُه سيارة اسمها فول) فضجّ التلاميذ بالضحك».[2]

وقال الشيخ محمد صالح المنجّد :

«كان الشيخ يتكلّم مرّة في درس عن عيوب النســاء في أبواب النكــاح، فسأله ســائل وقال : إذا تزّوجت ثم وجدت زوجتي ليس لها أسنــان، فهل هذا عيب يبيح لي طلب الفسخ، فضحك الشيخ وقال : هذه امرأة جيدة حتّى لا تعضّك.

وسأله سائل فقال : شخصٌ كبير في السّن، ولا يستطيع الصوم، ويطعم عن كلّ يومٍ مسكيناً، وفي يومٍ من أيّام رمضان أراد أن يأتي أهله، فهل يجوز ؟ فضحك الشيخ وقال : أولاً : أخبرني هل زوجته عجوز مثله أم لا ؟.

---

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٩.

(٢) المعرفة، العدد ٦٩.

وجاء مرّة رجلٌ مسلمٌ أعجميٌّ من أهل باكستان يريد أن يسأل الشيخ ويناديه: يا شيك، يا شيك، لأن الأعجميّ لم يستطع نطق الخاء، فقال له الشيخ محمد : والله إنّي شيك بمائة وعشرون ألف ريال، وهي مقدار الدّية». [1]

وقال العقيد الرّكن / علي بن محمد الخشان :

«في محاضرة أخرى أُعد في المسجد شيء من البخور فلمّا حضر الشيخ قدم له أحد الأخوة المبخرة، وأراد أن يزيد من العود، فرفض الشيخ وقال مازحاً : (إن كنت مصراً فأعطينيها». [2]

وقال الطالب ناصر السعدي:

«في أحد الاجتماعات الخاصة التي كان يجتمع بها مع طلابه من سلطنة عمان، قمت لأسأله فقال لي : من أنت ؟ قلت ناصر السعدي، فقال : ما العلاقة التي تربطك بسهل (يقصد الصحابي سهل بن ساعدة رضي الله عنه) فقلت : أسأل الله أن يجمعني به في الجنة، فقال : ونحن معكم». [3]

وقال عبد الكريم بن عبد الله الخلف :

«في أحد الأعوام أقامت الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم بالبكيرية احتفالاً لطلبتها، وقد دُعي الشيخ لهذه المناسبة كالعادة، وكان من بين من حضر هذا اللقاء فضيلة الشيخ عبد الرحمن السديس إمام وخطيب الحرم المكّي الشريف، وذلك لكي يقوم بامتحان الطلبة في محفوظاتهم، وقد اكتظ المسجد بالحضور، وكان

(١) شريط ١٠٠ فائدة من العلامة ابن عثيمين.

(٢) مجلة الجنديّ المسلم، العدد ١٠٢.

(٣) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٦.

أكثرهم قد أتى لسماع صوت فضيلة الشيخ عبد الرحمن والاستمتاع بقراءته، لكن الشيخ اكتفى بالسؤال عن المقاطع دون ترتيل، فلمّا انتهى من ذلك أخذ الشيخ محمد ابن عثيمين (اللاقطة) وقال الآن نختبرك يا شيخ عبد الرحمن، وذلك حينما عرف الشيخ ذلك من وجوه الحضور، فابتسم الشيخ عبد الرحمن وقال : لا بأس أن نحقّ الحقّ وفوق كلّ ذي علم عليم، فأعطاه الشيخ مقاطع وآيات فيها ذكر النار والجنة، فرأيت الشيخ محمداً قد أطرق رأسه وبدأ يهزّه حيناً وبدا عليه التأثّر، وذلك لما يعقله من تلك المعاني، ذلك الموقف الطريف لا أنساه أبداً».[(١)]

وقال الشيخ سليمان الضحيّان :

«لديه مقدرة غريبة على اكتشاف الغافلين من الطلاب خلال الشرح، فكثيراً ما يسأل أحد الطلاب فجأة، ويقول: (يا فلان أين وصلت) فيجيب بعض الظرفاء من الطلبة (إلى الصّين يا شيخ) فيبتسم الشيخ ويأمره بالذهاب لغسل وجهه ليعود له الانتباه».[(٢)]

(١٧) حلمه وصبره :

قال الشيخ عبد المحسن بن عبد الرحمن القاضي :

«قام شخصٌ في مسجده ذات مرة مطالباً بسرعة إقامة الصلاة، والشيخ لم يحضر بعد، فرفض الشيخ إبراهيم الريس مؤذن الجامع - رحمه الله تعالى - ذلك انتظاراً للشيخ، فما كان من هذا الشخص إلا أن أقام الصلاة بنفسه، وتقدّم للمسجد وصلى بالنّاس، فصلّى الناس وراءه، وكنت قد خرجت بحثاً عن الشيخ

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٥.

(٢) المعرفة، العدد ٦٩.

فرأيته قادماً، فأخبرته الخبر، فقال لي: نصلّي معه إن شاء الله، فلمّا أن انتهى من الصلاة حدّثه الشيخ وأخبره بأن عادته تأخير الإقامة للظهر، وطلب منه ألا يتعدى على حرمة إمام أو مؤذن في مسجد، فما كان من هذا الشخص إلاّ أن قال له : إذا أتيتُ مرّةً أخرى إلى هذا المسجد فسأقيم الصلاة؛ فما كان من الشيخ إلا أن تبسّم ودعا له بخير».[1]

وقال الشيخ محمّد صالح المنجّد :

«كان - الشيخ - مرةً يمشي في طريق العودة من المسجد وطلابه يقرؤون عليه، يقرأ عليه طالب في كتاب، فجاءه شخصٌ من خلف الطلاب ودفع الطالب الأيمن ودفع الطالب الأيسر واخترق ما بينهما، وأمسك الشيخ من كتفه وجَبذه بقوة حتى استدار جسد الشيخ من قوة الجبذة، حتى قال بعض طلاب الشيخ (الآن ربما ينفجر عليه) ولكنه فاجأهم أن الشيخ رحمه الله ابتسم وهشّ في وجه هذا الأعرابي الذي جاء بهذه الجلافة وسأله عن حاجته، وقال : هذه حاجتي، اقرأ هذه مكتوبة في الورقة، أنت ما (تفضا لي) فاعتذر عن قضاء حاجته الآن، فأصرّ الرجل ولم يقبل اعتذار الشيخ ولم يزل بالشيخ حتى قضى له حاجته».[2]

قال سعد بن تركي الخثلان :

«حدّثني شيخنا عبد الله بن حسن بن قعود - حفظه الله وشفاه - قال : إنّ الشيخ معروف منذ نشأته بانصرافه بالكلية للعلم الشرعي، قال وحدثني بنفسه أنه

---

(١) جريدة الوطن، العدد ١١٢.

(٢) انظر الدعوة، العدد ١٧٧٧، وشريط ١٠٠ فائدة من العلامة ابن عثيمين مع اختلاف في سياق القصّة.

كان في بداية أمره يلقي الدروس، وإنه ألقى ذات يومٍ درساً لم يحضر له سوى طالب واحد».[(١)]

وقال الشيخ محمد الشرافي :

«أتاه مرّة رجل في الدرس، وكانوا يبدو عليه أنه ضعيف العقل، وتخطّى رقاب الطلبة حتى وصَل إلى الشيخ مصرّاً على مقابلة الشيخ، فالتفت الشيخ رحمه الله إليه وبدأ يحادثه ويتكلّم معه، وكأنه يتكلم مع رجلٍ من أعقل الناس، ثم أخرج ذلك الرجل حزمة من أعواد الأراك (السواك) ثم أعطاه الشيخ وأصرّ أن يقبلها، فما كان من الشيخ رحمه الله تعالى إلاّ أن تقبلها، ثم ودّع الرجل، ثم وزّع أعواد الأراك علينا».[(٢)]

وقال د. إبراهيم الخضيري :

«كان يتحمّل كثيراً من الانتقادات التي كانت توجّه إليه من بعض الطلبة أذكر موقفاً طريفاً : أنه رحمه الله صلى في عنيزة، فسجد للسهو بعد السلام، فقام أعرابي وقال: يا أخي إذا كنت لا تعرف تصلّي فلا تتقدم، فهمّ طلبته بالأعرابي، فاعتذر له الأعرابي بعد ذلك».[(٣)]

وقال الشيخ حمد بن عبد الله الجطيلي :

«كان لنا معه أحد مواقف كثيرة، فقد درست عنده وخلال ثلاثين عاماً في حلقات الجامع الكبير بعنيزة، حتى أنه لم يكن في بعض حلقات الدّرس إلاّ أنا وآخَــر فقط، وصبر على ذلك حتى أصبحت الحلقة بالمئات».[(٤)]

---

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٣.

(٢) شريط الإمام ابن عثيمين، (تسجيلات صدى التقوى بالرياض).

(٣) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٤) الجزيرة، العدد ١٠٣٤١.

وقال د. أحمد بن عبد الرحمن القاضي :

«كان حريصاً على دوام الدّرس بين العشاءين، فلم يفت في عضده انتظام الناس وندرة الطلبة في فترة من الفترات، فلقد رأيته رحمه أكثر من مرّة في أواخر التسعينات الهجرية وليس أمامه إلاّ طالبان فقط، فما يمنعه ذلك من الشرح والاستقراء والتفصيل، وكأن المكان غاصاً بطلاب العلم، فقد علم الله صدق نيته، وحسن قصده، فجعل أفئدة الطلاب تهوي إليه من أصقاع الأرض، فلربّما اجتمع في بعض دروس الفقه ٥٠٠ أو يزيدون».[1]

(١٨) أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وغيرته على حرمات الله :

من المعلوم أن خيرية هذه الأمة المباركة منوطة بالإيمان بالله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعظيم حرمات الله تعالى، ويحمل لواء هذه الشريعة العظيمة – بعد الأنبياء – العلماء الربانيون في كلّ أمة، فيكون أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر غير منكر بل بالحكمة والموعظة الحسنة، فينظرون إلى العصاة بنظرين : بعين القدر فيرحمونهم، وبعين الشرع فَيُقِيمُون عليهم ما أوجبه الله تعالى، وقد عُرف شيخنا بغيرته على دين الله تعالى، وحرصه على الأمر والنهي على ما تُوجبه الشريعة.

فقه إنكار المنكر عند الشيخ.

يقول الشيخ رحمه الله تعالى :

«ليس من الحكمة أن تتعجل وتريد من الناس أن ينقلبوا عن حالهم التي هم عليها إلى الحال التي كان عليها الصحابة بين عشية وضحاها، ومن أراد ذلك فهو

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

سفيه في عقله بعيد عن الحكمة، فلا بد من طول النفس، واقبل من أخيك الذي تدعوه ما عنده اليوم من الحقّ، وتدرّج معه شيئاً فشيئاً حتى تنتشله من الباطل».(١)

ويقول أيضاً :

«لا شكّ أن الدعوة الإسلامية منذ بعث الرسول ﷺ وإلى أن تقوم الساعة، أولياتها وأصولها واحدة لا تتغير بتغيّر الزمان، لكن قد تكون بعد الأصول محققة عند قوم، وليس فيها ما يَنقُضَها أو يُنْقِصُها فيعمل الداعية إلى النظر في أمور أخرى يكون فيها من يدعوهم مقصّرين».(٢)

ويقول أيضاً :

«والدعوة إلى الله لابد أن تكون بالحكمة والموعظة الحسنة، ولين الجانب وعدم التعنيف، واللوم والتوبيخ...».(٣)

وقال رحمه الله : «إننا لو علمنا أن في بيت من بيوت هذا البلد مرضاً فتاكاً لأخذنا القلق والفزع، ولاستنفدنا الأدوية، وأجهدنا الأطباء للقضاء عليه.

هذا وهو مرضٌ جسمي، فكيف بأمراض القلوب التي تفتك بديننا وأخلاقنا.

إنّ الواجب علينا إذا أحسسنا بمرض ديني أو خلقيّ يفتك بالمجتمع، ويحرف اتجاهه الصحيح أن نبحث بصدق عن سبب هذا الداء، وأن نقضي عليه وعلى أسبابه قضاءً مبرماً من أيّ جهة كانت؛ لا تأخذنا في ذلك لومة لائم؛ قبل أن ينتشر الداء ويستفحل خطره..».(٤)

---

(١) صفحات من حياة الفقيد العالم الزاهد ص ٢٦، للدكتور عبد الله بن محمد الطيار.

(٢) المصدر السابق، وعزاه لـــ (فتاوى الدعوة ٥/١٥٤).

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

نماذج من دعوة الشيخ للكفّار، أو العصاة، وأمره ونهيه :

قال د. سعود بن عبد الرحمن العجاجي :

«بينما نحن مغادرين الفندق الذي سكنه توقّف أمامه طفلٌ أمريكي ومعه والدته، فطبطب على رأسه وبدأ يداعب هذا الطفل الذي أثارته هيئة الشيخ، وهيبته بلبسه الثوب السعودي والمشلح، فطلبت الأم من ابنها أن يحيي الشيخ، فردّ الشيخ بأحسن منها.

وقال الشيخ الراحل موجهاً كلامه للأم : الله يهديك بالإسلام، وكان الشيخ خلالها غاضّ النظر، وعاف الخاطر، ثم طلبت الأم من ابنها أن يودّع الشيخ بعبارة Have a nice day.

وسألني الشيخ : ماذا يقول الطفل ؟ فأبلغته أنه يتمنّى لك يوماً سعيداً، لكن بعض المرافقين امتعضوا من ملبس المرأة، فقال أحدهم : قبّح الله وجهك، لكن الشيخ لم يعجبه هذا الكلام، فقال : يا إخوان ليس هذا من سمات الإسلام، الطفل وأمه قابلانا بوجه حسنٍ وكلام طيّب، فأحرى أن نعاملهم بالمثل؛ فبدلاً من أن ندعو عليهم جدير أن ندعو لها بالهداية الذي هو منهج الدين الرّفيع».[1]

ويقول الشيخ خالد المصلح [صهر الشيخ] :

«شيخنا آمرٌ بالمعروف، وناهٍ عن المنكر في دقيق الأمور وجليلها، ويلاحظ ذلك كل من عرف الشيخ فعلى المجال الفردي يأمر بالمعروف ويحثّ على الصلاة في طريقه إلى المسجد، وإذا لاحظ على شخصٍ تقصيراً أنكر عليه، أما المنكرات العامة فالشيخ صاحب بيان، لكنه دائماً يقول : إنه لا يتكلّم إلا بما يكون فيه فائدة

(١) الاقتصادية، العدد ٢٦٥٠.

وبأسلوب مفيد يكون فيه اندفاع الشر وحصول الخير دون أن يترتب عليه مفسدة أعظم من المصلحة المرجوّة منه».[١]

وقال الدكتور إبراهيم بن عبد الله المطلق :

«صحبته رحمه الله يوماً من الجامع إلى منـــزله، وقرب إحدى إشارات المرور التفت رحمه الله، فرأى سيارة واقفة، وفيها رجلٌ عربي من إحدى الدول العربية، ومعه زوجته قد كشفت عن وجهها.

فانطلق رحمه الله كالسهم تجاه السيارة فغطت المرأة وجهها، ونزل زوجها وقبّل رأس الشيخ واعتذر».[٢]

وقال العقيد الرّكن علي بن محمد الخشّان :

«كان يحرص على ألا يدنس العلم الذي معه بما يشينه، فحينما همّ أن يدخل أحد المكاتب رأى فيه صوراً معلقة، فعدل إلى مكتب آخر ليس فيه صور، وكذلك لا يرضى بحضور مناسبات فيها منكرات، ويحرص الشيخ كثيراً على تصحيح الأخطاء عملياً، فكان الناس في السابق إذا أرادوا أن يصلوا على جنازة قاموا من حين يسلّم الإمام وقد تعلمت من الشيخ التريث؛ لا سيما إذا كان من المصلين من يقضي ما فاته.

كذلك صلّى الشيخ مرّة على جنازة، ولاحظ أن بعض المأمومين يرفع صوته بالتكبير إذا كبّر الإمام؛ فلمّا فرغ الشيخ من الصلاة على الجنازة نبّه الناس إلى عدم الجهر بالتكبير».

---

(١) الأسرة، العدد ٩٢.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

في بداية أحد دروسه رحمه الله في المسجد الحرام **قال** :

«إنّي ألاحظ أنّ أيدي بعض الناس قد قُطعت؛ فشدّ الانتباه بذلك، ووضَّحَ : أن البعض من احترامهم وتبجيلهم ربّما سارع بتقبيل الرأس قبل المصافحة، وبيّن أن هذا خلاف الهدي النبوي، فلا بدّ من البدءِ بالمصافحة».(١)

وقال عبد العزيز بن دغيثر الدغيثر :

«مرة وهو راجع من المسجد إلى بيته كان يمشي على الرصيف، فوجد سيارة قد أوقفها صاحبها فوق الرصيف تعترض الطريق، فوقف الشيخ وسأل عن صاحب السيارة، ثم طرق عليه الباب، فخرج صاحب السيارة، ووجد من ؟ وجد الناصح المتواضع، والموجه المشفق، نصحه الشيخ أولاً، ثم طلب منه أن يغيّر مكان السيارة فالطريق له حقّ».(٢)

وقال الشيخ محمد بن عبد الله المشوّح :

«كان رحمه الله شفيقاً عطوفاً حدباً على الشباب، يستمع إليهم ويناقشهم، فيرشد ويعظ بكلّ لينٍ وأدب.

لقد استمعتُ إلى بعضـــهم ينهر ويعلي صوته عليهم حين يتحدثون عن بعض المنكرات، ولكن الشيخ رحمه الله يعاملهم بكلّ هدوء، ويبيِّن لهم أصـــول الإنكار، وضوابطه بعيداً عن الحماس المرتجل، والعاطفة الثائرة، المجردة من العلم والعقل».(٣)

---

(١) مجلة الجندي المسلم، العدد ١٠٢.

(٢) جريدة الرياض، العدد ١١٨٩٦.

(٣) الرياض، العدد ١١٨٩٣.

وقالت نورة بنت محمد السعيد :

«كان لدى والدي يرحمه الله بيت زائد عن حاجته، ورغب في إيقافه بعد موته، واستشار الشيخ هل يفعل أم يتصدق به في حياته ؟ فقال له الشيخ إذا كنت ماشياً فهل تضع السراج أمامك أم خلفك ؟ فقال : بل أمامي، فقال : تصدّق به الآن».[1]

وكان من حرصه رحمه الله في صلاته أن يرسل من يسوي الصفوف ويتفقدها بعد إقامة الصلاة، اقتداءً بالرسول ﷺ، وهي سنّة مهجورة، تركها الكثيرون.[2]

وقال الشيخ أحمد القرعاوي :

«عندما يسير الشيخ مع طلبته من المسجد إلى المنـــزل يضيق الشارع بهم لكثرتهم، فيقوم الشيخ رحمه الله وينهاهم ويقول لهم: ابعدوا وأعطوا الطريق حقّه».[3]

وقال محمد بن أحمد الشدي :

«فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله عالم كبير مهتمٌّ بالكتاب والاطلاع بشكل لم أره إلا لدى القلّة من الناس ومعرفتي بفضيلته جاءت بالصدفة خلال عملي، فقد وصله بطريقة معيّنة أن الجمعية لديها لوحات. والعديد من الرسامين السعوديين تدخل رسوماتهم تحت طائلة (غير المباح) من الفنّ التشكيلي، وجاءت مكالمة فضيلته بهذا الخصوص مع سموّ الأمير فيصل بن فهد رحمه الله في مكتبه مصادفة، وأنا لدى سموّه لعرض بعض الأوراق، فقال سموّه - رحمه الله - : لدي فلان سوف يتصل بفضيلتك، ويشرح لكم واقع الحال الذي هو الصحيح الذي

---

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) الرياض، العدد ١١٨٩٦.

(٣) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

نسير عليه في جميع أعمالنا، وفعلاً في مساء ذلك اليوم اتصلت مع فضيلته وشرحت له، فوجدت الشيخ رحمه الله متفهماً لدورنا في رعاية الشباب بكل أبعاده الفكرية والعملية، ومن ضمنها الفنون التشكيلية التي ليس فيها شائبة، وأكّدت لفضيلته ذلك في كل ما نقيمه من معارض وأرسلت له نماذج مصغرة منها... ورضي فضيلته وقال: إن فيما ذكرته لي محاولة منكم لإشغال الشباب بأعمال مفيدة، وقد تصده عن ما يضرّه وحملني السلام لسموّ الأمير فيصل رحمه الله، وتحدثت مع فضيلته عن بعض الكتب الهامة والمفيدة، وأصبحت علاقتي به ثقافية أبوية، رحمه الله وعوضنا عنه خيراً».[1]

وقال عبد الغني بن ناجي القشّ :

«كان الشيخ في أحد الليالي الرمضانية يصافح من استمعوا إلى الدرس، وإذا برجلٍ من المغالين في المشايخ أخذ يغالي في الشيخ، ويقول كلاماً فيه غلوٌّ كبير،فما كان منه رحمه الله إلا أن دفع ذلك الرجل وقال له:أصلحك الله، أَصْلِحْ عقيدتك أولاً، وبعد ذلك التفت إلى طلابه وسألهم أن يأتوا بالرجل الذي فعل ما فعل، وأخذ يحدثه ويلاطفه، ثم خصص الدّرس بعد ذلك في الغلوّ والمغالاة، وكيف أنه كانت سبباً في عبادة غير الله عز وجل».[2]

وقال الشيخ راشد الزهراني :

«يقول رحمه الله تعالى : كنت في مطار الملك عبد العزيز بجدّة، فتأخرت الطائرة، فأردت أن أستفيد من الوقت، وفي مصلّى المطار بدأت أتحدّث عن اتباع

---

(١) الندوة، عدد ١٢٨٤١، نقلاً عن صفحاتٍ مشرقة، ص ٥٢.

(٢) المدينة، العدد ١٣٧٩٢.

السنة، وعن فرقة التيجانية وأنها فرقة ضالّة، فقال أحد الأخوة : يا شيخ لو سمحت لي أن أترجم كلامك إلى لغة (الهوسا)، لوجود أناس كثير يتحدّثون بهذه اللغة، يقول الشيخ : وبدأت بالحديث وهو يترجم، وفي أثناء الكلام قال شخصٌ : يا شيخنا أنت تذم الطائفة وهو يثني عليها، فأجلسه الشيخ، ولم يعد يثق في كل مترجم، وكان يقول : تمنيت أنني تعلّمت اللغة الإنجليزية».[1]

وقال د. أحمد بن سليمان العريني :

«كان رحمه الله يعمل بالعلم ويطبّقه بحذافيره، ففي يومٍ من أيام شوال كنا في درسه في قاعة كلّية الشريعة بالقصيم، فسأل أحد الطلاب الشيخ عن أناسٍ اعتمروا في رمضان الماضي، فلمّا دخلوا الحرم ورأوا الزحام الشديد رجعوا إلى بلدهم ولم يتموا عمرتهم، فقال الشيخ : أتعرفهم ؟ قال : إن زميلاً لي يعرفهم قد أوصاني بالسؤال، فقال الشيخ : اخرج الآن وبلغه ليأمرهم الآن بالتوجه إلى مكة، وإتمام نسك العمرة، فقال الطالب : حسناً، سوف أخبره بعد المحاضرة، فقال الشيخ : لا تنتظر، اخرج الآن وأخبره، فخرج الطالب من فوره».[2]

وقال الشيخ عبد الله الجلالي :

(أذكر أنا كنا في حفل في عنيزة قبل أكثر من عشرين سنة، فقام أحد الشعراء هداه الله وبحسن نيّة فأثنى على رجلٍ من المسؤولين، فقال : لك النهي والأمر.

فغضب فضيلته رحمة الله عليه وقال : هذا لا يكون إلا لله هو الذي له النهي والأمر، وكان ذلك المسؤول أيضاً رجلاً فاضلاً فشكر فضيلة الشيخ وقال : جزاك

---

(١) شريط معالم في حياة فقيد المسلمين ابن عثيمين، نقلاً عن صفحات مشرقة ص ٩٧.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

الله خيراً، أنا لا أستحقّ هذا لأن هذا من اختصاص الله عز وجل، هو الذي له النهي والأمر، خصوصاً وأن تقديم ما حقّه التأخير في الكلام يدلّ على الحصر والنهي، والأمران محصوران لله عز وجل».(١)

وقال عبد الله بن عبد العزيز الغفيص :

«مرّة بعد أن انتهينا من السعي للعمرة خرج الشيخ ليحلق رأسه، وإذا برجلٍ خارج المسعى يمسك بسيجارة، فوعظه الشيخ بكلمة طيبة، فكأن الرجل لم يعر الشيخ اهتماماً، ومضى، فلحقت به وقلت له: أتدري من هذا الذي يعظك ؟ إنه الشيخ ابن عثيمين، فقال: صحيح! ابن عثيمين؟ فانطلق فاعتذر من الشيخ، ويقبله في رأسه، فقال له الشيخ: إذا كنت تريدني أقبل اعتذارك فاترك هذا الخبيث، فوعد خيراً».(٢)

قلت : ومما أذكره من المواقف في هذا الأمر العظيم ما يأتي :

في مكة المكرمة جاء الشيخ لأداء العمرة في حدود سنة ١٤١٣هـ وطلبت منه أن ألازمه أثناء النسك للسؤال والاستفادة من عمله وعلمه، وكنت أسأله بين الحين والآخر عن مسائل.

وقد سألته عندما كان يشرب ماء زمزم بعد صلاة الركعتين خلف المقام، هل صح في استقبال القبلة شيء في هذا الموطن ؟ فقال : لا.

وبعدما انتهى الشيخ من السعي ذهبت معه إلى الحلاق بجوار المروة فطلب منه الشيخ أن يحلق شعره ويأخذ من شعر الأذنين وأنا واقف خلفه أثناء الحلاقة قد عرضت عليه أن أدفع ثمن الحلق فرفض.

---

(١) شريط الإمام ابن عثيمين، (تسجيلات صدى التقوى بالرياض).

(٢) الأربعاء، يوم ٢٩/١٠/١٤٢١هـ.

وبعدما انتهى أعطيت الحلاق الأجرة وأعطاه هو أيضاً الأجرة، ووجد عند الحلاق لوحة مكتوب فيها «ممنوع حلاقة الذقن» فأعجب الشيخ جدّاً وقام للحلاق وشكره وحثه على عدم حلق اللحية وأخبره أن هذا حرام.

كل هذا والحلاق لا يعرف من الشيخ وهو في ذهول من أمره.

موقف آخر :

كنا مع الشيخ في زيارة لمدينة الرَّس وركبنا معه في السيارة، وكان يطلب من كل واحد منّا أن يقوم بقراءة شيء من القرآن، إلى أن وصلنا. دخل الشيخ على بعض الوجهاء في هذه المدينة، وكان ينهاهم عن التصاوير التي توضع في المجالس، فيستمعون لأمره ويجيبونه لما أمر به.

وجاء وقت العشاء وجلسنا نأكل على الأرض وكان وراءنا بعض الخدم قياماً للخدمة، فنهاهم الشيخ عن الوقوف على رؤوسنا كما يقوم الأعاجم لملوكهم ومعظميهم.

ومن تلطف الشيخ في الإنكار عند الحاجة إليه :

ذات يوم كان الشيخ يصلي الظهر إماماً كعادته في مسجده، وخلفه مجموعة من المصلين من مصر؛ من صعيدها وكان إذا كبر الشيخ رفعوا أصواتهم بالتكبير خلفه.

فجاء الشيخ ذات يوم وقال : يا أبناء وادي النيل لا ترفعوا أصواتكم بالتكبير.

ومسألة إنكار المنكر مسألة عظيمة هلك فيها من هلك، وغلا فيها من غلا، من لدن الخوارج ثم المعتزلة فمن بعدهم منهم جماعات التكفير وغيرهم ممن لا يراعون الوسائل الشرعية في إنكار المنكر، ولا يقفون على كلام أهل العلم في مراتب إنكار المنكر.

وفي أحد الأيام في دروس الصباح في الصيف قام أحد الطلاب معترضاً على الشيخ قائلاً: انتشرت المنكرات والمعاصي كالربا والفاحشة والأفلام الماجنة... وغيرها.

فلماذا يسكت العلماء ؟ وما هو دوركم ؟ ولماذا لا تنكرون المنكر ؟

فأجابه الشيخ بحكمة ورفق قائلاً: وما أدراك أننا لم ننكر المنكر و لم نأمر بالمعروف.

بل نحن ننكر المنكر ونأمر بالمعروف، لكن هل يلزم من كل من ينكر المنكر أن يُسْتَمع له، وهل يلزم أن يخبر الناس أنه أنكر المنكر ؟.

فكانت هذه إجابة حكيمة من الشيخ تُنقل للمتحمسين والمتحاملين على شيوخهم في كل عصر ومصر ممن يتهمون أهل العلم الربانيين بالتقاعس عن إنكار المنكر.

ومما أذكره في هذا الباب :

أن الشيخ كان سيحاضر في الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، وكان يوجد بالقاعة الكبرى عدد من كاميرات التصوير بالفيديو، فقام الشيخ قبل صعوده المنصة للمحاضرة بالمرور على أصحاب الكاميرات ونكّسها بنفسه واحدة بعد واحدة، ثم صعد على المنصة وقبل بدأ المحاضرة، قال: إنني لا أسمح لأحد بتصويري، ومن صورني فأنا خصمه يوم القيام، ثم بدأ في المحاضرة.

فليسمع هذا كل من لا يفقه قول الشيخ في التصوير الفوتوغرافي الذي يكون لحاجة الشخص كالهوية وغيرها وبين التصوير للاقتناء والذكرى.

وقد نسب إلى الشيخ في هذا الأمر شنائع من جراء الفهم المغلوط لفتوى الشيخ.

وقد نُوقِش الشيخ كثيراً في هذا الأمر في أن عموم الأدلة تدل على منع كل أنواع الصور إلاّ ما استثنته الضرورة كما عليه فتوى شيخ شيخنا العلامة ابن باز رحم الله الجميع وغفر لهم.

(١٩) اهتمامه بأحوال المسلمين في العالم، وفقهه بالواقع.

قال د. عبد الله بن محمد الرميان :

«مما يجدر بالذكر أن الشيخ رحمه الله لم يسافر خارج المملكة طوال عمره إلاّ مرة واحدة في إجازة الصيف الماضي لتشخيص المرض الذي أصابه، وكان يرى أن بقاءه في الداخل أكثر نفعاً وأجدى، لكنه كان شديد الحرص على مقابلة المسلمين من شتى بلاد الدنيا عند قدومهم للحج أو العمرة، وأذكر أني دعوته ذات مرة لتناول طعام العشاء، وكان رحمه الله لا يردّ الدعوة إلا عند عدم استطاعته لإجابتها، فوافق على ذلك، ثم أرسل لي أحد تلاميذه بعد صلاة العصر للاعتذار، وطلب تأجيل الموعد لأن هناك وفداً من المسلمين الأمريكان طلبوا لقاء الشيخ، فخشي الشيخ أن يمتد الوقت بهم، فاعتذر، وفعلاً بقي معهم الشيخ إلى قرب منتصف الليل، وهذا يدلّ على حرصه رحمه الله على مقابلة المسلمين، والوقوف على مشاكلهم رغم عدم سفره إلى بلادهم».(١)

وقال الشيخ عقيل بن عبد العزيز العقيل : «إن الشيخ كان يهتم بقضايا المسلمين في كلّ أنحاء العالم، وكان يتصل بي شخصياً في كثيرٍ من المرات يسأل ويستفسر عن أحوال المسلمين سواءً أيام البوسنة، وأفغانستان، وكوسوفا، وكان يتابع متابعة دقيقة لبعض المشاريع، ويحرص عليها، ويخصص جزءاً من محاضراته ودروسه لتوعية الناس بهذه القضايا، ويحث على دعمها، وأذكر أنني زرت الشيخ في مسجده الجامع الكبير في عنيزة، وبدأت أحدثه بعد الصلاة عن بعض القضايا

---

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٤.

الهامّة، وكان طبعاً المسجد مليئاً، وأمرني أن أنزل إلى القبو وأنتظر هناك، ونزل خلفي، وجلسنا وحدنا منفردين، وكان يصغي باهتمام للقضية التي أطرحها عليه، وكان يعطي توجيهاته ونصائحه رحمه الله رحمة واسعة».(١)

وقال د. عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس :

«أذكر أنّي مرّة في إحدى الدول الغربية، دخلت أحد المراكز الإسلامية وفيه مكتبة متواضعة، فإذا أنا بمجموعة من طلاب العلم في هاتيك الديار من محبّي الشيخ رحمه الله تعالى وهم لم يروه، وقد عكفوا على كتبه ومؤلفاته ورسائله، يقرؤونها، ويبذلون جهدهم في ترجمتها بلغتهم، فقلت : سبحان الله الذي كتب لشيخنا القبول حتى في مجاهل الغرب وأقاصي الدنيا، ولقد بشرته بذلك فسرّ كثيراً، وهذا من عاجل بشرى المؤمن، وقــد كان يسألني عن أحوال المسلمين في الدول التي أزورها، ويشجعني على الاستمرار في ذلك كثيراً، فجزاه الله عني خير الجزاء».(٢)

وقال ناصر السعدي :

«كان الشيخ رحمه الله جلداً وصابراً، مستمراً في العلم والعبادة دائباً على ذلك، وأذكر أنه عندما علم بالحرب الإسرائيلية ضد الفلسطينين تأثر كثيراً، وظهر ذلك واضحاً في قسمات وجهه، وهذا دليل على اهتمامه بواقع المسلمين، وله جهود واضحة في ذلك».(٣)

---

(١) الرياض، العدد ١١٨٩١.

(٢) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٥.

(٣) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٦.

وقال الشيخ بدر بن نادر المشاري :

«رغم مرض الشيخ حرص على خطب الجمعة في الجامع الكبير والإمامة والالتقاء بالناس للإجابة على أسئلتهم واستفساراقم رغم كلّ معاناته حتى قيل له في وقت مرضه : أرح نفسك يا شيخ، قال : الراحة في خدمة المسلمين».(١)

وقال د. عبد الله الموسى :

«ذهبت للولايات المتحدة الأمريكية، وكرمني الشيخ برقم الهاتف الخاص في المنـــزل، وطلب منّي ألا أستخدمه إلا في الحالات القصوى التي تحدث دائماً في بلاد الغرب، وينتج عدم الفصل فيها إلى الفتنة والفرقة والشقاق والنـــزاع، وكنت أستخدم هذا الهاتف بين الفينة والأخرى، وكم كان هذا مفيداً على مستوى الولايات المتحدة الأمريكية، فقد اتصلت به مراراً، ولا سيما عندما يبلغ الخلاف الحلقوم، وبهذا الرقم الخاص انكشفت كرب، وانحلت عقد، واتحدت قلوب بهذه الفتوى، حتى إنه في أحد الأيام أحد الإخوان لم يصدقني في قول ابن عثيمين، فنقلته له وقال : لا مانع لديّ أن يكون اللقاء مباشراً عبر الهاتف، وأنا مستعد للمناقشة، ومرت الأيام، وفي زيارتي السنوية للمملكة العربية السعودية أعود لمجلس الشيخ مرة أو مرتين، وأذكر له بعض الصور الموجودة هناك وأحوال المسلمين، وأعرض عليه بعض الفتاوى، وكان يكتب وييسر، وكنت أناقشه بصراحة إلى درجة أنه رفض الفتوى في موضعين لما أخبرته بكامل القضيّة ولم يعطني جواباً، وقال : اسأل غيري».(٢)

---

(١) شريط (أحبّ لقاء ربّه) نقلاً عن صفحات مشرقة لحمود المطر ص ٦١.

(٢) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٧.

وقال الشيخ توفيق الصائغ :

«لما عاد من رحلته العلاجية وقد أمضى أربع عشرة ساعة في الجوّ منتقلاً من الولايات المتحدة إلى المملكة، فلما وصل إلى الطائف اتصل بي هاتفياً، وقال رحمه الله تعالى : (إذا استطعت أن تعلم الناس في المواقع [مواقع الإنترنت] برقم هاتفنا في الطائف، وأننا انتقلنا إلى هناك فافعل حتّى لا يُحرم الناس من السؤال والفتيا».[(١)]

قال الشيخ سعد بن عبد الله البريك :

«ما توانى عن النصح والإرشاد بعد أن داهمه المرض، وأنهك قواه، وفتك بجسمه، يروي من رافقه في رحلة العلاج إلى (أمريكا) يقول : أمضى الشيخ عشرة أيام ملأها بجلسات تفسير القرآن وتعليمه، والفقه ومدارسته، وتحول جناحه في المستشفى إلى حلقة من حلق العلم والفتيا والذكر والدعوة، اجتمع برؤساء المراكز الإسلامية الذين زاروه في المستشفى، فأكثر عليهم النصيحة وأعاد وكرر عليهم أن يتقوا الله، وأن يتحدوا وأن يتكاتفوا، وأن يجمعوا كلمتهم، وأن يعتصموا بحبل الله جميعاً، وأن ينبذوا الفرقة، وأن يبدؤوا الحوار بينهم باللين والحكمة والحسنى، وأن يتباعدوا عن رمي بعضهم بالعبارات التي لا تليق، أو اتهام بعضهم بما لا يجوز من سيّء الظنون».[(٢)]

وقال عبد الله بن عبد العزيز الغفيص :

«كان يحمل همّ الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، ففي ذات يوم كنا عائدين إلى السكن بعد الدرس الذي كان يلقيه عقب صلاة الفجر في المسجد

---

(١) شريط (وداعاً العثيمين) نقلاً عن صفحات مشرقة ص ٧٥.

(٢) شريط (ربانيون على فراش الموت) نقلاً عن صفحات مشرقة صـ٨٥ـ.

الحرام، ووصلنا إلى السكن حوالي الساعة السابعة والنصف تقريباً لينام الشيخ وقت الضحى، فقد كان لا ينام في العشر الأخيرة من رمضان إلاّ في ذلك الوقت، حيث كان يجلس في غرفة في المسجد الحرام للرّد على أسئلة المستفتين من بعد صلاة العصر إلى صلاة المغرب شفهيّاً لمن يقدم عليه، وتليفونياً لمن يتصل به، وبعد صلاة التراويح يجلس للدرس حتى صلاة القيام، ثم يصلي القيام وبعده ينام نصف ساعة فقط قبل السحور، ثم يصلّي الفجر ويجلس للدرس حتى الشروق، فلا يجد وقتاً للنوم إلا وقت الضحى، وهكذا بقيّة العشر.

أعود للقصة عندما وصلنا للسكن، دخل الشيخ لينام وطلب مني إيقاظه الساعة التاسعة والنصف لمقابلة وفد قدم من إحدى الدول الإسلامية، وبالفعل لم تقترب عقارب الساعة من التاسعة والربع حتى وصل الوفد، فأخبرتهم أن الشيخ نائم، وطلب مني إيقاظه الساعة التاسعة والنصف.

واقترحت عليهم لو أنهم انتظروا ساعة أخرى حتى يستريح الشيخ فوافقوني بلا تردد، وما أن تجاوزت عقارب الساعة التاسعة والنصف بقليل حتّى وجدت الشيخ قد استيقظ من تلقاء نفسه، وسألني عن الوفد، فأخبرته أنهم وصلوا، وأعلمته بما قلت لهم فعاتبني، وقال: سامحك الله، كان عليّ أن أكون في استقبالهم». (١)

وقال حمود الشميمري:

«زرته في مخيمه في منى مع عددٍ من إخواننا حديثي الإسلام للسلام عليه وإلقاء بعض الأسئلة، وكان رحمه الله عند دخولنا عليه يلقي درساً على عدد كبير من الحاضرين، فأسررت له أن معي بعض الأخوة الأمريكيين والأوروبيين يرغبون

---

(١) الأربعاء، عدد يوم ٢٩/١٠/١٤٢١هـ.

بالسلام عليه، والاستفادة في بعض الأمور التي تهمهم في بلاد الغرب، فما كان منه رحمه الله إلاّ أن طلب من أحد المشرفين على المخيّم أن يستضيفهم في خيمته الخاصة حتى يفرغ من إلقاء درسه، وما هي إلا دقائق معدودة وإذا به يدخل علينا في خيمته هاشاً باشاً مرحباً بالأخوة حديثي الإسلام، ويهنئهم على نعمة الإسلام، ثم بين لهم وسائل الثبات ومسؤولياتهم نحو أسرهم وأقاربهم، ومجتمعاتهم، ثم جلس بعد ذلك يستمع إلى أسئلتهم، ويجيب عليها بكلّ اهتمام وسعادة، ويكرّر الإجابة للاطمئنان على فهمهم لها، وكنت أقوم بدور الترجمة، فأكد عليّ رحمه الله الاهتمام بهم، وتقديم كلّ ما يحتاجونه للتفقه في دينهم وتقديم أي مساعدة يحتاجونها، ثم ودّعهم رحمه الله بأحسن ما يكون التوديع، ودعا لهم».[1]

وقال عبد المحسن بن عبد الرحمن القاضي :

«أذكر في غير مرّة - رحمه الله - كنّا إذا حدثناه عن عملٍ خيري هنا أو هناك، يساهم بدعمه، ليس دعماً مادياً فقط، بل بالتوجيه والنصح والتحرّي في بذل المال، ولو أردت ضرب الأمثلة فإن المقام لا يسمح لذلك، ولكنني أذكر أنه في أحداث البوسنة والهرسك كان كثيراً ما يطلب مني المرور عليه لأخذ الأموال التي وصلت إليه، وإيصالها إلى هناك، ولقد قمنا بطباعة عددٍ من الكتب على حسابه بواسطة مكتب هيئة الإغاثة، أو بواسطة الهيئة العليا لجمع التبرعات لمسلمي البوسنة أو غيرها..

وكانت له صلة مباشرةرحمه الله مع المسلمين العاملين في البوسنة والهرسك حتى إنه أقام درساً أسبوعياً توجيهياً لأحد المراكز الإسلامية بالهاتف في البوسنة إبان أزمة ذلك البلد.

---

(١) جريدة المدينة، العدد ١٣٧٨٢.

وتكرّر اهتمامه رحمه الله، واتسعت همومه لعدد من قضايا المسلمين التي كان يشجعنا على العمل فيها وجمع التبرعات لها، بل وتخصيص خطبة الجمعة عنها كقضايا الشيشان التي حظيت بنصيب من اهتمامه، كبيرٌ في أواخر حياته رحمه الله، وكذلك قضية فلسطين، وكشمير، والفلبين، وإندونيسيا.

وأقمنا بواسطته عدداً من المراكز العلمية في العالم، التي كان يدعمها ويشارك في إلقاء المحاضرات بها، وإرسال الكتب والأشرطة إليها، وربما أن كثيراً ممن حوله لم يعلموا بذلك؛ لخصوصيته المتميزة – رحمه الله – في ذلك».[١]

وقال الشيخ بدر بن نادر المشاري :

«بلغني من أحد طلابه أنه كان قليلاً من الليل ما ينام في أوقات النوازل الكبيرة على الأمة خصوصاً في أيام أزمة الخليج ومأساة إخواننا في البوسنة والشيشان؛ حيث كان يقوم الليل ويدعو ربّه لهم بالنصر والثبات، وردّ كيد أعداء الدين عنهم، وكذلك دعاؤه للمسلمين وحثّهم للوقوف معهم».[٢]

وقال الشيخ محمّد بن صالح المنجّد :

«لقد اهتم الشيخ بأمور الجهاد، ومن ذلك جهاد المسلمين في بلاد البوسنة والهرسك، وكان قد خصّص من وقته ساعة أو أكثر في كلّ أسبوع لأمور الجهاد في البوسنة يتصلون به فيفتيهم، وينظر في حاجتهم، ويسمع أخبارهم ويستبشر بها وينشرها، واتصل به بعض المجاهدين من البوسنة مرّة، وسألوه عن حكم قتل الخطأ ؟ وماذا يجب على القاتل ؟ واحدٌ من المسلمين قتل أخاه المسلم في الجهادِ خطأً، فبعد

---

(١) جريدة الوطن، العدد ١١٠.

(٢) شريط (أحبّ لقاء ربّه) بواسطة صفحات مشرقة ص ١٦٣.

الإجابة؛ الشيخ لّما أجابهم بما يجب عليهم من حقّ الله وحقّ أهل القتيل قال : أمّا دية المقتول فعليّ، وسأرسلها لكم إن شاء الله تعالى، وكذلك كان اهتمامه بالجهاد في الشيشان حتى ذهب بعض طلابه إلى هناك يعلمون ويدرّسون، ويشرفون على تطبيق الشريعة في بلاد الشيشان...».[1]

الشيخ ومحنة فلسطين والشيشان.

قد عاصر الشيخ طيلة حياته العديد والكثير من محن الأمة الإسلامية العالمية ابتداءً من محنة احتلال اليهود لفلسطين وانتهاءً بمحنة اغتصاب الرّوس لبلاد الشيشان.

وقد كان للشيخ تجاه هذه المحن مواقف عظيمة لم يدّخر فيها وسعاً للدفاع عن قضايا أمّته بشتّى الوسائل، ومساعدة هذه الشعوب المسلمة الممتَحنة.

فقد كان رحمه الله تعالى يبذل ما يستطيعه من جهد ماديّ وعلميّ ودعويّ في سبيل نصرة إخوانه المسلمين.

من ذلك : «**في قضية فلسطين**».

ما قاله رحمه الله تعالى في خطبته التي ألقاها بعد احتلال فلسطين بحوالي ثمانِ سنوات، قال فيها :

«أيّها الناس ! فلقد مضى على احتلال اليهود للمسجد الأقصى أكثر من ثمانِ سنوات وهم يعيثون به فساداً، وبأهله عذاباً، وفي هذه الأيام أصدرت محكمة يهودية حكماً بجواز تعبد اليهود في نفس المسجد الأقصى.

ومعنى هذا الحكم الطاغوتي إظهار شعائر الكفر في مسجد من أعظم المساجد الإسلامية حرمة...».

---

(١) شريط (١٠٠ فائدة من العلامة ابن عثيمين).

ثم ذكر فضل المسجد الأقصى والأدلة على ذلك.

ثم ذكر المحن التي مرّ بها المسجد الأقصى خلال القرون الماضية.

ثم قال : «وفي ربيع الأول سنة ١٣٨٧هـ احتلّه اليهود، أعداء الله ورسوله بمعونة أوليائهم من النصارى، ولا يزال تحت سيطرتهم ولن يتخلوا عنه، وقد قالت رئيسة وزرائهم فيما بلغنا : «إن كان من الجائز أن تتنازل إسرائيل عن تل أبيب، فليس من الجائز أن تتنازل عن أورشليم القدس نعم؛ لن تتنازل إسرائيل عن القدس إلا بالقوّة»».

ولا قوّة إلا بنصرٍ من الله عز وجل، ولا نصر من الله إلاّ بعد أن ننصره **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِين آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُمْ ويُثَبِّت أَقْدَامَكُمْ﴾**.

وإنّ نصرنا لله لا يكون بالأقوال البراقة، والخطب الرنانة التي تحوّل القضيّة إلى قضيّة سياسيّة، وهزيمة مادية، ومشكلة إقليميّة.

وإنّها والله لمشكلة دينية إسلامية للعالم الإسلاميّ كله.

إنّ نصر الله عز وجل لا يكون إلاّ بالإخلاص له، والتّمسك بدينه ظاهراً وباطناً والاستعانة به، وإعداد القوّة المعنويّة والحسّية بكلّ ما تستطيع، ثم القتال؛ لتكون كلمة الله هي العليا، وتطهر بيوته من رجس أعدائه.

أمّا أن نحاول طرد أعدائنا من بلادنا ثم نسكنهم قلوبنا بالميل إلى منحرف أفكارهم، والتلطّخ بسافل أخلاقهم.

أمّا أن نحاول طردهم من بلادنا،ثم يلاحقهم رجالُ مستقبل أمتنا يتجرّعون أو يستمرئون صديد أفكارهم، ثم يرجعون يتقيؤونه بيننا.

أمّا أن نحاول طردهم من بلادنا، ثم نستقبل ما يرد منهم من أفلامٍ فاتنة، وصحفٍ مضلّة.

أمّا أن نحاول طردهم من بلادنا مع ممارسة هذه الأمور، فذلك التناقض البيّن، والمسلك غير السّليم.

والفجوة السحيقة بيننا وبين النّصر **﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللهُ مَن يَنْصُرُهُ إنّ الله لقويٌّ عزيز، الَّذينَ إن مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَءاتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ المُنْكَرِ وَللهِ عَقِبَةُ الأُمُورِ﴾**.

نعم، أقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر.

لا كما قال بعض المذيعين أيّام الحرب مع اليهود في عام ٨٧ هـ غداً تغَنِّي أم كلثوم في قلب تل أبيب.

صلّى الله على رسوله، لقد صلى غداة فتح مكة ثماني ركعات، إمّا شكراً لله تعالى على الفتح خاصّة، أو تعبداً بصلاة الضّحى، والعبادة من الشكر، وهكذا حال الفاتحين في الإسلام، يعقبون الفتح بالشكر والتقوى.

فاتّقوا الله أيّها المسلمون، وأنيبوا إلى ربّكم وأقيموا شريعته، وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين.

اللهم انصر الإسلام والمسلمين، وطهّر المسجد الأقصى من اليهود والنّصارى والمنافقين..».[1]

رحم الله ابن عثيمين، كم كان فقيها بواقع الأمة، فقيهاً بحكم الشرع، وليس كما يدعي بعض الأغمار أنه لا يعلم عن واقع أمّته شيئاً.

والله إن هذه الكلمات بهذا التحليل الدقيق، والتشخيص للداء، ووصف الدواء لحقيقة أن تكتب بماء الذهب على أوراق الفضة.

---

(١) الضياء اللامع من الخطب الجوامع للمترجم رحمه الله تعالى ص ٦٦٢ - ٦٦٥.

ووالله إنّ أسباب العلاج أو النّصر التي أوردها مع اختصارها ووجازتها لجديرة أن تجتمع عليها الأمة الإسلامية والعربية بمؤتمراتها وجامعاتها، بل وجيوشها لدراستها وتدريسها والعمل بها للخروج من هذا المأزق التاريخي الذي امتحنت به أمّة الإسلام اليوم، وإلى الله المشتكى، وهو وحده المستعان.

وأما قضيّة مأساة إخواننا المسلمين في الشيشان :

فقد كان الشيخ مهتماً بها غاية الاهتمام، وكما يقال الآن «على مستوى الأحداث» جمعاً للمال لدعم المجاهدين، ودعاءً لهم، وحثاً على الجهاد معهم، واتصالاً بهم هاتفياً، وتخصيصه الأوقات للرد على استفساراتهم، واستضافة وافدهم، وبيان قضيتهم في محاضراته وخطبه وكلماته.

فرحمه الله تعالى، ما كان أنصحه ! وأحرصه ! وأشفقه ! على إخوانه المسلمين.

وقد سمعت منه رحمه الله تعالى محاضرةً عظيمةً في نصرة إخواننا في الشيشان بجامع الراجحي بالربوة بالرياض أثناء اشتداد المأساة.

جاء فيها : «الأمة الإسلامية في هذه الأيام تستقبل شهر رمضان المبارك، ولكنها تعيش في ألم ونكد فيما يجري لإخواننا في الشيشان، من تسلّط أولئك الملحدين الرّوس عليهم، لا لشيء؛ إلاّ لأنهم شرعوا في نشر الدين الإسلامي الصافي من البدع في بلاد البلقان.

ولكن أعداء الإسلام لا يرضون بهذا أبداً، سواءً كانوا من الملحدين الشيوعيين، أو من اليهود، أو من النصارى، أو غيرهم.. وهذا ظاهر.

ولّما أرادت تيمور الشرقيّة «يعني في بلاد إندونيسيا» وهي جزء من الأمة الإسلامية لّما أرادت أن تتحرّر لأن أكثرها نصارى، قام الغرب وقعد، وهيأ

الأسطول الجوّي والبحري والبرّي؛ من أجل أن ينفصل هذا الجزء من إندونيسيا لأن أكثره نصارى.

أمّا جمهورية الشيشان الجمهورية الفتيّة التي عرفت حقيقة الحياة، وعرفت حقيقة التوحيد، وعرفت الدين الصافي، فهي عند الغرب منشقة؛ والمجاهدون فيها إرهابيون، وما أشبه ذلك..

ولكنّي أقول **﴿كَمْ مِن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾**.

إننا لن نيأس ولن نقنط، وسوف يرجع الرّوس على أعقابهم مخذولين مهزومين إن شاء الله كما رجعوا في أول مرة.

وإن من حقّ إخواننا علينا، بل أدنى حقّ؛ أن ندعو لهم أن ينجيهم الله من القوم الظالمين، وأن ينصرهم على القوم الكافرين، في أوقات الإجابة وفي أحوال الإجابة.....». وذكر أوقات الدعاء.

ثم قال : «المسألة خطيرة، وليت المسلمين عرفوا قدر هذه النكبة وقاموا ينكرون عليهم ..

فردى ومثنى ينكرون على الرّوس، وينكرون على دول الغرب، لأن دول الغرب نصرانية كافرة، والروس ملاحدة كفّار، والله يقول : **﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾**.

لا تقل : هؤلاء أهل كتاب بدعواهم، وهؤلاء ملاحدة، كلّهم سواء، كلّهم حربٌ على الإسلام.

لهذا كان الواجب على الدول الإسلامية - وأرجو الله أن يصل كلامي أسماعهم - أن ينفروا خفافاً وثقالاً إلى نصرة هؤلاء؛ ولو بالكلام.

أمّا السكوت هكذا ولا كأن شيء كان، هو واللهِ مزرى.

وليس حزننا أن تهزم دولة مقابل دولة؛ حزننا أن هذا هزيمة للإسلام، لأن الروس ما تسلّطوا هذا التسلّط إلاّ خوفاً من الإسلام، مع أننا نسمع أن اليهود يساعدون الرّوس على القتال هذا، واليهود أعداؤنا.....».

ثم قال : «فما موقفنا الآن ؟؟!! :

من المعلوم أننا ليس لنا حيلة ولا قدرة ولا قوّة.

وأنّ الموقف كان يجب أن يكون من الدّول الإسلامية في إنكار هذا الأمر الفظيع، ولكن قَدَرُ اللهِ وما شاء فعل، موقفنا الآن هو أن ندعو الله عز وجل...».

ثم شرع الشيخ في دعاءٍ طويلٍ مؤثّر، جاء فيه :

«اللهم : إنّا نسألك في مقامنا هذا ونحن في انتظار فريضة فرضتها علينا (يعني صلاة العشاء) نسألك اللهم في هذا المقام أن تنصر إخواننا في الشيشان... اللهم أنزل بالروس بأسك الذي لا يردّ عن القوم المجرمين».

ثم قال : «أيّها الإخوة : أكثروا من الدعاء لإخوانكم :

مخلصين لله، مخبتين إليه، مضطرين إليه، أكثروا من الدعاء لهم فإنهم في محنة عظيمة، الصّواريخ تدمّر بلادهم، وتقتل شيوخهم وأطفالهم ونساءهم وتهدم مساجدهم.....».

ثم قال : «ادعوا الله لهم بإخلاص في الفروض والنوافل، في انتظار الصلاة، في التهجّد، ادعوا لهم، ادعوا لهم، هذا أقلّ الواجب عليكم، نسأل الله أن يتقبّل دعاءنا...» **آمين**.

(٢٠) منهجه مع ولاة الأمور :

قال العقيد الركن علي بن محمد الخشان :

«مما يحسن ذكره عن الشيخ حرصه على تبجيل ولاة الأمر، وعدم تشويه سمعتهم، ومع ذلك فهو يسارع إلى إنكار أيّ منكر يراه بالكتابة والاتصال، وهو - رحمه الله - جمع بين تبجيل ولاة الأمر، وعدم المغالاة في الإطراء بمناسبة وبغير مناسبة، وهذه والله وسطية عزيزة».[1]

وقال الشيخ خالد بن عبد الرحمن الشايع :

«ومن مجالات حرص الشيخ على جمع الكلمة تأكيده وعنايته على ضرورة الاجتماع على ولاة الأمر، وتحذيره من كلّ ما يؤول إلى الخروج عليهم ومشاقتهم، مع قيامه في الحين نفسه بواجب النصح بالحكمة و الموعظة الحسنة».[2]

وقال الشيخ عبد الرحمن النهابي :

«وأذكر أنه كان يأمر الخطباء بالتأنّي وعدم الاستعجال، والتثبت في الأمور، وعدم الخروج على النظام، وعدم استثارة النّاس في الخطب، وبلبلة أفكارهم».[3]

وقال أيضاً :

«وفي مجال توجيهاته العامة والخاصة كان يحرص على الانتظام في الأعمال وطاعة وليّ الأمر، ويشدّد في ذلك، ويرى أن معصيتهم من كبائر الذنوب، ويحذر

(١) مجلة الجندي المسلم، العدد ١٠٢.

(٢) الرياض، العدد ١١٨٩١.

(٣) الجزيرة، العدد ١٠٣٤٦.

من مغبّة الاختلاف والتنازع، ويعالج بالحكمة وبيان الحقّ. فكان رحمه الله أنموذجاً من نماذج الخير، وينبوعاً من ينابيع العلم».[1]

وقال الأمير فيصل بن بندر :

«كـــان يوصيني دائماً بمخافة الله سبحانه وتعالى **أولاً**، **وثانياً** الالتزام والاهتداء بولاة الأمـــر، الذي كـــان حريصاً طيلة عمره على تنفيـــذ أوامرهم وتوجيهاتهم.

وكنت أشعر أن لولاة الأمر عنده مكانة عظيمة لديه...».

وقـــال :

«لقد كانت تربطه بولاة الأمر عدة أمور :

أولاً المحبّة، ثم التقدير له لأنهم يرون أنه بالفعل على قدر كبير من العلم، والحكمة، والمعرفة، والمحبّة لهم».

وقـــال :

«كان مطلعاً على أمور كثيرة في العالم، ويعرف ما يدور فيه، وكان صاحب إدراك واسع جداً.

ولم يكن يهمل حقّ ولاة الأمر، ووجوب الالتزام بأوامرهم، مشدداً على ذلك في حديثه للأساتذة والطلاب معاً».[2]

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الاقتصادية، العدد ٢٦٥٠.

(٢١) أدب الشيخ :

قد رزق الله الشيخ ابن عثيمين أدباً جمّاً مع العوام والخواص من قاصٍ ودانٍ.

ومن ذلك :

أنني في أحد المرات كان لي لقاء مع الشيخ سبق أن حجزت موعده من شهر سابق، وكان اللقاء بعد صلاة العصر، وبعد الانتهاء من الصلاة اقتربت من الشيخ وذكرته بالموعد الذي أعطانيه لمناقشة بعض الإشكالات أثناء قراءاتي ومذاكراتي.

ثم لما بدأنا في المناقشة جاء رجل وقال للشيخ : إن امرأة بالباب ترغب في سؤال الشيخ، فلمّا همّ الشيخ بالقيام قلت له يا شيخ : هذه الساعة من حقي، فرجع الشيخ إلى مكانه وقال للسائل : استأذن من الأخ صاحب الموعد، فمكث الرجل يلح عليَّ في ذهاب الشيخ لقضاء حاجة المرأة، فأذنتُ له، بشرط أن لا يتأخر، فترك الشيخ مشلحه (العباءة) عندي ووعدني بأن لا يتأخر.

فانظر إلى هذا الأدب الجمِّ في معاملة أحد طلابه.

فرحمه الله من إمام وأعلى درجته في الجنة.

ومما أذكره أيضاً : أن الشيخ رآني ذات يومٍ وأنا أصلي أنزل على يديّ بدلاً من ركبتيّ.

وقد كان الشيخ يفتي ويرى صحة النزول على الركبتين، فلمّا كلمني مُنْكراً عليَّ ذلك ناقشته بالأدلة، وقد كتبت في ذلك رسالة وجمعت فيها كلام أهل العلم. والجواب عما قاله ابن القيم في الزاد من انقلاب الحديث على الراوي وسميتها : «إزالة الشكوك، حول حديث البروك».

فلمّا رأى الشيخ أن مخالفتي هذه عن علم، ترك الإنكار عليّ.

وهذا من أدب الشيخ وفقهه. غفر الله له.

وقال الشيخ خالد بن عبد الرحمن الشايع :

«مهما التقيت بالشيخ فأنت واجدٌ تلك الابتسامة التي تنبئك عن حسن الطوية، وصفاء السريرة من الشيخ نحو الآخرين. وكان الشيخ برغم المهابة التي يضفيها عليه ما أتاه الله من العلم في دينه والبصيرة فيه. كان يلقى الناس بالحفاوة، والمبالغة في الترحاب بهم، وسؤالهم عن أحوالهم، ولو كان مَنْ أمامه صغيراً في سنِّه».(١)

وقال الشيخ منصور بن تركي المطيري :

«كان رحمه الله تعالى كريم الأخلاق، لطيف المعشر، كثير البذل، لا يردّ سؤال سائلٍ ولا حاجة طالب، وكان لطلابه مثل الأب لأبنائه، بل كان أقرب».(٢)

وقال الشيخ عبد الرحمن بن علي النهابي :

«ثم أوصاني بكلماتٍ جميلات، وقطوفٍ دانيات، فقال : اخطب وأنكر المنكر، ولا توغل ولا تدخل في الأمور الشائنات، ولا في الأحوال غير المعينات، وألمح فيما تقصده من تصريحات.

وأذكر أنه قال في أحاديثٍ عن موضوع الخطب أن أعواد المنابر ليست للفضائح والشتائم، وكان يوجّهنا بالالتزام بآداب الخطب، والسير بها على منهج النبي ﷺ وأصحابه؛ والسلف الصالح، وقال : يسعكم ما يسعهم».(٣)

---

(١) الرياض، العدد ١١٨٩١.

(٢) الرياض، العدد ١١٨٩٠.

(٣) الجزيرة، العدد ١٠٣٤٦.

(٢٢) دقته وتثبته في الأمور، وتحققه :

قال الشيخ عبد الرحمن بن علي النهابي :

«في مجال اهتماماته بمجتمعه كانت له المرجعيّة في التوثيق بعد النّظر والتحقيق والتدقيق، فإذا ما عرض خطابٌ لسؤال محتاج، أو طلب سؤال شفاعة حسنة؛ طلب التزكية لصاحبه من اثنين أو أكثر ليتحقّق من ذلك، ومن ذلك :

كُتب لصاحب حاجة، وكنت أحد الشارحين المزكّين صاحبه، الموقعين عليه، فلمّا عرض على الشيخ اشتبه في توقيعي وأراد أن يتأكّد ويتحقّق فأرسل صاحبه إليّ، وقال : يريدك الشيخ، فلمّا قدمت إلى الشيخ قال : اشتبهت في التوقيع، وأريد أن أتحقّق».[1]

وقال الدّكتور عبد الرحمن بن علي العريني :

«كان ذكياً فطناً حذراً أن يستغلّ اسمه من قبل بعض ضعاف النفوس، من ذوي الحاجات، فكان إذا طلب منه التعليق على أوراق بعض المحتاجين يتحرّى صدقهم أو يعلّق على كلام طالب العلم أو القاضي الذي زكاهم، وكان يُنْهي تعلقيه بتاريخ يكون قريباً من عرض المحتاج حاجته على القادرين، ولما كان أكثر المحتاجين يعرضون حاجاتهم في شهر رمضان وأهلِ الغنى والخير يخرجون زكاتهم وصدقاتهم في شهر رمضان، فإنه يجعل تاريخ تعليقه في نهاية شهر شعبان، فقد لمست هذا في أوراق تذيل بتوقيعه تزكية لأحد طلاب العلم، أو القضاة الذين يعرفون ذوي الحاجات، أو تعليقه لذوي الحاجات مباشرة، لمست هذا حينما كنت إماماً و خطيباً

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٤٦.

لأحد جوامع الرياض، وبسؤال أحد خاصته أفاد بأن الشيخ يؤكد على أن تزكيته المؤرخة لا تكون إلاّ لفترة واحدة، وأنه لو جاء السائل في سنة أخرى فإن التزكية لا تفيده لأنها من سنة ماضية، ولهذا فإن استمرّت حاجته أتى إلى الشيخ وتحقّق منه، وكتب له تزكية جديدة بتاريخ جديد».[1]

وقَدْ عُرف عن الشيخ واشتهر أنه لا يقبل إقامة الطالب في سكن الطلاب الذي بجوار الجامع إلاّ بتزكية من اثنين معدلين، وهذا ما حصل معي شخصياً عندما قدمت عليه ومعي تزكيتان من اثنين من كبار مشايخي في المدينة النبوية.

وإذا جاء الطالب وليس معه التزكية المطلوبة رفض الشيخ تسكينه كما حصل مع الأخ / وليد الحسين كما حكاه عن نفسه في مجلّة الحكمة، العدد الثاني.

وفي أحد المرات جاء الشيخ أحد الإخوة من اليمن، وكان قد مكث في ضيافة السكن فترة، فطلب من الشيخ الموافقة على تسكينه، فرفض إلاّ أن يأتي بالمطلوب، فحاولت التدخّل وطلبت من الشيخ قبوله، فقال لي : هل تشفع له ؟ قلت : نعم، أشفع له، فقبل الشيخ شفاعتي رحمه الله تعالى وغفر له.

(٢٣) حرصه على نشر السنة :

قال الشيخ عبد العزيز بن حمين الحمين «رئيس محكمة محافظة الرّس» :

«كان رحمه الله يركّز تركيزاً على التطبيق العملي للسنة النبوية والتربية العملية عليها.

ولشيخنا رحمه الله سجل حافلٌ في هذا الميدان، يعرفه القريب والبعيد، والقاصي والدّاني، ولعلّ مما يذكر في هذا المقام وعُرف عن الشيخ، ولمسته شخصياً منه رحمه الله ما يلي:

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

أ – رفع صوته بالذكر والاستغفار بعد السلام من الصلاة، تطبيقاً عملياً للسنة، وتعليماً لطلبته على الصدع بها في كلّ مقام، وتربية للجميع على هدي الرّسول ﷺ في الانصراف من الصلاة.

ب– إفشاء السلام على الصغير والكبير، حتى على عمّال النظافة والباعة في الأسواق، في رحمة وألفة عجيبة تخرج بلا تكلّف ولا عناء، مع ابتسامة إيمانية تأخذ القلوب، تطبيقاً لقوله ﷺ : «**أفشوا السلام**..» الحديث، وهو أسلوب تربويّ دعوي لا يكلّف شيئاً؛ لكنه عظيم الأثر عميق التأثير.

ج – إرساله من يسوّي الصفوف ويتفقّدها بعد إقامة الصلاة، اقتداء بالرسول ﷺ، وهي سنّة مهجورة تركها الكثيرون...».[1]

وقال أيمن بن عبد العزيز أباظي :

«من أخلاق الشيخ رحمه الله وصفاته : تمسكه الشديد بالسنة والعمل بها.

والأمثلة على ذلك كثيرة، لكن أذكر منها حثّ الناس دائماً على التمسك بالدليل، وعدم تركه لرأي فقيه أو عالم، ومن ذلك : ما كان يقوله من وجوب غسل الجمعة لحديث : «غسل الجمعة واجب على كلّ محتلم».

فعندما يقال له بأن قول الجمهور بأنه سنّة يتعجب من ذلك ويقول : لو أن عالماً كبيراً قال قولاً لاحترمتم قوله وعملتم به ودافعتم عنه.

وهذا رسول الله ﷺ يقول لكم : إن غسل الجمعة واجب، وتقولون : إن الجمهور يقول بأنه سنّة.

---

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٧.

ومن تمسّكه بالسنة أنه ينبّه في كل وقت على ما هو سنّة وما هو بدعة، ومن ذلك أنه قد يأتي أحد ليسلّم عليه فيقبّل رأسه ويصافحه، فينبّه أن ذلك بدعة، ويأمر بالمصافحة، حتّى إنه كان يأمر بذلك وهو على السرير في المستشفى، والذهاب إلى المسجد ماشياً، مع أن بيته في عنيزة بعيدٌ عن المسجد، ومع ذلك يذهب ماشياً.

ومن عمله بالسنة المشي حافياً أحياناً إلى المسجد[1]؛ لأن النبي ﷺ كان يحتفي أحياناً.

أيضا : عدم صلاته السنة الراتبة في مكّة لأنه يكون مسافراً.

ولبسه البياض من الثياب.

ومن عمله بالسنة وإحيائها : إفشاء السلام؛ حيث كان مع أنه الشيخ العالم الكبير يسلّم على كلّ من مرّ به، وأذكر مرّة أني كنت أسير معه متوجّهين إلى الحرم، فكان إذا مرّ بأحدٍ سلّم عليه، حتّى الصبيان يمرّ عليهم ويسلّم عليهم..».[2]

وقال خالد بن صالح النـــزال :

«أذكر أنّي استأذنته في السفر إلى إحدى المدن للدراسة على أحد علمائها ممن قدموا من خارج هذه البلاد في أصول الفقه،وكان هذا العالم قد عُرف بجهله بعقيدة السلف الصالح، فنهاني الشيخ - رحمه الله - من السفر إلى ذلك الرّجل وقال : ائت لي بالمتن الذي تريد دراسته على ذلك الرّجل وسأشرحه في طريقي إلى البيت بعد صلاة الفجر من كلّ يوم.

---

(١) بيّن الشيخ أحمد القرعاوي أن احتفاء الشيخ كان في ذهابه لصلاة الفجر غالباً، انظر مجلة الدعوة، العدد ١٧٧٧.

(٢) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٤.

وكان ذلك في سنة ١٤١٤هـ.

فهذا من حرصه رحمه الله على عقيدة السلف، وكان يأمر ألا تؤخذ إلا ممن عُرف بالعقيدة السليمة.[١]

ومِنْ حرص الشيخ على السنة ما عُرف عنه من عدم جلوسه للتعزية، واعتبارها بدعة، فقد نشر فتوى له في مجلّة الدعوة بعنوان «فتح الأبواب والجلوس للتعزية بدعة» وكان الشيخ عند وفاة أبيه ووالدته لم يفتح الباب للتعزية، بل إنه لّما توفّي والده صلّى عليه بعد صلاة الظهر، وبعد صلاة المغرب حضر للمسجد لإلقاء الدرس».[٢]

وقال الشيخ محمد بن مطر السهلي :

«كنّا مرة مع سماحته في درس من دروس المسجد الحرام في ليالي رمضان، و- كان عليه رحمة الله - يتكلّم عن حرمة مكة، وأنه لا ينفر صيدها ولا يختلى خلاها، فقال - عليه رحمة الله - : وهذه جرادة الآن واقفة على رجلي و لم أنفرها، خوفاً أن يكون قد وقع في نهيه عليه الصلاة والسلام بأنه لا ينفّر صيد مكّة، وذلك فضل الله جلّ وعلا يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم».[٣]

(٢٤) فتاواه :

الناظر في حياة شيخنا المترجَم رحمه الله تعالى يجد أن الفتاوى أخذت جزءاً غير يسير من حياة الشيخ، فهو حريص على نفع الناس ومساعدتهم فيما ينـــزل بهم من

---

(١) الرياض، العدد ١١٨٩٣.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

(٣) شريط (وتوارى العلم) نقلاً عن صفحات مشرقة ص ١٤٧.

الحوادث والقضايا سواءً كانت صغيرة أم كبيرة على كافة المستويات، فقد بذل نفسه للصغير والكبير، للأمير والوضيع، للرجل والمرأة، لا يحتجب دون أحد ولا يردّ سائلاً، وقد كان الشيخ يُفتي في العديد من الوسائل المتاحة له، بل كلّما وجد وسيلة أو مسلكاً ساهم فيه، ومن الممكن حصر مسالك الفتوى في النواحي الآتية :

١- الإذاعة «سؤال على الهاتف - نور على الدرب».

٢- التلفاز (بدون ظهور صورته).

٣- الهاتف.

٤- المجلاّت.

٥- الصحف.

٦- الرسائل الشخصيّة.

٧- الكتيبات الخاصة بالفتاوى.

٨- عبر الانترنت.

٩- في الطريق.

١٠- في المنـــزل «الباب المفتوح».

١١- في الجامع «اللقاء الشهري - المنبر».

١٢- فتاوى الحرمين الشريفين.

١٣- أثناء الدروس والمحاضرات.

وقد تميّزت فتوى الشيخ بمميزات عدة، منها :

أ - الوضوح وسهولة العرض.

ب- تأصيل الفتوى.

ج - استنادها للدليل.

وقد كان رحمه الله لا يتردّد عن كلمة (لا أدْري) إذا أشكلت عليه الفتوى، ويردّد كلمة (انج بنفْسك).

قال الدكتور صالح بن عبد العزيز المنصور :

«كان الشيخ رحمه الله تعالى ورعاً كثير التثبت فيما يُفتي، فلا يتسرّع في الفتوى قبل أن يظهر له الدليل، وكثيراً ما يقول : لا أعلم أو أتوقّف في هذه المسألة أو لم يتبيّن فيها شيء، وهكذا العالم التقيّ الورع».[1]

وقال مؤذن جامعه الشيخ عبد الرحمن الريّس :

«كان يرحمه الله حريصاً على إفتاء الناس بوضوح، فهو يجلس عصراً يومياً عقب الصلاة ليقضي حوائج الناس، ويفتي في المسائل الفقهية..».[2]

وقال الدكتور مصطفى عبد الواحد :

«إنه كان موضع الثقة والطمأنينة من جماهير المستفتين والسائلين، ومن لطيف صنعه أنه وافق على أن يتلقّى الأسئلة بالهاتف من المستمعين، وأن يجيب عليها في الحال، وينقل ذلك على الهواء في شتّى الأنحاء، وهكذا نفع الله بعلمه وفقهه الألوف والملايين في العالم العربي والإسلامي، بل فيما وراء ذلك».[3]

---

(١) الرياض، العدد ١١٨٩٣.

(٢) عكاظ، العدد ١٢٥٥٧.

(٣) المصدر نفسه.

وقال فضيلة الشيخ محمد صفوت نور الدين «الرئيس العام لجماعة أنصار السنّة المحمدية بمصر» :

«إن فتاوى الشيخ ابن عثيمين تتسم بالتدليل والتعليل، يذكر الحكم الشرعي ودليله من القرآن والسنة، والعلّة التي في هذا الحكم إن خفيت في الاستنباط... وكان ابن عثيمين من مدرسة رسول الله ﷺ الذي إذا خيّر بين أمرين اختار أيسرهما..».[1]

وقال مؤذن مسجده الشيخ عبد الرحمن الرّيس :

«كانت معاملته رحمه الله مع المستفتين بالحكمة والموعظة الحسنة والابتسامة والسهولة والتيسير على المسلمين، ولكنه رحمه الله لا يشقّ عليهم إلا لمصلحتهم، ولحكمٍ عظيمة لا يعلمونها، وخذ على سبيل المثال :

مسألة الشّخص إذا طلق زوجته ثلاث تطليقات جميعاً من شدّة الغضب، حيث كان لا يشعر بنفسه فإنه رحمه الله يشقّ عليه قليلاً قبل الإجابة عليه ولكن لمصلحته لكيلا يعود لمثلها مرّة أخرى، فيطلب إحضار الوليّ وإحضار الزوجة، وهكذا، ولكن هو بنفسه ليس له مصلحة إلاّ نفع هذا الشخص، وهذا يدخل في قوله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتّى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه**» فرحمه الله وأسكنه فسيح جناته».[2]

وقال أيضاً عن منهج الشيخ :

«منهجه الكتاب والسّنة، فإنه رحمه الله كان ينبه دائماً وأبداً على بعض المفتين الذين يحكمون على مسألة ثم بعد ذلك يستدلّون لأحكامهم بأدلة من الكتاب والسنة، فيلوون أعناق الأدلة ودلائلها لكي توافق أحكامهم يقول الشيخ : وهذا

---

(١) البلاد، العدد ١٦٢٣٠.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

غلط عظيم، فإن الواجب على المفتي أن يأخذ الدليل ثم يبني عليه الحكم، أي يستدل ثم يبن الحكم على ما دلّ عليه الدليل، وليس يحكم ثم يحاول أن يستدلّ لحكمه هذا، فيلوي أعناق الأدلة لكي توافق حكمه».(١)

يقول سامي عبد الله المرشد: «في أحد مجالسنا مع الشيخ رحمه الله تعلّمت شيئاً لن أنساه ما حييت، ألا وهو عدم التّسرع في الفتيا إلاّ عن علم، فقد استفتاه أحد الطلاب لدى والدي الشيخ عبد الله بن عقيل عن شخص أحدث في الطواف، فإن توضأ وأعاد الطواف فسيفوته موعد عودته بالطائرة، فهل يجتهد ويفتيه، أم ماذا يفعل؟ لا سيّما وأنه يريد إجابة عاجلة غير آجلة (فتمهّل) الشيخ رحمه الله في إجابته، وصار في تفكير طويل وعميق، ثم أفتى رحمه الله بأن الإنسان، أي إنسان غير مضطر للفتيا حتّى ولو ألحّ عليه السائل وبين حاجته للفتوى إلاّ عن علم؛ لأن المسؤول مسؤول عما يفتي به يوم القيامة، فلا يفتي (ولا ينقل الفتوى) إلاّ عن علم وتيقّن، فمن إجابته رحمه الله أن قال كلمتين شافيتين كافيتين وغنيتين عن الإيضاح ألا وهما: (انج بنفسك)».(٢)

وعن الأوقات التي يردّ فيها الشيخ على الهاتف ويجيب على الفتاوى :

يقول إبراهيم العثيمين :

«بصفة عامة هو لا يرفض الرّد على المكالمات في أيّ وقت إلا إذا كان عنده ما يشغله، أو إذا كان وقته لا يسمح له حتى في مرضه الأخير، كان لا يستطيع أن يلقي محاضرات، ولكنه كان يجاوب الناس بالهاتف، لكن بعد الظهر بساعة أو بساعة ونصف، حسب جلوسه».(٣)

(١) المصدر السابق.
(٢) الرياض، العدد ١١٨٩٦.
(٣) الأسرة، العدد ٩٢.

وقال إبراهيم بن محمد بن قاسم رحيم :

«أمّا في جانب الفتيا : فالشيخ رحمه الله يفتي الناس في كلّ وقت : في مسجده، وطريقه، وعبر وسائل الإعلام من صحافة وإذاعة.

ومما يميّز شيخنا في جانب الفتوى بُعْدُ نظره وعمق فهمه في معرفة مرام السائلين والمستفتين، فإذا كانت الفتوى من أمور الخصومات أحال فيها السائل على المحاكم الشرعية، وإذا كانت من أمور الطّلاق تأنّى في المسألة، وأشعر السائل بخطورة ما وقع فيه، ولا يجيبه إلا بعد إحضار أطراف القضيّة من الوليّ والمرأة.

ويحتاط شيخنا بما لا يدع فرصةً للنقل الخاطئ عنه، ولم تكن فتاويه مجرّد أحكام، بل كان يستغلّها لتربية النّاس وتصحيح أخطائهم، فإذا تضمّن سؤال السائل مخالفة شرعيّة في اللفظ أو في طريقة العرض نبهه الشيخ.

فمثلاً : في مجال الدرس إذا سأله طالب من طلابه، واستأذنه برفع يده اليسرى والإشارة بها نبهه إلى ذلك.

وأحياناً يقول السائل : ما حكم الإسلام في كذا ؟ فينبهه الشيخ إلى أن الصواب أن يقول : ما رأيكم في كذا ؟ أو ما قولكم في كذا ؟..

وأحياناً يتضمّن السؤال الحلف بالنبي ﷺ أو غير ذلك، فينبهه..

ولكي يستوثق الشيخ من فهم السائل لما يقوله كان يطلب منه إعادة الجواب، أو يسأله عن مدى فهمه لما قال الشيخ».[1]

---

(١) جريدة المدينة، العدد ١٣٧٩١.

وعن حرص الشيخ على إفادة الآخرين وإجابتهم عما يشكل عليهم : ما ذكره الشيخ أحمد القرعاوي، قال :

«كنت أعمل في إحدى القرى القريبة من عنيزة، وكنت آخذ الفتاوى من أهل القرية، وأعرضها على فضيلة الشيخ رحمه الله تعالى حيث أبلغته برغبة أهل القرى والمدن بالاستفتاء، ففرح الشيخ وقام رحمه الله بالإجابة على الفتاوى بالتسجيل، وخصّص لي وقتاً لعرض الأسئلة عليه، فكان الشيخ عندما يفتقدني وآتى، يناديني بـ (أهل القرية) وذلك لكثرة الأسئلة التي أجمعها من القرى للإجابة عليها».[1]

(٢٥) معاملته مع طلابه، وحسن رعايته لهم :

لقد عُرف عن الشيخ رحمه الله مدى حبّه لطلابه وتقديره لهم وعنايته بهم، وليس ذلك بغريب، فقد شغلوا بالخير والذكر جزءاً كبيراً من عمره المبارك، فقد جلس معهم أكثر مما جلس مع أهله وأبنائه، فأعطاهم ولم يبخل عليهم، جهداً وعلماً ومالاً وجاهاً، فبقي ذكره حسناً بينهم.

وهذه مواقف له مع طلابه يستفيد منها كلّ دارسٍ وشيخٍ ومعلّمٍ رحمه الله وغفر له :

قال الشيخ خالد المصلح [صهر الشيخ] :

«شيخنا رحمه الله كان أباً حانياً على تلاميذه، حريصاً عليهم غاية الحرص.

كان رحمه الله يخصّهم بعناية فائقة من حيث تزويدهم بالعلم والجوانب العلمية.

بل حتّى في قضاء حوائجهم الخاصة.

---

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

فكان رحمه الله حريصاً على تهيئة المكان المناسب لهم، وما يتعلّق بذلك مما يحتاجون إليه.

وكان رحمه الله يرتّب لهم مكافآت شهرية سوى ما يعطيهم لسد حوائجهم من شراء الكتب، أو إنهاء المعاملات، وغير ذلك..

وكان رحمه الله يخصّ طلابه؛ ولا سيما الذين في السكن التابع له رحمه الله بلقاءٍ شهري يفتتحه بكلمةٍ توجيهية، ثم يطلب من الطلاب أن يكتبوا الملاحظات المتعلّقة بمعاشهم، فإذا لم يكن عندهم شيء من ذلك أجاب على أسئلتهم التي يقدمونها إليه مباشرة. أو غير ذلك.

وبعد هذا يُتناول معه رحمه الله طعام العشاء على مائدة واحدة، يتزاحمون على القرب منه، ولا يخلو المجلس من مداعباته، يدخل بها السرور على تلاميذه، ويشعرهم بقربه منهم، وأنه لهم كالأب».[1]

وفي مجال التدريس عُرف عن الشيخ أسلوبه المميز في توصيل المعلومة بأسهل طريقة إلى المتعلّمين والسامعين، فلم يكن من أنصار أسلوب التلقين، بل كان يتبع أسلوب التفاعل عبر السؤال والجواب، الأمر الذي يشدّ انتباه الطلاب، ويضمن دوام المتابعة لأن أياً منهم معرّض لأن يوقفه الشيخ ليجيب على سؤال أو يعيد آخر كلام قاله.

رأى أحد طلابه شارداً في الدّرس، فأوقفه وسأله : هل أنت فاهم ؟ فأجاب الطالب : إن شاء الله، فسأله الشيخ : هل على رأسك (شماغ) ؟ فأجاب : نعم، فقال الشيخ : لِم لَمْ تقُل إن شاء الله ؟

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

وأعاد الشيخ المسألة حتّى تأكد من فهم الطالب لها.

وفي أحد الدّروس استرعى انتباه الشيخ وجود واحد لم يسبق أن شارك في الدّروس، فسأله : هل أنت فاهمٌ لما أقوله ؟ فأجاب : لا يا شيخ، فقال الشيخ : لماذا إذاً تأتي وتحضر معنا ؟ فردّ الطالب : لأحصل على ثواب : «قوموا مغفوراً لكم، قد بدّلت سيئاتكم حسنات»، فسرّ الشيخ من جوابه، واعتنى به.[1]

ولم تكن علاقة شيخنا بتلاميذه مجرّد علاقة علميّة، فهو مرَبٍّ قبل أن يكون معلماً، يزور تلاميذه ويتفقد غائبهم، ويعين محتاجهم.

أهدى إليه الملك خالد بن عبد العزيز رحمه الله عمارة، فأوقفها لسكن طلابه مجاناً، فافتتح لهم مطعماً، وفرّغ لهم عاملاً ليعدّ لهم الطعام، وهيأ لهم مكتبة للكتب، وأخرى للأشرطة.[2]

وقال الطالب ناصر السعدي (من سلطنة عمان) :

«وقد كان له علاقة لصيقة بطلابه، وكان يأكل ويشرب معهم، حتّى إنه عندما كانت تأتيه بعض النفقات الخاصة يحيلها لطلاّبه».[3]

وقال الطالب عبد الله بن حمد العسيلان :

«كان يجتمع بطلابه شهرياً، وفي نهاية هذا الاجتماع كان يمازحهم ويؤانسهم، كما أنه يخرج معهم في نهاية السنة إلى أحد الاستراحات، حيث كانت لهم مكانة خاصة لدى الشيخ.

---

(١) مجلّة الأسرة، العدد ٩٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٦.

وقد قصّ لي أحد طلابه موقفاً مع الشيخ يستحقّ الذكر، حيث قال :

إنّ هناك صندوقاً في سكن الطلاب، ومن أراد أي مبلغ بإمكانه الأخذ منه، ويقول لي هذا الطالب : ذهبت إلى هذا الصندوق وكان خالياً، وكنت حينها مضطراً إلى السفر، الأمر الذي يحتاج إلى مبلغ من المال، فذهبت إلى الشيخ وطلبت منه ذلك، وبكلّ بساطة قال لي : اخرج معي خارج المسجد وسوف أعطيك ما تحتاج، فخرجت معه، وأدخل يده في جيبه وأعطاني مبلغاً فوق حاجتي، ففهمت من ذلك أن الشيخ لا يريد إحراجي أمام الطلاب، حرصاً منه على مشاعر طلاّبه».[1]

يقول الطالب يحيى ستيفن (من أمريكا) :

«قد جئت هنا منذ سنة ونصف، ودرستُ على يد الشيخ مدّة سنة كاملة.

لقد كان الشيخ رحيماً رؤوفاً بي؛ لأنه يعرف حالي، فأنا قد أكون أضعف على الثبات من غيري، فإذا أخطأت سامحني؛ ولا يؤاخذني، رغم أنه قد يعاقب غيري، وأنا ألمس ذلك، وأظنّ الجميع يلاحظه، ففرق المعاملة بيني وبين غيري واضح.

ومن أعظم ما استفدته من الشيخ هو معرفة أهمّية الدين والثبات عليه، والعمل بالعلم والتربية.

وأذكر أنني عندما جئت لأول مرّة قال لي : أنتم من أحقّ الناس لهذا؛ يقصد طلب العلم.

ومن هذه الحقيقة كان اهتمام الشيخ بي واضحاً».[2]

---

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٦.

(٢) المصدر السابق.

وقال الأخ عبد الله أحمد الشريفي (المشرف على سكن الطلاب) :

«كان دائماً ما يأخذني جانباً ليوصيني على الطلاب، ويقول : إذا كنت تعرف طالباً يحتاج إلى مساعدة فبلّغنا به.

وهناك أمثلة كثيرة على مساعدته للإخوة الطلاب، حتى حينما كان في مرضه، وعندما زرته في المستشفى أوصاني على الطلاب وأن أحرص عليهم ، هذه الوصيّة منه رحمه الله في الوقت الذي كان في صراع مع المرض، كما أوصاني على السكن والحرص على شؤونه، وكانت هي آخر وصيّة أوصاني بها تغمّده الله بواسع رحمته».[١]

وقال الطالب خالد الجرعاوي (تشادي) :

«كان الشيخ خلال جلساته حريصاً على طلاّبه، ويقوم بتوجيههم، وحثّهم على الآداب مع الكبير والصغير والعاميّ، وخاصة مع العلماء، ومع الطلبة فيما بينهم.

وكان يدعونا إلى كلّ خير، وكنّا نعتبره أباً لنا ومربّياً. ومن حرصه على طلابه أنه عندما تعرّض أحدهم لحادث مروري كنت أزوره، وكان الشيخ كثيراً ما يسألني عنه، ويوصيني به، وكانت آخر مرّة أوصاني فيها بأن أُذَكِّرَه بأن هذا من فضل العلم، وقد أعطاني رقم (جواله) الخاص، لأعطيه إياه إذا ما احتاج لشيء».[٢]

وقال العقيد الرّكن علي بن محمد الخشان :

«كان ربّما حَفّز الطلاب ونشطهم بإقامة مسابقة علمية كما في دروسه في الحرم المكّي، وتُعدّ جوائز لذلك».[٣]

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) مجلّة الجندي المسلم، العدد ١٠٢.

وقال الشيخ سليمان الضحيّان في معرض كلامه على شخصية الشيخ من خلال أركان العمليّة التربوية: وأركانها الأربعة : «المعلّم، والكتاب، والطالب، وطريقة الدّرس»، قال : «**ثالثاً** : الطالب وهو الرّكن الثالث من العملية التربوية، وطلبة الشيخ لا يكاد يحصيهم العد، نظراً لكثرة دروسه، وطول زمن تعليمه، وتعدد مكان التعليم في عنيزة، وفرع الجامعة بالقصيم، وفي مكّة المكرمة، لكن ثمة طلبة ملازمون، وهؤلاء يوليهم الشيخ عناية خاصة.

فالغرباء منهم خصص لهم الشيخ سكناً على حسابه الخاص. ووضع على السكن مشرفاً ينقل إليه أحوال الطلبة ومشكلاتهم، فيسارع الشيخ لحلّ هذه المشكلات، والتنبيه على الأخطاء.

وخصص الشيخ لتلامذته الملازمين رحلة شهريّة، يخرج معهم فيها إلى إحدى المزارع القريبة من عنيزة.

يقول أحد تلامذته : خرجنا مع الشيخ لإحدى المزارع، فنزل الطلبة للسباحة، ولم يبق إلاّ الشيخ، فقال الشيخ : لم يبق إلاّ أنا، فقام ولبس ثوب السباحة، وسبح معنا بمهارة أدهشتنا جميعاً.

وكان يتفقّد الطلبة المميزين، ويسأل عنهم حال غيابهم، ويحيل الإجابة على الأسئلة عليهم أحيانا لتدريبهم».[1]

وقال عن طريقة الشيخ في الكلّية مع طلابه :

«.. الحرص على الانضباط خلال تدريسه للعلم، فهو في الكلّية مثلاً لا يسمح للطالب بالدخول بعد دخوله هو إلى القاعة.

---

(١) مجلّة المعرفة، العدد ٦٩.

وفي المسجد يوقف الشرح إذا سمع أحد الطلاب يتكلّم، ثم يلوم الطالب على كلامه خلال الشرح».

وقال عن اهتمامه باللغة العربية :

«هو يشرح باللغة العربية الفصيحة، وينبّه الطلاّب للتكلم بها، وإذا لحن القارئ طلب منه إعراب ما لحن فيه، وإذا كثر اللحن نقل القراءة إلى غيره.

ولديه مقدرةٌ غريبة على اكتشاف الغافلين من الطلاب خلال الشرح.

فكثيراً ما يسأل أحد الطلاّب فجأة، ويقول :

«يا فلان أين وصلت» فيجيب بعض الظرفاء من الطلبة : «إلى الصّين يا شيخ» فيبتسم الشيخ ويأمره بالذهاب لغسل وجهه ليعود له الانتباه.

ويحرص كثيراً على إشراك الطلبة في الشرح، فهو يوجّه لهم الأسئلة الجماعية، فيشرح مسألة ما، ثم يقول : أليس كذلك ؟ فيجيب الطلبة أجمعون : «بلى».

وأحياناً يسأل بعض الأسئلة المشكلة خلال الشرح لشحذ أذهان الطلبة، ويغلّط نفسه أحياناً ليرى انتباه الطلبة ومدى فطنتهم».[1]

وقد سُئل رحمه الله تعالى هذا السؤال :

س : التركيز على بعض الطلاّب، كيف يكون تعاملك مع طلابك ؟

فأجاب رحمه الله تعالى :

نعم، هذا ملاحظٌ في كثير من أهل العلم؛ حيث يخصّون بعض طلابهم ويركّزون عليهم، ويصطحبونهم في أسفارهم، وأنا لم أسلك ذلك لأنني أودّ

(١) المعرفة، العدد ٦٩.

أن يستقلّ الطالب بنفسه، وألا يظهر أمـــام الطلبة أنّ لأحدهم عندي تفضيلاً على الآخر.

أحبّ أن يشعر الطلبة كلهم أنها بالنسبة إليّ على حدٍّ سواء، وألا يشعروا باختصاص باتصالي بأحدٍ أكثر من الآخر.(١)

سؤال آخر : ما هي معايير الطالب في مدرستكم ؟

فأجاب رحمه الله تعالى :

الشروط التي يجب توافرها : أن يكون المتقدِّم لديه تزكية من أحد المشايخ المعتبرين من قبَل أحد لنعرف بذلك مدى حرصه على طلب العلم.(٢)

وقال الشيخ محمد بن صالح المنجّد :

«وكان رحمه الله في فصل الشتاء يعطي طلاّب السكن مبالغ يشترون بها ملابس شتوية لهم ولأولادهم».

وقال الشيخ عبد الرحمن بن صالح الدّهش :

«... الشيخ رحمه الله تعالى له منهج : أوْ لَه رَأي فيما يتعلّق بقضيّة التحاق الطالب بإخوانه السابقين له، حيث كانت وجهته أن الطالب يحضر وإن كان مسبوقاً في المتون التي تدرس، وإن كان يصعب عليه بعضها، لكنه يقول : يحضر الطالب ويستفيد فائدة الحلقة وبركتها، ويستفيد كذلك تعويد نفسه على المواظبة والمرابطة في حلقِ العلم.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

وكان لا يقبل إطلاقاً أن طالباً من طلاّبه المستمعين إليه ينشغل بشيء خارج الحلقة، سواء في المسجد أو في خارج المسجد، والحلقة قائمة.

ويرى أن هذا نقصٌ في الطالب، وخللٌ في طلبه».[١]

وقال فضيلة الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد :

«كان - رحمه الله - حسن الرعاية لتلاميذه متابعاً لتحصيلهم، مما جعل قلوب طلاب العلم تتعلّق به، وترحل إليه، وتثني ركبها بين يديه، لقد كانت له يد طولى في رعاية الشباب وحسن توجيههم، والنّأي بهم عن مزالق الفتن، وانحرافات التّحرّر، دؤوباً في النّصح لهم وتوجيههم، وبيان المنهج الحقّ بما أوتي من علم وحكمة وقوّة وقول، لقد وسعهم بعلمه، كما وسعهم بحلمه، وشملهم برعايته كما شملهم بتوجيهه».[٢]

وقال تلميذه خالد بن صالح النـــزّال :

«مرّة قدم إليه أحد الطلاب كتاباً بين فيه المناسك على المذاهب الأربعة، فمزّقه الشيخ أمام الطلاب في الدّرس كراهة منه للخلاف وإيقاع العامة في الحيرة، وإبعادهم عن نصوص الكتاب والسنة».[٣]

وقال : «كان يكره الجدال في العلم والمخاصمة فيه، وإيراد الإيرادات على النصوص الشرعية، وربّما حصل ذلك من بعض الطلاب فيزجره زجراً شديداً، وكان ينهانا أن نذكر عنده رأي أحد من العلماء المعاصرين الأحياء خوفاً من الفتنة، وتنقيصاً لرأيهم، وفي ذلك مفاسدٌ لا تخفى.

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

(٢) الوطن، العدد ١١٥.

(٣) الرياض، العدد ١١٨٩٣.

وكان يفرح فرحاً شديداً حينما يعلم أن أحداً من طلابه ألقى محاضرة أو أقام درساً، وشاهدت ذلك مراراً، وكيف أن الشيخ تظهر السعادة على محياه عندما يخبر بذلك».[١]

وقال الشيخ منصور بن تركي المطيري :

«قدمت لمدينة عنيزة للدراسة على فضيلته، وأنا ابن ست عشرة سنة، فكنت أنا وكثير من زملائي ندرس في الصباح في المعهد العلمي أو الكلّية وفي المساء بعد صلاة المغرب من كلّ يوم على يد فضيلته في الجامع.

وكان الشيخ رحمه الله تعالى يتابع مستوانا الدّراسي، بل أحياناً يوقّع على التقرير الشهري مكان توقيع وليّ الأمر.

وكان طلاب الشيخ من أميز الطلاب في المعهد والكلّية، وكان ذلك يسرّ الشيخ رحمه الله حيث يرى أثر تدريسه لهم».[٢]

وقال الدكتور يوسف الزامل :

«ومن صفاته وسجاياه التي فيها تأدب بآداب القرآن والسنة : الإعراض وعدم المواجهة للمسيء أو المخطئ بخطئه وزلَله.

وأذكر أن أحد الطلبة في حلقته قام بعد انتهاء درس ليتوضّأ قبل الدّرس الذي يليه، و لم يترك شيئاً يحجز به مكانه، فتقدّم طالبٌ آخر إلى مكان الذاهب، فلمّا عاد الأول طالب الشيخ بمكانه، وأن فلاناً جلس محلّه، فلم يوجّه الشيخ الخطاب مباشرة إلى من عليه القيام، وإنما قال بلفظ الغائب : (يقوم) مشيراً بوجهه أنه يعنيه».[٣]

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الرياض، العدد ١١٨٩٠.

(٣) الأسرة، العدد ٩٢.

وعن عدد طلاب الشيخ وجنسياتهم :

يقول علي بن سليمان الدبيخي :

«ولقد حضرت يوماً أحد دروس الشيخ، وإذا من بين الحاضرين أكثر من ١٣ جنسية، كلّهم حضروا للإقامة في عنيزة لينهلوا من علمه وفقهه رحمه الله وأسكنه الفردوس الأعلى».[(١)]

وقال د. أحمد بن عبد الرحمن القاضي :

«كان حريصاً على دوام الدّرس بين العشاءين، لم يفت في عضده انتظام النّاس وندرة الطلبة في فترة من الفترات، فلقد رأيته رحمه الله أكثر من مرّة في أواخر التسعينات الهجرية وليس أمامه إلاّ طالبان فقط، فما يمنعه ذلك من الشرح والاستقراء والتفصيل، وكان المكان غاصاً بطلاب العلم، فقد علم الله صدق نيته وحسن قصده، فجعل أفئدة الطلاب تهوي إليه من أصقاع الأرض، فلربّما اجتمع في بعض دروس الفقه ٥٠٠ أو يزيدون».[(٢)]

قلت :

والنّاظر في دروسه في الحرم المكّي الشريف في أواخر شهر رمضان بعد التراويح أو بعد صلاة الفجر يرى أنّ العدد يفوق هذا بكثير من الرّجال والنساء، فضلاً عمن يتحلّقون حول السّماعات البعيدة لسماع الشيخ داخل الحرم، رحمه الله تعالى وغفرله، وجزاه عمن سمعه وأفاده خير الجزاء.

---

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٣.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

وقال علي بن عبد العزيز السعيد :

«سأل أحد الطلاب فضيلة الشيخ : يا شيخ أنا أتيت هنا للمشاركة في هذه المسابقة دون موافقة والدي ورضاه، فما الحكم ؟

فأجابه فضيلته بأن سفره دون علم والده وموافقته خطأ ولا يجوز، وأن عليه ألا يكررها مرّة أخرى، أمّا عن هذه المرّة وقد حدث الخطأ واعترافك به وندمك على حدوثه؛ فإنّي أتشفع لك عند والدك لكي يسامحك، فإذا عدت إلى أهلك أخبر أباك بأن الشيخ محمد بن عثيمين يُقْرئك السلام، ويطلب منك أن تسامحني».[1]

وقال د. صالح بن إبراهيم آل الشيخ :

«حضر إلى الشيخ رجلٌ أمريكي وأنا عنده، فقال للشيخ : تتلمذت عليك في العقيدة، فقال الشيخ : لم أرك، فقال : عن طريق سماع الأشرطة التي سجّلت فيها بعض شروحك لكتب العقيدة، فسأله الشيخ بعض الأسئلة الدقيقة، فأجاب إجابة تدلّ على فهمه واستيعابه، فسرّ الشيخ بذلك».[2]

وقال علي بن عبد العزيز السعيد :

«في أثناء عرض فضيلته لبعض الأسئلة على الحضور، والتي كان يهدف منها معرفة مدى تحصيلهم الفقهي والشرعي رفع أحد الطلاب الحاضرين يده، فأذن له الشيخ، فقال الطالب : سؤال خاطئ يا شيخ، فتعالت صيحات الاستنكار من بعض الحضور لتجرؤ ذلك الطالب إلاّ ان الشيخ ابتسم، وطلب من الطالب الاقتراب للميكروفون، ثم طلب منه بكلّ تواضع العلماء أن يبدي حجته، وحينما أبدى

---

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٤٠.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٨.

الطالب وجهة نظره أعاد له الشيخ السؤال ووضّح له ما التبس عليه، وبيّن له خطأه في الفهم، ونصحه بكلّ أبوية ألاّ يتسرع في إطلاق الأحكام قبل الفهم».(١)

وقال أحد طلبة الشيخ :

«اخترت موضوعاً في الحج، وذلك في عام ١٣٧٩هـ وذلك في شهر ذي القعدة، فقال الشيخ محمد : كأنك تريد الحج هذا العام ؟ فقلت : نعم، فقال : أنا أدرسك وحدك، فتعال بعد صلاة العصر كلّ يوم، فكنت أحضر أنا وإياه في سطح المسجد، وأتى بمنسك كتبه على الآلة الكاتبة في دفتر، وأعطاني إياه.

ودرسني وحدي المناسك وأعطاني إياه وحملته معي للحج، واستفدت منه وأفدت الإخوة الذين معي، فهذا مثل من التواضع الكبير أن يخصص وقتاً لأحد طلابه لتدريسه هذا الموضوع».(٢)

وقال كمال أحمد صابر :

«قبل سفر الشيخ محمد رحمه الله إلى الرياض في آخر يوم - وكان مريضاً - اتصل الشيخ على مكتبة السلام وهي بجوار الجامع الكبير بعنيزة، وطلب منهم أن يحضروا الفواتير الخاصة بالطلبة وغير الطلبة، وجميع المستحقّات التي على الشيخ، وذلك ليقوم بسدادها، وأرسلوا له جميع الفواتير وقام الشيخ بسدادها».(٣)

وقد سأله مرّة أحد الطلاب سؤالاً فيه طرافة، قال : «يا شيخ كثير من الليالي أرى في المنام كأنّي في درس فضيلتكم ويكون عندي بعض المسائل، فأسألك فيها، فتجيبني، فما حكم الجواب يا شيخ ؟

---

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٤٠.

(٢) شريط فقيد الزاهدين ابن عثيمين، نقلاً عن صفحات مشرقة ٩٦.

(٣) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

قال الشيخ: أنا ما أستحضر هذا، ولا أشعر إذا حلمت أنك تسألني، لا تعتمد هذا.

إن سمعت من الشريط، لا بأس، أمّا (نحن) ما ندرِّس النومة، لو تكتب المسائل إعرضها علينا، يمكن أن تكون صحيحة».[1]

(٢٦) رجوعه للصواب إذا تبيّن له :

وقد كان الشيخ رحمه الله تعالى كأمثاله من عظماء الرجال، وأئمة الدين لا يستكبر عن الحق، ولا يتعالى عليه، بل يصدع به ويخضع له، وهذه عادة الأفذاذ ممن تضلعوا بالعلم، وملؤوا به حياتهم، كيف لا، وهذا العلم دين، يُسأل عنه حملته يوم الوقوف بين يدي الملك الوهّاب.

وقد كان رحمه الله لا يستنكف أن يردّ عليه أحد طلابه، أو رجلٌ من العوام فضلاً عن العلماء.

وهو بهذا يعطي طلابه وسامعيه درساً عظيماً في الرجوع والعودة إلى الصواب.

وهاك بعض الصور لهذا الأمر الخطير :

قال الشيخ حمد بن عبد الله الجطيلي :

«وإن مما يزين الشيخ رجوعه للحق، ولو ذكره به أحد طلبته، فلقد قرأ يوماً حديثاً في حلقة الدّرس، وكنّا في الصيف على سطح المسجد، وكان بين المغرب والعشاء، فلمّا شرح الحديث وقال بعض الجمل في تفسيره قلت له : يا شيخ ليس هذا ظاهره، ومنهج أهل السنة والجماعة إمراره على ظاهره.فأذّن المؤذن لصلاة العشاء، فقمنا للصلاة، وبعد الصلاة حمد اللهَ الشيخُ وقال: إن الصّحيح في الحديث

---

(١) شريط ابن عثيمين علم وعمل – تسجيلات الإستقامة بعنيزة –.

هو ما ذكره فلان، يعنيني، وهو المعتبر والمعتمد، وهو مذهب أهل السّنة والجماعة، وأوضَح ذلك».[(١)]

وقال د. سعود حسن مختار :

«كان للشيخ ابن عثيمين أسلوب تعليمي رائع، فهو يسأل ويناقش، ويوقف الطلاب ليعلّمهم الجرأة والقضاء على الخجل، وأذكر أنه مرّة تكلّم في مسألة الإجهاض، ثم لّما أُذن لصلاة العشاء أبديت رأياً طبياً له في المسألة، وبعد استئناف الدرس حمد الله وقال : إن هنا طبيباً يقول : «أخطأت يا ابن عثيمين»، و لم أقلها والله، ولكن يريد أن يعلمنا الحوار، وقبول النقد رحمه الله، ثم أحرجني رحمه الله فقال : قم، وألحّ عليّ حتّى قمت، وقلت الرأي الطبّي حسب فهمي له، ثم علق عليه رحمه الله.

وكان لربّما سُئل في مسألة فقال : لا أعلم، أو قال : سوف أسأل شيخنا ابن باز كما حدث مرّة في مسألة الإبر المغذّية [الجلوكوز] ثم عاد في اليوم الثاني بإجابة الشيخ ابن باز رحمهم الله جميعاً».[(٢)]

وقال د. أحمد بن سليمان العريني :

«وأذكر أن أحد الزملاء راجعه في نصف درجة فأضافها له».[(٣)]

قال الشيخ سليمان الجبيلان :

«أذكر أنه في مرةً في خطبة من الخطب في يوم الجمعة خطب وقال : إنّ رسول الله ﷺ قال عند المنام تقرأ سورة الفاتحة، وهي أعظم آية في القرآن، واستمرّ في هذا

---

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٤١.

(٢) المدينة، العدد ١٣٧٧٩.

(٣) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

الكلام، وكان الشيخ رحمه الله يقصد آية الكرسيّ ولكنه التبس عليه في الخطبة، فتكلّم عن سورة الفاتحة وفضلها، وأنها هي التي تُقرأ عند المنام، وبعد صلاة الجمعة نبهه أحد الإخوة وقال: يا شيخ أنت قلت سورة الفاتحة أعظم آية في القرآن وأنها تقرأ عند النّوم.

فقال الشيخ : لعلّي وهمت.

وعندما جاءت الجمعة الثانية وعلى الملأ من النّاس، وعلى مسمع من الناس، ذكر أنه أخطأ في الجمعة الماضية، وقال : إنّ أعظم آية في القرآن هي سورة الفاتحة، وهي تُقرأ عند المنام، وهذا خطأ منّي».[1]

وقد ذكر الشيخ إبراهيم بن محمد قاسم رحيم؛ عدداً من المسائل التي رجع فيها الشيخ، وقال : «شيخنا رحمه الله يسير على منهجه، ويعتمد الدليل، ويصرّح برجوعه عنه، ومن أمثلة ذلك :

- كان يرى رحمه الله أن مسّ المصحف لا يشترط له الطهارة، ثم رجع وقال بوجوب الطهارة بناء على حديث عمرو بن حزم: «وأن لا يمسّ القرآن إلاّ طاهر».

- كان يرى رحمه الله أن صاحب الحدث الدائم يجب عليه أن يتطهّر لوقت كل صلاة، ثم رجع ورجّح أن طهارته صحيحة، ويصلّي بها ما شاء ما لم يتجدّد سبب آخَر للحدث.

- كان يرى أن الكدرة قبل الحيض لها حكم الحيض إذا صاحبها آلام العادة، ثم رجع واعتبر الحيض هو الدّم، ولا عبرة بالكدرة والصفرة، ونحوها..

---

(١) شريط الإمام ابن عثيمين، (تسجيلات صدى التقوى بالرياض).

- كان يرى وجوبَ قصر الصلاة الرباعية للمسافر، ثم رجع وقال بالاستحباب.

وغير ذلك كثير.. وهذا يظهر لنا حرصه على المتابعة وموافقة السنّة، وبعده عن الجمود والتعصبّ والتقليد».[1]

(٢٧) مسائل متنوعة في حياة الشيخ :

١- **رأيه في السفر للخارج للدعوة.**
٢- **الشيخ والصّحف والمجلاّت.**
٣- **الشيخ والانترنت.**
٤- **ترجمة كتبه.**
٥- **البرنامج اليومي.**
٦- **برنامج المشي.**

١- الشيخ والسفر إلى الخارج للدعوة.

لقد عُرف عن شيخنا رحمه الله تعالى عزوفه عن السفر لخارج المملكة للدعوة إلى الله أو لغير ذلك.

وقد دُعي إلى عدّة دول عربية و غير عربية مراراً، فكان رحمه الله يرفض بلطف كما كان هذا هو رأي شيخه الإمام العلامة ابن باز رحمه الله تعالى.

وقد أوضح الشيخ أسباب هذا الأمر لّما كثر الإلحاح عليه فيه، **قال رحمه الله تعالى:**

«الذي منعني من السّفر رغبتي الشخصيّة في عدم السفر خارج المملكة؛ لأن عندي أموراً تشغلني هنا.

---

(١) جريدة المدينة، العدد ١٣٧٩١.

وفي رأيي فائدتها أكثر من فائدة سفري إلى الخارج، لأن الإنسان لو قدّر السفر إلى بلدٍ ما، وبقي فيها يومين أو ثلاثة، وحاضر في ذلك البلد ستّ محاضرات، وهذه المحاضرات ستكون في ستّة أشرطة، والإنسان لا يستطيع أن يكيّف الناس على ضوء ما يراه، لا في لقاء، ولا اثنين، ولا حتّى خمسة لقاءات.

والبقاء مع هؤلاء الناس خارج المملكة مدّة طويلة تفوّت مصالح كثيرة.

فكنت أرى أن المحاضرة التي تلقى على مدى ثلاث أو أربع ليال تفيد فائدة الشريط الذي تقوله في بيتك.

والنّاس لا يمكن أن يكتفوا مع خطب وكلمات الداعية بمجرّد لقائهم به مرّتين أو ثلاثا.

وإن كان اللقاء بلا شكّ أكثر فائدة من الشريط، لكنه لا تستحمل أن يقطع الإنسان مشاغله ويسافر ليُكَبِّد المشاق». [1]

قلت :

وقد اضطر الشيخ للسفر إلى أمريكا في مرضه الأخير، تحت إلحاح ولاة الأمر ومحبّيه، وألقى خطبة الجمعة في أمريكا، وألقى محاضرة في بوستن والتقى العديد من الجاليات المسلمة، وجلس مع الكثير ممن سمع به ولم يره، ونفع الله به كثيراً.

وذلك في أواخر شهر ربيع الثاني وأول جمادى الآخرة لعام ١٤٢١هـ رحمه الله تعالى وغفر له.

---

(١) عكاظ، حديث الذكريات، العدد ١٢٥٥٦.

٢- الشيخ ومطالعة الصحف اليومية، والإذاعة، والتلفاز.

قال رحمه الله تعالى عن متابعته لوسائل الإعلام :

«أمّا من حيث المتابعة فأنا غير متابع لعدم وجود الوقت الكافي لذلك، ولكنني في أوقات الطعام كالغداء أو العشاء، أشغل هذا الوقت في الاستماع للإذاعة.

أما تفريغ وقت لذلك أو لقراءة الصحف فهذا أمر أفعله.

وأوضح رحمه الله «الكلام للجريدة» أن هناك عدداً من الإخوة يتابعون مثل هذه الأمور، وإذا حصلت مراجعة لأمرٍ ما فإنهم يطلعونني عليه».[١]

أمّا بالنسبة للتلفاز فقد كان رحمه الله يشارك بصوته دون صورته في العديد من البرامج، كبرنامج : «دين ودنيا».

٣- الشيخ والانترنت.

كان الشيخ رحمه الله تعالى قد بحث مع أبنائه وعدد من تلاميذه قبل أيام من وفاته مشروع افتتاح موقع رسمي له على الشبكة العالمية «الانترنت».

وقال الشيخ محمد بن صالح المنجّد :

«وإذا أعطى موعداً التزم به على كثرة مواعيده وأشغاله، وقد جربت ذلك معه في موعدين في الأسبوع على هاتفه الخاص، خصصت للردّ على أسئلة المستفتين عبر الانترنت. فكان يلتزم بالإجابة ويخبر بالتأجيل إذا حصل لظرف سفرٍ أو نحوه».[٢]

وقد كان الشيخ حريصاً على إفادة الناس عبر الانترنت.

---

(١) المصدر السابق. كذا في المصدر، ولعلّ الصواب (لا أفعله) كي يستقيم الكلام.

(٢) شريط (١٠٠ فائدة من العلامة ابن عثيمين).

وقد سبق نقل كلام الشيخ توفيق الصائغ أن الشيخ عقب وصوله من رحلته لأمريكا إلى الطائف قال له : «إذا استطعت أن تعلم النّاس في المواقع (موقع الانترنت) برقم هاتفنا فافعل حتى لا يحرم الناس من السؤال والفتيا».

وقال الأستاذ ممدوح بن محمد الحوشان :

«إن فضيلته قد وافق على المشاركة وفق ضوابط شرعية معينة في بعض برامج محطّة فضائية إسلامية نزولاً منه - رحمه الله - عند رغبة العاملين فيها بأن يتحدّث فضيلته من خلالها للمسلمين في أنحاء العالم».[1]

موقع الشيخ على الانترنت[2] : http / www / ibn othaimeen com.

٤- ترجمة كتبه.

قال الشيخ طلال بن أحمد العقيل «رئيس لجنة توزيع هديّة خادم الحرمين الشريفين والمطبوعات الدينية على الحجّاج والمعتمرين» :

«وفضيلة الشيخ مربٌّ كبير، وصاحب فضلٍ على طلبة العلم والدعاة الذين يسيرون على منهج الرسول ﷺ، وكان من العلماء، والمجتهدين.. وله مؤلفات عظيمة، وقد وصلت مؤلفات الشيخ المترجَمة لدينا أكثر من ١٦ لغة.

والشيخ كان في العام الماضي وفي كلّ عام يباشر ويزور لجنة توزيع هديّة خادم الحرمين الشريفين والمطبوعات الدينية في المطار - مطار الملك عبد العزيز - ويشجّع الشباب على توزيعه...».[3]

---

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) مجلة المستقبل الإسلامي، العدد ١١٧.

(٣) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٣.

٥- البرنامج اليومي للشيخ.

قال الشيخ عبد الرحمن الرّيس مؤذن الجامع الكبير بعنيزة :

أما الفترة الصباحية :

فإما أن يكون عنده تدريس في الجامعة في كلّية الشريعة وأصول الدّين.

وإمّا أن يكون في بيته للنظر في رسائل وخطابات الناس وطلباتهم والرّد على بعض الفتاوى خطياً، والرّد على بعض المكالمات الهاتفية الخاصة.

أما فترة بعد الظهر :

فهي مخصّصة للرد على الأسئلة عبر الهاتف حتى وقت الغداء، فإنه كان يرد على أسئلة الناس.

ثمّ : إنّ كان هناك وقت قبل العصر ارتاح قليلاً، وإن لم يكن هناك وقت استمر.

وإن كان عنده ضيوف جلس معهم ليؤنسهم، وليستفيدوا من علمه رحمه الله، وليتعرف هو رحمه الله على أحوال البلاد التي جاءوا منها، ونحو ذلك..

أما فترة العصر :

فإنه بعد صلاة العصر يقوم بشرح حديثين أو ثلاثة على جماعة المسجد في مدّة أقصاها ربع ساعة.

وكان لهذا الحديث طعم خاص لخفّته وقصَر مدته، وفوائده العظيمة جداً.

ثم بعد ذلك يجلس للرد على أسئلتهم وطلباتهم الخاصّة بهم، وغير ذلك..

حتّى إنني أحياناً أحضر لأذان المغرب وهو يخرج من المسجد من بعد صلاة العصر، كلّ هذه المدّة جالس للناس لقضاء حوائجهم.

حتّى إن المرأة ليأتي هو بنفسه إليها خارج المسجد ويجيب على سؤالها إن كان لديها سؤال، أو يقضي حاجتها إن كان لها حاجة.

أما بعد صلاة المغرب :

فهو الوقت المخصّص للدرس اليومي حسب جدول معيّن، وبعد أذان العشاء كذلك درس آخر لمدّة نصف ساعة، ثمّ يصلّي العشاء.

وبعد صلاة العشاء :

إمّا أن يكون لديه اجتماع مع بعض الجمعيات الخيرية مثل : جماعة تحفيظ القرآن الكريم الخيرية بعنيزة، أو مع هيئة الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر أو غيرهم، ليستفيدوا من آرائه وعلمه..

وإمّا أن يصل رحمه الله بزيارة قرابته.

وإمّا أن يذهب لإجابة دعوة.

وقد كان يحرص حرصاً شديداً على النوم مبكراً ليقوم للتهجّد في آخر الليل.

وقد كان رحمه الله في مسيره ومشيه من المسجد إلى البيت بعد صلاة الفجر، وبعد صلاة الظهر دروس يومية، وتصحيح لبعض الدّروس والكتب وهو يسير ماشياً إلى بيته».[1]

ويوضّح إبراهيم ابن الشيخ بعض الجوانب الأخرى في البرنامج اليومي، فيقول :

«يبدأ يومه صباحاً بعد عودته من صلاة الفجر في المكتبة مع الكتب بالكتابة أو القراءة حتّى صلاة الظهر؛ لأنه لم يكن عنده دروس بعد الفجر، ثم يصلّي الظهر ويرجع أيضاً إلى المكتبة حتى السّاعة الواحدة والنّصف حيث موعد الغداء الذي كان فرصة

---

(١) مجلّة الدعوة، العدد ١٧٧٦.

يجلس فيها مع الأسرة، ورغم أنّ هذا هو الوقت الوحيد الذي نجلس معه إلاّ أنه كثيراً ما تأتيه في ذلك الوقت مكالمات هاتفية يردّ عليها، ويجيب الأسئلة أو الاستفتاءات حتى صلاة العصر أوقبل صلاة العصر بنصف ساعة، فيرتاح في هذه الدقائق القليلة، وبعد العصر يقابل النّاس أصحاب الحاجات ويجلس معهم في المسجد، ثمّ يعود إلى البيت قبل المغرب ويرجع إلى المسجد لصلاة المغرب، بعدها يلقي درساً يوميّاً حتى صلاة العشاء، وبعد العشاء يعود إلى المنْزل للاستعداد للمحاضرات، أو دروس طلابه التي تبدأ في هذا الموعد، وكان له درس خاصٌّ ليلة [السبت] وليلة [الأربعاء]».[1]

٦- برنامج المشي :

في ذهابه إلى المسجد

سبق بيان أن الشيخ كان يقرأ ورده من القرآن الكريم في ذهابه إلى المسجد، لا يتخلّف عن ذلك، وإذا شغله شاغل فإنه يكمله قبل دخوله لإقامة الصلاة.

أما عند رجوعه من المسجد

فقد قال تلميذه خالد بن صالح النّزال :

«كان يذهب إلى المسجد ماشياً، ويرجع إلى بيته ماشياً كذلك.

والمسجد يبعد عن بيته كيلاً واحداً تقريباً، فهذه عشرة أكيال يقطعها - رحمه الله - يومياً ماشياً !.

ونادراً ما نراه إلاّ ومعه عدد من طلبة العلم يسألونه، أو يقرؤون عليه متوناً.

ولقد قرأت عليه مما قرأت وهو يمشي أكثر من مائة قاعدة فقهية، جمعتها وأخي الشيخ مازن الغامدي.

---

(١) الأسرة، العدد ٩٢.

وشرحها الشيخ كاملة لنا في أشرطة مسجّلة، وكنت أتعجّب من صبره وأريحية نفسه. وربّما كان ذلك في يومٍ شديد البرودة، حتى إنني ذات مرّة كاد لساني أن ينعقد عن الكلام من شدّة البرد، وهو لا يأبه لذلك ولا يهتمّ صابراً محتسباً رحمه الله...».(١)

وقال يوسف بن عبد الله الديني :

«ويمكن القول بأن يومه كلّه للعلم، والتعليم، والإفادة، والإفتاء، تجده يقبل من بيته ماشياً لكلّ صلاة، مع بعد المسافة، حرصاً منه على مراجعة محفوظه من القرآن، وقراءة ورده من الأذكار.

وفي العودة يقرأ عليه الطلاّب قراءات خاصة متعدّدة، ويسجّلون كل شاردة وواردة، بل هناك كثير من الكتب لم تشرح إلاّ في الطريق، كـ: سلم الوصول في العقيدة، وكشف الشبهات.

واستمرّ على هذا البرنامج عشرات السنين، لا يدعه إلاّ للعمرة في رمضان، وموسم الحجّ، وأيّام دورة هيئة كبار العلماء بالطائف..».(٢)

وقال إبراهيم بن عبد العزيز الشّثري :

«كان الشيخ رحمه الله حريصاً على الوقت، فلقد طلبت منه مرّة أن أجري معه مقابلة لإحدى المجلاّت الإسلامية، فقال لي : سجّل اللقاء في السيّارة، ونحن متّجهون من بيت أخيه عبد الرّحمن في شرق الرياض (حي السلام) إلى رئاسة الإفتاء، وقد كان الوقت حوالي نصف ساعة».(٣)

---

(١) المصدر السابق.

(٢) جريدة البلاد، الجمعة، العدد ١٦٢٤٤.

(٣) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

فصل

سبل دعوته وتعليمه، وجهوده في نشر العلم

لقد عاش شيخنا رحمه الله تعالى حياته في العلم والتعليم، والدعوة إلى الله تعالى: **﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّن دَعَآ إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾**.

وهذه سبيل الأنبياء، ومهمّة المرسلين، وصراط المؤمنين إلى يوم الدين.

وقد سلك لتطبيق هذه الغاية كلّ ما وسعه، ولم يدّخر لذلك جهداً، فتجده أمامك على منبر الجمعة ينذر ويبشّر، أو تسمع صوته في الإذاعة وأنت في بيتك وسيّارتك، أو تراه ماشياً في الطريق مع طلابه وسائليه، أو تطالع في الصحف اليوميّة اللقاءات معه والفتاوى، أو تقتني رسالة له من مكتبة، أو تجدها تباع أمام جامع، أو دارٍ خيرية، أو تقتني شريطاً له تملأ به فراغك، أو تجده في المسجد الحرام جالساً على كرسيّه يشرح ما قرأه الإمام من آيات بينات ويستخرج ما فيها من الفوائد والعبر.

فرحمة الله عليه من إمام عاش ينشر العلم بين النّاس، ويهدي الخلْق للحقّ مسلمهم وكافرهم، يمشي في أسواقهم، ويحاضر في أنديتهم، ويجيب دعوتهم، ويستقبل أسئلتهم على الهاتف فيجيب عليها، فيشفي عليلهم ويروي غليلهم.

ينصح الولاة والرّعية، ويعظ العصاة والمسرفين، ويصلح بين الزّوج وزوجه، والابن وأبيه، والقريب وذويه.

يلاطف الصبيّ ويعلّمه الآداب، ويفتي المرأة وينصحها بالحجاب، ويهاتف المسؤول ويرشده للصواب.

بأدبٍ جم، ونصح خالص، وقول صادق.

فيقبل هذا منه، ويثني ذاك عليه، فسبحان الملك الوهاب الذي فتح لــه قلوب العباد، ولهجت بالدعاء له، والثناء عليه ألسنةٌ لَم ولن تره إلى يوم المعاد **﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾**.

وفي هذا الفصل أردت أن أبيّن السبل والمسالك التي سلكها الشيخ لبذل العلم من دروس ومحاضرات وغيرها على التفصيل..

ثم وجدت أحد تلاميذ الشيخ القدامى وهو الأستاذ الشيخ علي بن عبد الله السلطان الأستاذ بالمعهد العلمي بعنيزة وهو من خواص تلاميذ الشيخ المترجم كما كُتب عنه في حاشية مقاله قد لخص هذه الدروس ومجالات دعوة الشيخ بطريقة منظّمة جميلة تدلّ على قربه من المترجم وطول صحبته.

وذكر أشياء ما رأيتها لغيره خاصة في الأعوام التي سبقت قدومي على الشيخ «أي قبل سنة ١٤٠٣هـ»، فآثرت أن أنقلها هنا كما كتبها مع التعليق بعد ذلك بما تيسّر مما لم يذكره.

فجزى الله خيراً كاتبه، والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب.

قال :

«المجالات التي من خلالها بذل علمه تتلخّص فيما يلي :

أولاً : الدروس العلمية.

ثانياً : الدروس العامة والمحاضرات.

ثالثاً : اللقاءات.

رابعاً : الفتاوى.

خامساً : ذهابه وإيابه من المسجد.

سادساً : منبر الجمعة.

سابعاً : التعليم النظامي.

ثامناً : عبر الإذاعة.

تاسعاً : عبر بعض الصحف والمجلاّت.

عاشراً : عبر الشريط.

الحادي عشر : الإنترنت.

ودونك تفصيل ما سبق :

أولاً : **الدروس العلمية** : وهذه أساس عطائه، وقد كانت على فترتين :

الأولى : دروس ما بعد صلاة المغرب حتى الإقامة لصلاة العشاء، وهي في جميع أيام الأسبوع وطيلة العام ما عدا شهر رمضان ما دام الشيخ في عنيزة حتّى في أيام الامتحانات، إلاّ أن الدراسة في هذه الفترة - أعني فترة الامتحانات - تقتصر في الغالب في جميع الليالي على قراءة صحيح البخاري ومسلم، أو تصحيح كتاب في الفترتين.

وما أذكر أن الشيخ تخلّف عن درس المغرب إلاّ لعارض، مع أنه قد يأتي ولو في آخر الوقت إذا عرض له عارض، حرصاً منه على الاستمرار وعدم الانقطاع، مستحضراً ما ورد عن النبي ﷺ أن : «**أحبّ الأعمال إلى الله أدومها وإن قلّ**».[1]

---

(١) أخرجه البخاري حديث ٦٤٦٤، ومسلم حديث ٢٨١٨.

وهذه الفترة كانت بعد صلاة المغرب حتى أذان العشاء فقط، ثم ينتقل الشيخ بعد أذان العشاء لدرس لعموم النّاس حتّى الإقامة، وذلك في «مشكاة المصابيح» أو «بلوغ المرام»، وهذه الطريقة كانت حتى عام ١٤٠٠هـ تقريباً.

وحينما زاد عدد الطلاب غلّب الشيخ حاجتهم إلى هذا الوقت، فجعل الوقت كلّه من بعد صلاة المغرب إلى إقامة صلاة العشاء للدروس العلمية للطلاب، وكانت على مايلي :

أولاً : من بعد صلاة المغرب حتّى أذان العشاء، وكانت على النحو التالي :

ليلة السبت : حديث (بلوغ المرام).

ليلة الأحد : فقـــه (زاد المستقنع).

ليلة الإثنين : حديث (بلوغ المرام).

ليلة الثلاثاء : فقـــه (زاد المستقنع).

ليلة الأربعاء : تفسير، من أول القرآن، ولم يكن هناك كتاب بين يدي الطلاب، بل كان الشيخ يشرح من المصحف مباشرة.

ليلة الخميس : صحيح البخاري، وصحيح مسلم.

ليلة الجمـــعة : تفسير.

مع تقديم وتأخير أحياناً وبشكل نادر، مراعاة لأحوال الطلبة.

ثانياً : ما بعد أذان العشاء الآخرة حتّى الإقامة :

كانت هذه الفترة تدرّس بها مختلف الفنون على فترات، وذلك مثل : كتاب التوحيد، العقيدة الواسطية.

والفرائض والكافي في الفقه، والسيرة النبوية : نور اليقين.

واللغة : ألفية ابن مالك، قطر الندى، وغيرها مما يكون عارضاً..

وبهذه المناسبة فإنه - رحمه الله - لم يكن ينظر متى ينتهي من الكتاب، أو أن طول السنين ستوهن من عزيمته، بل هو سائر على طريقته دون تغيير لمنهجه، في الطرح العلمي، وإشباع المسألة بحثاً.

حتى إنه قيل له مرّة حينما بدأنا ببلوغ المرام : على هذه الطريقة يا شيخ فقد نحتاج إلى عشرين سنة لإنهائه ! فما كان منه إلاّ أن استمرّ في طريقته حتّى أنهى الكتاب والحمد لله، وقد بُدئ بالكتاب حوالي سنة ١٤٠٠هـ وأنهاه سنة ١٤١٧هـ وذلك بعد قرابة ثمانية عشرة سنة.

هذا وقد كانت بعض دروس هذه الفترة في الآونة الأخيرة تنقل عبر الهاتف إلى بعـض مدن المملكة، بل وإلى البحرين، حتّى وإن الشيـخ - رحمه الله - كان يقسم الأسئلة بعد نهاية الدرس بين طلابه الحاضرين، والذين في البحرين في وقتٍ واحدٍ.

الثانية : الدراسة الصباحية.

وهذه في الجامع الكبير في عنيزة، وكانت إلى ما قبل عام ١٤٠٠ هـ داخل مكتبة الجامع (المكتبة الوطنية) وهي مكتبة ملحقة ببناء الجامع يوم كان بناؤه من اللبن والطين، ثم لما كثر الطلاب بعد ذلك خرج منها إلى أروقة الجامع.

والدراسة من حيث الزمان : في صيف كلّ عام؛ حيث إن الشيخ يقف في نهاية الإجازة، ثم يكمل في العام التالي.

أمّا مدة الدراسة فهي طيلة أيام الأسبوع ما عدا يومي الثلاثاء والجمعة على طريقة شيخه الشيخ عبد الرحمن السعدي، ثم لما كثر الطلاب رأى حاجتهم تقتضي الاستمرار طوال الأسبوع ما عدا الجمعة.

ولضبط الوقت، وحتى لا يطغى وقت درسٍ على آخر جعل رحمه الله منبّهاً قبل خمس دقائق من نهاية كلّ درس ليكون للأسئلة، ثم الانتقال إلى الدّرس الذي بعده، دون فاصل بين الدروس وهو مستمرّ في جلسته، أما **الوقت الزمني** فيبدأ من الساعة الثامنة حتّى العاشرة والنصف، أو الحادية عشرة أحياناً (صباحاً).

أما **المنهج العلمي** فهو كما يلي :

١- **التفسير**، وقد اعتمد في شرحه متناً بين يدي الطلاب وهو (تفسير الجلالين) إلاّ أن التسجيل الصوتي لهذه الدّروس بدأ متأخراً.

٢- **الحديث**، وقد اعتمد في شرحه (المنتقى من أحاديث الأحكام) وكان له أحياناً اختيارات لبعض الأحاديث يمليها على أحد طلابه.

٣- **الفقه**، وقد اعتمد متن (زاد المستقنع) وهذه دراسة مستقلّة عن دراسة المساء.

٤- **العقيدة**، وقد تعدّدت كتبها، فمنها : السفارينية، وكتاب التوحيد والواسطية، والقواعد المثلى.

وهذه الدروس الأربعة ثابتة كلّ يوم في الغالب، ويزاد أحياناً درس خامس لبعض الفنون، ومنها :

- الفرائض : (البرهانية).
- النحــو : (ألفية ابن مالك).

– القواعد الفقهية : (قواعد ابن رجب) و(مختصر التحرير) و(مصطلح الحديث) و(الأصول من علم الأصول).

هذا ومع ما نرى من كثرة الكتب المقررة في الفترة المسائية والصباحية؛ إلاّ أنه رحمه الله غالباً ما يكون اختياره الكتاب من حيث المتن، والوقت شورى بينه وبين طلابه.

وإن المتأمل في حاله رحمه الله يراه جامعة مستقلّة؛ فتدريسه طوال العام، وفي الإجازة الصيفية في مختلف الفنون، مع ما نرى حال استعداد كثير من المدن بالدّروس، والدورات العلمية الصيفية التي يجندون لها الأعداد الكثيرة من العلماء وطلبة العلم لتدريس سائر الفنون ربّما يجد المنظّمون لهذه الدروس والدورات، الحرج في تأمين من يقوم بها، بينما نجد مجلس شيخنا أبي عبد الله في دورة علمية متكاملة، لا في الصيف وحده، بل في سائر العام، وفي فترة واحدة وجلسة واحدة متنقّلاً من فنٍّ إلى فنّ.

ثانياً : الدروس العامة والمحاضرات :

أ – الدّروس العامة وهي على ما يلي :

١– دروس ما بعد صلاة العصر : وكان يقرأ عليه خلال هذا الوقت في كلٍّ من : رياض الصالحين، أو بلوغ المرام، أو مشكاة المصابيح، ويعلّق على ذلك بما يفتح الله عليه. وكان هذا طيلة أيام الأسبوع في المسجد الكبير ما عدا يوم الجمعة.

وإذا سافر إلى الرياض أو الطائف، فغالباً ما يستغلّ هذا الوقت.

٢– درس ما بعد أذان العشاء حتّى الإقامة، وهذا كان إلى حوالي عام ١٤٠٠هـ، وكان مما يدرّس فيه : مشكاة المصابيح، أو بلوغ المرام، ثم انقطع هذا الدّرس، وخصّص هذا الوقت بدرس للطلاب على ما سبق تفصيله في الدروس العلمية.

ب - دروس المسجد الحرام :

١- درس ما بعد صــلاة الفجرفي الحرم المكّي في رمضان، وكــان في عمــدة الأحكام.

٢- درس ما بعد صلاة التراويح في الحرم المكّي، وغالباً ما يكون تعليقاً على بعض الآيات التي تُليت تلك الليلة أو كلمة مناسبة لتلك الليلة، ثم الإجابة على الأسئلة الواردة، ووقت هذا اللقاء من بعد صلاة التراويح، ويستمر قرابة ساعة ونصف في العُشرَيْن الأولين من رمضان، وبعد دخول العشر الأواخر يكون الدرس ما بين التراويح والقيام في الغالب.

ج - المحاضرات :

وهذه كان له فيها نصيب أوفى في أماكن كثيرة؛ فحيثما دُعي لبّى النداء رحمه الله حسبما يسمح له وقته، وهي على نوعين :

النوع الأول : محاضرات مباشرة، ومن أبرزها تنظيمه لمحاضرة في الجامع الكبير، وهو اللقاء الشهري بعد صلاة العشاء من أول ليلة أحَد من كلّ شهر، وغيرها من المحاضرات الدورية في الجامعات والمجمعات.

النوع الثاني : محاضرات عبر الهاتف، وكانت في داخل المملكة العربية السعودية، وخارجها لبعض المراكز الإسلامية من بيته، وقد خصّص رحمه الله رقماً هاتفياً لإلقاء هذه المحاضرات غير هاتف الفتوى والهاتف الخاص، وقد رتّب بعض الإخوة في الآونة الأخيرة له محاضرة شهرية لمسجد التوحيد، في مدينة (ديترويت) في أمريكا، ويرتبط مع هذا المسجد - أحياناً - قرابة مائة مسجد أو مركز أو تجمّع، وذلك من أمريكا وكندا وأوروبا في وقتٍ واحد.

ثالثاً : اللقاءات :

وهي خاصة (اللقاء الأسبوعي)، وعامة (اللقاء الشهري) :

أ — الخاصة :

١- درس عقده لخاصة طلابه ليلة السبت من كلّ أسبوع بعد صلاة العشاء في منـــزل أحد الطلاب بالتناوب، وكانت القراءة في كتاب الكافي.

٢- درس للقضاة ليلة الأربعاء من كلّ أسبوع بعد صلاة العشاء في منْزله وكان يقرأ فيها ماله علاقة بالقضاء، كالطرق الحكمية، وإعلام الموقعين لابن القيم.

ب — العامة :

١- لقاؤه مع قسم العقيدة في فرع جامعة الإمام في القصيم، ليلة الأحد مرة في الشهر.

٢- لقاؤه بالخطباء ليلة الثلاثاء مرة في الشهر.

٣- لقاؤه بطلاب السكن لية الأحد مرّة في الشهر.

٤- لقاؤه بأعضاء هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليلة الأحد مرة في الشهر.

٥- لقاؤه بطلاب المعهد العلمي في عنيزة أول إثنين من كلّ شهر.

٦- لقاؤه بأعضاء جمعية تحفيظ القرآن ليلة الإثنين مرتين في الشهر، وكان رئيساً لمجلسها طيلة حياته رحمه الله.

٧- لقاؤه ببعض طلاب العلم من خارج عنيزة ليلة الخميس مرة في الشهر.

رابعاً : الفتوى :

ومع أنّ الشيخ – رحمه الله – قد خصّص للفتوى وقتاً معيّناً إلاّ أن المتتبع للأمر لا يكاد يحصرها بوقتٍ معيّن؛ فقد كانت في المسجد أو في طريقه إلى المنـــزل، أو

في سفره وتنقّلاته، وحتى في حضور المناسبات وبعد دروس المسجد الحرام؛ مع أنه قد خصص وقتاً للفتوى عبر الهاتف من بعد صلاة الظهر حتى إذا جاء وقت غدائه قرّب الهاتف عنده؛ فهو وإن كان يغذي جسمه بما يحتاجه لما يقيمه إلاّ أنه في الوقت نفسه يغذّي بل يشفي غليل سائليه بما أشكل عليهم.

وكان بعض النساء يأتين إلى الجامع ليسألن الشيخ عن بعض أمورهنَّ.

فيخرج لهنّ عند باب المسجد؛ وربّما أخر الدرس أحياناً حتى تقضي المرأة مسألتها، وإذا سافر من عنيزة سجّل في هاتفه الرقم الذي سيكون عليه في البلد الآخر، حتى يسهل الاتصال به.

خامساً : ذهابه وإيابه من المسجد :

اعتاد الشيخ أن يذهب إلى المسجد، ويعود منه على قدميه - مع بُعْد المسجد عن بيته - وإن كان هذا الوقت من الزمن قد لا يأبه به كثير من الناس إلاّ أن شيخنا رحمه الله قد رأى لهذا الوقت قيمته؛ ففي ذهابه خصصه لنفسه، وفي إيابه جعله للناس؛ فكم من كتاب قد صُحح عليه وقُرئ عليه، ناهيك عن أصحاب الحاجات والفتاوى الذين يرافقونه حتى يصلوا إلى بيته، بل قد يقف عند الباب أحياناً حتى ينهي حاجة سائليه.

سادساً : منبر الجمعة :

الحديث عن منبر الجمعة لا تفي بحقّه هذه الأسطر؛ فالشيخ خلال ما يزيد على خمسٍ وأربعين سنة ظَلَّ خطيباً للجمعة وخطبتي العيدين، والاستسقاء.

وقد وظّف الشيخ هذا المنبر لتعليم الناس أمور دينهم، فكانت خطبته تشتمل على معارف وفوائد علمية قلّ أن تجدها عند غيره، ناهيك عن الموعظة

وتذكير الناس. وقد عُرف عنه أنه إذا كان مسافراً للرياض أو الطائف أوغيرها أنه يعود إلى عنيزة أحياناً ليلقي خطبته ثم يعود دون أن يظهر تبرماً أو مشقّة.(١)

سابعاً : التعليم النظامي :

وذلك أنه رحمه الله درّس في كلٍّ من معهد عنيزة العلمي، وفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم، فكان محط أنظار الجميع، وقد استفادت منه أجيال متتابعة.

وأصعب ما واجه الشيخ في هذه الفترة هو تصحيح الإجابات، حتى إنه اشتهر عنه ذلك، سواء كانت أعمال السنة، أو في الاختبارات الفصلية لأن منها إجابات يصعب تقويمها لوجود خللٍ فيها يحيّر الإنسان : ماذا يحسم عليها من الدرجات، فيقف متحيراً بين الأخذ بالحزم والأمانة، وبين الاحتمالات التي يحتملها الجواب المقدّم إليه.

ثامناً : عبر الإذاعة :

كان للشيخ رحمه الله وجود في هذا الميدان، وقد ساهم في بعضها، واستقلّ بشيء منها، ومن ذلك : (نور على الدّرب)، (سؤال على الهاتف) و (من أحكام القرآن) و (برامج موسمية عن الحجّ والصوم) ونحوها..

تاسعاً : عبر بعض الصحف والمجلاّت :

كان له رحمه الله ركن الإفتاء في بعض الصحف والمجلاّت.

عاشراً : عبر الشريط : ولما للشريط من سهولة في التداول، والاستماع، فقد أولى رحمه الله الشريط عناية خاصة؛ حيث إن جميع دروسه وفتاواه السابق ذكرها

(١) انظر آخر خطبة له في الاستسقاء، عقب آخر هذا البحث.

قد سُجّلت إلاّ ما ندر، حتى إنه خَصّ إحدى دور التسجيل بإخراج دروسه وفتاواه لتتوحّد العناية بها، وهي مؤسسة الاستقامة الإسلامية بعنيزة.

الحادي عشر : الإنترنت : وهذا المجال وإن كان لم ينسّق مع الشيخ فيه إلاّ متأخراً إلاّ أنه رحمه الله قد أولى العناية بذلك كلّ ما يتعلّق بالإنترنت إلى لجنة خاصة تُعنى بشؤونه.

وأخيراً : فإن ما كتبته عن شيخنا رحمه الله في هذا الموضوع لا أدّعي فيه الكمال، لا من حيث التقسيم، ولا الحصر، ولا الوصف؛ فقد فاتني منه ما هو من عادة البشر، والكمال لله سبحانه، والمنصف من اغتفر قليل خطأ المرء في كثير صوابه، والحمد لله ربّ العالمين».[1]

ومما يضاف لما ذكره الشيخ علي السلطان :

الثاني عشر : مشاركته في المؤتمرات.

فقد كان الشيخ يشارك في المؤتمرات المتنوعة، وينشر فيها علمه، سواء بالمشاركة في الأبحاث أو مناقشتها، أو الإدلاء بدلوه في القضايا الكبرى.

وقد ذكر شيخنا عبد المحسن العباد أن المترجم شارك في الجامعة الإسلامية في مؤتمرين هما :

١- مؤتمر الدعوة والدعاة.

٢- مؤتمر مكافحة المسكرات.

---

(١) البيان، العدد ١٦٠.

الثالث عشر : مشاركته في لجنة توعية الحجاج.

وهي منفذ عظيم جداً للتعليم والإرشاد.

قال شيخنا العباد :

«كنت وإياه في لجنة التوعية، نجتمع وننظر في شؤون التوعية، فكان يحضر معنا ويفيد اللجنة برأيه وعلمه.

وقيل له مرّة : هل ترغب في أخذ نسخة من التقرير، قال : لا، حتى لا أحتاج إلى إحراقه، يعني أنه لا يحتفظ بهذه الأوراق، ويحتاج إلى التخلّص منها.

الرابع عشر : مشاركته في هيئة كبار العلماء، وقد صدر قرار تعيينه بها عام ١٤١٧هـ. ولا زال يحرص على اجتماعاتها حتى قبيل وفاته لإفادة المسلمين بما تراه الهيئة من قضايا ومسائل عظيمة تهمّ الأمة.

الخامس عشر : المراسلات الخاصة بما يَرِد عليه من الرسائل جواباً عليها، وما يرسله الشيخ لغيره من بحث مسألة، أو نصيحة، أو غيرها..

وانظر في ذلك مجموع فتاوى ورسائل الشيخ، لفهد السليمان.

السادس عشر : مؤلفاته :

وهي من المجالات التي سلكها الشيخ لنشره العلم، وقد فات الأخ علي السلطان ذكرها في بحثه، وينبغي أن تضاف برقم مستقلّ.

وقد سبق فيما مرّ ذكر العديد من مؤلفات الشيخ خاصة في العقيدة والفقه، بما لا يحتاج إلى إعادته، لكنني مضطرٌّ هنا أن أسردها مسرداً واحداً لتكون في مكان واحد ليسهل الوقوف عليها لمن أراد.

وسأذكر كل ما كتب عليه اسم الشيخ سواء مما كتبه هو ابتداءً أو فُرغ من الأشرطة وطُبع أو جُمع من الفتاوى على حسب ما وقفت عليه، ولا شكَّ أن ما حرّره الشيخ بنفسه يختلف كثيراً عن الذي فُرغ من الأشرطة لكنّني قصدت هنا مجرّد الجمع للفائدة، وقد قال الشيخ عن التأليف والمؤلفات :

«مَنْ ألّف فقد استهدف، ولكن الذي شجعنا على التأليف أمران : أحدهما : أن المؤلف يحرص غاية الحرص على أن يتعمق في المادة التي يريد التأليف فيها.

وهذه فائدة عظيمة للمؤلف.

أضف إلى ذلك أنه إذا تعمق فيها وقيّد ما تعمّق به في هذه المؤلفات فستمكث في نفسه أكثر».[1]

وقال شيخنا عبد المحسن بن حمد العباد البدر عن مؤلفات الشيخ :

«كثيرة، صغيرة الحجم، عظيمة الفائدة، أغلبها تتعلّق بالعقيدة والفقه».[2]

من آثار الشيخ [مما ألفه أو جُمع له] :

١- فتح ربّ البريّة بتلخيص الحمويّة، (أول كتاب ألّفه).

٢- الأصول من علم الأصول.

٣- مصطلح الحديث.

٤- رسالة في الوضوء، والغسل، والصلاة.

٥- تسهيل الفرائض.

---

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) شريط (الشيخ محمد بن عثيمين وشيء من سيرته ودعوته) للشيخ العباد.

٦- المنهج لمريد الحجّ والعمرة.

٧- رسالة في كفر تارك الصلاة.

٨- رسالة في الأضحية والزّكاة.

٩- مجالس شهر رمضان.

١٠- شرح العقيدة الواسطية، لشيخ الإسلام ابن تيمية.

١١- القول المفيد شرح كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمّد بن عبد الوهّاب.

١٢- شرح بلوغ المرام (مجلّد واحد) لم يكتمل.

١٣- عقيدة أهل السنة والجماعة.

١٤- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى.

١٥- رسالة في الحجاب.

١٦- رسالة في صلاة أهل الأعذار وطهارتهم.

١٧- رسالة في مواقيت الصلاة.

١٨- رسالة في المداينة وأقسامها.

١٩- رسالة في وجوب زكاة الحليّ.

٢٠- الضياء اللامع من الخطب والجوامع.

٢١- رسالة في علاج الوسواس في ضوء الكتاب والسنة.

٢٢- رسالة في مشكلات الشباب.

٢٣- رسالة في المسح على الخفّين.

٢٤- رسالة في الدّماء الطبيعية للنساء.

٢٥- رسالة في زاد الدّاعية إلى الله.

٢٦- حقوق دعت إليها الفطرة وقرّرها الشريعة.

٢٧- رسالة في الخلاف بين العلماء، أسبابه وموقفنا منه.

٢٨- رسالة في سجود السهو.

٢٩- اثنان وخمسون سؤالاً عن أحكام الحيض.

٣٠- مجموع فتاوى الحرم المكّي.

٣١- مختارات من اقتضاء الصّراط المستقيم.

٣٢- مختارات من زاد المعاد لابن القيّم.

٣٣- مختارات من إعلام الموقعين.

٣٤- رسالة في الوصول إلى القمر.

٣٥- نبذة في العقيدة الإسلاميّة (وهي نفيسةٌ جداً).

٣٦- رسالة في أصول التفسير.

٣٧- كتاب الدّعوة.

٣٨- إزالة الستار عن الجواب المختار (فتاوى في العقيدة).

٣٩- فتاوى التّعزية.

٤٠- أسئلة من بعض بائعي السيارات.

٤١- الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات.

٤٢- شرح ثلاثة الأصول.

٤٣- شرح كشف الشبهات.

٤٤- المنتقى من فرائد الفوائد.

٤٥- فتاوى نورٌ على الدّرب.

٤٦- فتاوى أركان الإسلام.

٤٧- ألفاظ ومفاهيم في ميزان الشريعة.

٤٨- الشرح الممتع شرح زاد المستقنع (١-٨).

٤٩- من أحكام القرآن (جزء).

٥٠- فقه العبادات.

٥١- فتاوى منار الإسلام.

٥٢- لقاء الباب المفتوح (١-٧٠).

٥٣- شرح رياض الصالحين (١-٧).

٥٤- اللقاء الشهري (١-٧٤) لم يطبع كلّه.

٥٥- مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين، جمع وترتيب الشيخ فهد بن ناصر السليمان، وفيه أكثر الرسائل السابقة.

٥٦- الصيد الثمين في رسائل ابن عثيمين.

٥٧- فتاوى ابن عثيمين، جمع أشرف عبد المقصود.

٥٨- تفسير آية الكرسي.

٥٩- شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، لابن قدامة المقدسي.

٦٠- تعليق على العقيدة الواسطية (مبسّط غير الشرح الموسّع).

٦١- الإبداع في كمال الشرع وخطر الابتداع.

٦٢- رسالة في أحكام الميّت وغسله.

٦٣- منظومة في أصول الفقه، وقواعد فقهيّة، ط: دار المحمدي بجدة. قال في أولها:

الحمْـــدُ لله المعيـــد المبْـــدي معطِي النّوال كلّ مَن يستَجْدي

وهَاك مِن هَذي الأصُول جُملاً أَرجُـــو بها عـــالِ الجنان نُزلاً

قَواعـــدُ مِن قوْل أَهـــلِ العلْمِ وَلَيْسَ لي فِيهَا سوى ذا النّظمِ

٦٤- رسالة في الرّبا وصوره، وأقسام الناس فيه.

٦٥- رسالة في الحكمة من إرسال الرّسل.

٦٦- رسالة في شرح أصول الإيمان.

٦٧- رسالة في الزواج.

٦٨- شرح نظم الورقات للعمريطي (مكتوب على الحاسب ومصوّر).

٦٩- شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (مكتوب على الحاسب ومصورّ).

٧٠- كتاب العلم.

٧١- فتاوى وتوجيهات في الأجازة والرحلات.

٧٢- رسالة في القضاء والقدر.

٧٣- تفسير الفرائض (وهو غير تسهيل الفرائض).[١]

٧٤- حكم الطلاق بالثلاث (مخطوط).[٢]

٧٥- نيل الأرب من قواعد ابن رجب (مخطوط).

---

(١) مجلة الدعوة، العدد ١٧٧٦، (ولعله مخطوط).

(٢) المصدر السابق.

٧٦- تخريج أحاديث الرّوض المربع (مخطوط).

٧٧- شرح عمدة الأحكام (مخطوط).

٧٨- أحكام قصر الصلاة للمسافر (مخطوط).[1]

٧٩- نبذ في الصيام.

٨٠- تقريب التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية.

٨١- شرح الأصول الستّة للشيخ محمد بن عبد الوهاب.

٨٢- مجالس رمضان.

٨٣- جلسات الحج.

٨٤- فتاوى الصّيد.

٨٥- الاختيارات والترجيحات.

٨٦- فتاوى سؤال من حاجّ.

٨٧- ٧٠ سؤالاً في أحكام الجنائز.

٨٨- الإخلاص.

٨٩- الوصايا العشر.

٩٠- العقيدة وأثرها.

٩١- المتابعة وقبول العمل.

٩٢- بعثة الرسول ﷺ.[2]

---

(١) انظر : مجلة الحكمة، العدد الثاني للأربعة الأخيرة.

(٢) انظر مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين لفهد السليمان، وهذه الخمس الأخيرة كانت محاضرات وطُبِعَت رسائل في المجموع.

٩٣- شرح حديث جبريل.

٩٤- التوحيد ومعنى الشهادتين.

٩٥- دليل الأخطاء التي يقع فيها الحاج والمعتمر.

٩٦- رسالة في مكارم الأخلاق.

وأعيد القول هنا بأنه ينبغي التفرقة بين ما حرّره الشيخ بنفسه، وما جُمع من كلامه وفتاويه، فذاك لونٌ وهذا لونٌ آخر، والفرق بينهما لا يخفى، لكنّني قصدت هنا التيسير والتقريب للباحثين وغيرهم ممن يرغب في عمل دراسات موسعة عن الشيخ، والله الموفق.

آخر خطبة للشيخ ابن عثيمين في صلاة الاستسقاء يوم الاثنين ١٤٢١/٨/٣هـ

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إله الأولين والآخرين يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، له ملكوت السموات والأرض، يحيي ويميت وهو الغفور الودود. أما بعد :

فيا عباد الله إن الله تعالى أمركم بالاستسقاء، ووعدكم على ذلك خيراً وقال عز وجل : **﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾**، وقال نوح لقومه **﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَكُم جَنَّاتٍ وَيَجْعل لَكُم أَنْهَاراً﴾**.

فيا عباد الله أكثروا من الاستغفار فإنه مفتاح الفرَج، أكثروا من الاستغفار فإنه مغلاق الشرّ، وفي الحديث : «**من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً**» وإنه في هذا اليوم تخرجون إلى هذا المكان طاعةً لولاة الأمور الذين أمروكم أن تخرجوا للاستسقاء في هذا اليوم، وطاعة ولاة الأمور من طاعة الله ورسوله، فادعوا ربكم تضرعاً وخفية إنه لا يحبّ المعتدين، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أسقنا الغيث والرّحمة ولا تجعلنا من القانطين، اللهم سقيا رحمة لا سقيا بلاء ولا عذاب، ولا هدم ولا غرق، اللهم أسقنا الغيث والرحمة ولا تجعلنا من القانطين، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا غيثاً مغيثاً هنيئاً مريئاً غدقاً عاماً دائماً نافعاً غير ضار، اللهم أسقنا غيثاً تحيي به البلاد، وترحم به العباد، وتجعله بلاغاً للحاضر والباد اللهم أغثنا، اللهم أغثنا ياذا الجلال والإكرام، ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، نستغفر الله ونتوب إليه، اللهم

اغفر لنا ذنوبنا، وكفّر عنا سيئاتنا، وتوفنا مع الأبرار، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا ياذا الجلال والإكرام، وكان النبي ﷺ يقلب رداءه حين الخطبة، قال أهل العلم: وذلك تفاؤلاً بأن يقلب الله الحال من الشدّة إلى الرخاء والذي يقلب هو الرداء،ويكون بمنــزلته المشلح والعباءة.

أما الغترة والشماغ فإنها لا تقلب لأنها لا تسمى رداء، وإنما تسمّى عمامة، وانتقل الإسم من العمامة إلى الغترة أو الشماغ، وعلى هذا فلا تقلب، وينفذ[1] أن ينصرف الإمام في أثناء الخطبة، فيدعو الله عز وجل سراً، وكذلك المأموم يدعو الله عز وجل.

قال بعض العلماء : والحكمة في ذلك أن يشملوا في الدعاء بين الإسرار وبين الجهر ليكون ذلك أقرب إلى الإجابة، ونحن إن شاء الله تعالى فاعلون.

أيها الأخوة.. إن من أسباب منع الخير أن يظلم الناس بعضهم بعضاً، فانتبهوا لأنفسكم هل أنتم ظلمتم أنفسكم، هل ظلمتم أهلكم، بل ظلمتم من تعاملونه من العمال وغيرهم، فالنبي ﷺ يقول : «**ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجلٌ أعطى بي ثم غدر، ورجلٌ باع حراً فأكل ثمنه ورجلٌ استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره**».

ولقد كان بعض الناس (أي بعض العمال) يشكون من كافلهم تأخر أجورهم، وهذا لا يحلّ؛ لقول النبي ﷺ: «**مطل الغني ظلمٌ**» وقال : «**أعطوا الأجير أجره قبل أن يجفّ عرقه**».

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، اللهم تقبّل منا ياذا الجلال والإكرام، اللهم تقبل منا، اللهم تقبل منا.

هذه كانت خطبة صلاة الاستسقاء.

---

(١) كذا في الأصل، ولعلّ الصواب (يُستَحبُ).

أما آخر ما خطب من الجمع في الجامع : فكانت خطبته يوم الجمعة بتاريخ ١٤٢١/٧/٢٩هـ، وكانت الخطبة تحث الناس على انتهاز الأوقات بالأعمال الصالحة، والتذكير بالموت وعدم الغفلة، وانتهاز الفرصة ما دام الإنسان في الحياة، وذكر حديث النبي ﷺ حينما وعظ رجلاً فقال: «**اغتنم خمساً قبل خمس**» وذكر الحديث.

وذكر أثر ابن عمر رضي الله عنهما أنه كان يقول : «**إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحّتك لمرضك ومن حياتك لموتك**» [رواه البخاري].إهـ[1]

شيوخه وتلاميذه :

سبق في الباب الأول ذكر شيوخ الشيخ، والترجمة للعديد منهم.

أما التلاميذ فهم أكثر من أن يحصروا نظراً لتعدّد الأماكن التي دَرّس فيها الشيخ والبلدان، فقد درّس الشيخ في الرياض والطائف ومكة والمدينة وبريدة وغيرها فضلاً عن عنيزة؛ فلذا يصعب حصر تلاميذه، لكنني سأذكر هنا من قدامى التلاميذ، وبعض من كان يرافقه في الطلب، منهم:

١- (محمد العثمان القاضي.

٢- محمد عبد الله السلمان.

٣- سليمان بن عبد العزيز البسام.

٤- إبراهيم بن عبد الله المطلق).[2]

---

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٧، متابعة خالد المرشد، (والبخاري ح ٦٤١٦).

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

٥- إبراهيم بن حمد الحطيلي.[1]

وممن رأيته في سكن الطلاب يسكن معنا في فترة تردّدي على الشيخ من الملازمين لدروس العطلة الصيفية :

١- مصطفى بن محمد بن كامل حورية.

٢- ماهر بن فهد الساير.

٣- وليد الحسين.

٤- زيد بن ثابت.

٥- مدين بن إبراهيم.

أما في الحلقة فقد كانوا كثيرين جداً، ولا أذكر الآن أسماءهم، فمنهم من بريدة، والزلفي، وعنيزة، وغيرهم آخرون من بلاد مختلفة يصعب حصرهم وقد تردّد بعد ذلك على الشيخ طلاب من دول الخليج وقطنوا عنده، وبعضهم يتردد بين الحين والآخر، وقد بلغ عدد طلاب الحلقة ٥٠٠ طالباً في بعض الأوقات.

ومَنْ ذَكَرْتُهم هم الذين رأيتهم وعشت معهم، وقد جاء بعدنا مئات إن لم يكن ألوف الطلاب أعني لعنيزة، أمّا خارجها فلا يحصيهم إلاّ الله عز وجل ممن يقصده في رمضان، والحج، والعطلات المؤقتة، هذا غير من كان يحظى بدروسٍ خاصة في منـــزل الشيخ أو غيره من القضاة ونحوهم..

وقد ذكر الأخ وليد الحسين في ترجمته[2] عدداً غير قليل فليراجعه من شاء الزيادة.

---

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٥.

(٢) مجلة الحكمة، العدد الثاني.



الباب الثالث

وفيه فصلان:

الفصل الأول: مرضه.

الفصل الثاني: وفاته.



الفصل الأول

مرضه

حقيقته :

قال الشيخ عبد الرحمن الريس مؤذن الجامع الكبير بعنيزة :

«فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين بداية مرضه كان سرطاناً في المستقيم قبل أن ينتشر المرض.

وكان الشيخ قد عمل عملية بواسير منذ ٢١ سنة.

وقبل رمضان العام الماضي بدأ الشيخ يتألم من شدة المرض، وكثر تردّده على دورة المياه، خصوصاً ليلاً.

وبعد إلحاح شديد من محبّي الشيخ أقنعوه أن يعمل فحص عام.

وافق الشيخ على عمل الفحص فأخبرهم الشيخ بمرضه السابق، وكان الشيخ يعتقد أن هذه الآلآم هي مجرّد امتداد للمرض الأول (البواسير).

فأخذ المستشفى عيّنه من الدّم، وبعد التحاليل تبيّن أن الشيخ مصاب بمرض السرطان في المستقيم، وأخذوا عيّنه من الكبد، فوجدوا نفس المرض، ثم فحصوا الرئتين فوجدوا به نفس المرض، فعلموا أن المرض قد انتشر في جميع جسم الشيخ، ولم يخبر الأطباء الشيخ بما فيه، فأحسّ الشيخ أن الأمر فيه شيء، فألحّ على الأطباء أن يخبروه، وبعد إلحاح شديد من الشيخ أخبره الأطباء بالمرض، فتبسّم الشيخ عند إخباره بالمرض، وحمد الله وأثنى عليه، فتكلّم الشيخ كلماتٍ عجيبة تكتب بماء الذهب؛ حيث قال :

«إن الإنسان المؤمن إذا قام بطاعة الله، وفعل أوامره، واجتنب نواهيه، فإنه لا يرجو بذلك إلاّ رحمة الله ودخوله الجنة، ولا يمكن أن يصل الإنسان إلى الجنّة إلاّ بالموت، والموت قد كتب على جميع البشرية، **فمرحباً بالموت**، إذا كان الموت هو الذي بيننا وبين الجنة».

وهذه الكلمات تدلُّ على قوّة يقين الشيخ وحسن ظنّه بالله عز وجل.[1]

قال الشيخ محمد بن صالح المنجد :

«والشيخ يسمّيه المرض الخطير، ويرفض أن يسميه المرض الخبيث، ويقول : ليس في أفعال الله خبيثاً».[2]

كذا نُقل، وفيه تأمل لإطلاق وصف الخبيث في القرآن والسنة على عدّة أصناف من المخلوقات.

ولا شكّ أن أفعال الله عز وجل كلها خير ليس فيها شرٌّ ولا خبث.

حالته مع المرض.

قال الشيخ عبد الرحمن الرّيس :

«مع شدّة مرض الشيخ ثقلت عليه الحركة، فكان يأخذ وقتاً طويلاً في الوضوء والأكل والصلاة.

وفي آخر الأيام عندما كان في عنيزة ويؤمّ المصلين عندما كان نشيطاً كان يحصل معه أثناء الصلاة (السلس) وكان يشعر بخروج شيء منه، فكان يقطع الصلاة ويقدّمني للإمامة مكانه.

---

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) شريط ١٠٠ فائدة من العلامة ابن عثيمين.

وقد حصل هذا من الشيخ مرّتين في صلاة الفجر، وأخرى في صلاة المغرب، فيقوم الشيخ بإعادة وضوئه في غرفته الخاصة في المسجد، ويطلب من ابنه أن يصلّي معه حرصاً منه على تحصيل أجر الجماعة».[(١)]

وقال أيضاً :

«رغم مرض الشيخ حرص على خطابة الجمعة في الجامع الكبير، والإمامة، ولقاء النّاس للإجابة على أسئلتهم واستفساراتهم، وكان الشيخ حريصاً على إمامة المسجد رغم أن المرض ينهكه، ورغم كلّ معاناته».[(٢)]

تاريخ بدايته أو (اكتشافه) :

جاء في جريدة (الاقتصادية) ما يلي :

«وكان الشيخ قد دخل المستشفى للمرّة الأولى في نيسان (إبريل) الماضي».[(٣)]
يعني في المحرّم لعام ١٤٢١هـ تقريباً.

العلاج :

بعد إجراء الفحوصات اللازمة على الشيخ في مستشفيات المملكة تبيّن للأطبّاء أن الشيخ مريض بالسرطان، وقد انتشر في جسدّه، وبدأت رحلة البحث عن العلاج، وجاءت رغبة أولياء الأمور، وخاصة سمو الأمير عبد الله بن عبد العزيز وليّ العهد بضرورة سفره إلى الخارج للعلاج وإعادة التشخيص.وتحت هذا الإلحاح وافق الشيخ على السفر إلى أمريكا، وقد رافقه في هذه الرحلة :

---

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الاقتصادية، العدد ٢٦٥٠.

- أخوه د. عبد الله العثيمين.
- أبناؤه الأربعة : عبد الله، إبراهيم، عبد الرّحيم، عبد العزيز.
- خالد المصلح، وسامي الصقيّر، ومنصور التركي.
- د. عبد الرحمن النعيم.
- ناصر الراجحي «استشاري الأورام في مستشفى الملك فيصل التخصّصي في الرّياض».

وبعد إجراء الفحوصات اللازمة توافق تقرير الأطبّاء هناك مع التّقرير الذي أُعد في مستشفى الملك فيصل التخصّصي بالرياض.[1]

دعوة الشيخ في أمريكا :

قال الدكتور سعود بن عبد الرّحمن العجاجي :

«أمضى الشيخ ابن عثيمين في (بوستن) عشرة أيام، تخلّلتها حلقات لتحفيظ القرآن، وجلسات دينية عقدها في مسجد الجمعيّة الإسلامية في (بوستن)، تمحورت حول سبل وأوجه تقريب المسلمين فيما بينهم، وتوحيد كلمتهم، والدعوة للتعاون فيما بينهم».[2]

«وقد أمّ المسلمين الموجودين هناك في صلاة الجمعة مرّتين :

الأولى : في مسجد (كيويزي).

والثانية : في مسجد (شارون).

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

ودعا فيهما لإصلاح ذات البين، وكيفيّة التعامل مع الأجانب، مذكراً المصلّين بضرورة تجاوز صغائر الأمور، والدّعوة إلى الله عزّ وجل، بـ : التسامح، والنصح، والإرشاد بالكلمة الطيبة والحسنة». [١]

وقد «زار الشيخ نادي الطلبة السعوديين في (بوستن) وألقى محاضرة قيّمة تخلّلتها دعوة الطلبة إلى احترام الديار التي همْ فيها، ونصحهم بعدم الغشّ أو الكذب على الأمريكان.

وألا يستغلّوا بعض نقاط الضعف الموجودة في أنظمتهم، مثل نظام التأمين وعليهم أن يمثّلوا ديار المسلمين خير تمثيل». [٢]

وقال د. صالح بن عبد العزيز النصار :

«لقد حظيت في الولايات المتحدّة الأمريكية كما حظى كثير من المسلمين هناك بسماع صوت الشيخ، والاستناره بتوجيهاته، والإجابة عن الأسئلة المعقدة التي تواجه الجالية المسلمة هناك، وذلك من خلال المحاضرة الهاتفيّة التي نُقلت إلى أكثر من مائة مسجد، ومركز إسلامي، ومنـزل». [٣]

وقد ألقى الشيخ في (بوستن) في يوم الأربعاء ١٤٢١/٥/٢هـ محاضرة بعنوان (وحدة المسلمين).

وخطب الجمعة في المركز الإسلامي في يوم الجمعة ١٤٢١/٥/٤هـ.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الرياض، العدد ١١٨٩٠.

العلاج المقترح :

من المعروف عالمياً أن هذا المرض خاصة بعد انتشاره واستفحال أمره لم يهتد العلم الحديث لعلاجه، والأمر لايتعدّى تخفيف آلآم المرض عن طريق : الإشعاع النووي، أو الكيماوي، أو المسكنات.

فما موقف الشيخ من كلا الأمرين ؟

١ - أما الكيماوي :

فقد أوضح أخوه د. عبد الله العثيمين موقف الشيخ منه حيث قال :

«وقد اختلفت آراء الأطبّاء؛ سواء مَنْ كشفوا عليه أو من اطلعوا على التقارير عنه، واستشاروا حولها في طريقة علاجه، فكان منهم من رأى علاجه بالأشعة والكيماوي، ومنهم من لم ير ذلك.

وفي تلك الظروف كان الشيخ محمد متردّداً لما رآه من اختلاف وجهات نظر الأطبّاء، ولمزيد من الاطمئنان تشخيصاً وعلاجاً جاءت مشورة ولاة الأمر في هذا الوطن له كي يسافر إلى أمريكا - حفظهم الله ورعاهم وجزاهم أفضل ما يجزي به عباده الصالحين - على ما أبدوه تجاهه من عطف وما قاموا به من رعاية وقد أكّدت الفحوصات هناك ما توصّل إليه من تشخيص في المملكة، واستقرّ الرأي الطبّي على أن يعالج مدة بالأشعة مع جرعات مخفّفة بالكيماوي، ثم يبدأ العلاج بالكيماوي وحده.

وسرّ الشيخ محمّد بذلك.

فقدم إلى الوطن ليبدأ في مستشفى الملك فيصل التخصّصي ما استقرّ الرأي الطبّي عليه.

وعالج بالأشعّة فعلاً على أنّ الأطبّاء رأوا أخيراً أنّ سلبيات علاجه بالكيماوي أوضح من إيجابياته، ففضّلوا عدم علاجه به، وقبِل الشيخ ما فضّلوه».(١)

هذا ما ذكره شقيق الشيخ، وقد كان مرافقاً له في رحلته، وفي علاجه بالمستشفى في المملكة. وقد ذكر غيره أن الشيخ عندما عُرِض عليه العلاج بالإشعاع النووي، أو الكيماوي، ووضّحوا له أن هذا الأخير يسبّب تساقط الشعر، فسأل الشيخ : حتّى شعر لحيتي ؟ فقالوا : نعم، قال : لا أحبّ أن ألاقي ربّي بلا لحيتي».(٢)

وقد تناقل الناس هذا الأخير واشتهر، فالله أعلم.

٢- أما المسكنات الأخرى :

فقد قال الشيخ محمد بن صالح المنجّد :

«كان الشيخ رحمه الله يكره المسكّنات كما قال لي أحد الأطباء الذين يعالجونه لأنها تنوّمه، وتعيقه عن قيام الليل والتدريس».(٣)

٣- الرقية :

قال الشيخ عبد الرحمن الدهش :

«ومما يُذكر في صبره في مرضه أنه عُرض عليه رحمه الله أن يُسترقى، أي تطلب الرّقاة له،ولكنه أبى حرصاً على أن لا يخرج من السبعين ألفاً الذين ذكرهم النبي ﷺ، وأن من صفاتهم أنهم لا يَسْتَرْقُون، أي لا يطلبون الرقاة لهم.

لكن لما أتى الرقاة إليه بطلب أحد طلابه لم يردّهم، وسمح لهم أن يرقوه».(٤)

---

(١) الرياض، العدد ١١٨٩٦.

(٢) جريدة الوطن، العدد ١٠٥.

(٣) شريط : ١٠٠ فائدة من العلامة ابن عثيمين.

(٤) شريط الإمام ابن عثيمين، (تسجيلات صدى التقوى بالرياض).

مواقف رائعة على فراش المرض

مع رحلة العلاج القاسية، وعدم تيسّر دواء يعلمه البشر لهذا الداء العضال، والذي استحكم في جسد الشيخ النحيل، والذي بدأ تدريجياً في الذبول، أخذ الألم يتزايد عليه يوماً بعد يوم، ويتجلّد الشيخ ويصبر، حتى إنه لا يخيَّل للناظر إليه أنه يشعر بشيء احتساباً وصبراً وأملاً ورجاءً في موعود الله تعالى للصابرين.

يقول الشيخ عبد الرّحمن الريّس :

«يحدثني ابنه عبد الرحمن الذي لازم والده الشيخ محمد بن عثيمين طوال فترة مرضه، يقول ابنه عبد الرحمن : إنّني أرى الشيخ كثيراً من المرات يعضّ على شفتيه من آلآم المرض، فيسأله ابنه : هل تتألّم من شيء ؟ فإذا كان بالغرفة أحد غير ابنه يقول : لا، أبداً. أمّا إذا لم يوجد إلاّ ابنه فإنه يقول : إنّي أتألم، ولكن قولي هذا من باب الإخبار، ليس من باب الشّكوى».[1]

وقال الشيخ محمد بن صالح المنجّد :

«سألته بعد فترة بالهاتف عن الألم فقال : يأتي ويذهب إلاّ في موضع المرض الأصلي الذي انتشر منه فإنه مستمرّ».[2]

وقال : «لم يتمكّن الشيخ رحمه الله من صيام رمضان الماضي لمرضه، وقد عذره الله سبحانه وتعالى عذر المريض».[3]

---

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) شريط : ١٠٠ فائدة من العلامة ابن عثيمين.

(٣) المصدر السابق.

ومع كلّ هذه الآلام فإن الشيخ لم يترك الدعوة إلى الله، وتعليم العلم، والنصح والتوجيه وهو على فراشه، بل والإجابة على أسئلة المستفتين والسائلين، والمسترشدين.

من ذلك :

١- ما قاله **د. حسن بن فهد الهويمل** :

«توفّي أحد جيرانه قبل أسبوع من وفاته، فهاتف أولاده من المستشفى في حدّة معزياً ومواسياً، وداعياً وناصحاً لهم، وقال لهم بالحرف الواحد : أنا مريض ولا أعلم ما يكتب الله لي، فاستوصوا بوالدتكم وإخوانكم الصغار خيراً».[1]

٢- في يوم الخميس السابع والعشرين من شهر شعبان زاره فضيلة الشيخ **حمود الصائغ**، وذكر ما منّ الله به على الشيخ من الصّبر والجلد، وذكر وصيّته.

كما ذكر أن أحد الإخوة سأله عن ميراث أختين شقيقتين وأخت لهما من أبٍ فكيف يقسم ؟

فقال رحمه الله : للأختين ثلثان، وللأخت للأب الباقي.[2]

٣- قال الشيخ **بدر بن نادر المشاري** :

«لما رجع من أمريكا بعد العلاج سُئل عن حالته العلاجية والصّحية، فقال الشيخ كلمة تدوّن بماء الذهب : اعلموا أن المرض لا يقدّم الآجال وأن العافية لا تُؤخر الآمال والآجال، وأن أجلي مكتوب، وأجلكم مكتوب من قبل أن يخلق الله السموات والأرض، فآمنوا بهذا فإني آمنت به».[3]

---

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٧.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

(٣) شريط (أحب لقاء ربّه) نقلاً عن صفحات مشرقة ص ١١١.

٤- قال إبراهيم بن محمد العثيمين :

«أتذكّر في اليوم التاسع والعشرين من رمضان في الصّباح حصل معه بعض الأثر (التعب) وقرّر الطبيب المرافق بنقله إلى مستشفى جدّة التخصّصي، وبالفعل تم نقلـــه رحمه الله من مكانه في الحرم بسيّارة الإسعاف إلى مستشفى التخصّصي في جدّة، وأُدخل فوراً إلى غرفة العناية المركّزة، ومكث فيها قرابة الستّ إلى السبع ساعات، ثم بعدما خرج من غرفة العناية المركّزة وأحسّ بشيء بسيط من النّشاط أصرّ على أن يعود إلى مكّة مرة أخرى في نفس اليوم.

وحاولنا والإخوان أن نثنيه عن هذا القرار لكنّه أصرّ إلا أن يذهب لأنها آخر ليلة من ليالي رمضان، ولا يرغب أن تفوته هذه الليلة، وأن هناك الكثير ممن ينتظرونه في الحرم وينتظرون الدّرس. فأصرّ على أن يعود مرة ثانية.

وفعلاً عدنا ووصلنا إلى مكّة في وقت صلاة العشاء، ثم أخذناه من سيارة الإسعاف محمولاً على النقالة الخاصة بالإسعاف، وكان الأوكسجين على فمه، واسطوانة الأوكسجين بين أرجله، إلى أن وصلنا به إلى الغرفة المخصصة له.

ثم أول عمَل قام به أن توضأ ثم صلّى العشاء، وبعدها طلب مكبّرات الصوت، لأنهم كانوا على وشك الانتهاء من صلاة التراويح، وأرسل الأخ عبد الرحمن إلى مكان الدّرس لتلقّي الأسئلة من السائلين، وقام الطبيب بإبعاد الأوكسجين عنه، ووضع الأنبوب الذي يوضع على الأنف، ثم بدأ الدّرس وسط ذهول من الأطبّاء والمرافقين له.

وألقى الدّرس في موقف عجيب جداً، وبعدها كان يقول : لو جلسنا في جدّة لفاتنا هذا الخير العظيم».[1]

---

(١) شريط الإمام ابن عثيمين، (تسجيلات صدى التقوى بالرياض).

قلت : وقد قال الشيخ في هذا الدرس الأخير :

«الحمد لله ربّ العالمين، وأصلّي وأسلّم على نبيّنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعـــد..

فإن هذه الليلة هي الليلة الموافية للثلاثين من شهر رمضان المبارك عام ١٤٢١هـ والله أعلم أنه يكون آخر لقاء في هذا الشهر المبارك في المسجد الحرام.

أيها الإخوة الكرام : لقد منّ الله على عباده باستكمال هذا الشهر المبارك وبما تيسّر من الأعمال الصالحة المقربة من الله تعالى، أسأل الله أن يجعلها وديعة لنا عنده، ومغفرةً للذنوب، وتكفيراً للسيئات، ورفعة للدرجات».

ثم تكلّم الشيخ على أعياد المسلمين الثلاثة : **الأضحى والفطر والجمعة**.

ثم ختم كلمته بقوله :

«اللهم اختم لنا شهر رمضان بغفرانك، وجُدْ علينا بفضلك وامتنانك، واجعل مآلنا إلى جنانك، وأعد علينا شهر رمضان، والأمة الإسلامية ترفل بالعز والكرامة والسلامة، إنّك على كل شيء قدير.

وإلى الأسئلة، أسأل الله أن يوفّقني لصواب الجواب».

ثم أجاب الشيخ على سبعة عشر سؤالاً في أمورٍ مختلفة.

في الزكاة، والنّذور، والاعتكاف، والصيام، وطواف الوداع، والعمرة، وسفر المرأة بدون محرم، وغيرها..

ثم ختم هذا اللقاء وهو على فراش المرض في غرفته داخل الحرم، والناس متحلّقون حول سماعات الميكروفون في مكانه المعهود الذي كان يلتقي بمحبيه وطالبيه كلّ عام عنده.

قال رحمه الله وصوته ضعيف، ولسانه يثقل :

«وإلى هنا ينتهي هذا اللقاء المبارك أسأل الله أن يعينني وإياكم على الخير وأن يتوفانا على الإسلام، وأن يجعلنا من دعاة الخير وأنصار الحق، إنه على كلّ شيء قدير».(١)

هذا وقد حضرتُ درسه الذي ألقاه في ليلة السابع والعشرين من رمضان من غرفته، ونحن متوزعون حول السماعات على سطح المسجد الحرام، والجميع متعجّب من صبر الشيخ وجلده، وحضور ذهنه، وصحة استدلاله بالنصوص، وعدم اضطرابه؛ مع شدة المرض، ونحول الجسد، فسبحان المعطي الوهاب الذي لا إله إلا هو.

٥- وقال الشيخ **محمد بن صالح المنجّد** : قلت للشيخ مسلياً :

«يا شيخ محمد إن عشت فهو إن شاء الله خيرٌ لنا بهذه الفتاوى والدروس وما تنفع به الأمة، وإن رحلت فنرجوا إن شاء الله أن ما عند الله خيرٌ لك مما عندنا، وليس في الدنيا كبير شيء يؤسف على فراقه ؟ فقال لي : أقول كما قال عمر بن عبد العزيز فيما رواه البخاري : إن للإيمان فرائض، وشرائع، وحدوداً، وسنناً، فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان، فإن أعش فسأبيّنها لكم؛ حتى تعملوا بها، وإن أمت فما أنا على صحبتكم بحريص، ثم أشاح بوجهه وقال لي : هيّن، كلٌّ يريد الحياة».(٢)

---

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

(٢) شريط ١٠٠ فائدة من العلامة ابن عثيمين.

٦- وقال **الأمير فيصل بن بندر** :

«كان بكامل إدراكه للأمور وبأسلوبه نفسه وطريقته في النصح والإرشاد، لقد اتصلت به عدّة مرات في مستشفى الملك فيصل التخصصي، وظللت على اتصال به قبل أن يسافر إلى مكّة، وأقول هنا : إنه كان في كلامه وإجاباته وصوته هو نفسه الشيخ محمد بن صالح العثيمين، الذي لم يتغيّر في صوته وإدراكه، وإيضاحه للأمور.

لا تشعر بأن من يحيّيك إنسان مريض، ووصل معه المرض إلى هذا الحجم كان صوته يقول لك : هذا هو العالم الفذّ في قمّة عطائه، وتواصله مع الناس».[1]

٧- قال الشيخ **عبد الله الجلالي** :

«أيام مرضه رحمة الله عليه في رمضان لمدّة شهر كامل، قضاه داخل المسجد الحرام في الصالة الخاصة، كان قد وضع الميكروفون بجواره، وكنت أزوره بعد التراويح وهو في شبه نوم، وفي تعبٍ شديد، فكان يتحدّث إلى الجمهور داخل المسجد الحرام، ويجيب على الأسئلة، ويقول كلاماً موزوناً، و لم يؤثر فيه هذا المرض بالرغم أن هذا المرض قد أنهكه كثيراً، وكان إذا نبهه أهله وقد فاتت الفرصة كان يلومهم ويقول: لماذا لم توقظوني، حيث كان لا يرغب أن تفوت فرصة إلقاء الدّرس من حرصه رحمه الله تعالى».[2]

٨- وقال فضيلة الشيخ **عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين** :

«كان آخر لقائنا في مكّة ليلة ٢٧ من رمضان، حيث استأذنا في الوصول إليه، وجلست إلى جواره نحو خمس دقائق، فكان سؤاله عنّي أكثر من سؤالي عنه، لأنني

(١) الاقتصادية، العدد ٢٦٥٠.

(٢) شريط الإمام ابن عثيمين، (تسجيلات صدى التقوى بالرياض).

كنت لا أحب أن أشقّ عليه بتكرار السؤال لما أعلم من حالته الصحيّة، ولكنني كلما سكتُّ بادر هو بالسؤال عن أحوالي وأخباري». [(١)]

وفي مقابل هذا العطاء المتواصل ومحبة الخير، والنصح للناس، بادله طلابه ومحبّوه هذا الشعور، فأخذت الوفود تتوافد على الشيخ في المستشفى التخصصي في الرياض لزيارته وعيادته، ولإلقاء النظرة الأخيرة عليه.

وقد يسّر الله لي بفضله عيادة الشيخ في الجناح الخاص به، والذي أطلق عليه : جناح كبار الشخصيّات، وقد قمت بالسلام عليه والدعاء له، ووقع نظري على عينيه تنظران إليّ في شفقة ورحمة، وكأنهما تسترجعان تاريخ بداية قدومي عليه في عنيزة وهو في كامل صحّته ونشاطه وعافيته.

وقد وجدت أمام غرفته الوفود تلو الوفود كلٌّ في انتظار الإذن له بالدخول، فبعضهم جاء من مسافات بعيدة جداً، من المنطقة الشرقية، أو الغربية، أو القصيم.

وقد يتسنّى له الدخول للسلام عليه، وقد يرجع وهو خائبٌ حسير نظراً لتعب الشيخ وإرهاقه من كثرة عائديه.

«وكان الشيخ يلاحظ عليه الانخفاض الواضح في وزنه، وهو الأمر الذي يصيب أغلب من يصابون بذات مرضه». [(٢)]

«هذا وقد غادر الشيخ مستشفى الملك فيصل التخصصي بالرياض يوم الثلاثاء التاسع من رمضان متوجهاً إلى مكة المكرمة بجوار بيت الله الحرام». [(٣)]

---

(١) البلاد، العدد ١٦٢٢٣، نقلاً عن صفحات مشرقة ص ١٠٨.

(٢) الوطن، العدد ١٠٥.

(٣) مجلة التوحيد، العدد (١١) للسنة ٢٩.

ويحكي لنا أخو الشيخ ثلاثة مواقف تبين مدى محبة الناس له، ومدى ما وضع له من القبول في الأرض.

يقول الدكتور عبد الله العثيمين :

«ذات ليلة وأنا عند باب الغرفة التي كان فيها الشيخ رحمه الله، اقترب مني طفلان في العاشرة أو التاسعة من عمريهما، وقالا : «حنّا عيال الخليوي يا عم، ودّنا نشوف الشيخ محمد».

وما كان ألذ على قلبي من أن ألبِّي رغبتيهما، وخرجا منه والسعادة بادية على وجهيهما أبقاهما الله لأسرتهما مصدر غبطة وحبور.

وفي ليلة أخرى كان الشيخ رحمه الله قد تعب بعد ساعة من رؤيته الزائرين، والدعاء المتبادل بينهم وبينه، ورغب في أن يرتاح، عند ذاك كان من بين من لم يكن هناك وقت لدخوله إليه، شاب يبدو في العشرين من عمره، فتقدّم إلى الباب مصمّماً على الدخول إلى الشيخ، وأُخبر بأن الشيخ متعب، لكنه ازداد تصميماً على الدخول، وصاح : لا يمكن إلاّ أن أراه، فقد مات الشيخ ابن باز ولم أره، وانفجر باكياً، وأقنع أخيراً بأن يأتي مبكراً في مساء اليوم التالي، ففعل، وكان أول من دخل إلى الشيخ، فخرج منه سعيداً مسروراً.

أما الموقف الثالث فرمز وفاء ونبل : شيخ في التسعين من عمره، أو ينيف على ذلك، فَقَد بصره وخرج لتوه من المستشفى العسكري بعد إجراء عملية في قلبه، أُتي به محمولاً في عربة، ودخل إلى الشيخ رحمه الله وأخذ يبكي ويدعو، ذلكم هو النبيل الكريم أبو خالد، عبد الله بن عبد الرحمن القاضي، متع الله به وأثابه أحسن الجزاء».[1]

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٤٢.

وقد سألت نفسي سؤالاً وطرحته على غيري بعد زيارتي للشيخ: ما الذي جعل الشيخ ابن عثيمين يُمرض في جناح كبار الشخصيّات ؟

وليس هو من أصحاب الثراء أو الأرصدة والعقارات، وليس من الأمراء والملوك، وليس هو من أصحاب المناصب المشهورة كالوزراء والمدراء.

بل لم يحصل الشيخ على شهادة الماجستير ولا الدكتوراة، إذاً ما الذي جعله يتبوّأ هذه المكانة، ويأتيه المجتمع بكل طبقاته يعودونه.

الأمراء والوزراء والوجهاء والأثرياء والشباب والشيبه والأطفال والعوام الدهماء وغيرهم.. فكان الجواب الذي لا شكّ فيه :

إنه العلم، وهذه هي مكانة العلماء، وشرف أهل العلم الذي تواترت به النصوص والآثار.

ويكفي في هذا آية واحدة وهي قوله تعالى : **﴿شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ﴾**.

فلم يقرن معهم من البشر أحداً في شهادتهم بالوحدانية، والتي هي أجل شهادة من أعظم شاهد - وهو الله عز وجل -.

فسبحان من بلّغ الشيخ هذه المكانة السامقة.

مرضه بالالتهاب الرئوي :

قال الشيخ محمد صالح المنجّد :

«كذلك فإن الشيخ رحمه الله لما نُقل من الحرم في آخر يوم، بعدما انتهى من الدرس لشدة الالتهاب الرئوي الذي أصابه إلى جدة في العيد عولج من هذا الالتهاب

الرئوي، فقال لي الطبيب المعالج: تحسّنت حالة الشيخ، ففرحنا، ولكن ما زالت آثار السرطان باقية وشديدة.

قالوا: كان طيلة الوقت يقرأ القرآن، ويذكر الله، إذا أفاق يقرأ القرآن ويذكر الله».(١)

الأيــام الأخيرة، الساعات الأخيرة :

قال الشيخ المنجّد : قال الطبيب المعالج :

«وفي آخر ليلتين اشتدّ عليه المرض جداً، وسمعناه يقرأ أشياء من القرآن فاستمعنا وأنصتنا.

فقال : فسمعناه يقرأ قول الله تعالى : ﴿**إِذْ يُغَشِّيكُم النُّعاسَ أَمَنَةً مِنْهُ**﴾. قال : فأعجبنا ذلك، ثم في آخر يومين اشتدّ عليه المرض جداً».(٢)

وقد وصف الدكتور رضوي (الطبيب المعالج) الأيام التي قضاها بجوار الشيخ بأنّه كان يحسّ بالألم لمرض الشيخ، وأنه يتعامل معه مثل ما يتعامل الابن مع أبيه، وكنت أدعو الله له بالشفاء؛ لكن قدر الله كان أسرع.

وذكر الدكتور رضــوي بأن الشيخ رحمه الله كان قليــل الكلام كثيــر الحمْد والاستغفار.

وقد سمعه يقرأ سورة الفاتحة، وفي مرّات أخرى كان يتمتم لصعوبة حالته الصحّية، وعندما سأل أبناءه عن ما يتمتم به الشيخ ذكروا بأنه يقرأ القرآن، وهذا هو ديدن العلماء أمثال فضيلة الشيخ رحمه الله».(٣)

---

(١) شريط ١٠٠ فائدة من العلامة ابن عثيمين.

(٢) ١٠٠ فائدة من شريط العلامة ابن عثيمين.

(٣) الوطن، العدد ١٠٨.

شوقه للقاء الله.

قال الشيخ عبد الله بن محمد اليحيى (وكيل وزارة العدل) :

«في آخر أيامه كان الشيخ يوصي من يزوره بتقوى الله عز وجل، والدعوة إلى الله، والقيام بحقوق الناس، وكان يقول : إنه اشتاق لملاقاة ربّه».[1]

وصيتــه.

كان الشيخ رحمه الله تعالى لا يكاد يفتر من النّصح للآخرين حتى في أشدّ لحظات مرضه. وكان يوصي العامة والخاصة.

وتتلخّص الأمور التي أوصى بها الشيخ قبل موته في ثلاثة أشياء :

١- **وصيته العامة** بتقوى الله عزوجل، والاجتهاد في الدعوة إلى الله تعالى.

قال إبراهيم بن محمد بن عثيمين (ابن الشيخ) عن وصية الشيخ محمد آخر حياته وأيام المرض :

«كان يوصينا بمثل ما يوصي به الأمة الإسلامية كلّها بتقوى الله عز وجل، والعلم، والحرص على الخير، وطاعة ولاة الأمر في مرضاته، والدعوة إلى الله تعالى، ومحبّة الفقراء والمحتاجين».[2]

وقال الشيخ حمود بن عبد العزيز الصائغ :

- إنه أوصى بتقوى الله عز وجل.
- والدعوة إليه بالحكمة والموعظة الحسنة.

---

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٧.

(٢) الرياض، العدد ١١٨٨٩.

- وعدم الاستعجال في الأمور، والرّفق، والتّأسي بهدي النبي ﷺ في ذلك.
- وأن على الإنسان إذا رأى منكراً ألا تحمله الغيرة على أن يتصرّف من منطلقها بدون تأمّل بالعواقب والنظر في الأمور.

وذكر بأن الاستعجال في الفتوى لا يحسن من الإنسان، بل عليه أن ينظر إلى العواقب قبل أن يفتي بفتوى، وأكّد على موضوع الحكمة، والصبر على الدعوة إلى الله تعالى».[1]

وقال الشيخ صالح الونيّان :

«كانت وصيّته الشفهية من دون واسطة وهو ممدد على الفراش أنه يقول :

- عليكم بالجدّ في دعوة الناس إلى الله.
- عليكم بالتيسير على الناس.
- عليكم بنبذ الفرقة والاختلاف والشحناء وتفهّم الأمور والحكمة في الدعوة إلى الله تعالى».[2]

قلت : فرحمة الله على هذا الإمام الذي نصح ووصّى وهو على فراش المرض، ومشارف الموت، ولم يدّخر جهداً في بذل الوصيّة الجامعة النافعة لعموم الأمة، وللولاة والرّعية.

٢- وصيته بالجامع والدّروس.

لم ينس شيخنا المترجم جامعته العظيمة التي كانت مصدر نورٍ وهداية، ليس لعنيزة فقط، بل للعالم أجمع، أي الجامع الكبير الذي تعاقب عليه علماء أفاضل، كان

---

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٧.

(٢) شريط (وخسف القمر، ورحل العلامة ابن عثيمين) نقلاً عن صفحات مشرقة ص ١٥٢.

شيخنا من آخرهم، فحمل همّه وحرص قبل موته على تنظيم أموره ليستمرّ هذا الخير والعطاء.

فقد : «أوصى، ووضع من يخلفه ويقوم بشؤونه - أي الجامع الكبير بعنيزة - وأن يقوم الشيخ محمد بن سليمان السلمان بصلاة وخطبة الجمعة - (وصلاة الاستسقاء والأعياد) -، وأن يقوم الشيخ سامي بن محمد الصقيّر بصلاة الفروض، وأن يخلفه في الدروس اليومية :

- الشيخ خالد بن عبد الله المصلح «بتدريس التوحيد والحديث».
- والشيخ عبد الرحمن بن صالح الدّهش «بتدريس اللغة العربية والتفسير».
- والشيخ سامي بن محمد الصقيّر «بتدريس الفقه والفرائض».

وأن تقام الدروس في نفس المكان الذي كان يلقي فيه دروسه رحمه الله. وأن يقوم بشؤون الطلاب كلٌّ من الشيخ: عبد الرحمن الدّهش، والشيخ خالد المصلح».[1]

٣- وصيته الخاصة بموته ودفنه.

«وفي اللحظات الأخيرة لوفاته، والتي تجمّع فيها أبناؤه حوله في تخصّصي جدة كان يذكّرهم بضرورة تعجيل دفنه بعد موته.

يقول : **خالد العثيمين** : لقد كانت هذه نصيحة الشيخ لذوي كلّ من حضرته الوفاة، يذكّرهم بسنة المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام».[2] «ويُذكر أنه أوصى الأطبّاء بأنه إذا وافته المنية أن لا يحاولوا استخدام الصدمات الكهربائية لإنعاش قلبه».[3]

---

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٥.

(٢) الوطن، العدد ١٠٥.

(٣) الوطن، العدد ١٠٨.

أمنيته :

لا شك أن أماني الرجال تكون على قدرهم،

وَإِذا كانت النّفوس كباراً تعبتْ في مُرَادها الأجسامُ

وشيخنا من أعظم رجال هذا العصر همةً وعملاً، فيا تُرى ماذا كانت أمنيّته قبل موته ؟!!

لقد تمنّى الشيخ – فيما وصلنا – أمنيتين عظيمتين يتمنّاهما كلّ مسلم :

الأولى : الشهادة :

قال عبد الله خان :

«لقد كانت أمنية شيخي محمد أن ينال الشهادة؛ حيث كنت أرافقه ذات يومٍ وحصل موقف، وقال رحمه الله : يا عبد الله أتمنّى موت الشهادة.

وحقّق الله ما يريد، ومات رحمه الله شهيداً؛ لأنه ورد عن النبي ﷺ أنه قال : «**المبطون شهيد**» وشيخي أصابه داء البطن».[1]

والثانية : **الموت على طاعة والدفن في الحرم**.

قال الشيخ محمد صالح المنجّد :

«وكانت له أمنية حدث بها أحد المشايخ فقال : «أنا أريد أن أموت وأنا قريب من الكعبة أنشر العلم» وكان الشيخ يرى نشر العلم من أعظم القربات».[2]

---

(١) الرياض، العدد ١١٨٩٩.

(٢) شريط : ١٠٠ فائدة من العلامة ابن عثيمين.

الساعة الأخيرة :

«تحدث الدكتور عامر رضوى (الطبيب المعالج) عن آخر ساعة في حياة الشيخ ابن عثيمين قائلاً : إنه كان يقرأ القرآن الكريم، ثم دخل في غيبوبة، وبعدها بساعة انتقل إلى جوار ربّه الكريم».[1]

وذكر أحد طلاب الشيخ أنه كان يردّد - رحمه الله - الآية الكريمة : **﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاَقِيهِ﴾**.[2]

(١) الوطن، العدد ١٠٨.

(٢) المصدر السابق.

الفصل الثاني

الوفاة وما بعدها

قـــال الله تعـــالى لنبيّه ﷺ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِن قَبْلِكَ الخُلْدَ أَفَإِن مِتَّ فَهُمُ الخَالِدُونَ﴾.

وقال تعالى : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوتِ﴾.

وقال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُمُ المَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مَشَيَّدَةٍ﴾.

فقد كتب الله الموت على كل نفسٍ مخلوقة طال عمرها أم قصر، فقد مات الأنبياء والمرسلون، ومات الخلفاء الراشدون، ومات الأئمة المرضيون، ومات الدعاة والمصلحون.

فمن أصيب بمصيبة الموت في أحد ذويه أو محبِّيه فليتصبّر بالمصيبة الكبرى في وفاة نبيّنا ﷺ.

وقد مات ابن عثيمين كما مات من قبله، ونرجو له من الأجر والمثوبة وسُكْنى الفردوس الأعلى ما نرجوه لأمثاله من العلماء الصادقين المجاهدين في الله حقّ جهاده.

سائلين المولى جلت قدرته أن يجعل هذا المرض تكفيراً للخطايا، ورفعة للدرجات، وأن يكتبه في الشهداء، وأن يُجرى عليه أجر علمه وتعليمه ودعوته بعد موته إلى قيام الساعة، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

قال الشيخ عبد الرحمن الريّس :

«كانت حالة الشيخ مستقرة صباحاً يوم الأربعاء يوم وفاته - يعني ١٥ /١٠/ ١٤٢١هـ - حتى الساعة الواحدة ظهراً، فقد كان مستلقياً مفتحاً عينيه، وقد بدا

عليه التعب الشديد، وبدأ العرق يخرج منه، وكأنه يشعر بشيء، ولوحظ أنه يكرر ذكر الله، وتبيّن ذلك في حركة أصبعه وشفتيه، وقد كان القلب وجميع أجهزته طبيعية، كذلك التنفّس، وكان الأوكسجين موضوعاً في فم الشيخ إلى أعلى درجته، ومع ذلك كان لدى الشيخ هبوط في الأوكسجين، حتى استدعى الأطبّاء، فحضروا جميعاً إلى غرفة الشيخ، فقالوا حسب خبرتهم : إن هذا بداية خروج الرّوح، فبدأ الموجودون عنده في الغرفة ومنهم : أخوه عبد الرحمن وابنه عبد الرحمن يذكرون الله، ويقرؤون عليه سورة ﴿يس﴾.

وبعدها شاهدوا رعشة خفيفة جداً لدى الشيخ، فخرجت الرّوح وتوقفّت جميع الأجهزة، وتوفّي الشيخ رحمه الله تعالى».[1]

سنه وعمره :

«توفّي الشيخ يوم الأربعاء الخامس عشر من شهر شوال لعام ١٤٢١هـ في الساعة الخامسة وخمس وخمسين دقيقة».[2] قبل غروب شمس ذلك اليوم. وعليه فيكون عمره يوم الوفاة أربعة وسبعين عاماً وثمانية عشر يوماً بالسنين القمرية.[3]

التغسيل والتكفين :

قال الشيخ عبد الرحمن الريّس :

«الذين قاموا بتغسيل الشيخ وتكفينه شاهدوا نوراً وبشاشة في الوجه، وسهولة في التغسيل، حتّى إن المغسّلين تفاجؤوا من نظافة الشيخ عندما أتوا به، وكانوا

---

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٣.

(٣) الوطن، العدد ١٠٥.

يعتقدون أنه قد غُسل قبل مجيئه، وبسبب ارتخاء في الفكّين كان فم الشيخ مفتوحاً ظاهرة أسنانه، وكأنه مبتسم، فحاول ابنه عبد الرحمن قفل فم الشيخ لمدة نصف ساعة، ومع ذلك لم يستطيعوا، وبعد وفاة الشيخ كان قد وُضع في ثلاجة المستشفى العسكري بجدة، ولم يوجد غيره فيها، وغُسل في نفس المستشفى».[1]

نقله من جدة إلى مكة، والصلاة عليه، وتشييعه :

نُقل الشيخ من جدة من المستشفى التخصصي وسط جموع المشيعين الغفيرة من طلابه ومحبِّيه، في سيارة الإسعاف المجهزة لذلك، ووصل إلى المسجد الحرام عند الساعة الثالثة والنصف قبل صلاة عصر يوم الخميس الموافق السادس عشر من شهر شوال ١٤٢١هـ.

وقد امتلأ المسجد الحرام بالمصلين، وأُغلقت العديد من المداخل إلى المسجد الحرام نظراً لزحام السيارات الشديد، وقُدّم الشيخ للصلاة عليه أمام الكعبة المشرفة في المكان الذي صلى هو فيه على شيخه ابن باز، في يوم الجمعة ٢٨ محرم ١٤٢١هـ، أي كان بين موته وموت شيخه سنة وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوماً تقريباً، وهو حقيقٌ أن يقال فيه مثل ما قيل في شيخه :

هَــذا إمــامُ الجيــلِ في نعْشِه   قُوموا انْظروا كَيْف تَزولُ الجبالُ[2]

ها هو الشيخ العالم العامل المجاهد مسجّى في مشلحه أمام بيت الله الحرام للصلاة عليه، إنها أمنية الشيخ قد تحقّقت، وأكرمه الله تعالى بها، وهو سبحانه وتعالى أجود الأجودين وأكرم الأكرمين.

---

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) إمام العصر ص ٢٤٩.

تقدّم المصلين صاحب السموّ الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز.

وصاحب السموّ الملكي الأمير فيصل بن بندر بن عبد العزيز، أمير منطقة القصيم.

وصاحب السموّ الملكي الأمير مشعل بن ماجد بن عبد العزيز، محافظ محافظة جدة.

وعدد كبير من أصحاب الفضيلة العلماء، وأعضاء هيئة كبار العلماء والمشايخ وطلبة العلم، وكان إمام الصلاة فضيلة الشيخ محمد السبيّل.

وقد يسّر الله لي الوصول إلى المسجد الحرام، وأدركت آخر صلاة العصر، وانتظرت مع الجموع الحاشدة - والتي تقدّر بنصف مليون - حتى كبّر الإمام لصلاة الجنازة أربع تكبيرات، قطعت نياط القلوب وسط دموع الناس وبكائهم على فقيه الأمة وحبر العصر. في هذا المكان المبارك المعمور بطاعة الله، والذي طالما عمّره الشيخ بالدعوة إلى الله تعالى

وتعليم العلم، والصلاة فيه، والاعتمار، والنصح، وإرشاد الخلق.

ووالله إنها لساعات رهيبة مرت على قلوب محبيه وهم يتذكرون شيخهم الذي كان صوته يملأ أرجاء الحرم، وفتاواه تَطير هنا وهناك.

ها هو جاءه الأجل المحتوم الذي كُتب على كل نفس كما قال تعالى: **﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ القِيَامةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا إلاَّ مَتَاعُ الغُرُورِ﴾**.

عقب الصلاة تدافع الناس لحمل الجنازة وتشييعها، وتزاحموا وتدافعوا أيهم يحملها، حتى كادت تسقط من أيديهم ومن على أكتافهم، لكن قوات الشرطة كانت أكثر تنظيماً وحزماً في معالجة هذا الأمر الخطير، وقد استفادت يقيناً مما حصل في جنازة الإمام ابن باز رحمه الله تعالى.

فكانت الشرطة تحيط بالجنازة، وتحاول دفع هذا التزاحم الشديد، الذي كاد يهلك طائفة من المشيّعين حتى خرجتْ من باب الملك عبد العزيز، ووُضعت في سيارة الإسعاف متجهة إلى مقابر العدل، وحولها الناس من كلّ جهة.

وتدافع الناس للذهاب إلى المقابر، فمن سائرٍ على قدميه، ومن راكب، ومن هائم على وجهه لا يدري ماذا يصنع.

حتى امتلأت شعاب مكة ووهادها بالبشر وسياراتهم، ورأى أهل مكّة منظراً لم يرونه من قبل في الأيام العادية إلا في جنازة الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى.

ودخلت الجنازة إلى المقبرة وسط هذا الزحام، ولم يستطع الكثير الوصول إلى القبر أول الأمر، فوقفوا على المرتفعات والهضاب والأسوار المحيطة بالمقبرة يدعون لشيخهم ويودّعونه.

ونزل الجثمان من على الأكتف، والأيدي؛ التي كثيراً ما دعت للشيخ وصافحته.

أنزلوه ليوضع في قبره ولحده قريباً من شيخه الإمام ابن باز، فليس بينه وبينه إلاّ خطوات معدودة.

لحده :

قال خالد بن علي الزمام (أحد طلبة الشيخ) :

«لما سافرنا للصلاة عليه، مَنّ الله عليّ بدخول المقبرة والنّزول إلى قبره، وتنـــزيله في لحده، والدعاء له.

وكان الذي لحده ولده عبد الرحمن لرغبته بذلك، وحين التلحيد كان واقفاً على القبر صاحب السموّ الملكي الأمير فيصل بن بندر، أمير منطقة القصيم.

والشيخ محمد بن سبيّل، والشيخ صالح بن حميد، والأخ متعب الطيار، وزوج ابنته الأخ خالد المصلح؛ حيث قدم مع الجنازة ومعه أولاده سوى عبد الله الذي كان خارج المقبرة أثناء الدّفن، والأخ خالد الفضل الذي بصحبتنا في الرحلة».[1]

مَا كُنتُ أَحسبُ قَبْل دفنكَ في الثّرى أَنَّ الكواكِبَ في السَّماءِ تَمُورُ[2]

التعزية :

قال الشيخ محمد بن صالح المنجّد :

«والشيخ رحمه الله كان في حياته لا يرى بالجلوس للعزاء، وكان يُنفّذ ما يراه صواباً، فلما مات أبوه ولّما ماتت أمّه لم يفتح بيته للعزاء، تلقى العزاء في المسجد، في الطريق، وهكذا فعل أولاده من بعده - رحمه الله تعالى رحمة واسعة -».[3]

وقد أوضح الدكتور **عبد الله العثيمين** شيئاً مما أُثير في مسألة التعزية فقال:

«أما بالنسبة للعزاء فقد تردّد في المجالس، وفي بعض الكتابات أنه قد أوصى بعدم الجلوس للتعزية به.

والوصية عرفاً لها مفهومها، مكتوبة أو منطوقة.

والواقع أن الشيخ رحمه الله تعالى لم يوص كتابة أو شفهياً بعدم الجلوس للتعزية به، لكنه كان لا يرى من حيث المبدأ الجلوس للتعزية، وطُبق رأيه هذا بعدم جلوسه للعزاء في المنــزل عند وفاة والده ثمّ وفاة أمه، رحمهما الله، ولأن عدم الجلوس للتعزية هو موقفه، رأياً وتطبيقاً؛ فإن أولاده وبقيّة أفراد أسرته لم يجلسوا

---

(١) الرياض، العدد ١١٨٨٩.

(٢) مجلة التوحيد، العدد ١١، السنة ٢٩.

(٣) شريط : ١٠٠ فائدة من العلامة ابن عثيمين.

للعزاء؛ مكتفين بما حدث من تعزية لهم في المقبرة التي دُفِن فيها، وفي مسجد الجامع بعنيزة وغيره من المساجد، وبما تلقّوه من تعزيات عبر الهاتف، أو من خلال البرقيات والكتابات».[١]

الرؤى والبشارات.

قال الشيخ شادي السيد أحمد عبد الله تحت عنوان (بشارات للشيخ) :

«لقد رأى عدد من الناس وطلاب العلم رؤى كثيرة للشيخ رحمه الله تعالى سواء قبل موته أو بعده، وسأكتفي هاهنا بذكر بعضها :

١- جاءت امرأة إلى الشيخ تسأله عن رؤيا رأتها لرجلٍ تعرفه، فأولها الشيخ بأن هذا الرجل الذي رأت له الرؤيا مغفورٌ له ومقبول حجّه، فقالت المرأة: رأيتك أنت! فبكى الشيخ لذلك تواضعاً وفرحاً.[٢]

٢- حدّثني أحد مشايخي أنه رأى رحمه الله تعالى - فجر يوم الخميس - بعد موته وقبل أن يدفن، وهو مسجّى ليصلّى عليه، فذهبت - والكلام لشيخي - وقبلت يده وجبينه، فإذا عليه هالة من نور، ووجهه أبيض من اللبن، ومعروف أن الشيخ أسمر اللون، فنصحني، فقمت من النوم وأنا مستبشر.

٣- أخبرني أخٌ لي عن زميله - وأحسبه من الصالحين - أنه رأى النبي ﷺ قد مات، فأولها بعض طلبة العلم أن سنة من السنن ستندثر، أو أن عالماً من أهل السنة سيقبض، وبعد هذه الرؤيا بيومين فقط مات الشيخ ابن عثيمين».[٣]

---

(١) الرياض، العدد ١١٨٩٦.

(٢) انظر التعليق الآتي على هذه الرؤيا.

(٣) مجلة التوحيد المصرية، العدد (١١) السنة ٢٩.

٤- وقال الشيخ ناصر بن محمد بن عثمان العمري (رئيس المحكمة المستعجلة بتبوك، المساعد) :

«في إحدى ليالي رمضان لهذا العام رأيت وأنا نائم أنني في أرض فلاة واسعة ومعشبة، ومعي شخص آخر في ليلة مقمرة، وبينما نحن نتحدّث وننظر إلى القمر وهو في صورة البدر التمام إذا به يبسم عن ثغر، وأخذ يتدرّج في الاختفاء قليلاً قليلاً، وهو يبتسم، حتى اختفى تماماً.

فأخذ كل منا ينظر إلى الآخر في ذهولٍ وتعجّب، وقد حفّ بنا الظلام من كل جانب، ولم نعد نر في السماء إلا النّجوم.

ثم قابلت بعد ذلك شخص آخر أعرفه أيضاً، وقلت له : ألم تر إلى القمر كيف اختفى عنّا بطريقة عجيبة، فما ردّ علي سوى أن قال : إنه قدر الله.

وبعدما أفقت من نومي أحسست أن شيئاً ما سيحدث، وأصبحت قلقاً وكنت كلّما تذكرت تلك الرؤيا طمعت في أن أجد لها تفسيراً، لكنني كنت أتردّد في عرضها لتخوّفي من نتيجة تفسيرها، رغم إحساسي العميق أن شخصاً عظيماً سنفقده، ويودّعنا ونودّعه.

ثم صليت بعدها صلاة التراويح مع أحد أئمة المساجد، فكان يدعو في القنوت بالشفاء العاجل للشيخ محمد رحمه الله، فأحسست عند ذلك برهبة عظيمة، ودبّت في جسدي القشعريرة، وسالت مني دموع غزيرة، وتذكرت عند ذلك تلك الرؤيا العجيبة، فصرفْت تفكيري عنها محاولاً إقناع نفسي بأنها مجرد أضغاث أحلام، ثم خسف القمر في اليوم الرابع عشر من شهر شوال هذا العام، فقلت : لعلّ هذا تأويل رؤياي، لكن القمر الذي رأيته هو بدر التمام، فساورني عند ذلك الشكّ في هذا

التأويل، وما إن غربت شمس اليوم الخامس عشر من شهر شوّال إلاّ وقد جاء الخبر الذي لم يكن بالحسبان، فنـــزل عليّ مثل الصاعقة المدويّة، وقلت في نفسي : هذا تأويل رؤياي..».(١)

تعليق على رؤيا المرأة.

كما سبق في أول الرؤى أن امرأة رأت رجلاً بعدما حجّ وهو عريان، وأن الشيخ محمد أوّلها بأن هذا دليل على أن الرجل غُفر له ذنبه، فقالت له: هو أنت يا شيخ.. إلخ.

هذه الرؤيا قد اشتهرت وانتشرت، وذاع صيتها نظراً لأنها كانت في برنامج (سؤال على الهاتف) الذي يسمعه الناس في بيوتهم وأماكنهم عبر المذياع، ومع ذلك فقد نقل غير واحد عن الشيخ تكذيبها.

من ذلك ما رواه الشيخ **فهد بن عبد الله السنيد** قال :

«فسألته رحمه الله عن ذلك فأنكرها، وقال : ما أذكر هذا، ولا أذكر أني بكيت، وهذه المرأة مجهولة لا يؤخذ بقولها».(٢)

وقد جاء عن الشيخ أحمد بن عبد الله القرعاوي (أحد تلاميذ الشيخ) نحو من هذا الكلام، فقال :

«وقد كثر السؤال عن هذه الرؤيا من الناس من خلال الاتصالات أو المقابلات، فعرضت هذا الموضوع (الرؤيا) على فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله قبل وفاته، فأنكر صحّة هذه الرؤيا، مؤكّداً أنها غير صحيحة... إلخ».(٣)

(١) الرياض العدد ١١٨٨٩.
(٢) الدعوة، العدد ١٧٨١.
(٣) الدعوة، العدد ١٧٧٩.

تواريخ هامّة في حياة الشيخ - رحمه الله تعالى - :

- الأحد ١٣٧٦/٦/٢٦هـ أول صلاة صلاّها إماماً في الجامع الكبير بعنيزة صلاة الظهر.
- رمضان ١٤٠٣هـ، أو ١٤٠٥هـ صلّى إماماً بالناس في المسجد الحرام في القيام بعض الليالي، وقيل ١٤٠٢هـ فالله أعلم.
- عام ١٤٠٧هـ صدر قرار تعيينه عضواً في هيئة كبار العلماء بالمملكة.
- عام ١٤١٤هـ حصل على جائزة الملك فيصل الخيرية لخدمة الإسلام.

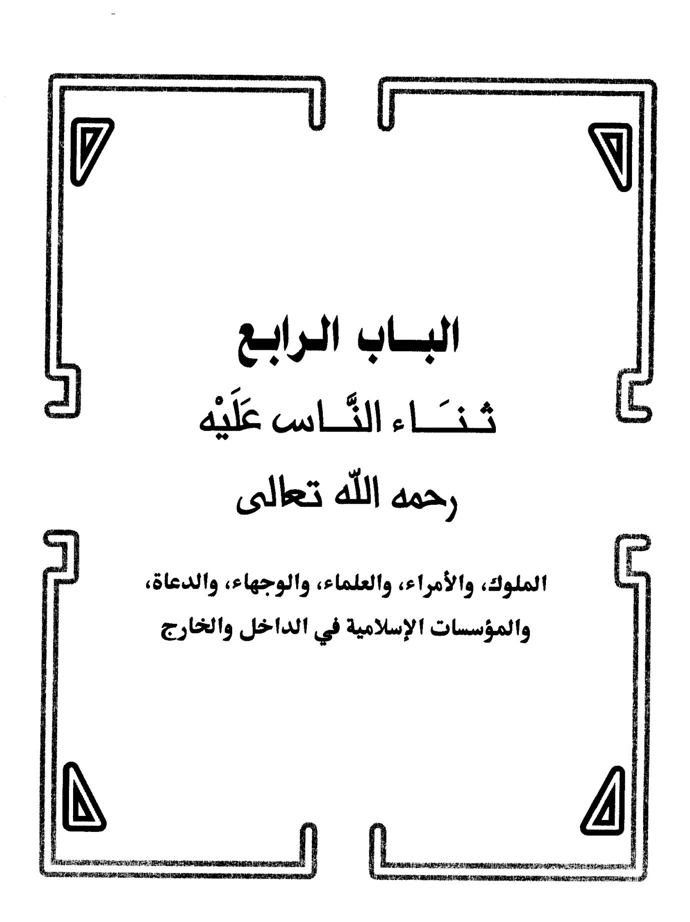
أواخر :

- ١٤٢١/٢/١٤هـ آخر لقاء تمّ في منـــزله.
- ١٤٢١/٣/١٥هـ آخر دورة صيفية درسها الشيخ بعد المغرب.
- ١٤٢١/٤/١٠هـ آخر الدروس الصباحيّة والمسائية.
- ١٤٢١/٤/٢٠هـ يوم الســبت : آخر اللقاءات الشهرية في الجامع الكبير.
- ١٤٢١/٥/٢هـ يوم الأربعاء : المحاضرة التي ألقاها الشيخ في بوستن بأمريكا، بعنوان (وحدة المسلمين).
- ١٤٢١/٥/٤هـ خطبة الجمعة التي ألقاها الشيخ في المركز الإسلامي بأمريكا، ونقلت إلى جامع الأشرفية بعنيزة.
- ١٤٢١/٧/٣٠هـ آخر خطبة جمعة بعنيزة.

- ٢/٨/ ١٤٢١هـ يوم الأحد، آخر درس بعد صلاة العصر، وكان شرحاً لكتاب الجنائز من مشكاة المصابيح.
- ١٤٢١/٨/٣هـ آخر صلاة صلاّها في عنيزة هي صلاة الاستسقاء.
- ١٤٢١/٩/٢٩هـ آخر درس ألقاه في المسجد الحرام بعد صلاة التراويح، وهو على فراش المرض، وهو آخر دروسه رحمه الله تعالى.[1]

---

(١) انظر فيما سبق : شريط ابن عثيمين علم وعمل، لتسجيلات الاستقامة، ومجلة الدعوة، العدد ١٧٧٧، والاقتصادية، العدد ٢٦٥٠.



الباب الرابع

ثناء الناس عليه

رحمه الله تعالى

الملوك، والأمراء، والعلماء، والوجهاء، والدعاة، والمؤسسات الإسلامية في الداخل والخارج

بعث خادم الحرمين الشريفين الملك **فهد بن عبد العزيز** - حفظه الله تعالى - برقية إلى شقيق الشيخ، جاء فيها :

«فلقد كدّرنا أشد الكدر نبأ وفاة شقيقكم فضيلة الشيخ محمد، وإننا إذ نبعث إليكم وإلى جميع أسرتكم بأحر تعازينا ومواساتنا لنبتهل إلى المولى جل وعلا أن يتغمّده بواسع رحمته ومغفرته، ويسكنه فسيح جناته، وأن يلهمكم الصبر، ويجزل لكم الأجر، ويعوّضكم والمسلمين بفقده خيراً، والحمد لله على قضائه وقدره (إنا لله وإنّا إليه راجعون)». [(١)]

وبعث برقية أخرى إلى أبناء الشيخ جاء فيها :

المكرّم عبد الله بن محمد بن صالح بن عثيمين وإخوانه :

«السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد :

فلقد كدرنا أشد الكدر نبأ وفاة والدكم، وإننا إذ نبعث إليكم وإلى جميع أسرتكم بأحرّ تعازينا ومواساتنا، لنسأل الله جلّت قدرته أن يتغمده بواسع رحمته ومغفرته، ويسكنه فسيح جناته، ويلهمكم الصبر، ويهبكم جزيل الأجر، ويعوّضكم والمسلمين بفقده خيراً، والحمدلله على قضائه وقدره، و(إنّا لله وإنا إليه راجعون)». [(٢)]

فهد بن عبد العزيز آل سعود

وبعث صاحب السموّ الملكي الأمير **عبد الله بن عبد العزيز**، ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء، ورئيس الحرس الوطني، برقيّة عزاء إلى عبد الله بن محمد بن صالح بن عثيمين وإخوانه في وفاة والدهم فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين هذا نصّها :

---

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٣.

(٢) جريدة المدينة، العدد ١٣٧٧٨.

«السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. فلقد علمنا بنبأ وفاة والدكم، وكدرنا ذلك، وإننا لنبعث لكم ولكافة أفراد أسرتكم أحرّ تعازينا وصادق مواساتنا، ونسأل الله جلت قدرته أن يتغمّده بواسع رحمته ورضوانه، ويسكنه فسيح جناته، ويهبكم الصبر، ويجزل لكم الأجر، ويعوّضكم والمسلمين بفقده خيراً، والحمدلله على قضائه وقدره (إنّا لله وإنا إليه راجعون)».[1]

عبد الله بن عبد العزيز آل سعود

وبعث صاحب السموّ الملكي الأمير **سلطان بن عبد العزيز**، النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء، ووزير الدفاع والطيران، والمفتّش العام، برقيّة عزاء إلى عبد الله بن محمد بن صالح العثيمين وإخوانه في وفاة والدهم فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين هذا نصّها :

المكرّم عبد الله بن محمد بن صالح العثيمين وإخوانه :

«السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.. وبعد :

فقد بلغنا نبأ وفاة والدكم، وكدّرنا ذلك، وإننا إذ نبعث لكم ولأفراد أسرتكم جميعاً بتعازينا ومواساتنا، لنسأل الله سبحانه وتعالى أن يتغمّد الفقيد بواسع رحمته ومغفرته، ويسكنه فسيح جنّاته، وأن يجزل لكم الأجر، ويهبكم الصبر، ويعوضكم والمسلمين بفقده خيراً، إنه سميع مجيب، والحمد لله على قضائه وقدره (إنّا لله وإنّا إليه راجعون)».[2]

سلطان بن عبد العزيز آل سعود

وقال صاحب السموّ الملكي الأمير **ممدوح بن عبد العزيز** :

«إنّ وفاة الشيخ الفاضل، والعلامة البارز فضيلة الشيخ محمد بن صالح ابن عثيمين تعتبر خسارة كبيرة للعلم وطلاّبه في هذه البلاد وجميع بلاد المسلمين التي وصلت إليها

---

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٣.

(٢) المصدر السابق.

كتب الشيخ ومؤلفاته الكبيرة، وفتاواه الكثيرة.. ولا أدل على مكانة الشيخ وفضله أكثر من هذه الجموع العظيمة التي حضرت لأداء صلاة الجنازة عليه طمعاً في الثواب، والحرص على الدعاء له مقابل ما قدمه من أعمال جليلة». [١]

ممدوح بن عبد العزيز آل سعود

وقال صاحب السموّ الملكي الأمير **فيصل بن بندر بن عبد العــزيز** (أمير منطقة القصيم) :

«إن فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين يعتبر فقيداً للعلم في العالَم الإسلامي، نذر حياته وسخّر جهوده للبحث والتأليف والتنقيب والتحقيق في شتّى المسائل العلمية، وخاصّة المسائل الفقهية التي برع فيها بشكلٍ قل أن يكون له نظير ومثيل،ولا شكّ أن منطقة القصيم قد فقدت أحد علمائها الأفاضل.

وكان رحمه الله باراً بأهلها، وخاصة طلاب العلم.

وكان يمتلك أسلوباً فريداً ومحبباً في بيان المسائل، وشرح الدروس بشكلٍ علمي محبّب؛ مما يجعل التفاعل معه قوياً، والاستفادة منه كبيرة.

وقد كنت أحرص على الاستنارة برأيه دائماً، وأحرص على زيارته وسماع توجيهاته الطيبة التي دائماً ما تكون في جوّ من لطف أخلاقه وحرصه على معاملة الجميع، مسؤولين وطلاب علم، كأنهم أحد أبنائه غفر الله للفقيد، وعوّض بلاد الحرمين الشريفين عنه خيراً، وعلماء آخرين يحملون راية العلم والدعوة التي قامت عليها هذه الدولة المباركة و(إنّا لله وإنّا إليه راجعون)». [٢]

فيصل بن بندر بن عبد العزيز آل سعود

---

(١) عكاظ، العدد ١٢٥٥٧.

(٢) المصدر السابق.

وقال صاحب السمو الملكي الأمير **عبد العزيز بن ماجد بن عبد العزيز** (نائب أمير منطقة القصيم) :

«لقد فقدنا بوفاة الشيخ ابن عثيمين رمزاً من رموز العلم والفقه في العالم الإسلامي، سخّر جل حياته لخدمة الدين الإسلامي ونشر تعاليمه السمحة.

وأضاف سموّه : وإن عزاءنا في الفقيد ما تركه لنا من المؤلفات والرسائل الدينية، وما قدّمه من جهود مضنية في سبيل خدمة الدين.

ورفع سموّ نائب أمير منطقة القصيم التعازي إلى مقام خادم الحرمين الشريفين، وسموّ ولي عهده الأمين، وسموّ النائب الثاني، وسموّ أمير منطقة القصيم، وللشعب السعودي، ولأسرة الفقيد، داعياً المولى عز وجل أن يتغمّد الفقيد بواسع رحمته، وأن يلهم أهله وذويه الصبر والسلوان». [1]

عبد العزيز بن ماجد آل سعود

وقال سماحة مفتي عام المملكة الشيخ **عبد العزيز آل الشيخ** :

«الحمد لله والصلاة والسلام على نبيّنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، العزاء لأنفسنا وللمسلمين جميعاً في فقيدنا الشيخ المبارك، نرجو الله أن يغفر ذنبه، ويقيل عثرته، وأن يلحقه بالصالحين، وأن يرزق أولاده الصّبر والاحتساب، وأن يخلفه عليهم بخير، إن فقدان العلماء أمرٌ عظيم، ولكن عزاؤنا أن هذا قضاء الله وقدره، والمؤمنون أمام المصائب يصبرون ويحتسبون، ويرضون عن الله **﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. أُولَئِكَ عَلَيْهِم صَلَوَاتٌ مِن رَبِّهِم وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُم الْمُهْتَدُونَ﴾**، ونسأله أن يبارك في علمائنا وأن يوفّقهم، ويجمع كلمتهم،

---

(١) عكاظ، العدد ١٢٥٥٦.

ويجعلهم سائرين إن شاء الله على الطريق المستقيم، إنه على كلّ شيء قدير، ولا بدّ للمسلمين من الصبر والدعوة للفقيد بالبركة والرّضوان، ويعلمون أن هذا قضاء الله وقدره، وللعلماء فضلهم ومكانتهم، فينبغي للمسلمين احترامهم وطاعتهم في طاعة الله، والالتفاف حولهم، لأن العلماء الراسخين المخلصين هم الذين ينبغي لهم أن يُقتدى بهم، ويُتأسى بالذين ساروا على الطريق المستقيم، بعيدين عن الإفراط والتفريط، سائرين على منهج الله.

قال الله تعالى : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾».[(١)]

وذكر أيضاً : «أنّه واحد من الرجال الأخيار وعالم كبير كانت له إسهامات واجتهادات كبيرة في خدمة الدين والدنيا، وأوضح أن المسلمين يتلقون المصائب، بالالتجاء إلى الله، وحمده على قضائه وقدره قائلين (إنّا لله وإنا إليه راجعون).

وذكر أن الشيخ ابن عثيمين لا تخفى مآثره ومكانته في التأليف، والعلم، والفتاوى، والمحاضرات، والدّروس، والمقالات، والأشرطة التي تحمل في طياتها كلّ خير.

ووصف خطه بالاعتدال والبعد عن الإفراط والتفريط، وأنه كان على طريق مستقيم، وعدّد مآثره في تربية الطلاب، وشرح الكتب، وإفادة المستفيدين.

وأضاف مفتي المملكة أن الشيخ ابن عثيمين كان زميلاً لهم في هيئة كبار العلماء، فكان نعم الزميل؛ إذ كان ذا علمٍ وفضل، ومناقشة، وعدم اعتداد بالرأي، فكان عالماً فاضلاً ذا علمٍ وفضل، وتواضع، وأخلاق عالية».[(٢)]

---

(١) الوطن، العدد ١٠٥.

(٢) المستقبل الإسلامي، العدد ١١٥، والتعليق للمجلة.

وقال الشيخ محمد بن جبير :

«إن الشيخ محمد بن صالح العثيمين قام على نشر الثقافة الإسلامية، وتوضيح بعض المفاهيم، كما أنه أثرى المكتبة الإسلامية برسائله ومؤلفاته وفتاواه، فجزاه الله خيراً عن الإسلام والمسلمين، والحقيقة أن وفاته خسارة كبيرة وحدث جلل، ليس لسكان المملكة العربية السعودية فحسب؛ ولكن العالم الإسلامي الذي يعرف فضله، ودائماً على صلة كبيرة به، ويستفيد من علمه ومن فتاواه».(١)

وقال فضيلة الشيخ محمد بن عبد الله السبيّل (إمام وخطيب المسجد الحرام) :

«إن الشيخ ابن عثيمين من علماء الأمّة الكبار، وأوضح أنه - رحمه الله - قضى وقته كلّه بالتعليم والإرشاد والتوجيه والفتاوى، وهو علمٌ بارز في العالم الإسلامي.

نسأل الله أن يرفع درجاته في علّيين، وأن يخلف على المسلمين في مصابهم الجلل، ولا نقول إلاّ (إنّا لله وإنّا إليه راجعون)».(٢)

وقال فضيلة الشيخ عبد الله البسّام (عضو هيئة كبار العلماء) :

«أن وفاة الشيخ محمد بن عثيمين مصيبة كبيرة على المسلمين، لأن فضيلته بذل نفسه ونشر علمه بين المسلمين في شتى وسائل الإعلام المقروءة، والمسموعة، والمنظورة، وبذل ذلك في المساجد والجامعات والدوائر والمجتمعات، وكلها استفادت من علمه الغزير، وبحوثه العظيمة». وأضاف : «أنه اهتمّ ببذل العلم ونشر الدعوة بأيّ سبيل يرى فيه تعميم الفائدة والنّفع على جميع المسلمين، ولم يصدّه ذلك عن المؤلفات المفيدة، والبحوث النافعة».(٣)

---

(١) الوطن، العدد ١٠٥، الجمعة ١٧ شوال ١٤٢٢هـ.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المستقبل الإسلامي، العدد ١١٥.

وقال فضيلة الشيخ صالح بن غانم السدلان :

«إن وفاة العلامة الكبير تعدّ خسارة عظيمة، ومصيبة كبيرة للأمّة» وسأل الله أن يرفع درجاته، وأن يجزيه على ما بذل من جهد وجهاد وعمل في سبيل نشر العلم والتعليم والدعوة خير الجزاء، وأضاف : «أنه سلك طرقاً كثيرة في ذلك السبيل من خلال التأليف والتدريس والدعوة والكتابة والخطابة، وكان متواضعاً بسيطاً مع طلاب العلم، متيحاً السؤال للجميع والمناقشة بحرّية».[1]

وقال د. عبد الله بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ (وزير العدل السعودي) :

«إن الشيخ ابن عثيمين كان من أكثر الناس توجيهاً بالصبر على المصائب والاستعداد للآخرة».

وأوضح : «أنه عاش حياته وجعلها طريقاً للآخرة، فأخذ منها ما يسدّ حاجته، وتخفّف من محاسنها ولذاتها».

وأضاف : «أنه كان متبسطاً للناس وناصحاً لولاة الأمر محباً لهم، وقال :

«إنه كان حريصاً على تحمّل توجهات بعض الذين ينقصهم العلم الشرعي وكان يجمع بين التأصيل العلمي، والأسلوب الرصين».

ووصفه بأنه كـــان حاضر الدليل، واسع البحث، حريصاً على الاجتهاد، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وأسكنه فسيح جنّاته، وعوّض المسلمين عنه خيراً.[2]

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المستقبل الإسلامي، العدد ١١٥.

وقال فضيلة الشيخ أبي بكر الجزائري :

«إن العالم إذا مات انثلم من الإسلام ثلمة إلى يوم القيامة، وموت العالم الرباني الشيخ محمد بن عثيمين آلم الجميع، وهزّ مشاعر المسلمين في العالم».

وسأل الله أن يتغمّده بواسع رحمته وأن يسكنه فسيح جنّاته.[(١)]

وقال الشيخ العلامة عبد المحسن بن حمد العباد :

«مكانته العلمية لا تخفى على أحد، وهو ممن رُزق القبول، وأحبّه الناس، وحرصوا على سماع دروسه وسماع فتواه، فهو عالمٌ كبير، وفقيه متمكّن وقد نفع الله به، وهو محلّ التوقير والإجلال من العلماء، ومن طلبة العلم والولاة.

حزن عليه الكثير ممن لهم اهتمام بالحقّ، وحرصه على معرفة السنة، وحرصه على اتباع الكتاب والسنة، وما كان عليه سلف الأمة، وحزنوا لفراقه».

وقال : «كانت وفاته مصيبة من أعظم المصائب التي حلّت بالمسلمين».[(٢)]

وقال الشيخ عبد الله بن منيع (عضو هيئة كبار العلماء) :

«الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلّم على نبيّنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد..

فقد فجعت الأمة الإسلامية عامة، والبلاد السعودية خاصة بوفاة عالم من أبرز علماء المسلمين، وفقيه له باع واسع في التبصير والتوجيه والتّعليم والبحث والتحقيق والتحرّي وبذل المجهود من وقت وغيره في سبيل نفع المسلمين، وإشاعة المعرفة

---

(١) المصدر السابق.

(٢) محاضرة للشيخ بعنوان (الشيخ ابن عثيمين وشيء من سيرته ودعوته).

بينهم، فضلاً عما كان يتميّز به رحمه الله من الحرص على تعليم أكبر عدد ممكن من أبناء المسلمين، ما فيه سلامةٌ لعقيدتهم، والحرص على توجيههم الوجهة السليمة نحو التحصيل العلمي ونحو التمسّك بالمقتضيات الشرعية، والحرص على سلامة العقيدة.

فرحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جنّاته، ولا شكّ أن فضيلته رحمه الله كان يتميّز بالقدرة على الاجتهاد، والنظر، وبذل الجهد في سبيل التوسعة على المسلمين، وتيسير أمورهم بغير إثم ولا تأثيم، ولا خروج عن نصوص شرعية، فإنّا لله وإنا إليه راجعون...».[1]

وقال الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد (إمام وخطيب المسجد الحرام) :

«... بحياة العلماء تحيا الأمم، وبموتهم يضيع الناس، وإن من النّاس من لايفقده إلا أهله، بل فيهم من منيته أمنية الأماني، فلا حول ولا قوة إلا بالله، والباعث للتقديم، بهذه الكلمات ما تعيشه الأمة في هذه الأيام من لوعة فقد إمام جهبذ، وعالم علمٍ، نحن على فراقه محزونون، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، ذلكم هو الإمام العالم العلامة حبر العلوم، وبحر المعارف، شيخ الفقه، وإمام السنة، الشيخ : محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله -، ورفع درجاته في علّيين، وأسكنه فسيح جناته، وأمطر عليه من شآبيب رحمته، عظم الخطب بفقده، وجل الأسى لفراقه بعظم المكانة التي بوأها الله له في القلوب...».

وقال أيضا : «وليعلم أنه لا يحظى بالتقدير والاحترام، ولا تعظم المكانة، ولا يكتب القبول، والإمامة بإذن الله إلا لمن جمع بين العلم والعمل، وحسن قصده، وابتغى الله والدّار الآخرة، ذلكم هو الذي يفقد إذا غاب، ويعظم به المصاب إذا

(١) الوطن، العدد ١٠٨.

واراه التراب، ونحسب أن الشيخ محمداً - رحمه الله - من هؤلاء العلماء العاملين، ولا نزكّي على الله أحد».

وقال : «لقد كان رحمه الله لسان صدق، صادعاً بالحق ملتزماً به، مقيماً عليه مع رعاية الحكمة، في حديثه ألفة، وفي ابتسامته مودّة، وفي كلامه بيان، وجه طليقٌ، ومجلس لا يملّ، كان محلّ الثقة والقبول، إذا فزعوا إليه فقد فزعوا إلى ركن شديد.

خلّف رحمه الله ثروة علميّة هائلة، ينتفع بها بعده - إن شاء الله - ليمتدّ له أجرها وثوابها».[1]

قال الشيخ عبد الرحمن بن عبد العزيز السديس (إمام وخطيب المسجد الحرام):

«يُعدّ الشيخ رحمه الله من بقيّة السلف الصالح، وإماماً من أئمة أهل السنة والجماعة، نحسبه كذلك ولا نزكّي على الله أحداً، فهو ممن قلّ نظيره، وممن جلّ أن ترى العيون مثله بلا مبالغة، لما حباه الله عز وجل، فهو موسوعة علمية أخلاقية، ودعوية، ومنهجية، يقلّ نظيرها، فهو أئمة في إمام، وأمة وحده، ونسيج بمفرده، وطراز مستقلّ طالما نفع الله به، وذاع صيته، وعلا قدره، واستفاد منه القاصي والداني.

متميّز المنهج، فذّ العبقرية، معتدل الرؤى، متماسك الشخصية، متوازن النظرة.

وعلى الرغم من حصول زوابع، وهبوب عواصف، وهيجان أمواج؛ إلاّ أنه ظلّ بتوفيق الله ثابت في صدق المسلك، ونفاذ البصيرة، والنّصح لله ولرسوله ولكتابه ولأئمّة المسلمين وعامتهم.

لقد تعرضت الأمة لكثير من جوانب الخلل العقدي والفكري والمنهجي والأخلاقي، فكان الشيخ رحمه الله نعم الموجّه في تماسط بنية المجتمع التحتية،

---

(١) الوطن، العدد ١٠٥.

وقاعدته الصلبة، والحفاظ على أمن الأمة بصوره المتعدّدة وجوانبه المختلفة، حتى لقد كان مدرسة يصدر الدعاة وطلاب العلم عن رأيه في النوازل، وتوجيهه في المستجدّات، ونصحه في المتغيّرات، تمسكاً بالتأصيل الصحيح، والمنهجية المنضبطة بالدليل والقاعدة الشرعية والمقصد الإسلامي النّبيل.

لقد كان نبأ فقده هزّة عنيفة، وخسارة فادحة، شديدة الوقع، عظيمة الأثر في نفوس محبِّيه محلياً وعالمياً». [1]

وقال الدكتور علي بن عبد الرحمن الحذيفي (إمام وخطيب المسجد النبوي) :

«إن الأمة الإسلامية فقدت فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين العالم الفقيه الرباني الذي يتحلّى بالصبر والتقوى والحلم، والذي تصدى لإفادة المسلمين، فعظم مصابها بوفاته، فأحسن الله عزاء ولاة الأمر فيه، وأحسن الله عزاء أسرته، وعزاءنا والمسلمين، وإن وفاة العالم ثلمة كبيرة في الإسلام، و إنّا لله وإنا إليه راجعون». [2]

وقال الشيخ عبد الباري الثبيتي (إمام وخطيب المسجد النبوي) :

«من المعلوم أن سماحة الشيخ محمد بن عثيمين من علماء الأمة الإسلامية وقد أفنى حياته في نشر العلم، ولا يخفى على القاصي والداني أنه من العلماء العاملين، وقد فاض خيره وعلمه حتى بلغ أرجاء المعمورة.

وكان يتسم بسمات العلماء، وقد كان صبوراً حليماً، وصاحب عبادة، لا يفتر عن ذكر ربّه في كل حال.

---

(١) الرياض، العدد ١١٨٩٢.

(٢) عكاظ، العدد ١٢٥٥٦.

وقد كان متواضعاً يتحدّث مع الصغير والكبير، ويفتح صدره للحوار والنقاش، ولا يكل ولا يملّ، فقد كان العلم هو زاده وطعامه وشرابه، بل يجد اللذة والمُتعة والأُنس في حِلق العلم، وعظات وإرشاد من خلال المحاضرات والندوات والدّروس، نسأل الله تعالى أن يتغمّده برحمته، ويعظم أجر الجميع».(١)

وقال الشيخ عبد الله بن حسن بن قعود :

«إن الشيخ محمد معروف منذ نشأته بانصرافه بالكلّية للعلم الشرع، قال : وحدثني بنفسه أنه كان في بداية أمره يلقي الدروس، وأنه ألقى ذات يومٍ درساً لم يحضر له فيه سوى طالب واحد».(٢)

وقال فضيلة الشيخ محمد صفوت نور الدين (رئيس جماعة أنصار السنة المحمّدية بمصر):

«ونحن إذ نودّع في هذه الأيام علامة العصر الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله، إنما نذكر من تاريخه الحفاوة بالعلم صغيراً وكبيراً، ونذكر جمعه بين طريق العلم على يد الشيوخ المربّين، وبين العلم في معاهد العلم الحديثة، ونذكر جمعه بين ذكر الدليل على القول الذي يرتضيه، وبين بيان التعليل لهذا الحكم ما أمكن ذلك.

ونذكر أن الشيخ جمع بين العمق في علمه والبساطة في حياته، وبين حفاوته بضيفه وزائره، ومحافظته على دقائق وقته، فلا يفوته شيء من الوقت الذي يضيع هباءً عند غيره، ويجمع بين الرّضا والقناعة ببقائه في بلده، وبين أهله، وبين اتصاله بالمسلمين في كلّ أرجاء الأرض، وبين السهولة في حياته، وبين استخدامه لأحدث الوسائل في نشر علمه.

---

(١) المستقبل الإسلامي، العدد ١١٥.

(٢) الرياض، العدد ١١٨٩١.

حتى مات وموقعه على شبكة الإنترنت تحت الإعداد».[١]

وقال الشيخ أبو إسحاق الحويني :

«مات شيخنا والحاجة إلى مثله ماسة، فقد كان والله إماماً فقيه النّفس، رجل عامة، وضع الله عز وجل له محبّةً في القلوب، ولست أنسى آخر عهدي به عندما التقينا في المسجد الحرام منذ أربع سنوات.

لقد كان وجهه ينطق بالبشر، وما رأيته مرة إلاّ وتبادر إلى ذهني قول النبي ﷺ: «**نضَّر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها**..»؛ لما كنت أراه في وجهه من النّضرة.

وقد اقتضت حكمة الله تعالى أنه جعل كل شيء يولد صغيراً ثم يكبر؛ إلا المصيبة، فإنها تولد كبيرة كبراً قد يهدّ الجبال الراسيات، ثم تصغر صغراً حتّى تضمحلّ، ولولا ذلك لمات الناس من الكمد موتاً ذريعاً، فإن نجزع فبسبب جلال المصيبة؛ لا سيّما والمصيبة عظمى».[٢]

وقال الشيخ محمود غريب الشربيني (مدير تحرير مجلة التوحيد المصرية):

«آخر هذه المصائب هي فاجعة هذه الأيام بموت العلامة الفقيه الأصولي الذي أجاد تدريس علوم الشرع بكاملها.

فكان بارعاً بحقٍّ في تدريسه للفقه وأصوله، وبارعاً بحقٍّ في تدريسه لعقيدة أهل السنة والجماعة، وبارعاً بحقٍّ في تدريسه للحديث وعلومه، وبارعاً بحقٍّ في تدريسه للُغة العربية وخباياها، وبارعاً بحقٍّ في تدريسه للتفسير، وقبل ذلك كان مربياً متميزاً.

---

(١) مجلة التوحيد، العدد ١١، السنة : ٢٩.

(٢) مجلة التوحيد، العدد ١١، السنة : ٢٩.

ألا وهو فضيلة الشيخ الجليل : محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله رحمةً واسعة، وحشرنا وإياه مع هؤلاء العلماء في جنته مع النبيّين والصديقين والشهداء، آمين يا ربّ العالمين». (١)

وقال فضيلة الشيخ عبد العزيز المسند :

«الحقيقة أن فقد الشيخ ابن عثيمين فادحة كبيرة على المسلمين، لما له من مكانة علميّة كبيرة، ولما كان له من أثرٍ كبير في إيصاله للناس، لأنه يوجد علماء كثر، لكن الفرق بين من يستطيع أن يوصله للناس بأسلوبه الفذّ الأخّاذ؛ ففضيلته رحمه الله كان يمتاز بأسلوب كيّس، حتى إنه كان يتكلّم العربية الفصحى بطريقة سهلة ميسّرة يفهمها العامة.

وكان موهوباً وحريصاً على إيصال العلم للناس، فلا يخرج حتّى يلقي بدرس في المسجد أو في الحرم، أو في الجامعة». (٢)

وقال الشيخ وحيد عبد السلام بالي : عنه :

«فقيه الأمة، وإمام الأئمة، العالم الرباني العلامة : محمد بن صالح بن عثيمين، فاهتزّت لموته المشاعر، وصاحت برثائه المنابر... لقد برع الشيخ رحمه الله في علوم الدين، فما من علمٍ إلاّ وشرح فيه ودرّس، فقد كتب في العقيدة والأصول والفقه والحديث والتفسير والرقائق، وغيرها..

لقد كرّس حياته للتدريس والإفادة رحمه الله، وقد كان بشوش الوجه، جميل المحيا، يتواضع للخاصة والعامة رحمه الله وغفر له». (٣)

---

(١) مجلة التوحيد، العدد ١١، لسنة : ٢٩.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٣) مجلة التوحيد، العدد ١١، لسنة : ٢٩.

وقال الشيخ مصطفى العدوي :

«لقد تصدعت قلعة من قلاع العلم العتيدة بمدينة عنيزة بالقصيم، بذهاب عالمها وفقيهها، ومفسرها، ورجل الأصول فيها، وهو الشيخ الفاضل محمد بن صالح بن عثيمين، ولله الأمر من قبل و من بعد.

لقد أزف رحيل مئات الأسر، وطلاب العلم عن بلاد القصيم بفراق هذا الشيخ الجليل رحمه الله، لقد ذكرتني وفاة الشيخ رحمه الله بمقالة ابن عباس في زيد بن ثابت ﷺ لما مات زيد، - وزيد بن ثابت هو الذي تتبع القرآن فجمعه، وكان أيضاً من أعلم الصحابة بالفرائض - فإذا بابن عباس يقول بعد دفنه ﷺ: هكذا ذهاب العلم، لقد دُفن اليوم علمٌ كثير. وحقاً فلقد دفن مع الشيخ رحمه الله علمٌ كثير، نسأل الله أن يعوّض المسلمين خيراً».[1]

وقال الشيخ محمد حسين يعقوب :

«اليوم مات الإمام محمد بن صالح بن عثيمين العلامة، الرجل الأمة، فقيه عصره، المجتهد الجهْبذُ، الداعية الربّاني، المربّي القدوة. مات الشيخ ابن عثيمين، وكان نسيجاً وحده، خلّف وراءه تركة مباركة من الكتب، والمحاضرات العلمية في كافة فروع العلم، من : فقه ومصطلح، ولغة وعقيدة، وحديث وتفسير، فكان بحقٍّ من نوادر هذا الزمان، فلا تجد من على شاكلته الآن».[2]

قال الشيخ مجدي عرفات : «وكبا جواد من تلك الجياد التي كانت تعادى في مضمار الدعوة والتعليم، ونشر السنة وقمع البدعة، ذلك هو شيخنا محمد بن صالح

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

بن عثيمين، ذلك العالم الفذّ، الفقيه، النّبيل، اللغوي، المدقّق، الأصولي، المحقّق، الذي رأيته فرأيت فيه علم العلماء الكبار، وزهد الزّهاد الأوائل، وتواضع العباد، جلست بين يديه في حلقات العلم بالطائف ومكة المكرمة، وبلدته عنيزة التي استنارت من علومه، فرأيت فيه المعلّم المخلص في تعليمه، الحريص على إبلاغ ما يقول لكلّ جالس، فتجده يسأل هذا، وينبّه ذاك، ويجيب السائل على مسألته وزيادة، يجيبه بجواب الفقيه، وما أحلى مسائله، تأملّ في دقّة تعبيراته، وكثرة تفريعاته، وفوائده التي يستنبطها من كلّ ما يقرأ، وما أخلص نصيحته لطلبة العلم خاصة، وللمسلمين عامة في لزوم السّنة والجماعة، وترك البدعة والفرقة».[1]

وقال الشيخ عبد الله بن عبد العزيز بن إدريس :

«وكان من أسطع تلك النجوم في العصر الحاضر العلماء الأفذاذ الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ – مفتي الديار السعودية سابقاً – ثم الشيخ عبد العزيز بن باز، ثم الشيخ محمد بن عثيمين رحمهم الله جميعاً، وغيرهم من أكابر العلماء المحقّقين، أما أحدث فقيد من جلة العلماء الجهابذة الذين فقدتهم الأمة الإسلامية باتساع رقعتها هو العلامة الفقيه والداعية الشهير والعفيف الزاهد المجاهد في الله حقّ جهاده الشيخ محمد بن صالح ابن عثيمين أحد كبار العلماء ومشاهيرهم في هذا العصر والذي لم يكن الحزن بفقده من أقلّ الحزن بفقد شيخيه محمد بن إبراهيم آل الشيخ، وعبد العزيز بن باز من في مستواهم علماً وتقىً..[2]

وقد عرفت فيه كثيراً من خصال الخير والتّقى والزهد والورع إلى جانب الغزارة العلمية، والدقة الفقهية، والحرص الشديد على إيصال العلم النافع

---

(١) المصدر السابق.

(٢) مجلة التوحيد، العدد ١١، لسنة : ٢٩.

والقدوة بالعمل الصالح إلى إخوانه المسلمين في وطنه قبل أن يتّسع مجال عطائه في العالم الإسلامي». [(١)]

وقال د. حسن بن فهد الهويمل :

«.. البلاد تعيش حالة من الحزن والألم على فقد علم من أعلام البلاد، وركن من أركان الدين، وهل أحد يجهل العالم الفذّ، والفقيه المجتهد، والعابد الورع الزاهد: محمد بن صالح بن عثيمين. [(٢)]

.. لقد عرفت فضيلته عن قرب، وكلما استمعت إليه أو اقتربت منه بحكم العمل المشترك في فرع الجامعة أحسست أنني أمام شخصيّة فذة في تواضعها وغزارة علمها، وبُعد نظرها وزهدها في مباهج الحياة، واشتغالها فيما يهمّ النّاس من أمر دينهم، وكلما استمعت إليه يتحدّث في أمر من أمور الدين، أدركت كم هو الفرق بين لغة الفقهاء، وكلام المنشئين». [(٣)]

وقال عبد المحسن بن سليمان المنيع :

«الحمد لله ربّ العالمين، الحمد لله الذي لا يُحمد على مكروه سواه، الحمد لله الحيّ الدائم الذي لا يموت، الحمد لله في السراء والضراء، الحمد لله على كلّ حال، والحمد لله الذي جعل لمن أصيب فصبر خيراً، وأخلف له الأجر، والحمد لله القائل في محكم التنـــزيل : **﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الخَوْفِ وَالجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِين، الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾**، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

---

(١) مجلة التوحيد، العدد ١١، لسنة : ٢٩.

(٢) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٧.

(٣) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٧.

اللهم أجرنا في مصيبتنا وأخلفنا خيراً منها، من منّا لم يصب بفقد شيخ جليل؟؟!! شيخ أفنى عمره في خدمة الإسلام والمسلمين، شيخ يعرفه القاصي والداني، شيخ بسط مجلسه في التعليم والفتوى، شيخ ملأ قلبه الإيمان، وشعّ في جبينه نور الطاعة، شيخ : التواضع ديدنه، والحكمة منطقه، والقرآن خلقه، والوقار سمته، والعلم مجلسه، شيخ : إن قابلته ملك قلبك، وإن سمعته أسرك بحكمته، وإن استفيته اطمأننت لفتواه، فمن منّا لم يصب بفقد الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين؟؟!!.

إن فقد هذا العالم الجهبذ مصيبة عظيمة ليست على أهله وذويه فقط، بل مصيبة أصيبت بها الأمة الإسلامية جمعاء، فلا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم، رحل العلامة وترك لنا علماً كثيراً تزخر به المكتبات ودور العلم رحل العلامة وقد أصبح إشعاع النّور، ومصباح الهدى، رحل الشيخ والقلوب يعتصرها الحزن، والعيون أجهشها البكاء فجادت بالدموع، رحل من بيننا وبقي ذكره عالياً شامخاً بما بقي لنا من علمه في كتبه ودروسه وطلابه، رحل عنّا ونحن نثني عليه، بل إنّ ثناءنا لا يوفيه حقّه، بل ونعجز على أن نوفيه حقّه مهما قلنا ومهما ذكرنا.

فاللهم أنت ربّه وأنت خلقته، وأنت هديته للإسلام، وأنت قبضت روحه، وأنت أعلم بسرّه وعلانيته رفعنا أكفنا شفعاء له فاغفر له...».[1]

قال الشيخ الدكتور صالح بن سعد السحيمي (الأستاذ المساعد بكلية الدعوة بالجامعة الإسلامية والمدرّس بالمسجد النبوي) :

«إن الله تبارك وتعالى هو القابض الباسط، له ما أخذ وله ما أعطى، وقد تلقينا بالغ الحزن نبأ وفاة شيخنا الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله في يوم الأربعاء

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٣.

الخامس عشر من شهر شوال، ولا شكّ أنه حدث عظيم وخطب جسيم، بأن كل مفقود يهون مع فقد العلماء الذين ينفون عن كتاب الله تعالى تحريف الغالين، وانتحال المكذبين وتأويل الجاهلين، ونحسب أن فقيدنا يرحمه الله من أولئك الأفذاذ المجددين في إظهار الحقّ، والذابّين عن السنة المجتهدين فيما يرضي الله تبارك وتعالى، والذين نفع الله بهم الإسلام والمسلمين بما خلّفه من علوم نافعة ومؤلفات قيّمة، ودروس جامعة».(١)

قال مساعد بن عبد الله المحيا :

«يوم الأربعاء الماضي ودعت الأمة الإسلامية واحداً من أعلامها الأفذاذ، وشمساً مشرقة في كلّ نهار، وقمراً ساطعاً في سموات ضدّ الجهل في كثير من أنحاء عالمنا الإسلامي، فقد كان بحراً من بحور الفقه، وصخرة من صخور العقيدة الراسخة، ومدرسة من المدارس العلمية التي أسهمت بعمق في توجيه الجيل، والنّهوض بالنشء ليس في منطقة واحدة، وإنما في مختلف أرجاء المملكة وخارجها.

والعالم الإسلامي بمؤسساته ومراكزه يشهد كيف امتدّ علمه، واستفاد منه المسلمون على نحو مباشر وغير مباشر.

لا أستطيع هنا وفي هذه العجالة أن أوفي الشيخ، ولو بعضاً مما يستحقّه، فالمصيبة عظيمة، وفي المصيبة لا يستطيع المرء أن يقول كلّ ما يجيش بنفسه، وما هذه إلاّ كلمات سريعة أكتبها على عجل، أودع بها شيخنا الجليل، وفاءً لبعض حقه، وحباً له، ومعرفةً بقدره، وتقديراً لفضله ومكانته.

ذلك أن موت العلماء العاملين المخلصين المصلحين مصيبة، وأيّ مصيبة، فإن الأمة تفقد بفقدهم النور الذي يهدي، والمشعل الذي يضيء للناس الطريق.

---

(١) عكاظ، العدد ١٢٥٥٨.

يقول علي ﷺ : «إذا مات العالم ثلم في الإسلام ثلمة لا يسدّها إلى خلف منه»، وقال ابن عمر رضي الله عنهما : «ما قبض الله عالماً إلاّ كان ثغر في الإسلام ثغرة لا تسدّ».

وفي حديث عبد الله بن عمرو المتّفق عليه : «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً من صدور الناس، ولكنه يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالمٌ اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فسُئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلّوا وأضلّوا**».

وكم يصدق عليه قول الشاعر :

كَذَا فليجلّ الخطبُ وليفدَح الأمرُ فَلَيس لعَين لَمَ يفضْ مَاؤُها عُذْرُ

عَلَيكَ سَــلاَمُ الله وقفــاً فإنّني رَأَيت الكَرِيم الحرّ لَيْس لَهُ عمرُ

ثَوى طَاهرُ الأردانِ لمْ تَبقَ بُقعةٌ غــدَا ثَوى إلاّ اشتَهتْ أنّها قَبْرُ

إن القلب ليحزن، وإن العين لتدمع، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا على فراق شيخنا ووالدنا لمحزونون، والحمد لله على كلّ حال، و إنّا لله وإنّا إليه راجعون».[1]

وقال الشيخ زيد بن هادي مدخلي :

«الحمد لله على كل حال، وإنا لله وإنا إليه راجعــون، ففي مساء الأربعــاء ١٥/١٠/١٤٢١هـ توفّي الشيخ محمد بن صالح العثيمين الإمام الثاني، والمجدد الباني بعد سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمهما الله ورفع قدرهما.

وقد غلبني الحزن الشديد فذكرتهما بما لا يجهله عاقل أن الحياة لا تدوم لأحد من الخلق، وواصلت التذكر لنفسي التي ضعفت عند سماع هذا الخطب الجسيم،

---

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٥، الأحد ١٩/١٠/١٤٢١هـ.

والمصاب الجلل، لأدخل عليها ما يخفّف عنها بعضا منه فنقلتها إلى تذكر المصيبة العظمى والفاجعة الكبرى، وهي وفاة خير الخلق أجمعين محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة والتسليم.

ولا يخفى على أحد أن موت العالم ثلمة من الإسلام لا تسدّ مع تعاقب الليل والنهار، وما ذلك إلاّ لأن العلماء هم ورثة الأنبياء، فلا غرابة أن تحزن الأمة لموتهم، وأن تصاب بفقدهم، ورحم الله القائل : إذا مات صاحب السنة وبلغني موته فكأنما شلت بعض أعضائي.

ولقد خلف هذا العالم الجليل من العلم المسموع والمنشور والمؤلفات القيمة؛ الكثير.

من أراد أن يتأسى بالرجال الصالحين فعليه بتراثهم الثمين، نسأل الله لهم ولنا الرحمة والمغفرة، ولقد قلت في ذلك شيئاً هذا بعضه :

فكُلُّ حيٍّ منَ الأَحْياءِ إلَى أجل ... وَمَالكُ الملكِ قيُّـوم ومقتـدرُ

مَاتَ الوَقورُ وَكم في النَّاسِ من حزنٍ ... والأَرْض تبكِي عَلَى الأخْيار يَا بَشَرُ

فَارحَمْهُ ربّي وخَلدْ منْ مَـآثِرِهِ ... وعَظِّم الأَجْر إنَّ الأجرَ مدَّخرُ».[1]

وقال الدكتور عبد الرحمن بن الشيخ أبي بكر الجزائري (الأستاذ بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة) :

«لقد كان لنعي العلامة الشيخ محمد الصالح العثيمين وقع تزلزلت له المشاعر، وتحركت في قلب محبّيه من العلماء وطلاب العلم وصالحي المسلمين في جزيرة العرب خاصة وبلاد المسلمين عامة عواطف الحزن، وكيف لا وقد كان صرحاً من صروح

(١) الاقتصادية، العدد ٢٦٥٢، السبت ١٨/١٠/١٤٢١هـ.

العلم والمعرفة، ونموذجاً للعلماء والفقهاء المجتهدين ممن نهجوا منهج السلف القديم، فكان لهم نبراساً، فنشروا تعاليمه، ودعوا إلى الله وبذلوا حياتهم في الذّود عنه».[١]

وقال الدكتور محمد بن عبد الله المحيميد (رئيس قسم الفقه في كلّية الشريعة وأصول الدين في فرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) :

«لا يسعني وأنا أشعر بالأسى والحزن على الشيخ العلامة المجتهد محمد بن صالح العثيمين إلاّ أن أقول : إنا لله وإنّا إليه راجعون، فقد كان رحمه الله تعالى منارةً في العلم وإماماً في التّقى والورع والصلاح، وهو إلى جانب غزارة علمه وسعة مداركه ذو منهجيّة علمية محكمة عزّ مثيلها، وذو شمولية في العلوم والمعارف قلّ أن يوجد له نظير في هذا العصر، وإنّ من أبرز خصائص الشيخ إضافةً إلى غزارة علمه وسعة معارفه عنايته الفائقة بالدليل...».[٢]

وأكّد الشيخ عقيل بن عبد العزيز العقيل (مدير عام مؤسسة الحرمين الخيرية) :

«أن الأمة الإسلامية فقدت بوفاة الشيخ ابن عثيمين أحد قادتها في العلم والإصلاح، وأكّد أنها مصيبة نقول فيها ما قال الحسن البصري: «موت العالم ثلمة في الإسلام لا يسدّها شيء ما اختلف الليل والنهار».

وقال : إنه عرف عنه ذكاءً، وهمّةً عالية في طلب العلم وتعليمه، وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضمن ضوابطه الشرعيّة، وأضاف العقيل: أنه عرف عن الشيخ الراحل حرصه الشديد على تتبّع أخبار المسلمين، والتفاعل مع قضاياهم، وحث المسلمين على الوقوف معهم».[٣]

---

(١) عكاظ، العدد ١٢٥٥٨.

(٢) عكاظ، العدد ١٢٥٥٨.

(٣) المستقبل الإسلامي، العدد ١١٥.

وقال الدكتور ناصر بن عبد الله الصالح (مدير جامعة أم القرى) :

«إن الله آتى الشيخ الجليل ابن عثيمين سعة علم وكمال آداب، وفضائل مربّين، وحسن سمتٍ وعمل، تشهد عليه سيرته بيننا، وما قدمه لدينه وأمته من نصحٍ وإرشاد، وسعيٍ إلى الخير، ورجى أن يكون ذلك خاصاً مقبولاً عند الله تعالى، ومضاعفاً في ميزان حسناته رحمه الله».(١)

طفل يعزي في وفاة الشيخ الجليل

كتب مندوب «الرياض»:

■ تتفاعل شرائح المجتمع المختلفة مع كل حدث في بلادنا ويوم وفاة العالم الجليل الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله وصلت لـ «الرياض» رسالة فاكسية من طفل يدرس في الصف الثاني الابتدائي تناول فيها قلمه البريء معبراً عن مشاعر الطفولة [illegible] الجليل. وقد وضع والده مقدمة [illegible].

في يوم الاربعاء [illegible] هـ التاسعة مساء حضر الى طفلي، واخبرني بوفاة الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله. وكان ابني شديد الحزن عليه، وفي نفس اللحظات قال في نفسي كلام عن الشيخ. فكتب، وتشجيعاً مني لشعوره النبيل هذا رغبت في نشرها. ونحن ننتظر منكم دوركم في هذا من خلال النشر. علماً بأنه يبلغ الثامنة من عمره، وارجو ان تنشر في الصفحة التي ترونها مناسبة.

اما الرسالة القادمة من الطفل فهي تتحدث عن حديث الشيخ الجليل ابن عثيمين الجميل وحب المسلمين له [illegible] بعد موته ويقول الطفل عبدالرحمن [illegible] يحبه حبا كبير لانه كان يقول درساً طيبة ويخدم الاسلام ويعطف على المسلمين ويحبهم».

صورة ضوئية للرسالة التي تلقتها «الرياض» عقب وفاة الشيخ ابن عثيمين

الرياض – الجمعة ١٧/من شوال١٤٢١هـ، العدد ١١٨٩٠.

---

(١) المصدر السابق.

المؤسسات والجمعيات والهيئات

مؤسسة الملك فيصل الخيرية وفوزه بجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام

تمّ تكريم الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين باختياره لجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام ١٤١٤هـ الموافق ١٩٩٤م بعد اجتماع لجنة الجائزة، والذي عُقد يومي ٢٥، ٢٦/شعبان/١٤١٤هـ.

وذلك تقديراً لسجاياه وجهوده المتمثّلة فيما يلي :

● تحليه بأخلاق العلماء الفاضلة التي من أبرزها الورع، والزهد، ورحابة الصدر، وقول الحقّ، والعمل لمصلحة المسلمين، والنصح لخاصتهم وعامتهم.

● انتفاع الكثيرين بعلمه، تدريساً وإفتاءً وتأليفاً، فهو يدرس العلوم الدينية عقيدة وشريعة، وعلوم اللغة العربية، وذلك في جامع عنيزة وفي المؤسسات التعليمية الحكوميّة، وفي طليعتها كلية الشريعة في القصيم، وهو يجمع بين غزارة العلم، وجودة أسلوب عرضه؛ مما جعل حلقات درسه تجتذب طلاب العلم من مختلف أرجاء المملكة وخارجها، ولقد بذل نفسه للإفتاء بطرق متعدّدة، من أبرزها : الكتابة، والهاتف، والمسجّل، ووسائل الإعلام كـ : الصحف، والمجلاّت، والإذاعة عبر البرنامج المشهور (نور على الدرب) الذي يستفيد منه كثير من النّاس داخل المملكة وخارجها، وإلى جانب ذلك ألّف حوالي أربعين كتاباً ورسالة، منها ما هو ذو مستوى يتلاءم مع قدرات طلاب العلم، ومنها ما هو ذو مستوى يناسب جمهور المسلمين لمعرفة ما هو ضروري من مبادئ الدين الحنيف والشريعة السّمحة.

- إلقاؤه المحاضرات العامة النافعة في بلدان ومراكز مختلفة من مناطق المملكة مما كان له أثر كبير في توجيه الجمهور خاصّة الشباب الوجهة الحسنة.

- مشاركته المفيدة في مؤتمرات إسلامية كبيرة، مثل : مؤتمر رسالة المسجد، ومؤتمر الدعوة والدعاة، ومؤتمر الفقه الإسلامي، ومؤتمر مكافحة المخدّرات.

- اتباعه أسلوباً متميّزاً في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وتقديمه مثلاً حياً لمنهج السلف الصالح فكراً وسلوكاً، مما جعل كثيراً من المسلمين يطمئنون إلى ما يدعو إليه، ويستفيدون منه.[1]

جماعة أنصار السنة المحمدية بمصر

قال فضيلة الشيخ محمد صفوت نور الدين (الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمّدية بمصر) عن الشيخ ابن عثيمين : «صاحب الباع الوافر في الفقه وأصوله، وفي الحديث روايةً ودراية، من أجل ذلك كان إماماً في الدليل والتعليل، ففي المسألة الفقهية يدلي بالدليل الذي يستند عليه القول الذي يختاره، ويعلم السامع كيف يستنبط الحكم منه، ويشرح علّة الحكم، ويربط بالأشباه والنظائر، وكان في التفسير إماماً بارعاً، كيف لا ؟ !! وإن أحظى شيوخه العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي صاحب التفسير الجامع الممتع على اختصاره وتبسيطه.

وكان في علوم الآلة من النحو والصرف والبلاغة إماماً لا يغفلها في دروسه التي كانت تجمع بين العامة والخاصّة، وكانت تأخذ بيد الحاضرين ليرتقوا إلى طلب العلم والتدرّج في الفقه، ومع ذلك كان حريصاً على تعليم تلامذته احترام العلماء، وهو

(١) الرياض، العدد ١١٨٨٩.

الخلق القويم المفقود عند الكثير من أصحاب الحلقات الواسعة اليوم التي سبّبت أكبر الآفات المعاصرة.

وكانت مجالس الشيخ العلميّة تجمع بين المبتدئ والمجتهد في طلب العلم، فلا يحرم المبتدئ من الفوائد المتدرّجة التي يرتقي بها مدارج العلم النافع، ويجد فيها المجتهد بغيته، ويحصل الباحث المدقّق على ضالته المنشودة، والنصوص عنده منتظمة في عقد منسّق بديع، والقواعد والضوابط والفوائد مرتّبة في مواضعها، يقنع السائل في مسألته، ويدفع الباحث ليجمع أطراف بحثه».[١]

وقال الدكتور جمال المراكبي (رئيس تحرير مجلة التوحيد) :

«وقد رحَل عن دنيانا شيخ جليل، وعَلَم متبحّر في علوم الكتاب والسنّة ألا وهو فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين، وبقدر ما أصابنا من الحزن لفقد الشيخ وانقطاع هذا المعين من العلم النافع.

فإننا لا نملك إلاّ الرضى والتسليم لقضاء الله وقدره، وعزاؤنا أن الشيخ خلّف لنا تراثاً عظيماً ننتفع به مقروءاً ومسموعاً، وخلّف أجيالاً من التلامذة وطلبة العلم ينهلون من معينه، ويسيرون على نفس الخُطى».[٢]

جمعية أنصار السنة بالسودان

ونعت جمعية أنصار السنة المحمدية بالسودان إلى الأمة الإسلامية وفاة الشيخ العلامة ابن عثيمين، **وقال الشيخ محمد هاشم هدية** (الرئيس العام للجمعية) :

(١) مجلة التوحيد المصرية، العدد ١١، للسنة : ٢٩.

(٢) المصدر السابق.

«إن سماحة الشيخ ابن عثيمين هو ذلك العالم الذي تلقاه باسماً منشرح الصدر، تنقاد إليه منذ أن تقع عينك عليه، فقد كان قوياً إذا تكلّم، وقوراً إذا سكت، مهاباً مع أنه رقيق الحاشية، رفيقاً بالناس، ولا تكاد تجده إلاّ نشيطاً في مشيه، وفي جميع حركاته، لم يؤثر كبر السنّ في حيويّته التي عهدناها فيه خلال الثلاثين عاماً التي عرفناه فيها، وكانت مفاجأة لنا يوم بلغنا أن الشيخ قد أصيب بمرض عضال، وقد سافر إلى أمريكا للعلاج، وسررنا بعودته وهو معافى، وقد زال حزننا يوم عودته، وما كنّا نظنّ أن المرض قد تمكّن منه حتّى حرم أحبابه من زيارته وهو في غرفة (الإنعاش)، ولا يوم أن سكن غرفة في الحرم المكّي يواصل فيها درسه الذي أصرّ عليه من على البعد، مستفيداً من الأجهزة الحديثة التي توصل صوته إلى تلاميذه في الحرم المكّي الذي صعُب عليهم انقطاع صوته الواضح الفصيح، ولولا الإيمان بأن الله حد لكلّ حي أمداً تنقضي فيه حياته ما توقّعنا وفاته المفاجئة لنا، فلا نملك إلاّ أن نقول : إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم.

إن مصيبة الموت مكتوبة على كلّ حيّ، والصبر شأن كل الأتقياء والصابرين، والعزاء لازم لطلبته الكثيرين قبل ذويه، فإنّهم أصبحوا بالنسبة إليه كأعضاء جسمه، وأرى أن الصدمة عليهم قويّة، وأرجو الله أن يمدّهم بالصبر على فقده، والثقة القوية في الله عز وجل أن يهيّء لهم عالماً يقوم مقامه.

ونسأل الله أن ينـــزل شيخنا وشيخهم منازل الأبرار، وأن يوسّع في مرقده، وأن ينوّر له في قبره مدّ بصره، وأن يفتح له باباً من أبواب الجنة وأن يحييه حياة الشهداء، فإنّا نشهد أن وقته كلّه كان ملكاً لطلاب العلم في جميع مواضع وجوده».[1]

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

جمعية إحياء التراث الإسلامي

قالت عن الشيخ :

«إن الأمة الإسلامية فجعت بفقد رجل من بقيّة السلف الصالح، وإمام من الأئمة الهادين المهديّين، مشيرة إلى أنه ما يزيد فاجعتنا وفاجعة الأمة الإسلامية أن يرحل هذا الإمام وليس للأمة عنه غنى».[1]

مجلس الأمة الكويتي

وقد عبّر علماء الكويت، وأعضاء البرلمان عن أَلَمِهم الشديد بفقدان الأمة الإسلامية فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، وقالوا : إن الأمة الإسلامية فقدت عالماً جليلاً كرس حياته لخدمة الإسلام ونشر تعاليمه.

وقال عضو مجلس الأمّة الكويتي الدكتور **وليد الطبطبائي** :

«إن ابن عثيمين عالمٌ جليل أفنى حياته لخدمة الدين الإسلامي، ووفاته خسارة كبيرة لنا نحن المسلمين؛ لأن الأمة الإسلامية لا تنهض إلاّ بعلمائها».[2]

قطر

وكالة الأنباء القطرية

وقالت وكالة الأنباء القطرية في معرضِ خبرها: إن فضيلة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين كان له نشاط كبير في الدعوة إلى الله عز وجل، وتبصير الدعاة في كلّ

---

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

مكان، وله جهود مشكورة في هذا المجال، واستهلت الوكالة خبرها بالقول : فقدت الأمة الإسلامية الشيخ محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين الوهيبي التميمي عضو هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية الذي انخرط منذ صغره في تعلّمه لعلوم الدين حتى أصبح عضو تدريس في كلّيتي الشريعة، وأصول الدين بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم.[1]

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بقطر

ونعت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر إلى المسلمين في كلّ مكان فضيلة الشيخ محمد صالح بن عثيمين عضو هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية، جاء ذلك في بيان أصدرته الوزارة في الدوحة، وأشادت فيه بمناقب الفقيد الراحل في مجال الدعوة من أجل صالح الإسلام والمسلمين.[2]

مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية (كير)

نقل مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية (كير) أحد أكبر المؤسسات الأمريكية، المعنية بتقديم صورة صحيحة عن الإسلام والمسلمين بالولايات المتحدة الأمريكية، والدفاع عن حقوق المسلمين والعرب بأمريكا؛ خبر وفاة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين العالم الجليل، والأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود إلى الصحافة الأمريكية والإسلامية والعربية بالولايات المتحدة وكندا، معبراً عن أسف المجلس، وحزن أعداد غفيرة من المسلمين والعرب، الأمريكيين لوفاة الشيخ.

---

(١) المسائية، العدد ٥٧١٦.

(٢) المصدر السابق.

وكان الشيخ الجليل قد توفّي بجدة مساء الأربعاء الخامس عشر من شـــوال لعام ١٤٢١هـ والموافـــق العاشر من يناير لعام ٢٠٠١ ميلادية، عن عمر يناهز الخامسة والسبعين.

وقد عُرف عن الشيخ علمه الغزير بعد أن تتلمذ على يد مجموعة من أكبر علماء الإسلام، وكثرة طلابه بتدريسه علوم الدين، بحلقاته الخاصة، وبجامعة الإمام محمد بن سعود، كما عُرف بالتزامه بالقرآن والسنة عند الفتوى، وفي تعقيبه على خبر وفاة الشيخ قال نهاد عوض (المدير العام لمجلس العلاقات الأمريكية – كير – إنا لله وإنا إليه راجعون، بالنيابة عن مجلس إدارة مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية والعاملين به أعبر عن خالص تعازينا لأسرة الشيخ وللأمة الإسلامية لفقدان الشيخ الكبير، نسأل الله أن يلهم أهله وطلاب علمه الصبر والسلوان.

كما عبّر عمر أحمد (رئيس مجلس إدارة مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية) عن تعازيه متذكراً حديث رسول الله ﷺ : «**إذا مات أحدكم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية، وعلم نافع، وولد صالح يدعو له**».[1]

مؤسسة شيخ الإسلام ابن تيمية

في الولايات المتحدة الأمريكية

أعربت مؤسسة شيخ الإسلام ابن تيمية في الولايات المتحدة الأمريكية عن حزنها لوفاة فضيلة محمد بن صالح العثيمين، العالم الفضيل، والداعية المربّي، والمعلم الصادق، والعضو بهيئة كبار العلماء رحمه الله رحمة واسعة فلقد كان رحمه الله من

---

(١) الرياض، العدد ١١٨٩١.

بقيّة السلف الصالح، ومن أواخر الأعلام للهدى والصدق والبذل والنصح للأمة في مشارق الأرض ومغاربها.

وكانت المؤسسة حريصة وما زالت على نشر كتبه وعلومه وفتاواه».[1]

مركز الدعوة الإسلامية في البرازيل

ورفع مدير مركز الدعوة الإسلامية في البرازيل الشيخ أحمد الصيفي خالص تعازيه لقيادة المملكة العربية السعودية، وعلى رأسهم خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود - حفظه الله - لوفاة سماحة الشيخ محمد بن صالح العثيمين عضو هيئة كبار العلماء، والأستاذ بكلّية الشريعة في القصيم، وإمام الجامع الكبير في عنيزة، واصفاً فقده بأنه خسارة عظيمة حلّت بالأمة الإسلامية.

وأبدى مدير مركز الدعوة الإسلامية في البرازيل الشيخ أحمد صيفي في تصريح لـ (الجزيرة) عميق حزنه، وألمه لفقد سماحته الذي كان رحمه الله عالماً كبيراً نذر نفسه لخدمة الإسلام والمسلمين، ونشر الدعوة إلى الله تعالى، ونصرة الدين الإسلامي الحنيف، واصفاً وفاته بأنها خسارة جسيمة على الأمة الإسلامية، وعلى أوساط العلم والعلماء، وحلقات التدريس.

ودعا الشيخ أحمد الصيفي الله جل وعلا أن يغفر له ويتقبّل أعماله الجليلة وخدماته المخلصة لصالح الإسلام والمسلمين، ويجعله من عباده المقرّبين، ممن أنعم الله عليهم من النّبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، وأن يلهم أسرة الفقيد الصبر والسلون، والله ذو الفضل العظيم.[2]

---

(١) الدعوة، العدد ١٧٧٦.

(٢) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٢.

المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بالأرجنتين

وقال عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي لأمريكا اللاتينية بالأرجنتين المهندس محمد هاجر لدى سماعه نبأ وفاة سماحة الشيخ محمد بن صالح العثيمين عضو هيئة كبار العلماء، والأستاذ بكلية الشريعة في القصيم، وإمام الجامع الكبير في عنيزة: أن فقدانه رحمه الله يعتبر خسارة كبيرة مُنيت بها الأمة الإسلامية، لما للفقيد الكبير من أعمال جليلة، وجهود واهتمامات عظيمة لخدمة الإسلام والمسلمين.

وأعرب عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي رئيس المنظمة الإسلامية لأمريكا اللاتينية بالأرجنتين في تصريح لـ (الجزيرة) عن بالغ حزنه وأساه على وفاة سماحة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله.

وقال :

إن المصاب جلل، والحزن كبير لما يكنه كل مسلم على وجه المعمورة له طيب الله ثراه، من محبّة ومودّة، والاعتدال في التمسك بشريعة الله وسنة رسوله ﷺ وحمله لهموم المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

وأبان المهندس محمد هاجر أن رحيل الشيخ العثيمين من الدنيا الفانية إلى الدّار المقرّ ترك فراغاً كبيراً، داعياً الله أن يجعل في خلفه من العلماء وطلبة العلم الخير للمسلمين، معتبراً وفاته رزءاً كبيراً للأمة الإسلامية جمعاء، التي فقدت فيه عالماً كبيراً، وعلماً شامخاً من أعلام الفكر والدّعوة والإرشاد وفق الكتاب والسّنة.

وسأل المهندس (هاجر) الله تعالى أن يشمل الفقيد العزيز برحمته الواسعة وأن يرزق أهله ومحبّيه الصبر والسّلوان.[1]

---

(١) المصدر السابق.

المركز الثقافي الإسلامي بمدريد

وكتب د.صالح بن محمد السنيدي (مدير المركز الثقافي الإسلامي بمدريد):

«لقد كان شيخنا رحمه الله أحد البقيّة المعدودين الذين أعادوا الأذهان إلى سيرة سلفنا الصالح في زهده وتقواه وتواضعه، ولذا لا نستغرب هذه الكثرة من التلاميذ والمحبين والمعجبين، فقد قرن العلم بالعمل، وجعل نفسه مثالاً يحتذى، بالإضافة إلى هذا كله التمس في فتاواه وآرائه الفقهية ما يراه الأقرب إلى التطبيق، وما لا يشقّ به على المسلمين، معتمداً في كل ذلك على الاجتهاد المعزّز بالسند والدليل من الكتاب والسّنة، أو فعل سلف هذه الأمة ممن يعتدّ بفعلهم.

كما أن التغيّرات الكثيرة التي طرأت على حياتنا في هذا العصر من تكنولوجية ونفسية وغيرها نجدها حاضرة معتبرة في فتاوى شيخنا الفقيد، وهذا ما جعل آراءه الفقهيّة تمتدّ شرقاً وغرباً أينما يوجد المسلمون، وهذا ما يمكن أن نصفه بالتحرّر من الانعزال، وعدم التقوقع في نطاق أو مجتمع معين فيما أصدره من فتاوى، فمنحه ذلك صفة العالم الفقيه.

إن سيرة هذا العالم تستحقّ الدراسة والتأمّل خاصة لمن يطمح أن يتبوّأ مناصب الفتوى والمسؤولية الدينية، حيث كرس نفسه للعلم وطلابه، وابتعد عن الدنيا وزخرفها، واكتسى بذلك مكانة ووقاراً حُجزا له في قلوب الملايين من المسلمين، فشدّت إليه الرحال من كلّ مكان، طلباً لما لديه من علم، وانتشر تلاميذه في كلّ الأصقاع، فهذا هو المكسب الذي يجب أن نبحث عنه لا عن الدنيا الفانية وحطامها الزائل.

لقد كان لخبر وفاته وقع أليم بين أبناء الجالية هنا في مدريد؛ لا سيّما وأن المركز حاول أن يستضيفه من خلال التليفون في رمضان الذي ودّعناه قبل أيّام، بناءً على رغبة العديد منهم؛ لكن حالته الصحيّة حالت دون ذلك.

نسأل الله عز وجل أن يتغمّده في رحمته، وأن يفسح له في فردوسه الأعلى وأن يجزيه الجزاء الأوفى على ما قدّمه وتركه رصيداً باقياً في المكتبة الإسلامية وبالذات الفقهيّة التي ستفقد فتاواه المتفاعلة مع الزّمان والمكان، دون أن تبتعد عن المصادر الأساسيّة للفتوى.

كما نقدّم تعازينا الحارة لأسرة الفقيد وتلاميذه ومحبّيه في كلّ مكان، والشعب السعودي الذي يكن لهذا العالم الفقيه مكانة خاصة».[1]

بريطانيا - كاردف

وقال د. سعيد باسماعيل :

«فقدنا عالماً جليلاً آخر في يوم الخامس عشر من شوال، فجعنا بوفاة العلامة الشيخ الفقيه الكبير محمد بن صالح بن عثيمين رحمه الله رحمة واسعة، نعم، ورحل عالمٌ جليل بعدما ملأ الدنيا علماً، فنرجو أن يكون شهادة له عند ربّه، فالحمد لله الحيّ الذي لا يموت،والجنّ والإنس يموتون وصلى الله على نبينا محمد الذي خاطبه ربّه بقوله : ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ**﴾.

ونقول لكلّ المسلمين عموماً ولأهله وذويه خصوصاً : لله ما أخذ وله ما أعطى، وكلّ شيء عنده بمقدار.

---

(١) الجزيرة، العدد ١٠٣٣٥.

كما وأسأل الله أن يجبر مصابنا في فراقه، أن يلهمنا وإيّاكم الصبر والإحسان على قبض علمٍ آخر من أعلام هذا العصر.

اللهم لا تفتنّا بعده، واغفر لنا وله.

لقد رحل رحمه الله وقد ملأ الدنيا علماً، فلا يكاد يوجد كتاب مهمّ لطلبة العلم إلاّ وقد شرحه، وكان رحمه الله زاهداً في الدنيا كما يظهر من حاله ولباسه، حريصاً على نفع الخلق، مشتغلاً بتدريسهم حتّى في فترة مرضه رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته، ورفع درجته وأعظم أجره، وجزاه الله عن الإسلام وأهله خير الجزاء، وعوّض المسلمين خيراً، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم». [١]

ألمانيا

وكالات الأنباء الألمانية

نقلت النبأ وكالة الأنباء الألمانية التي أعطت نبذة عن حياة الشيخ محمد ابن صالح بن عثيمين مشيرة إلى نشاطه الكبير في مجال الدعوة إلى الله والتدريس والتأليف والإفتاء وإلقاء المحاضرات في المسجد الحرام، وفي مختلف مدن المملكة بأسلوب متميّز، مشيرة إلى حصول فضيلته على جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام ١٩٩٤م. [٢]

---

(١) الرياض، العدد ١١٨٩٣.

(٢) المسائية، العدد ٥٧١٦.

نيوزيلندا

الجمعية الإسلامية الخيرية بنيوزيلندا

وقال زيدان الرمال الشمري :

«لقد بلغنا نبأ وفاة الشيخ الجليل الإمام محمد بن صالح العثيمين يرحمه الله - ويحسن إليه - وهكذا تكون قد انطفأت جذوة من منارات العلم، وكان قبله من العلماء من قضى نحبه هذا العام، ومنهم من ينتظر، فلا يزيدنا هذا الأمر حزناً فحسب، بل يزيدنا خوفاً وفزعاً، فهو الأمر الذي أخبرنا عنه الصادق المصدوق صلى الله تعالى عليه وآله وسلّم من أوان انتزاع العلم من هذه الحياة حتى لا يبقى عالمٌ.. فيأتي الناس رؤوساً (ولم يقل صلى الله تعالى عليه وآله وسلم علماء) جهالاً، فيضلّون الناس بما يحملون من جهل، وهكذا سينحسر العلم ومعرفة السنة المطهّرة، وسينحسر التمسّك بالدين حتّى لا يقال على الأرض الله .. الله .. فحسبنا الله ونعم الوكيل.

وإن كان لنا عزاءٌ في مثل هذا الموقف فمصيبتنا بموت النبيّ صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم هي أعظم وأكبر من مصيبتنا بموت من يعود لنا بقرابة ودراسة ونسب وصلة.. هذه الموتات التي تتخطف علماءنا علماء الكتاب والسنة ومنهج السلف الصحيح، وتترك المسلمين في حزن وأسى في مثل هذه الظروف الحرجة من الجهل والرّدة.. رغم أنها من سنن الله تبارك وتعالى في الحياة، إلا أنها واعظ لمن أراد أن يتفكّر في الحياة الدنيا وزينتها، ولمن كان يرجو الله واليوم الآخر.

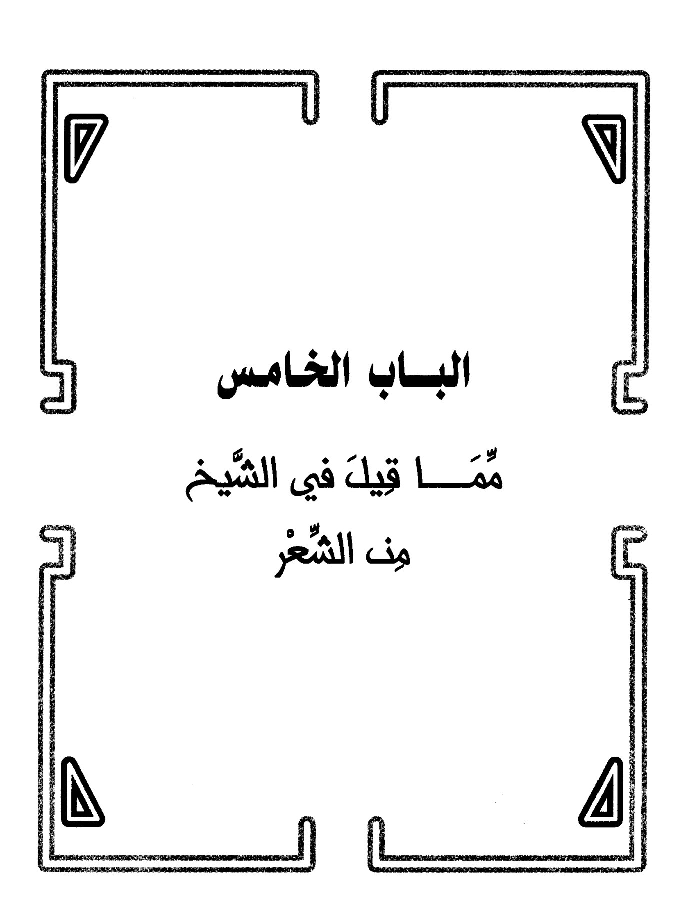
فلا يأخذ الحزن مأخذه في نفوسكم أيها المسلمون، ويصيبكم اليأس والقنوط، فإن الله تبارك وتعالى قد تكفّل بدينه وبالمؤمنين حماية ونصراً، وهو بالغ أمره ولو

كره الكافرون، يرحم الله تعالى السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، ويرحم الله تعالى المكثرين والمقلّين والمتقدّمين والمتأخّرين من الأبرار، ويرحم الله تعالى المؤمنين والمسلمين خاصّتهم وعامتهم.. اللهم آمين.

فلا تهنوا أيها المسلمون، فما موت الشيخ إلاّ لكم دفع للعمل في سبيل الله تعالى أكثر وأكبر.. والله غالبٌ على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».





الباب الخامس

مِّمَّـــا قِيلَ فِي الشَّيخ مِنَ الشِّعْر



١- من شعر فضيلة الشيخ / سعود بن إبراهيم بن محمد الشريم (إمام وخطيب الحرم المكي)[(١)]

يا عبلُ لا تلومي إنْ نَسينَا — هَوَاكِ حين كُنْتِ تَعْذلينَا
يا عبلُ لا ملام في جَفَاءِ — فَفِينا ما يُرَوِّعُ الجَنِينَا
يا عبلُ لا وصَالَ في بَلاءٍ — رُزِينا بالخطوب سَادِرينَا
تاللهِ ما طابَ لنا مَنَامٌ — يحقُّ للمنام أن يَبِينَا
وزهَّد الصَّفيَّ في تَلاقٍ — نوازل تُبلِّغ اليَقِينَا
إنْ تَسْألي يا عبلُ ما دَهَانا — فَلتَسْمَعي البُكَاءَ والأنينا
ولتُبْصري العيُونَ شَاخِصَاتٍ — حَسيرةً مما به رُزينا
كي تَعْلمي المُصَابَ في جموعٍ — ولتعْذُري إنْ كُنْتِ تَعذُرينا
بفقد شيخٍ عَالمٍ جَليلٍ — مُوسدًا بقَبْرِه دفينًا
أتاه ما يَجُوبُ كلَّ حي — بالموت حين يقْطعُ الوَتِينا
مُحَمَّدُ الصَالحُ يالقَوْمي — لقينا في المُصاب ما لقينا
لو أننا نُقرُّ في فِدَاءٍ — فيُفْتَدى بالمال والبَنِينا
لكنه المَمَاتُ لَيْسَ يُجْدي — فداؤنا المكفَّن القَطِينا
آلَ عُثيمين ألا فصبرًا — عزاؤكم مُصَابُنا عزينا
حَبْرٌ وبحرٌ للجَميع رَحْبٌ — نراه إذ نراه مُسْتَبِينا
فإن تَسَل في النَحْوِ ذاك طَودٌ — والفقْهُ صَار ثَوبَه المتينا
يَقُولُ بالنصوص في ثباتٍ — دليله أنْبَانا أو رُوينا
يُدارسُ العِلُومَ كلَّ حينٍ — ويقهرُ الباطِّلَ فينا حينا

(١) الرياض – العدد ١١٨٩٠ – الجمعة ١٧ / ١٠ / ١٤٢١ هـ.

لم تَنْثن قنــاتُــه اصـطبــارًا ... يُقيمها الدهُــورَ والسنــيــنا

يُجلُّ بالعلمِ على افْتِــخَــارِ ... يُحَبُّ بالأُلُوفِ والمئِينـــا

يَقُــومُ إنْ جَــنَّ بــه ظَــلامٌ ... لله يقرا قولَــهَ الـمُبِــيــنا

كتَابُــنــا سَلتْ بــه قلــوبٌ ... ما آن للقلوب أنْ تَليــنــا

لله يا لقــومي ما دهــاكـــم ... ألا ترون الخَطْــب حلَّ فيــنا

ألا تــرون الأرضَ بعــد هــذا ... تناقصت بمــوت عَالمِــيــنا

ويَكلمُ القلوبَ أن تـــلاقــى ... بموتــهم في العلــم جاهليــنا

بــجهلهم تســاقط الأناســي ... واسْــتَسْــمَنُوا ذا وَرمٍ ثَخِيــنا

فلم يَع لــهَــاذِم البَــرَايَـــا ... لم يستَبيــنُوا الغَثَّ والسَمِيــنا

أبْرِم لنا يــا ربــنا شيــوخــًا ... أمثــالهُ يُــجــدِّدُون دِيــنــا

كي نَستَفِــيقَ في الوَرَى وهذا ... دَواؤنــا من بعد مــا عــيِــيــنا

لن أغْفَلّنَ يــا أُخَــيَّ حَتْــمَــًا ... عن دعوةٍ للشــيخ ما حيِيــنا

إنْ قائماَ أو قاعــدًا أو راقــدًا ... وادعوا له يا قــومُ قَانتــيــنا

بمثــله فَلْتَخْــتِمُــوا حَــيَــاةً ... لا تــخْتِمُــوا بمثل مُطْربيــنا

شــتَّــان بين عَازِف بِعُــــودٍ ... حيــاتُه أهواك لنْ ألَــيــنا

وبين من حــياتــه جــهَــادٌ ... ويُبصرُ الطريــقَ إنْ عَــمِيــنا

فارحم إله العالمين شيــخــًا ... ولتجــزه في العــدن علّيــيــنا

بفضْــلك العَظِيــم يا إلــهــي ... زوِّجْــه في الجــنَّة حورًا عيــنا

واخْلفَ لنا فــي المسلمين خَيرًا ... بالله قولــوا إخوتــي آمــيــنا

ثم الصــلاة بعدهــا خِــتام ... على الذي نَفْدِيــه والِدِيــنــا

٢- من شعر فضيلة الشيخ / إبراهيم بن صالح الوابل[١]

خطبٌ ألم القلب أشجى المنبــرا ... ونفى عن العين الرقادَ وأسهــرا
خطبٌ إذا ما الصبح أرسل ضوءه ... كتم الدجى أنفــاســهُ وتبعــثرا
جلل له تبكي القصيمُ وأرضهــا ... وتبيــت تنعــاها المدائنُ والقُرى
في ذمة التاريخ حبر قد هــوت ... أفلاكه وتناثرت خلف الثــرى
شيخُ القصيمِ محمد ابن النــدى ... ابن السماحة والكــرامة والذرا
العلمُ صافحهُ وصــافحَ فضلــهُ ... وأســال دمعًا كاللآلئ قد جرى
جفت صحائفنا وغاض يرَاعنــا ... وقد انزوت حيرى تكذّب ما ترى
من للفتاوى بعــدهُ خــلا إذا ... وقــع السؤالُ بيننا متحيِّــرا
إن كان قد غابت نسائمُ روحــه ... فلنا به علم أضــاء وأبــهــرا
بحر تفيضُ به الجواهــرُ حكمَــةً ... كم طــالب في بحره أدلى القرى
يا نجمة برزت وكان ضياؤهــا ... بدرًا أنار مع الدجى درب الورى
تسعى وتمشي خلفــه أمم تظــن ... وراءهُ موج يموجُ تبخــترا
يا درة الإســلام فقــدك ظلمــة ... كالكهف تاه بقلبه من قد ســرى
يا درة بخل الزمانُ بمثلــه ... لله درك عالــماً متبحــرا
هذي الحياة وإن صفت أيامهــا ... عادت شرابًا بالعــناء مكــدرا
غفر الإله لهُ وخــــلّد ذكــرهُ ... وسقــاهُ من نهر الجنان الكوثــرا

---

(١) الجزيرة - الأربعاء ٢٢ من شوال ١٤٢١هـ.

٣- من شعر / فهد بن عبد العزيز بن حمد آل وهيب (مدير المعهد العلمي بحوطة سدير)[١]

كذا فليجل الخطب أو يفدح الأمر	فليس لعين لم يفض ماءها عذر
يعزون في شيـــخ يعزي به العلا	ويبكي عليه العلم والحلم والفكر
كان بني الإســـلام يوم وفـــاتـــه	نجوم سماء هوى من بينها البدر
هذي المكارم لا تزويق أبنية	ولا الشقوق التي تطلى بها الجدر
أهكذا البدر تخفي ضوءه الحفر	ويفقد العلم لا عين ولا أثر
خبت مصابيح كنا نستضئ بـــها	ولوح للمغيب الأنـــجم الزهر
فنح على العلم نوح الثاكلات وقل له	والهـــف نفسي على أهل له قبروا

٤- رحماك ربي على شيخ نودعه[٢]

شعر الشيخ / عبد الله المعتاز (رئيس إدارة المساجد والمشاريع الخيرية والموجه العام لمدارس بدر الأهلية).

ما بال جسمك يا المعتاز أضناه	هم وغم ودمع العـــين يغـــشـــاه
عهدي بك الأمس مسرورًا ومبتسمًا	لا تستـــكين لمـــا يأتـــي بـــه الله
كفكفت دمعي وقلت الله يجـــبرنا	هذا مصاب دهـــانا ما عهدنـــاه
ألا ترى أمـــة الإسلام في كمـــد	الشيخ في كربة والطـــفل أبكـــاه
شبابنـــا شـــدة الآلام أرقـــه	وكاد من لوعة الأحزان يلقـــاه
جـــاءت خطوب لعل الله يرحمنـــا	موت المشايخ تترى لست أنساه

(١) الجزيرة - الأربعاء ٢٢ من شوال ١٤٢١ هـ.

(٢) الدعوة - العدد ١٧٧٧ - ٣٠ من شوال ١٤٢١ هـ.

الباز من قبل والألبان يعقبه ... وابن العثيمين بعده ما تخطاه
العلم والدين والإيمان يرفعهم ... وذكرهم في الورى مهما تناساه
سألت ربي إله الحق يجمعنا ... في جنة الخلد بشرانا وبشراه
هذي الحياة هموم لا حبور لها ... إلا لمن ربنا الرحمن يرضاه
أين الطغاة وأين العابدون لها ... وأين قارون لا تحصى خطاياه
وأين فرعون قد أمسى له كفناً ... في لجة البحر ملعوناً تركناه
وأين من حاجَّ إبراهيم في سفه ... الكل يمقته إن حل ذكراه
أتاهم هاذم اللذات في عجل ... أصلاهم من عذاب الله أقساه
رحماك ربي على شيخ نودعه ... بحر العلوم الذي قد نال أعلاه
فهو الذي قد بنى في الناس أفئدة ... قد زيّنت برحيق العلم أصفاه
مجالس العلم تبكيه وتندبه ... هذي عنيزة ثكلى بعد فرقاه
ومسجد قد بناه الشيخ يعمره ... شباب علم على التوحيد رباه
وفي الدنا ضجة حرّى تؤرقه ... الكل يبكي دماً حبًا لمرآه
وفي المقابر هل شاهدت جمعهم ... دمع من العين فوق الخد مجراه
جاؤوا إليه يغذون المسير له ... قد انهكت سيرها ليلاً مطاياه
الله أكبر دين الله يجمعهم ... محبة من صميم القلب
الله أكبر ذاك الشيخ تعرفه ... ذكراه منابر العلم للمحراب
تبكي الأنام إذا ما الشيخ خوفها ... ممشاه يثير في القلب أشجانا
نبكيك يا أمة في ثوبها رجل ... محيّاه بنى من المجد ما خطته
تراه مبتسمًا مهما ألم به ... يمناه مسلماً لقضاء الله تلقاه
يعلم الناس دين الله في مرض ... على السرير وعين الله ترعاه

قال الطبيب ألا ترتاح في مــرض فقال راحتي التعليــم أهـــواه
كم قولة الحـق قد دوّت مجلجلة وكم أجاب على فتوى سألنــاه
وكم محــاضــرة للناس علّمها كم جاهل غارق بالجهــل أرواه
وكم صديق أتى للعلــم يطلبــه وكم عــدو لدين الله عـــاداه
الله أكــبر ديــن الله يــرفــعــه يرجو ثوابــًا من الرحمن يخشــاه
ما همه جمع مــال أو مفاخــرة بيت من الطــين مأواه ومثــواه
يا ربنا اخلف على الإسلام في علم واجبر مصيبتنا في الشــيخ ربــاه

٥- النَّاصح(١)

شعر / أحمد صالح الصالح

بآية الحُبِّ فَضَّ الــحزنُ أفئدةً فأوجع القلبَ..والأكبادَ والحَدَقَا
ومرَّ بالمسجدِ البــاكي..إمامتــَهُ ففزَّع المنبرَ المشـتاقَ والحلَقَـا
وأجهشتْ أعيــنُ الفيحاء باكيةً إمامهـا..وحبيبًا عالمًا صــدقـا
تحاملت فوق هذا الحزن تخزنــه بين الضلوع وأصْلاها النوى حُرَقَا
قد أوحشَ الدورَ فالأحياءُ مُطْرِقةٌ بأيِّ حادثــة..هذا المســا طَرَقَـا
وأيُّها خَــبَرٌ غــصَّ الأثــيــرُ به فأثكل الناسَ والدارات والطُرقَـا
في كل عَــيْنٍ حكاياتُ..تُخبئُهــا وفي الشفاة حديثٌ بالأسى شَرِقَا
بين الضلوع يكادُ القلبُ من جزعٍ أن يهجُرَ النَّبضَ أو أن ينتهي مِزَقَا
إمام هذا الهدى الأحبابُ ما بَرِحُوا في موكب الحُبِّ..سدّوا للّقا الأُفُقَا
كأنهم في انتظار الدرس..قد وقفوا وأنَّ شيخَهمُ ..في إثرهم طفقا
وأنَّ كرسيَّه لا زال مزدهرًا بعلــمه ما اشتكى عيّاَ ولا رهقــا

(١) الجزيرة – الأربعاء ٢٢ من شوال ١٤٢١ هـ. – العدد ١٠٣٣٨.

وأنه سوف يأتي كالندى سحـرًا ... يباشرُ الصبحَ..للمحراب معتنقـا

يلقى..بيان..الهدى في الناس محتسبًا ... كأنما ينفخُ الأطيابَ..والعَبَـقَـا

دروســه بَيِّنَـاتٌ يستضـاءُ بها ... في كل معضلة..ما لان أو فَـرِقَا

إليه..جاءت ركابُ الناس مشفقةً ... لتستقي من معينٍ..للهداة سقـى

كم عَلَّـهُمْ بصبوحِ العـلم طيّبه ... وأهل العلمَ من وافاهُ مغـتبقـا

حبيبنا..هذه الأحبابُ قد عرفت ... فيك الأمينَ النقيَّ الزاهد الحَذِقَـا

إمامَهُمْ..وحبيبًا لامسـت يَـدُهُ ... وقلبُهُ.. ولسانٌ بالهدى انطلقـا

جرحـاً تَبَزَّلَ مسِّـتْـهُ..بصيرته ... لأُمة..لم تزل في أمرهـا فِـرَقَـا

حبيبنا..أمةُ الإسـلام يَتَّـمهـا ... رحيل أعلامها من للهدى اسْتَبَقَا

عامان..غـابت نجوم جدُّ مُزْهِرة ... لله من رحلوا..طوبى لهـم رُفَقَـا

حبيبـنا..أمـةُ الإسلام مثخـنة ... وكلما الْتَـامَ جرحُ آخر انفتقـا

ألقى اليهود إلـيها كلّ حـقدهم ... والغرب سَن لهـا من كيده طرقا

واثّاقلت عن جهاد النفس واتخذت ... درب الهوى مسلكًا والغي مرتفقا

ترجلت عن ظهور الخيل من زمن ... فجئت في ليلهـا تستدرك الرمقا

أيقظـت في ثقة فيها حـميتهـا ... محصت إيمانها أخزيت من نعـقـا

تُقـبِّلُهـا بحنان المشفـقـين بها ... وتمحص النصح أدناهـا ومن أبقا

حتى إذا ما اجتلوا درب الهدى رَغَبًا ... واستشرفوا طالعا بالحق مؤتلقـا

ودعتهم..يا حبيبنا كان يؤنسهـم ... وكان برّاً حفيّـاً صيِّـاً غدقـا

فأجفلوا كاليتامى حين ودَّعَهـمْ ... من طاب سيرته واستكمل الخُلُقا

حبيبنا طبت في أم القرى جدثـا ... وطاب ذكرك في كل الدُّنا عَبِـقَا

وطبتَ غيثًا به الفيحـاء مُخْصبة ... أحيا موات النُّهى واسْتَنْبتَ الورقا

إليك من حبها ما أنت تعرفه ... ومن تضـرعها أن لا تذوق شقـا

٦- نجم .. إثر نجم

من شعر / حسين بن حسن العبدة[١]

ألا نضّر الله العثيمـــين رحـــمـــة ... ونوّر رمسًا ضم جسمًا بسبسب
لمن بلّغ الآيـــات من قول ربنـــا ... ومن بلّغ العلم الصحيح من النبي
تحيتـــه أنّا نســـيـــر على الخطـــا ... ونذهب حيث الشيخ يغدو ويذهب
تحـــيتـــه أنّا نـــؤدي أمـــانـــة ... ونحملها دومًا على كل منكـــب
وننشر علمًا صاغه من جهـــاده ... وأشعـــله من كل عضو معـــذّب
لقد كان في مَحياه للنـــاس آيـــة ... وفي موته رمزاً لجـــافٍ ومطـــنب
ألا هكذا أو هكذا ثم هكـــذا ... يســـير إمام الناس في كل مذهب
تعرّى من الدنيا وخلّص نفســـه ... ومَنْ غيره عضّت بناب ومخـــلب
نجـــا من له يومًا من العلم ضامر ... وأوتيَ في الإغراء من زُهْد مُصعب
مشيتَ على نَهـــج ابن باز وسَمْته ... فجاورته في «العدل»[٢]في خير غيهب

٧- لحظة .. لا تغب.

من شعر : سليمان بن زيد الجربوع[٣]

لو رأيت القصيم في حلة العرس ... كئيبًا يصيح بالنعش «مهـــلا»
وحـــواليه من بنيه جـــمـــوع ... تزرع الأفـــق ياسميخًا وفلاّ
كـــان يزدان للقـــاء بيوتـــاً ... وحقولاً..طفلاً غريراً وكـــهلا

---

(١) مجلة المعرفة - العدد ٦٩ ذو الحجة ١٤٢١ هـ.

(٢) العدل : مقبرة العدل في مكة المكرمة.

(٣) المرجع السابق .

وتغنت بك البطاح ربيعـاً أنت أشهى منه مراحاً وظـلاً
كلهم كان في انتظارك..عينـاً تتملى وخاطـرًا يتسلى
يتنادى بك المدى فنناد طائرات القدوم «أهلاً وسهلاً»
القصيم الذي عهدت حنين يغتـلي حرقـة ويلتاع وبلا
كلنا كان بين مد وجزر وحبال القضاء تفتل فتلا
ها هنا اصطفت القلوب تناغي أملاً من كوى الغيوب أطلاّ
لفّنا باليقين بردًا ونوراً ونمانا لسدرة الحب أصلا
ودعانا لعالم من مجالي الخلد أغلى من أن ينال وأعلى
عالم مبهر ، فلم تر عين قبله مثله دياراً وأهلا
وتراءى لنا على البعد طيف أيُّ حسن بدا ونورٍ تجلى
إنه حسنه المهيب ووجه يستثير الرؤى جلالاً ونبلا
أهنا يرقد الحبيب ملمّاً بشتات العلم السَني مُدلا
أهنا يرقد الحبيب ؟ أفيقي يا يد الحلم ، فالجمال تدلّى
أهنا يرقد الحبيب..فهلا طفت شعراً على مغانيه هلا
قال:قد رمت وصفه،قلت:من لي قال : وفيت حقه ، قلت : كلا
واستفقنا ، فم الزمان رثاء يهجر الأنس في ذراه ويقلى
والعثيمين رحلة ما توانت تملأ الخافقين علمًا وبذلا
والعثيمين صفحة من كتاب في يد الموت قد طواها ، وولى
والدني دمعة تعزي زماناً كنت فيه السفْر العظيم الأجلاّ
شفّك السقم يا طهور السجايا واحتوتك الدروب وعرًا وسهلا
وتساميت راضيًا مطمئناً ينبت البؤس في شفاهك فألا
ثابت القلب في يمينك سيف من يقين يفلّ سقمك فَلاّ

٨- فقدناك يا نبع العلوم وبحرها

من شعر : صبيح صالح الصيعري.(١)

أيا حافظ القرآن فالكل محـــزن	فهل أنت من فقد الجليل حزين
فقدناك يا نبع العلوم وبحـــرهـــا	رحلت وإن الشعب فيك حزين
سيبقى مع الأيام ذكرك خـــالدا	تركت دروســـا كلهن ثـــمين
إذا ما ذكرنا عـــالما ومحـــدثـــا	ذكرنـــاك ما بين الجميع فطين
إمام لأهل العلم والفضل والتقى	وحصن لأهل الصالحات حصين
إذا رام غيرك في الحياة مرامـــه	فإنك للعـــلم المفيـــد قرين
ستحزن من فقد الفقيد دروســـه	ويحزن منه طالـــب وعـــوين
ويحـــزن منه منبر بعد فقـــده	وتذرف منه أدمـــع وعـــيون
إذا ما خطيب القوم قد حل بعده	تعالى لأطراف الصفوف أنـــين
لذكرى فقيد العلم هلت دموعهم	وجاشت صدور حزنهن دفـــين
يا إله الكـــون ارحـــم محمـــدا	فقد كان في نشر الكتاب أمـــين
وقد كان نورا للشباب ومرشـــدا	يسير بدرب ثـــابت ويقـــين
على مثله تبكي شعـــوب لفقـــده	كذلك يبكي طالب ومتـــون
إذا ما أردتم حفظ ود محمد	عليكم سلوك النهج فهو قمـــين
فخـــفف عليـــه يا ألهي بقبـــره	إذا العبد من بعض الذنوب رهين
إذا ما ادلهم الليـــل قام مصليـــًا	فقد تشتكيه أرجـــلٌ وجفـــون
يجافي بجنب عن مضاجـــع نومـــه	يصلي إذا ما العالمين سكـــون

---

(١) الرياض – العدد ١١٨٩٦ – الخميس ٢٣ من شوال ١٤٢١ هـ.

ويكتب حينـا في كتاب لنشـره ولو عارضتـه عقبـة وحـزون

هنيئا له إذ انفق العمر سـاعيـا لتحصـيل علـم للأنـام ثمـين

عزانـا لأهـل للفقيـد وإخـوة وكل قـريـب للفقيـد حزيـن

٩- غاب صوت الشيخ

من شعر : مبارك بن عبد الله المحيميد.[1]

هل أتى حين من الدهر بـه غاب صوت الشيخ عن طلابه ؟

لم يكن في بيتـه أو درسـه أو على الهـاتف أو محرابـه !

صـوته الخاشـع يطويه أسـى صوت ناعي الركب في رُكّـابه

يرحل الشيخ..وما أصعـب أن يرحل المحبـوب عن أحـبابـه

يرحل الشيخ..وما كان سوى أمـة تـلبـس من أثـوابـه

يا لأطيـار من العلـم وقـد هاجرت ؛ والشيخ من أسرابـه

لست أدري أي شيء هزنـي حين خاض النـاس في أوصابه

سائلي :عن جسمه الناحل ما هدهُ ؟ أخبـرْكَ عن أسبابـه

زاده «الـزادُ» وقـد آثـره سائغـاً للنـاس في أكـوابه

«بابه المفتوح» لا يُغـلق من زحمـة النـاس على أعتـابـه

ولـه «قول مفيد» قـد أتـى سـاعيـاً للفهم من أبـوابـه

طفْ على أسفاره وأسأل بـها كل فـن عن مزايـا ما بـه

يعجز الفن !! وقـد تسـعفـه أحرف السَفر إلى إيـجـابـه

يا لأيام سـمان - قد خلت - وليال خـرجـت من بـابـه

---

(١) الرياض - العدد ١١٨٩٦ - الخميس ٢٣ من شوال ١٤٢١ هـ.

عجبًا كيف استطاعت همة – فنيت دهراً – على إنجابه
أنت سطر في سجل الكون قد عجز الأحياء عن إعرابه
قفل الشعر وقد أتعبه ركضه للشيخ من إعجابه
جاء بالإيجاز منه وعسى ينفع الإيجاز عن إطنابه

١٠- آلام وأمل

من شعر : صالح بن مقحم المطيري.[1]

قالوا الأسى يعلو فؤادك والكدر ما هذه الأحزان مالك والسهرْ
أتراك عشت الليل يأسرك الهوى أم كان سهدك للحبيب ومن هجرْ
أم أنها الأوهام سارت بالكرى فمضيت ترسل ناظريك إلى القمرْ
حتام تبقى واجماً متندماً هلا ذكرت لنا مصابك والخبرْ
فأجبتهم عذراً دعوني ما أنا إلا أسير الحزن في زمن العبرْ
خاطبتهم والدمع يخنق أحرفي أنا مؤمن بالله راض بالقدرْ
أنا مؤمن لكنّ عيني لم تزل ترنو إليه محدثاً رغم الكدرْ
مازلت اسمع صوته يهدي لنا من علمه الفياض أنواع الدررْ
مازلت أسمع صوته متألقاً رغم الأسى من فتكة الداء الأمرْ
يا شيخ مهلاً فالأنام بحاجة للعلم للإيمان للذكر العطرْ
في أرض مكة غيبوك وما دروا أن الذي قد غيبوه هو القمرْ

(١) مجلة المعرفة – العدد ٦٩ – ذو الحجة ١٤٢١ هـ.

١١- ما أطوَلَ الحزْن

من شعر : محمد بن عبد الرحمن المقرن.(١)

يا رب ما كان صوتُ الحق يفزعنا ... وفي القلوب يقينٌ يشبه الجبلا
لكنه العِلْمُ هَوي منه أعمدة ... فيرجفُ القلبُ من توديعهم وَجَلا
من يا ترى سيسدُ الثلْم إن رحلوا ... وهل سنلقي لهم في جيلنا بدلا ؟
ما لعلم في مشلح ضاف نبختره ... ولا انحناءُ رؤوس ترقُب القُبلا
العلم صبرٌ وزهدٌ في ثياب تقي ... لاخير في العلم إن لم يُتْبَع العملا
ألا سقَى الله من أرسى لنَا مُثلاً ... عُلْيا سَنجْعلها في دربنا مَثَلا
يا طالب العزِّ حدّقْ في جنازته ... كذلك العزُّ أمّا ما سواه فلا !

١٢- الرَّزيَّة

من شعر / إبراهيم بن علي النفيسة.(٢)

ألم تسمع إلى ما قال يوما ... أخو الأشعار في وصف الرزية
تعلم ما الرزية فقد مال ... ولا شاة تموت لا مطية
ولكن الرزية فقد فذّ ... تموت بموته أمم وفية
ألم تعلم بأنا قد فقدنا ... شيوخ العلم أصفى الناس نية
محاسنهم تفوق ذرى الغمام ... وأنفُسهم إلى المولى علية
تتابع عِقدهم فرأيت قومي ... على حزن وفي كُرَب جلية
نجوم قد تهاوت من سماها ... عدولٌ لم تكدّرهم دنية

---

(١) المرجع السابق .

(٢) الجزيرة - العدد ١٠٣٤٦ - الخميس ٣٠ من شوال ١٤٢١ هـ.

جبال قد تمادت في علاها أولو الألباب سهم خير البقية
غصون وابن باز وابن زرقا وطنطاوِ كذا الشيخ عطية
وكم قد ساءني وشجى فؤادي رحيل الطود ذي النفس الأبية
عثيمينٌ يقول الحقَّ حقا لأجل الله لا يرضى جزية
إمام في العلوم وفي السجايا وفي الخيرات ذو كف ندية
أصوليٌّ فقيه حبرُ علمٍ عصاميٌّ نصوحٌ للرعية
ينافح عن حياض الدين دوما ولم يفتر إذا ما الروح حية
تناحل جسمه فعلاه شيب وفي أثوابه روح فتية
ولكننا وإن طالت خطانا نجوب الأرض في حكم المنية
فكأس الموت موردُ كل حَيٍّ وبالأقدار أنفسنا رضية
أيا رحمن فاخلف خلف خير واجرنا فإنَّا في بلية
وجاز إمامنا خيراً جزيلاً وأورثه جنانا سرمدية

١٣- حسرات في يوم الرحيل

من شعر : علي بن حسن الحارثي.[(١)]

خطب تكاد له الجبال تَهَدَّمُ ومصيبة في كل عين تعظم
أحقيقة مات الإمام وأطفئت سرج المكارم أم تراني أحلم
ماذا أقول وفي الحنايا لوعة ولئن سكت فحسرتي تتكلم
العين جادت بالدموع غزيرة والنار في جوف الحشا تتضرم
شيخ القصيم بل الجزيرة قد مضى بل شيخ صحوتنا الذي نتأمم

(١) مجلة الأسرة - العدد ٩٢ - ذو القعدة ١٤٢١ هـ.

تبكي عُنيزةُ فقدَ من أحيا بـهـا ... ورث النُبـوة يـجتنـي ويعلم
تبكيـه كالأم الرؤوم إذا دهـت ... خيرَ البنـين منيـة تتخـرم
ما حال جامعها الكبير وقد مضى ... ذاك الخطيـب اللوذعي الملهـم
محـرابـه يبكي ويبكي منـبـر ... ومكان درس الشيخ قفر مظلـم
جَلّ المصاب وضاقت الدنيا بنـا ... والحـزن في كل الديـار مخيـم
واحسرة في القلب ليست تنقضي ... وا لوْعـة في خاطري لا تكتـم
لو جاز أن تُفدى فديتك شيخنـا ... وفـداك كـل مبجـل يتعمـم
لما بليت وقفت طـودًا شـامخًـا ... بالله لا بخـلائـق تستـعصم
وأتيـت مكـة تلتقـي بأحبـة ... عودتهم والحـر كم يتكـرم
أو كنت تشعر أن أمرًا قـد دنـا ... فأتيت تخفي ما علمت وتكتـم
حتى الدروس أقمتها لم تكتـرث ... بتجـدد الأسقـام ... لا تتألـم
وصـبرت حتى إن صبرك آيـة ... للسائرين على الـمحجة معلـم
أفقيد أمتنا مضيت بمشهد ... ملك الفـؤاد كأن ذاك الموسـم
صلت عليك جمـوع لم أر مثلها ... والدمع في تلك المرابع يُسجـم
وعلمـت ما «يوم الجنائز» إنـه ... يـوم نردد ذكـره لا نسأم
قل لي بربك يا ثرى «العدل» الذي ... فيك البدور ثوت وغارت أنجـم
كيف التأمتَ عليه كيف حويتـه ... هل أنت تدرك ما جرى هل تعلم؟
علماً وربك قد حويت وحكمـة ... وتُقى وزهـدًا منـه كم نتعلـم
أبكيه ثم أقول من حـر الأسـى ... من بعدكـم أنّـى بعيش ننعـم
والله لولا أن ربـي قـد قضـى ... بالمـوت للثقلـين من ذا يسلـم
لبقيت أبكيـه أسح مدامـعـًا ... ما دام قمريُّ " الشفا " يتـرنـم

أبي أعزي النفس أنك لم تمت وأكاد من فرط المشاعر أقسم
ما مات من ملأ الدُّنا بعلومه والخير من كلماته لا يُعدم
ما مات من أحيا القلوب بنصحه يعفو وبالطلاب لا يتبرم
يا رب فاجبر كسرنا بمُصابنا أنت الذي بالحال منّا أعلم
أنت الذي ندعوه إن خطب دها أو أزمة حلّت فلا تتأزم
يا رب في الفردوس أسكن شيخنا وتوله أنت الأعز الأكرم

١٤- الدمع السخين على فراق الشيخ العثيمين

من شعر : خالد بن علي الدويغري.[1]

خبرٌ – وربي – للفؤاد يقطّع دمت العيون له وعز المضجع
خبر – وربي – هد كل عزيمة يندى له الرجل الحليم ويفزع
خبر – وربي – لا يزال مدوياً من هوْله صم الجبال تصدّع
خبر أتى من حول مكة ناعياً «الشيخ مات» وليتنا لم نسمعوا
خبر أتى ينعى العثيمين الذي كل القلوب له تجل وترفع
ينعى الإمام الفذ عالم عصرنا شيخ جليل زاهد متورع
عز القصيدُ وأطرقت كلماته ماذا يقول الشعر ؟ ماذا يدع ؟
تلك المصيبة إنها لكبيرة صبراً فلله العظيم المرجع
ولقد فجعنا بابن باز قبله إن المصائب خرقها لا يرقع
سنة وتسعة أشهر معدودة طنبان من أطنابها تتقلع
فالأرض تبكي والسماء حزينة والله يفعل ما يشاء ويصنع
والفقه يرثي «والصحاح» عليلة «والروض» باك والضياء اللامع

---

(١) الرياض – العدد ١١٨٩٦ – الخميس ٢٣ من شوال ١٤٢١ هـ.

«والفتح» أغلق دفتيه بحيرة ... وكذا الفرائض بل علوم أجمع
ترثي إمام الحق حامي نهجها ... الشيخ حارسها يذب ويردع
يا كعبة الله التي شهدت له ... فتحدثي عن شيخنا اتسمع
قالت لنا والدمع زاد نشيجها ... تالله ما ازكاه حولي يركع
وكذا «المشاعر» أرتجت لفراقه ... والأرض غشاها بوار بلقع
لك يا عقيدة قد أتيت معزياً ... فبمثله يعلو العزاء ويرفع
لك يا عقيدة قد أتيت معزياً ... لمن العزاء وكلنا نتقطع
يوم الخميس ويا لها من لحظة ... إذ كفّنوا الشيخ الجليل وأسرعوا
في «مكة» قد هال مقلة عينها ... إذ قدموه عليه كبّر أربع
حملوه نحو "العدل" كان مسيرهم ... حضر الجميع وشاهدوه وودعوا
يالحد مهلا فيك شمس زماننا ... قد غُيبت والنور باق يسطع
عادوا جميعاً ليس فيهم شيخهم ... وقلوبهم من حرقة تتقطع
بحر يسيل من الدموع بلوعة ... من ضن دمعاً خلته لا يدمع
ستظل يا علم المشائخ شامخاً ... ويظل علمك في البرايا يُطبع
صلى الإله على النبي وصحبه ... عدد الحصى والساكنات الهجَّع

١٥- رَحَلَ الإمَامُ

من شعر عبد الله بن سليمان المزروع.[1]

ما للحمامة لا تَردُّ هَديلا ... والخَيلُ أطْرقَ لا يجيدُ صهيلا
ما للفيافي قد تساقط زهرُها ... والبحرُ يرقدُ ساجياً وثقيلا
ما للنجومِ تضاءلت أنوارُها ... والسعدُ أمسى في العراءِ قتيلا

(١) الجزيرة – العدد ١٠٣٣٧ – الثلاثاء ٢١ من شوال ١٤٢١ هـ.

الصبحُ يسألُ والدموعُ بعينـه — أحقيقةٌ يا ليلُ ما قـد قيـلا ؟
يا ليلُ أين الشيخُ ؟ قُل لي أينه ؟ — هل قـامَ في محرابـه ترتيـلا ؟
أم أنه بـين المتـون مسـافـرٌ — فأبيتُ أرقُبُ للإمـام وصـولا
أم قد تَحلَّقَ حولَـه طـلابُـه — والشيخُ يجْلِسُ بينـهم قنديـلا
يا ليلُ قُلْ لي أينه فالصمتُ قـد — تَرَكَ الفـؤادَ ممزقـاً وعليـلا
يا صبحُ بل رَجَع الإمـامُ لربـه — والموتُ لن تَلْـقى له تأجيـلا
رَحَلَ الذي شُغف الأنامُ بحبـه — حتى توسَّطَ في القلوب نزيـلا
رَحَلَ الذي ضاق الفضاءُ بعلمه — كالشمسِ تُشرقُ بُكرةً وأصيلا
أبقى لنا نبعَ العقيـدة صافيـاً — وأسـالَه فينا فطـابَ مَسيـلا
وهدى النفوسَ العاطشات لنبعها — فروى بذلك في القلوب غليـلا
ومضى يبـارزُ من أرادَ بمائهـا — كَدَرًا فَيَغْلـبُ حُجَّـةً ودليـلا
ورأى البريَّةَ حـوله في ظلمـة — فأضـاء فيها للنجـاة سبيـلا
رَحَلَ الإمامُ وغابَ عن أنظارنـاً — أحْـزِنْ بذلك غَيبـةً ورحيـلا
رَحَلَ الإمامُ فَليت شعري هل لنا — مَن في إمامَتـه يَحـلُ بَديـلا
فالعلمُ قد أمسى يتيمـاً بعـدَه — يارَبِّ قَـيِّـضْ لليَتيمِ كفيـلا يا
سَيَهلُ دمعُك يا صحاحُ إلى متى؟ — تَدْمُريةُ هل كفاك عويـلا ؟
فالدمعُ لا يُجْدي الحزينَ وإنمـا — صـبرًا على ألمِ الفـراقِ جميـلا

١٦- من شعر/ فيصل بن صالح العبد المنعم.[1]

سلام من الرحمن يا ساكن القـبر — ورحمته دوماً عليك مدى الدهـرِ
سلام ودمع العين يبكيك كلمـا — ذكرت دروس العلم والفضل والبرِ

(١) الجزيرة – العدد ١٠٣٣٥ – الأحد ١٩ من شوال ١٤٢١ هـ.

سلام وحزن القلب يزداد كلما   ذكرت شفاة لا تمل من الذكر
فقدناك يا فخر العثيمين مثلما   فقدنا ابن باز قبل عام من الدهر
فقدناك في شوال يا شيخ مثلما   فقدنا طلوع البدر في ليلة البدر
فجعنا جميعًا في سماع رحيلكم   فقد كانت البلوى أشد من الجمر
ذهبت إلى مثواك يا شيخ راحلاً   وخلّفت أحزاناً سنلقها بالصبر
سيبكيك طلاب وعلم وحلقة   ويبكيك كل الناس في البدو والحضر
ويبكيك محتاج لفتوى مضيئة   تطير بها الركبان في البر والبحر
ويبكيك شرح الفقه للناس ممتع   ويبكيك أهل العلم يا عالم العصر
فقد كنت فينا مشعل العلم والتقى   دليلاً إلى الجنات والفضل والخير
وكنت لهذا الدين حصناً مشيدًا   تذود عن الإسلام في السر والجهر
وسيفاً على أهل الضلالات مشرعاً   ترد على الضّلال من ظلمة الشر
فقدناك يا بحر العلوم وحبرها   فقد كنت للإسلام كالكوكب الدري
ولكن عزائي ما نرى من شروحكم   لكل فنون العلم في ساحة الفكر
وطلاب علم يقتفون طريقكم   إلى درجات العلم والخير والذكر
صبرت على كل الملمات واثقاً   بوعد إله العرش في الضيق والضر
فصبرك يا شيخي ستلقى جزاءه   إذا الناس موقوفون في الحشر والنشر
وداعاً حبيب الكل والدمع هاطل   وداعاً فلا لقيا إلى موعد الحشر
فبالله أحببناك لا شيء غيره   وحبك يا شيخي لمن أفضل البر
فحمداً لك اللهم في كل حالة   فهذا قضاء الله نلقاه بالصبر
فهذا عزائي للمحبين جملة   أحمّله شعري ومن قبله نثري
وصل إلهي كلما صام صائم   على المصطفى المختار من جاء بالخير

١٧- الفراق المر

من شعر / عبد الله محمد باشراحيل.[1]

يا للفـــراق بكتـــك عين وفـــم ... وبكاك في كل البـــلاد المسلـــم
ما أصعب الفقد الذي ينتـــابنـــا ... والموت حـــق والقضـــاء محكّـــم
يا أيهـــا الشيخ الذي يعتـــادنـــا ... في كل عيـــد بالتقـــى يتبســـم
عيد الحنان هناك أعظم فرحة ... للمؤمن الصـــادي لمن هو أعظم
ونراك تزهـــد في الحيـــاة كأنهـــا ... طيـــف يمـــر وعابـــر يستلهـــم
تسقي النفوس بما وعيت من الهدى ... علمٌ جليل القـــدر وهو المغنـــم
لازال علمك في المدى أصداءه ... بين المهـــامـــة والربـــى تترنـــم
فقـــد الرجال العاملين لربـــهـــم ... فقد الضياء إذا تـــوارت أنجـــم
غشى البلاء وقد تعاظـــم حملـــه ... والصـــبر يسكنـــه فلا يتألـــم
آلامـــه الآمـــال في نيل الرضـــا ... وسعـــوده في جنـــة لا تهـــرم
فضل من الديان من ضنـــت بـــه ... أيدي الأنام ولا يضيـــق المكـــرم
عم بالنعيم وبالنـــوال محمد ... واشرب رحيق المسك وهو مختّم
وانعم بأخـــراك البهيجـــة باسماً ... في روضـــة من حسنهـــا تتكلم
يا عاشق البلد الحـــرام وفضلـــه ... ها قد ثويت به وطـــاب المقـــدم
هذا جزاء العاملـــين بعلمهـــم ... هذا الفـــلاح قد اجتباك المنعـــم
فالثم ضيـــاء الحمـــد في جناتـــه ... وانـــهل من اللذات مالا تعلـــم
نعم المقـــام هناك ما بيـــن المـــنى ... والله يجـــزل بالثـــواب وينعـــم
ولـــه مقـــادير الأمـــور جميعهـــا ... وله الذي نـــدري وما لا نعلـــم
هو خالق الكـــون العظيم وكلنـــا ... رهن المنون ولن ترى من يسلـــم

---

(١) الرياض – العدد ١١٨٩٣ – الاثنين ٢٠ من شوال ١٤٢١ هـ.

١٨- علمٌ من الأعلام

من شعر / عبد الله بن جابر المحمود.[(١)]

نبأ سرى بين البريـــة مفـــزع — فانقض من هول لذلك مضجع
والتجَّت الآذان عند ســماعــه — والهال من عظم المصيبة مدمــع
واهتز قلب بالــمحبة مفعــم — وغشى النفوس تكدر وتوجــع
مات العثيمين العظيــم بنفعــه — علم من الأعلام بالحق يصــدع
دنت المنية واستتم نصابــهــا — والكأس من حوض المنية متــرع
الموت حق في الخليقــة نافــد — لكــن موت المصلحين مــروِّع
شتّــان بــين غوينــا وتقينــا — فالله يخفض من يشاء ويرفــع
الناس تبنــي والفناء مصيــره — خاب الذي يبني الفناء ويجمــع
مــت أيها الشيخ التقي قريــرة — عيناك بالشيء الذي كنت تصنع
ان مات شخصك حية أعمالــه — تبقي بها حياً وذكرك يُرفــع
خلّــف ميــراث النبوة بعــدما — أفنيت عمرك في علومك مولــع
ويمضي نهارك في العلوم وكسبها — وتظل في الليل البهيم تضــرَّع
والزهد كل الزهد فيك سجيــة — بها ارتفعتَ وفوق ذاك تواضــع
ومن الأناة جعلت نــهج تعامل — والحلم تاج في جبينك يسطــع
ونصيحة في الله لله قصدهــا — أسديتَها من جاء في العلم يطمع
وملكتَ في حب الإلــه محبــة — من خلقه فالكل يصغي ويسمع
الله عــدل لا ظــليمــة عنــده — اعمــل تجد والله يعطي ويوســع

---

(١) الرياض – العدد ١١٨٩٣ – الاثنين ٢٠ من شوال ١٤٢١ هـ.

١٩- لك في رحاب الله حسن جزاء

من شعر : عبد العزيز بن محمد النقيدان.[(١)]

اليوم يجدر أن أقول رثائي ... يا صاحب الفضلى من العلماء
عشنا سنين وأنت فينا رائد ... ومعلم في منهج الفضلاء
عشت التواضع والسماحة والندى ... متسامحاً حتى مع الجهلاء
ذهل الصغار على الشفاة تساؤل ... جاد الكبار بمدمع وبكاء
ومواكب تترى تزف عزاءها ... جاءت معبرة بكل وفاء
فمن القلوب تضرع وتودد ... وتفيض ألسنةٌ بخير دعاء
يا راحلاً عنا فدتك قلوبنا ... كيف السلو عن القريب النائي؟
قد شيعتك إلى المقابر صفوة ... ممن سما في صحبةٍ وإخاء
أحببتهم في الله والكل انبرى ... قد ودعوك بدمعة وعزاء
لو كان لي الشعر الفداء لعانقت ... درر القوافي سياق رثائي
أمضيت عمرك داعياً ومعلماً ... وبنيت جيلاً نابه الآراء
إن المعارف وهي أعظم منة ... خلعت عليك ملابس السعداء
وشكرت رباً كم تلوذ بركنه ... وصبرت محتسباً لكل بلاء
إن الذي جعل العقيدة نوره ... قد سار في طهر مع الحنفاء
ماذا تقول إذا تقدم راحل ... إن الرحيل نهاية الأحياء
في ذمة الله الذي برأ الورى ... إن المنايا قُدرت بقضاء
فإلى جنان الخلد يا علماً هوى ... لك في رحاب الله حسن جزاء

(١) الجزيرة - العدد ١٠٣٣٥ - الأحد ١٩ من شوال ١٤٢١ هـ.

أبيات ما قبل وبعد الممات :

٢٠- من شعر / عبد الله بن عبد الكريم الشايع.[١]

قصيدتي تلك بسم الله أبدأها مثنياً بصلاة الله فيها على
محمد وسلام الله أقرنها بها واقرن معها الآل والملأ
يا ابن العثيمين كم يشدوا الفؤاد له من رؤية بل ومن كأس به امتلأ
من العلوم صنوف أحتوته بها بل احتواها فصار الكسل محتملاً
إذا أجبت بفتوى أصبحت عَلماً تضيء بين هداها العلم والأملا
نور على الدرب اضحت منك مرتحل لكل باغ لزاد السير مرتحلا
إذا ابتدأت بدرس كنت فيه هدى توضح العلم مقروناً به العملا
لا يكتفي بعلوم لا نتاج لها إذا خلا العلم من أعماله ذبلا
عنيزة شرفت كذا الرياض رأت ومكة عرفت أن المقام علا
قبيلة ذهبت[٢] بل أمة رحلت برية ذهلت أصابهن ثلا
معيشتي اندثرت حياتنا اضطربت قلوبنا وجلت بفقد خير ملأ
لعلها أزفت أو إنها اقتربت مصيبة وقعت عدا عليها بلاء
ألست تسعدنا..ألست ترشدنا عند السؤال أليس الحق هذا ؟ بلا
عزاء أمتنا بفقد قدوتنا شيخاً بدعوتنا فوق الجنان علا

---

(١) الرياض - العدد - ١١٨٩٤ الثلاثاء ٢١ من شوال ١٤٢١ هـ.
(٢) بعد الوفاة .

٢١- وغاب فرقد خير

من شعر / يوسف بن عبد الله.[1]

أَتَتْ منابرنا حزنا وقد فجعت ... وحل فيها البكا والسهد والأرق
وغاب فرقد خير يستضاء به ... والمجد ركن عليه الناس ترتفق
والله لو نطقت أحجارنا لبكت ... ولاستدارت بها الأشجار تصطفق
حُـزْنا على عالم سارت مراكبه ... في كل ناحية بالعلم تستبق
هبت مشاعِرُنا ترثيه عاجلة ... والشعر إن طفت الأحزان يحترق
والحزن كالمزن ما سَالت سَحَائبه ... بالدمع تسبقه الآهات تختنق
لكننا بقضاء الله قَدْ رَضِيَت ... نفوسنا وأبت في الإثم تنزلق
علاّمةٌ حَذق راجت مسائلُه ... في سوق معترك الفتيا وتأتلق
وفي العقائد تبيان ومخرفة ... والفقه في «ممتع» قد لفه الورق
طارت فتاواه في أقصى الدنا وسمت ... عن الهوى وأتت بالحق ينطبق
وكم طرحتُ سؤالات ليفتيني ... فينبرى واثقاً في الشرح ينطلق
كأنه قمر جاءت مشعشعة ... أنواره في فضاء الكون يتسق
بل إنه الشمس في الإصباح مشرقة ... وقد تقدم نور الصبح ينبثق
وجرأة الحق في عدل تجلله ... والخصم في حكمه يرضى به يثق
سهل بسيرته سمح تعامله ... ولفظه بفصيح القول يعتنق
كفاه بين ندى خير وقابضة ... سيفا على زمرة الأعداء يمتشق
والله أشهدنا ان شاء خالقنا ... فالشيخ في نزل الفردوس يغتبق!!

---

(١) الرياض - العدد ١١٨٩٤ - الثلاثاء ٢١ من شوال ١٤٢١ هـ.

٢٢- تصدع القلب

من شعر : صالح بن عطا الله الخزيم.(١)

تصدع القلب وأهتز الفؤاد أسى — وخيم الحزن في الدنيا عليك أبي
قالوا مضى الشيخ والهفاه وانطفأت — شمس العلوم كذالك المرء كالشهب
أمسى فؤادي عليلاً لا يخفف من — مصابه قول من عزوه في عتب
قد كان فينا نشيطاً حازماً علماً — بالبذل يُعرف فعل السادة النُجب
مصابنا اليوم في شيخ الشريعة من — ربت مجالسه الأجيال في أدب
قوى عزائمهم رسى عقائدهم — أجلى الغياهب كم تنزاح من حجب
أراهم الصدق في قول وفي عمل — قد اقتفى أثر الأخيار في دأب
وسار نهجاً قويماً لا تزعزعه — أمواج عالمنا فالناس في صخب
فصار فذاً وحيداً صادعاً أبدا — بالحق ينشره حتى مع النصب
فكم جلسنا أمام الشيخ نرقب ما — يلقيه من باهر الأقوال في عجب
قل للمنارة في الفيحاء وا أسفي — على فراق ليالي العلم والطلب
وعز كرسي شيخي أنه شجن — وقل له إن شيخي غير منقلب
فلتصبرنّ على فقد البشاشة في — حسن الحديث بلا مين ولا كذب
ولتصبرن على فقد العلوم كذا — فقد الرزانة والمعروف والقرب
وجز على منبر قد كان يصعده — وعز فيه أصيحابي مع الكتب
وقل سلام عليكم يا أحبتنا — وأعظم الأجر يا ربي لمحتسب
قد كان صوتك يعو في منابرنا — ومن عليها فكم ألقيت من خطب
وابعث لجامعة الإسلام تعزية — من طالب من مصاب الشيخ مكتئب

---

(١) الرياض – العدد ١١٨٩٤ – الثلاثاء ٢١ من شوال ١٤٢١ هـ.

كذا الإذاعة في ركن الفتاوي التي — تبث في كل إقليم وفي القطب
جاهدت فالخطب لم يثنك عن عمل — ببيت ربك ترجوه مع الرهب
يا رب اسكنه فردوس الجنان إذا — وأروه في تربة واجعله في رُحب

٢٣- يا أُمةً ثكلتْ

من شعر : سعود بن محمد السليم.(١)

أقضَّ مضجعنا وهالنا الخبرُ — تكاد من هوله الأكباد تنفطرُ
يكاد فرط الأسى والحزن يخنقنا — ودمعة الحزن فوق الخد تنهمرُ
يا أمة ثَكِلَتْ بفقد عالمها — أما لكِ اليوم في ما فات معتبرُ
هوى من العلم صرحٌ واختفى قمرٌ — فهل يطيب سُرىً إذ يفقد القمرُ
ذاك الذي عهدت فتواهُ أمتنا — كأنها حين يملى نظمها دُررُ
محمد الصالح الفذُّ الذي رُزئت — بفقده بلدي ومثلها أُخرُ
ابن العثيمين تاجٌ فوق هامتنا — بالعلم والفهم والإدراك يشتهرُ
ابن عثيمين بحرٌ عز ساحله — في كل ناحية من علمه أثرُ
يا شيخ صحوتنا الكبرى ومرشدها — في زمنٍ عمَّ فيه الجهل والخَوَرُ
من ابن سعدي ورثت العلم يا علماً — أفنيت عمرك فيهِ وانقضى العمُرُ
ولابن تيميه في أرضكم قدمٌ — وعند تلميذه ابن القيم الخبرُ
وكلكم وارثٌ للمصطفى خلفٌ — لخير من سبقوا أنعم بهم نفرُ
بمثل منهجكم وعلمكم أبتي — تعطر الكُتبُ والألواح والسيرُ
جاهدت في دعوةٍ للدين في كتُبٍ — وكم شريط به من نهجكم فِكرُ

---

(١) الجزيرة - العدد ١٠٣٣٣ - الجمعة ١٧ من شوال ١٤٢١ هـ.

وكم دحرت عن الإسلام من نفرٍ رؤوسهم من أباطيلٍ بها دُسـرُ
حتى إذا ما خريف العمر حل بكم وأسقطت عنده أوراقها الشجـرُ
عانيت من مرضٍ لعل فيه غـداً كفارة وجميـع الذنـب يغتفـرُ
أعمارنا كتبت من قبـل مولدنـا وهذه سُنـةٌ في مثلهـا العبـرُ
لكننا نَذَرُ الأخـرى ونرخصهـا من أجل دنيا بها الآلآم والكـدرُ
في كـل يوم نـواري من أحبتنـا فهل ترانا من الأحـداث نعتبـرُ

٢٤- نور على الدرب

من شعر : ناصر بن محمد بن عثمان العمري.[1]

«نور على الدرب» استطار فؤاده قد كان صـوتك فيه كالخفقـان
فتوى كنور الشمس تعصف بالدجى لتقـود مركـبنـا لشـط أمان
ستظل تبكيـك المنابـر والندى ما نـاح قمـريٌّ علـى أغصان
ويظل شوقـك في الحنايـا دافئاً ما اشتـاق إنسـان إلى إنسـان
وتظل تلهـج بالدعـاء خواطر ما خـر قـوام إلـى الأذقـان
يا شـيخ طافتنا السنون كأنها أحلام طيـف أو سبـاق ثواني
من ذا يعيـش وفي الفـؤاد توقد أمن ينـام على الجـوى اليقظان
يا أمة الإسلام صبراً إنما ساعـات نصر المؤمنين دواني
فامضي على سنن النبوة واحفظي عهـد الوفـاء لكل ذي إحسان
إنـي لأرجـو من إلـهـي قربةً حبـي لـذاك العالـم الربانـي

(١) الجزيرة – العدد ١٠٣٤٢ – الأحد ٢٦ من شوال ١٤٢١ هـ.

٢٥- في رحاب العلم

من شعر / د . حبيب بن معلا المطيري.(١)

من أين أبتدئ المقال وأنطقُ ؟ وبأي حرفٍ في القصيد أُنمّق ؟
أبت القوافي أن تظل حبيسة ورنت..وقلبُ الشعر فيها يخفقُ
طمحت إلى رحب الفضيلة ماجد النور في حبراته يترقرق
يحدو بها الشوق العظيم لشيخها زين المنابر مجده متألق
بالعلم في حُلل المحامد رافل ولخدمة الدين العظيم مُوفق
سارت قوافي الشعر تحدوها المنى ويحثها الحب الخفي المشفق
ولديك يا شيخي تحط ركابها من بعد ما أضنى الدروب تشوق
أمحمد .. يا شيخَنا البحر الذي بعلومه نرفو العقول ونرتُق
المورد الزخّار درسك بالتقى والعلم فيه تألق وتعلّق
إن ضجّ في دنيا العباد تفاخرٌ فلأنت فخر الصالحين الأسبق
ولأنت فينا قدوة محمودة فالغرس من حسن السقاية مونق
ولأنت في نور المحبة أصله أصل به ثَمرٌ وجذع مورق
بحر من العلم الزكي يمدّه غيث من الهمم الشريفة مُغدق
يا شيخنا المحبوب .. هاك قلوبنا بشذا المحبة والأخوة تعبق
خفقت بإثرك أفؤدٌ ملهوفة تدعو لك الله العظيم وتشهق
فاسلم لها يا شيخها وضياءها ولتبق كالفجر المطهّر تشرق
إن يذكر المفتون في أخبارهم فلأنت للناس الأبر الأرفق !!
أو يذكر العلماء في أوصافهم فلأنت في جمع العلوم الأوثق

---

(١) مجلة الأسرة – العدد ٩٢ – ذو القعدة ١٤٢١ هـ.

أو يذكـر العبّاد في إخباتـهم ... فلأنت والله الحسيب الأصـدق
بالعلم تبني في النفوس شوامـخاً ... تعلو بتوحيد الإله وتسمـق
علمتنا معنى الرباط على التقـى ... والصبر وهو المطلب المستغلـق
علمتنا بذل الشيوخ لعلمهـم ... رغم السنين وقد حداهم موثـق
فبذلت علمك في ثبات مجاهـدٍ ... تعطـي وتبذل للإله وتنفـق
أذكرتنا البحر الإمـام سماحـةً ... الشيخ ابن باز والدموع ترقرق
أذكرتنـا السعـديّ في تدقيقـه ... ومشَايخ السلف الذين تألقـوا
يا شيخنـا المحبوب أنت منارنـا ... وضيـاؤنا وعطـاؤنا المتدفـق
شتـان بيـن من ابتنى بيقينـه ... في كل قلب قمـة لا تلحـق
فترى الجميع يضجُّ .. يسأل واجماً ... عند السقـام وللدعـاء يحقـق
وتراه قد حـاز القبول فحبُّـه ... متمكـن في الخافقـات موثـق
ومن ارتضى لهو الحيـاة فقلبـه ... في غفلة ولدى الغواية معـرق
يا شيخنا والحب يحـدو ركبنـا ... فتظل ترقُل في سُـراه الأينـق
ندعو الإله البرَّ ذا الفضل الـذي ... خلق الوجود وبـابه لا يغلـق
نـدعو الرحيم بأن يتـم شفـاءه ... لتظـل فينا سابقـاً لا يُسبـق[1]

٢٦- سلام عليك يا شيخ الزهد

من شعر : صالح بن علي العمري.[2]

تباركت ربي حـين تعـطي وتمنع ... تباركت ربي حين تدنـي وترفع
تباركت ربـي عـزة وجـلالـة ... إليك إذا ما إحلولك الخطب نفزع

(١) كُتِبت في مرض الشيخ.
(٢) مجلة الأسرة – العدد ٩٢ – ذو القعدة ١٤٢١ هـ.

لك الخلق .. تقضي حكمة وتلطفًا ... وكل إلى الله المهـيمن يـرجـع
تباركت علمًا..أنت نوري وملجئي ... أيا دافع الأمر الذي ليس يدفـع
لك الحكم إن ضاقت علينا وإن بغت ... ففضلك يا منان أرضى وأوسـع
لك الأمر إن لاحت خطوب جسيمة ... فحفظك يا رحمن أقـوى وأمنـع
تباركت .. ثبت مهجة قد تفطرت ... وقلبـًا على وقع الرزايا يفـزع
أتاك لظى دمعـي وهمـي وغربتي ... وآهات روحي والفؤاد المـفجع
أعالـج جمـرًا في الحشـا وصبابة ... وتصلى على نار المـصيبة أضلع
وأبكي فأستعزي بذكرى حبينا لعمري وإن ... سلوا ..وهل يجديك أنك تجزع ؟!
كـانـت حـيـاة طويـلـة ... فكل له في صولة الدهر مصـرع
غرور وأحـلام .. وهـم وحسرة ... وظل تولى .. والجديـد يـرقـع
أأبكيك شيخ الزهد والعلم والتقى ... وقد حق أن أبكي فؤادًا يصدع !!
أيرثيك شعري والمصيبـة هيمنت ... يحار الفتى في أمره كيف يصنـع
ذهـبت إلى عز ومجد ورحـمـة ... فجزت .. وما زلنا نصالي ونصرع
وتسلمنـا الدنيا لبـلوى ومحنـة ... وللشر أنياب بهـا السم يلمـع
لئن غبت جثمـانـًا فوالله لم تغب ... وذكرك بين الناس أبـقى وأرفع
تراثك موصول ، وعلمـك خالد ... وخيرك للغادي مصيف ومربـع
وما مات من زانت بسـاتين فكره ... وفتواه في العياء كالشمس تسطع
وما مات من أسدى إلى الحق عمره ... وقلبك بالأخرى شغوف مـولع
يهل كأن القطر من حسن قـوله ... فتثمر أغصان ويزهـر بلـقـع
ركبت مطايا العـزم تقـوى وهمة ... وأنت لفعل الخير أدنى وأسـرع
وأسديت ثوب الزهد..ثوبًا مسربلاً ... وذلك ثوب ليس والله يـخلـع
ومن ذاق طعـم الأنس بالله حقبة ... فليس له في عيشة الزيف مطمع

وغيرك يستعلي عروشـًا كسيحة ... وأنت على عرش القلوب تربع

تفكرت في دنياك ، والأمن سابغ ... لمن كان لله المهيمن أخشع

صلاة وقرآن وذكر ومسجد ... وحولك أجيال وعان وموجع

فأنى لشغل النفس حظ وإنما ... شغفت بفعل الخير والدرب مهيع

وكم قمت في عين الملمات فانثنت ... وأنت لحصن الدين باب ممنع

تبديت كالشم الرواسي تجذرت ... تقربها الدنيا ولا تتزعزع

وقفت بشهر الصوم طودا على الضنى ... تبشُّ فلا تشكو ولا تتوجع

بلاء لو استعلى على رأس شاهق ... لخر من البلوى طريحًا يصدع

بليت وفي البلوى ظهور ورفعة ... وفي غمرة السكرات تفتي وتنفع

تجليت مثل البدر نورًا ومنزلاً ... لكل جميل من محياك مطلع

ومن حولك الأجيال من كل بقعة ... وأرواحهم تشتاق والدهر يسمع

فأنساهم خوفًا عليك من الردى ... شمائل حبر عن قريب تشيع

تركتهم يتمًا أقاموا على الأسى ... أعيذهم بالله من أن يضيعوا

نغالط فيك السمع حبًا.. وإذ بدت ... فليس لها مما سوى الله مدفع

ستخلد يا ذكر «العثيمين» معلمًا ... على هامة الأيام تاج مرصع

فوالله لا تنفك تغليك أمتي ... ويأس على ذكراك قلب ومدمع

فتاواك أنوار وصوتك رحمة ... ونصحك مثل الغيث والشرح ممتع

ونعشك أجفاني وقبرك مهجتي ... وذكرك للصحب المحبين منبع

لئن أودعوك اليوم في طيب الثرى ... فقد علموا من في ثرى الطيب ودعوا

وجاورت قبر الباز حبًا وصحبة ... عسى أن يكن في جنة الخلد مجمع

تخلد أعمال الدعاة وتزدهي ... وفاء ، إذا ما زال كسرى وتبع

عليك سلام الله ما هل هاطل ... وما هب نسم وانحنى متضرع

٢٧- هو البحر

من شعر / هاجد بن دميثان الحربي.[١]

مصاب ليس يعـدله مصـاب ... وخطب فيه قد أعيا الخطـاب
وما هذا المصاب عليّ وحـدي ... ولكن كل ذي دين يصـاب
فيـا لله مـن نبـأ أتـاني ... أثار الدمع واضطرب اللبـاب
عشية قيل مات الشيخ والناس ... صابـهم من الخبر اضطـراب
فبت الليل ما أغمضت جفنـاً ... كأن العين سارقـها اللعـاب
كأن النفس إذ علمت عشيـا ... بناعيـه وإن طـال الغيـاب
يـحزحز في نواحيـها لهيـب ... شراسفهـا بها منه التهـاب
فنادى بالعيـون الرّوع حـتى ... لدمعي فوق خديّ انصبـاب
وما والله أبكي موت شخـص ... لنـا في غـيره يُلفى اقتـراب
ولكـني بكـيت على إمـام ... فريد في زمـانـه لا يـنـاب
فحمداً للإله علـى الرزايـا ... وقد فرضت على الناس الجذاب
فما في هذه الدنـيـا خلـود ... ولكـن مـوتنا ثـم الحسـاب
وما الدنيـا بسافـرة تبـدت ... يخـفي زيفـها عنـا النقـاب
لقد كانت وفاة الشيخ ثلمـاً ... ومـا يدري بها إلا العيـاب
فيا عجبي لصبري بعد علمي ... بموت الشيخ ذا الخبر الكـراب
وقد كنا نـبكـيّـه مريضـاً ... جميع الناس شيب أو شبـاب
فتبـكيه المـآذن والسـواري ... وتبكيه المشـائخ والصحـاب

---

(١) الرياض – العدد ١١٨٩٦ – الخميس ٢٣ من شوال ١٤٢١ هـ.

وقد كنا به كلاً سعيداً ... وفيه اليوم قد سعد التراب
هو البحر الذي ما غار يوماً ... لموجه طيلة الدهر العباب
محمد العثيمين المحلي ... بدين الله علاّم مآب
تقي الله محمود السجايا ... فقيه الأمة الفهم الجباب
كأنه في الدنا شمس تجلت ... بنور ليس يحجبها ضباب
سهيل قد هوى السارين دوماً ... شهاب ثاقب نعم الشهاب
حياة بوركت في كل صقع ... فسارت في معالمها الركاب
شهود الله في الدنيا البرايا ... وفيه القول فصل لا يراب
ففي غرب البلاد وفي جنوب ... وفي شرق وشمألها الجواب
فإن أفتى العباد وإن دعاهم ... أجاب الناس دعوته أجابوا
إمام في إمامته عطاء ... وخير والورى منها أصابوا
حياة كلها لله جمعاً ... فليس بها مزاج أو قطاب
تجافى عن هوى الدنيا احتقاراً ... كما استعلى عن الجيف العقاب
فعاش الزهد لا يبغي كثيراً ... ولا ما قل والدنيا يباب
وقد كانت علوم الشيخ فيضاً ... وكان بها على الدنيا الرباب
عقول الناس أودية حوتها ... بمجراها جرى السيل الأباب
علوم قد أفاد الناس منها ... سماعاً أو بها نسخ الكتاب
وأن إمامنا لم يأل نصحاً ... وإخلاصاً وعدلاً لا يشاب
وقد شرفت عنيزة بابن بر ... فآثرها وإن طاب اغتراب
فيا ربي تغمد من تولى ... برحمى منك والداعي يجاب
وبيّض وجهه وامنحه خلداً ... بجنات الخلود له الثواب

٢٨- من شعر :

د . عبد الرحمن بن صالح العشماوي.

وجهكَ البَاكي دموعَ التّائبين

أيهـا الشـيخُ الذي ودَّعـنـا	عالي الهمَّة وضّـاح الـجـبيْن
نحـن نلقـاك وإنْ فارقتـنـا	في عـلومٍ بـقـيتْ للرّاغـبيْن
أنتَ كالشمـسِ إذا ما غَربَـتْ	أهدت البدْرَ ضـياءَ المـُدلجيْن
أنتَ ما ودَّعـتـنـا إلاَّ إلـى	حيث تؤويكَ قلوبُ المسلميْـن
إن بكينـاك فـإنّـا لم نـزل	بقـضاء الله فـينا مـوقـنيْن
في وفاة المصطـفى سَلْوى لنـا	وعزاءٌ عن وفـاةِ الصالحـيْـن
ذلك الرُّزْء الـذي اهـتّـز لـه	عُمْرَ الفاروقُ ذو العقل الرزيـنْ
ماتَ خيرُ الناس ، هـذا خَـبَر	ترك النـاسَ حيارى تائهـيْـن
طاشت الألبابُ حـتى سمعـوا	ما تلا الصدّيـقُ من قولٍ مُبيْن
لا يعزّيـنا عـن الأحبـاب في	شدّةِ الهول سوى موْتِ الأميْـن
إنما الروح الـتي تسمـو بنـا	ويظلُّ الجسم من مـاءٍ وطيْـن
يحـزن القـلب ولكنـا عـلى	حُزنه نُبني شمـوخ الصـابرينْ
كـلُّنـا نفـنى ويبـقى ربـنـا	خـالق الكـون مـلاذُ الخائفـين

٢٩- عليل النسيم في رثاء علامة القصيم

من شعر / د . عبد الله بن محمد بن حسن السعيدي.[1]

هل العين منها كان يُستمطر القطر	أم العين منها كان يُستنطق السر
لقد نطقت سرًا وجادت بمائها	وقد فعلت فينا كما يفعل السحر
عشيةً ما قد ذاع أن خسف البدْر	فضاق احتمالاً في تتبعه الصدر
فلما يقينا صار سلمت للذي	تعالى له في كونه الخلق والأمر
وذا شأننا إن الحياة مطية	يجوز بها سفر وبتركها سفر
ولكن بعض الموت يحدث ثلمة	ومن سدها في قومه فهو الصدر
تداعى انفراط العقد في جيد أمتي	فأوله بدر وآخره بدر
فلله قوم تتقيهم ظلامتي	صحا السكر مما حل ولكنهم سكر
فَقَدْنا إماماً في الفضيلة ليتنا	فديناه فيمن سام والنعم الحمر
ولكن معاذ الحق من موقف به	ترانا ننافي الصبر ما وجب الصبر
فَقَدْنا إماماً في الورى ذاع صيته	تقيا نقي القلب ظاهره بشر
فإن شئت نهرًا في عذوبة لفظه	وإن شئت بحرًا في غزارته بحر
ولست مدلاً بالمُحب وفضله	على الله إن الكل في جنبه صفر
أشاح وقد كنا على وشك مفرق	تنازعه من بعده البيض والسمر
لعل له في السابقين مكانة	وكان له في كل شارقة عذر
سقى وابل من صادق الغيث قبره	يبادره قطر ويعقبه قطر
ويغدق حتى يصبح القبر روضة	إذا الريح راحت فاح من روضه نَشْر
فيا راحلاً للبيت بلغ تحيتي	لقبلته الغراء لا نالها وزر

---

(١) الجزيرة - العدد ١٠٣٣٥ - ١٩ من شوال ١٤٢١ هـ.

وبلغ سلامي للفقيـد إذا التقت عليه جموع حين صُلِّيت العصـر
وبلغ سلامي للجمـوع وقل لهم مقالة حق يستقيـم بـها الفكـر
لئن رحل الشيخ الجليل فـإنّ ذا سبيل الورى والكل موعده الحشر
وياكم من الأصحاب قد مات قبله ومِنْ قبله قد مات في الأمة الحبـر
ومن قبلهم مـات النبي وكل ذا يهـوُن ما نلقى إذا التبس الأمـر
فذلك أدعـى للتـذكـر إنّمـا يُذكر مَنْ يخشى فينفعـه الذكـر
وإني فتى ثـهلان مثلكمو أسـى واشكر من رغم المصاب له الشكر
عزاء لمن يشكو مِنَ البين حرقـةً أرى البونَ مثلَ البين وقدهما جمـر
وينسد مِن حر الحشى مستهامهـا روائع شعـر دونها يقصر الشعـر

٣٠- ومات الفقيه .

رثاء للشيخ وحيد عبد السلام بالي :[1]

هذا الإمام يوارى في مقابـرها هَـذا الهُمام يفـارق الإخوان
يدعو إلى التـوحيد طول حياته وإلى اتبـاع شـريعة الرّحمـن
فـارفع إلهي ذكـره ومـقامه وارحـم إلهي رُوحـه وجـنان
سـدّد إلـهي قـوله وجـوابهُ في القبرِ عند سُـؤاله الملَـكان
وافتـحْ إلهي بـاب رحْمتكَ التي وسعت من الأشياء كُلّ كـيان
واجـعل إلهي قبْـره ومـقامَه في روضـة ورحـمـة وأمـان
واجمـع إلهي بـينه ورسـولنـا في جنّـة الفـرْدوس كُـلّ زمـان

(١) مجلة التوحيد، العدد ١١، لسنة ٢٩.

الخاتمة

وبعد هذه الرِّحلة المباركة مع حياة شيخنا العلامة محمد ابن عثيمين رحمه الله تعالى والتي شملت العديد من الجوانب التي برَّز بها الشيخ أقرانه ومعاصريه ، حتى أصبح إمام هدى وهادي أمة أستطيع من خلال هذه الترجمة أن أستخلص أهم الأمور التي جعلت الشيخ يتبوَّأ هذه المكانة السامقة بعد توفيق الله تعالى له ؛ ألا وهو

علو همته ، ومضاء عزيمته

مما جعله يطاول همم الأوائل ويلحق بركبهم

وقد قيل : « همة المرء على قدر همِّه »

وأخيراً فهل يعي طلاب العلم وحملة مشاعل الغد هذه الدروس والعبر من حياة الشيخ ! فيأخذوا بمعاقد المجد ويقودوا أمّتهم إلى قمم العزّ السامقة لتنال السعادة والتمكين في الأرض ،

والله غالبٌ على أمره ولكن أكثر النّاس لا يعلمون

وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين



الفهرست

يصدر قريباً للمؤلف

قرة العينين بادلة الاعتقاد
من الصحيحين

جمع وإعداد

عصام بن عبد المنعم المري



هاتف: ٢٩٨٤٣٧٥
فاكس: ٢٤٣٣٢٤٩
محمول: ٠١٠ ١٩٠٠٠٣٨